

D  
7  
.S  
16  
W  
C



هدية  
سبحان الصابغ فالهين ناصحة آل ماني  
المش  
مكتبة مركز الوثائق والدراسات  
أبو ظبي

(فهرست)

الجزء الثالث

من

(تاریخ الکافی)

## ( فهرس الجـزء الثالث من تاريخ الكافي )

صفحة	صفحة
٢٥ المقالة التاسعة وفيها فصول	٢ المقالة السابعة فيمن هم الترك وفي نسبهم
٢٥ الفصل الاول - فيما جرى بعد دخول السلطان سليم القاهرة وفي سلطنته على ديار مصر ولبسه شعار الخلافة	٤ المقالة الثامنة في تأسيس الدولة العثمانية وفي ظهور ملوكها الى مجي السلطان سليم الى ديار مصر واستخلاصها من أيدي المماليك الشراكسة المعروفين بدولة المماليك الثانية
٢٩ مطلب قتل السلطان الملك الاشرف طوبان باي	١١ مطلب ما جرى بعد موت السلطان بايزيد من الاختلال
٣٢ » خروج السلطان سليم من مصر الى مفر سلطنة بالقسطنطينية	١٢ فصل في استقلال السلطان محمد الغاري بالملك
٣٣ » الفصل الثاني - في سلطنة السلطان سليمان ابن السلطان سليم	١٨ مطلب قيام البابا كالسنوس الثالث وحسه المسيحيين على قتال السلطان محمد
٣٤ مطلب نظر السلطان الى ترتيب الدواوين والمجالس وتنظيم الاحكام الشرعية وتقرير قاعدة لذلك بديار مصر	١٨ » زحف السلطان محمد على ولاية ايتنا وما كان من وراء ذلك
٣٤ مطلب تقرير خير بك على عمالة مصر وما جرى له	٢٠ » تدويج بلاد البوسنا واخذها عنوة
٣٨ مطلب خروج الغزالي بالشام عن طاعة السلطان وعزمه على الزحف على مصر وضمها الى الشام	٢١ » فيما أصاب عسكر السلطان في بلاد البغدان وفي هزيمتهم
٣٩ مطلب قتل الغزالي وارسال رأسه الى دار السلطنة	٢١ » حصار سفن السلطان لرووس والرجوع عنها
٤١ » كم كان خراج مصر في دولة السلطان سليمان ومن بعده الى هذا النين	٢١ » وفات السلطان محمد وولاية ابيه بايزيد
٤٢ » ابطال السلطان سليمان لقضاء المذاهب الاربعه	٢٣ مطلب وناقت نفس السلطان بايزيد الى فتح الديار المصرية
	٢٤ » خروج الامير سليم على ابيه السلطان بايزيد في طلب الملك

صفحة	صفحة
٥٤	٤٣
الفصل الثالث - في سلطنة السلطان	مطلب ما تقرر من الرسوم على التركات
سليم الثاني	ليت المال وما أحدث من
٥٦	الاحداثات
مطلب ولاية سنان باشا	٤٤
» ولاية اسكندر باشا الفقيه	» خروج قاضي القضاة الى الحج
الشركسى بدلا من سنان باشا	٤٤
٥٧	» موت الامير خير بك
» ولاية حسين باشا	٤٥
٥٩	» ولاية الوزير مصطفى باشا
الفصل الرابع - في سلطنة السلطان	٤٦
مراد ابن السلطان سليم	» أبطال نظام قلعة الجبل القديم
٥٩	» ولاية أحمد باشا
مطلب ولاية مسيح باشا	٤٧
» ولاية حسن باشا الخادم	» ولاية قسام جزل باشا وخلعه
٦٠	» ولاية ابراهيم باشا
» الوزير ابراهيم باشا	٤٨
» سنان باشا الدقتر دار	» ولاية سليمان باشا الخادم وفيما
» اويس باشا	رسم به السلطان من مساحة
» أحمد حافظ باشا الخادم	أطيان سائر البلاد وجعلها ملكا
» قيودر باشا	للسلطان
٦٤	» ٤٩
الفصل الخامس - في سلطنة السلطان	» ولاية حسرو باشا وخلعه ورجوع
محمد بن السلطان مراد	سليمان باشا الى الولاية ثانية
٦٦	» ولاية داود باشا
مطلب ولاية خضر باشا	» ٤٩
» علي باشا	» ولاية مصطفي باشا صفصغان
٦٧	» وخلعه وولاية علي باشا
الفصل السادس - في سلطنة السلطان	» ٤٩
أحمد ابن السلطان محمد خان	» ولاية محمد باشا المعروف بدوقتر كين
٦٨	زاده
مطلب ولاية ابراهيم باشا المعروف	» ولاية اسكندر باشا
بالمقتول	» ٥٠
» جرجي محمد باشا الخادم	» ولاية علي باشا الخادم وخلعه
» حسن باشا الدقتر دار	» ولاية شاهين باشا
» الوزير محمد باشا	» ولاية علي باشا الصوفي
» حاجي باشا وخلعه وولاية	» ٥٠
محمد باشا المعروف بالصوفي	» في سبب اقامة السور من قنطرة
» أحمد باشا الدقتر دار	الحاجب الى الجامع الابيض
٧٤	» ولاية محمد علي باشا المعروف
	بالمقتول

٧٥ الفصل السابع - في سلطنة السلطان

مصطفى ابن السلطان محمد خان

٧٦ الفصل الثامن - في سلطنة السلطان

عثمان ابن السلطان محمد خان الثاني

٧٧ مطلب ولاية مصطفى باشا السلحدار

٧٧ » » جعفر باشا

٧٨ » » مصطفى باشا

٧٨ » » حسين باشا

٧٩ » » محمد باشا البستنجي

٧٩ الفصل التاسع - في سلطنة السلطان

مصطفى الثانية

٨٠ مطلب ولاية ابراهيم باشا السلحدار

٨١ » » مصطفى باشا

٨١ الفصل العاشر - في سلطنة السلطان

مراد الرابع ابن السلطان أحمد

٨٣ مطلب ولاية بيرم باشا

٨٤ » » محمد باشا الوزير

٨٥ » » الوزير موسى باشا

٨٥ » » خليل باشا

٨٦ » » أحمد باشا الجورجي

٨٧ » » الوزير حسين باشا

٨٧ » » الوزير محمد باشا ابن أحمد

باشا

٨٩ الفصل الحادي عشر في سلطنة السلطان

ابراهيم خان الاول

٩٠ مطلب ولاية مصطفى باشا البستنجي

٩١ » » مقصود باشا

٩٢ » » أيوب باشا

٩٣ » » الوزير محمد باشا بن حيدر

٩٥ الفصل الثاني عشر - في سلطنة السلطان

محمد الرابع ابن السلطان ابراهيم

٩٦ مطلب ولاية الوزير أحمد باشا

٩٦ » » عزل أحمد باشا وولاية

الوزير عبد الرحمن باشا

٩٦ » » الوزير محمد باشا

٩٧ » » غازي باشا وعزله وولاية

عمر باشا

٩٧ » » أحمد باشا وأهوه

ابراهيم باشا وعزله وولاية

حسين باشا

٩٧ » » حسين باشا جانبلاط

٩٨ » » عثمان باشا

١٠٠ الفصل الثالث عشر - في سلطنة

السلطان سليمان خان الثاني

١٠١ مطلب ولاية حسن باشا السلحدار

١٠١ » » أحمد باشا

١٠٢ الفصل الرابع عشر - في سلطنة

السلطان أحمد الثاني ابن ابراهيم

١٠٣ مطلب ولاية علي باشا قلع

١٠٣ الفصل الخامس عشر في سلطنة

السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان

محمد الرابع

١٠٤ مطلب ولاية مسلم باشا اسماعيل

١٠٥ » » حسين باشا

١٠٦ » » قرة محمد باشا

١٠٧ الفصل السادس عشر - في سلطنة

السلطان أحمد ابن السلطان محمد

١٠٩ مطلب ولاية راي باشا

١٠٩ » » علي باشا

صفحة	صفحة
١٣٧	١١٠
مطلب عزل محمد باشا اليمد كشي	مطلب ولاية ولاية حسين باشا
وولاية محمد راغب باشا	» » ١١٣
١٣٩	ونولية خليل باشا
مطلب عزل أحمد باشا كوروزير	» » ١٢٠
١٣٩	مطلب عزل أحمد باشا وولاية عبد
الله باشا	» » ١٢٣
١٤٠	» » ١٢٤
» » عبد الله باشا وولاية امين باشا	محمد باشا البستانجي
١٤٠	مطلب ولاية مصطفى باشا
١٤١	» » ١٢٤
الفصل الثامن عشر - في سلطنة	مطلب عزل محمد باشا البستانجي
السلطان عثمان الثالث ابن السلطان	وولاية شاكر باشا
أحمد خان	١٣١
١٤٢	الفصل السابع عشر - في سلطنة
مطلب عزل مصطفى باشا وولاية علي	السلطان محمود خان الاول
باشا حكيم أوغلي	١٣٣
١٤٢	مطلب عزل أحمد باكير باشا وولاية
الفصل التاسع عشر - في سلطنة	عبد الله باشا التكفوري
السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان	» » ١٣٣
أحمد	عبد الله باشا وولاية محمد
١٤٤	باشا السلحدار
مطلب عزل علي باشا حكيم أوغلي	» » ١٣٣
وولاية محمد باشا سعيد	محمد باشا السلحدار وولاية
» » ١٤٤	عثمان باشا الحلبي
» » محمد باشا وولاية مصطفى	» » ١٣٤
باشا الصدر الاعظم وعزله	عثمان باشا وولاية باكير
أيضا وولاية أحمد باشا	باشا الولاية الثانية
سبيلان	» » ١٣٦
» » أحمد باشا كامل وولاية	باكير باشا وولاية مصطفى
بكير باشا وموته وولاية	باشا أمير خور
حسن باشا	» » ١٣٧
» » حسن باشا وولاية حمزه باشا	مصطفى باشا وولاية سليمان
» » حمزه باشا وولاية محمود	باشا الشامي المعروف بابن
باشا راقم	العظم
١٥٠	» » ١٣٧
مطلب ولاية محمد باشا الاورفلي وعزله	سليمان باشا وولاية علي
وولاية الوزير احمد باشا	باشا حليم أوغلي
» » ١٥٩	» » ١٣٧
» » الوزير خليل باشا	علي باشا وولاية يحيى باشا
	» » ١٣٧
	يحيى باشا وولاية محمد باشا
	اليمد كشي



صيفة

١٦٠ الفصل العشرون في سلطنة السلطان  
عبدالمجيد ابن السلطان احمد

١٦١ مطلب عزل الوزير خليل باشا وولاية  
مصطفى باشا النابلسي

١٦٣ » » مصطفى باشا وولاية الوزير  
ابراهيم باشا كرلي وموته  
وولاية محمد باشا المعروف  
بالعزتلي الكبير

١٦٦ » » محمد باشا العزتلي وولاية  
الوزير اسمعيل باشا

١٧١ مطلب خلع الوزير اسمعيل باشا وولاية  
اسمعيل باشا الثاني

١٧١ مطلب ورود الامر السلطاني بعزل  
اسمعيل باشا ثم رجوعه الى الولاية  
ثاني

١٧٢ مطلب عزل اسمعيل باشا وولاية  
محمد باشا

١٧٣ » » محمد باشا ملك وولاية على  
باشا القصاب

١٧٣ » » على باشا القصاب وحضور  
محمد باشا السلحدار وقيل  
الصابونجي واليا

١٧٩ » » محمد باشا وولاية محمد  
يكن باشا

١٩١ » » محمد باشا يكن وولاية  
عابدي باشا

٢٠١ الفصل الحادي والعشرون - في  
سلطنة السلطان سليم الثالث  
ابن السلطان مصطفى

صيفة

٢٠٤ مطلب عزل عابدي باشا وولاية اسمعيل  
باشا

٢٠٦ » » اسمعيل باشا وولاية محمد  
عزت باشا

٢١٠ » » محمد عزت باشا وولاية  
صالح باشا

٢١٠ » » صالح باشا وولاية أبي بكر  
باشا

٢١١ فصل في نزول نابوليسون بونابارته  
بجيوشه على مصر وما جرى بعد ذلك  
من الحوادث والمحن

٢٦٢ مطلب مقتل الجنرال كلاير قائد  
الجيش الفرنسي وما جرى بعد  
قتله

٢٧٥ مطلب جلاء الجيش الفرنسي وولاية  
عن مصر والقاهرة وسائر الديار المصرية

٢٧٦ فصل في بقية مدة سلطنة السلطان  
سليم وما فيها من الحوادث والاخبار

٢٨٩ مطلب طرد محمد باشا من الولاية  
وتولية طاهر باشا

٢٩٠ مطلب قتل طاهر باشا وتصرف أحمد  
باشا والى المدينة المنورة

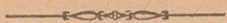
٢٩١ مطلب طرد أحمد باشا والى المدينة  
وتصرف ابراهيم بيك الكبير

٢٩٣ مطلب منع تصرف ابراهيم بيك  
وولاية على باشا الطرابلسي

٣٠٠ مطلب فتنة الارنوط وظهور كلمة محمد  
على سرخشمه

٣٠٣ مطلب اخراج محمد خسرو باشا من  
معهله وتوليته الامارة على مصر بمعونة  
محمد علي سمرقشمة  
٣٠٣ مطلب بتعميد محمد خسرو باشا وولاية  
أحمد خورشيد باشا  
٣٠٩ مطلب ولاية محمد علي علي جادة  
وتوجهه رتبة الباشوية اليه وما جرى  
بسبب ذلك من الحوادث والمحن

٣١٠ مطلب ما فعله العامة والشيخ  
الشرقاوي والسيد عمر النقيب مع  
محمد علي باشا  
٣١٤ مطلب خلع أحمد باشا وولاية محمد  
علي باشا على ديار مصر



﴿تمت﴾



# التاريخ

في

## تاريخ مصر القديم والحديث

لمؤلف

ميخائيل شاروويم بك

رئيس النيابة العمومية بمحكمة المنصورة الاهلية سابقا

والمفتش بتظارة المالية الجليلة حالا

عني عنه

### الجزء الثالث

﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

( الطبعة الاولى )

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٨٩٨ - سنة ١٣١٥

ميلاديه هجريه

( بالقسم الادبي )



## الجزء الثالث

### (المقالة السابعة)

(فيمين هم الترك وفي نسبهم وفيمين تفرع عنهم من الممالك والاظم الى ظهور ملوك آل عثمان)

اعلم أن الترك أمة من أقدم الأمم وأعظمها وقد اجتمعت كلمة أكثر المؤرخين من عرب وأعجم على أنهم من ولد يافث بن نوح وأبوهم ترك هو الذي سماه هيرودتس المؤرخ باسم ترجيشاوس وجاء في التوراة باسم توجرما قال ابن الاثير والترك من ولد تيرش أوطيراش بن يافث وقيل أيضا ان ترك هذا انما هو من ولد طوج بن أفريدون ينتهي الى جومرت أو كيومرت ويرجع الى تيرش بن يافث ابن نوح قال \* قال ابن خلدون وينسبهم العرب الى غامور بن سوبل بن يافث وهو غلط لان غامور مصنف من كومر أو جومر فأبدل العرب الكاف غينا فصارت غامور وجومر هذا من ولد توجرما وقال مؤرخو التتر المغول بل هم من ولد تتر ومغول وهما أخوان من نسل ترك ابن يافث وهم لا يقصدون بذلك الاعلاء شرف عائلتهم اه وقد ذكر هيرودتس المؤرخ وبلينيوس وجمينيوس ميلا اسم الترك قديما وذكروا أيضا في مواضع أخر باسم توغريوس فصحفه الكتاب وأهل النقل الى أمور غيموس ويقال ان بلينيوس سماهم أيضا ترسي وسماهم بجمينيوس باسم برسي وكان البزانتيون أى الروم المشاركة يسمونهم باسم فرس أو انغردي يعنى المجر قال بعض الكتاب مع أنه لم يكن بين الترك والفرس قرابة ولا بين الفرس والمجر \* قال العلامة البستاني صاحب دائرة المعارف ما محصله وقد خرجت من جبال التابي قبائل تركية وتفرقت في أنحاء آسية العليا التي هي الآن تركستان فسمهاها الصينيون باسم تو كوكاسمى الفرس بلاد تركستان باسم توران فكان لفظ ترك أو تورانية اسما جنسيا للقبائل المتوحشة وصارت كلمة توران عند جماعة اليونان بلفظ تيران ومعناها طاغية أوقات اه وقد ورد في بعض الروايات ان أغورخان بن قراخان هو الذي أسس بفتوحاته وشراعه دولة الترك وشيد ركن

تمدنها وان أوغورخان هذا كان معاصرا للخليل ابراهيم عليه السلام وانه ترك عبادة الاصنام  
ولاذ الى عبادة أصح منها ثم ركب على أحميه فقاتله قتالا دينيا وما زالت الحرب قائمة  
بينهما زهاء سبعين سنة وهو يقاتل أخاه حتى ظفر به وهزمه سرهزيمة فخصع له حينئذ سائر  
تركستان وهو القسم الممتد من ارتلاز وسيرام الى بخارى وخلف أوغورخان هذا ستة بنين  
فلما مات اقتسموا المملكة بينهم وكان لكل واحد منهم أربعة أولاد فكانوا آباء أربع وعشرين  
قبيلة تركية فسكن منهم ثلاثة في تركستان ولم يلبثوا أن اكنسحوا كل البلاد الواقعة بين  
جيجون وسيجون وتقدموا نحو جونا القلعة والطوبة وعاتوا وأفسدوا فكانوا يلقبون بالدمرين  
قال بعض الكتاب وقد سمى بعضهم هذه الامة بالتتار أيضا ولكن التتار فرع منهم وقال  
آخرون ان من الترك أهم فروع العائلة التورانية وآخرون يقولون ان اسمهم مرادف للتورانية  
وزعم بعضهم أنهم من الامة الإيرانية مع أن المتأخرين تحققوا أن لا اتصال لهم بهذه  
الامة البتة وكان أول ظهورهم في آسية الشمالية والوسطى بين رعاة الطونة والتتر الذين  
أكثروا من شن الغارة على الصينيين عدة قرون قبل الميلاد المسيحي وبعده وفي القرن  
السادس ظهرت طائفة منهم أيضا في آسية وأصلها على ما يقال من البلاد المسماة الآن  
تركستان فوطئت بساط السلام آونة ثم عادت جددت حروبها مع أهل الصين شرقا وأهل  
فارس جنوبا ولما كلفوا كلهم أخلاطا مؤلفين من لفيف قبائل متباينة في الاخلاق والاعداد  
ميالة بالطبع الى الغزو والغارات جافية متوحشة لم تتفق لهم كلمة وانفصمت عروة اتحادهم  
فتفرقوا في تلك الانحاء الواسعة واستوطنوها على ما هم عليه من الخشونة فكان ذلك داعيا  
لضعفهم ولما كانت سنة أربع وأربعين وسبعمائة للميلاد المسيحي استظهرت على مملكتهم أمة  
منهم يقال لهم الويغور قال بعض أهل التحقيق وهم أول قبيلة تركية استعملت لغة مكتوبة  
وكافوا أولا بوزين تجسسوا على مذهب زرادشت ثم أسلموا في القرن التاسع والعاشر \* هذا  
ما كان من أمرهم في الشرق \* أما ما كان من أمرهم في الغرب فانهم في أواسط القرن التاسع  
انخطوا وتضعفوا وسادت عليهم طائفة الفرغيز وهي طائفة منهم وقيل بل هي من التتر فلما  
ظهر جنكيز خان الذي كان على يديه انخراط دولتهم في آسية الوسطى أيضا واذلالها صارت  
من هذا الحين سائر الدول القائمة بتلك الانحاء وفي جهة العراق وماوراءها أيضا من الممالك  
الاسلامية تترية بعد أن كانت تركية بيد السلاجقة وغيرهم وما زالوا على هذه الحال الى  
موت تيمورلنك فظهروا في ممالكة واستولوا على أرمينية وما بين النهرين ولبثوا هكذا الى  
أواسط القرن السادس عشر للميلاد حتى قام عليهم الصوفية وطردوهم وظهرت في تلك الايام  
الازبكية وهي أمة يقال انها بقايا الويغور كانت نازلة في جنوبي تركستان الصينية تحت  
جبال تيان شان فاستولت على تركستان الشرقية وما جاورها من المدن والبلدان الى حدود  
الفرات ولم يعض عليها قرن أو بعض قرن حتى استظهرت عليها أمة أخرى تركية تعرف  
بالتركان \* قال أصحاب التاريخ وليس للترك بقيمة مهمة الآن الا الازبكية والتركان المقيمون

الآن في مواطنهم القديمة  
واعلم أن أشهر الدول التركية التي ملكت ببلاد الاسلام والروم هما وراء النهر وخراسان  
هم بنو ساسان وقد ملكوا زهاء مائة وسبعين سنة وكان انقراضهم في سنة تسعين وثلاثمائة  
 للهجرة وبنو سبكتكين وهم المعروفون بالدولة الغزنوية لاحتياذهم مدينة غزنة قاعدة لمملكتهم  
 وقد ملكوا بلاد السامانية وكانت مدة ملكهم مائة واثنين وسبعين سنة ثم انقضوا في سنة  
 تسع وعشرين وأربعمائة للهجرة ثم نشأت الدولة السلجوقية فكانت مدة ملكهم مائة  
 وأربعين سنة ابتداءها من سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة وهي أعظم دولهم وأوسعها  
 كلمة ثم تفرع منها عدة دول أخرى منها الدولة الخوارزمية التي قام على رأسها خوارزم شاه  
 وهذه قد ملكت ما وراء النهر بعد السلاجقة وكانت مدة ملكها مائة وثمانيا وثلاثين سنة  
 وانتهأؤها سنة ثمان وعشرين وستمائة للهجرة وقد ملك حلب والشام فرع من هذه الدولة  
 أيضا يعرف بدولة تنش بن الب ارسلان وكان أولهم أنسرين أبى ملك حوالى سنة أربعمائة  
 وثمان وستين وما زالوا الى أن انقضوا على يدى عمىرتاش بن ايلغازى سنة ست عشرة  
 وخمسمائة ومنهم أيضا بنو أرتق ملوك مازدين وديار بكر وأولهم أرتق بن أكسب ولكنهم لم  
 يلبثوا أن انقضوا على يدى هولاكو سنة سبعين وسبعمائة للهجرة ومنهم الاتابكية ملوك حلب  
 والشام وأولهم قسيم الدولة آق سنقر ملوك السلطان ملكشاه تولى الملك في صدر سنة اثنتين  
 وثمانين وستمائة للهجرة ومنهم دولة بنى طغتكين بالشام وأولهم طغتكين أحد رجال تنش  
 ابن ألب ارسلان ملك في القرن الخامس ثم انقض ملكهم بعد أواسط القرن السادس ومنهم  
 فرع آخر ملك في بلاد الروم وأولهم قطلمش تولى الملك في أواسط القرن الخامس ثم انقضوا  
 بظهور الدولة العثمانية وذلك حوالى سنة تسع وتسعين وستمائة للهجرة أى سنة تسع  
 وتسعين ومائتين وألف ميلادية

### (المقالة الثامنة)

(في تأسيس الدولة العثمانية وفي ظهور ملوكها الى مجيئ السلطان سليم الى ديار مصر)  
 واستخلاصها من أيدي المماليك الشركاسة المعروفين بدولة المماليك الثانية

قد علمت مما تقدم كيف اجتمعت كلمة بعض أصحاب التاريخ على أن ترك الذى هو جد  
 الاتراك هو من ولد يافث بن نوح عليه السلام ثم هم يقولون أيضا بان أوغز بن قواخان الذى  
 هو من ولد ترك هذا كان ملكا جليل القدر عظيم الشوكة تسلط على بعض البلاد في أيام  
 الخليل ابراهيم عليه السلام وتصرف فيها فكانت تركستان التي هي توران داخلة تحت  
 سلطانه قالوا وانقسمت مملكة أوغز هذا بعد موته الى خانيات منها ثلاثة ويقال لها الاسهم  
 الثلاثة فاختصت بالاوغز الشرق الى حدود الصين ثم ثلاثة أخرى ويقال لها الخاطمة احداها

خانية الجبال والثانية خانية البحر والثالثة خانية السماء أو خانية القبة الزرقاء ومن هذه الخانية نشأ سبط كلبى الذى جاء منه آل عثمان فلما كانت سنة خمسمائة للهجرة أى سنة ست ومائة وألف للميلاد شبت نيران الحروب بين أسباط تلك الخانيات واشتدت وعلا لهيبها فأبادت ليفيهم أو كادت ومزقت من بقى منهم كل ممزق فسار أحد أولاد كلبى المذكور الى ماهان واستوطنها فاجتمع حوله بعض بقايا تلك الاسباط وخضعوا لكامته ولبث ماشاء الله ثم مات عن عدة بينين منهم كلبى ألب وكان عظيما مهيبا ثم مات كلبى ألب المذكور عن ابن اسمه سليمان وكان سليمان هذا مغازيا حسن التدبير مهيبا مطاع الكلمة فلما كان حوالى سنة احدى وعشرين وستمائة للهجرة أى حوالى الجميل الثالث عشر للميلاد قدم جنكيزخان سلطان المغل فى عسكر جرار ونزل على خراسان وضيعق عليها حتى أخضعها فلم يطق سليمان شاه ابن كلبى ألب المذكور الصبر على ذلك وكان مقيدا بماهان كما تقدم فرحل عنها على رأس خمسين ألفا من قومه الى أرزنجان وخلاط من بلاد الارمن ولبث مهاجرا سبع سنين حتى طرق السلاجقة الغز خراسان وخوارزم وفتحوها فلما علم بذلك قفل بمن كان معه الى بلده فبينما هو يجتاز الفرات عند جعيراذ غرق فخرن عليه قومه وبنوا له قبرا يقال انه باق الى يومنا هذا يعرف بترك مزارى وخلف سليمان شاه المذكور أربعة بينين وهم سغور زنى وكونطغدى وارطغريل ومعناه المستقيم وكوندز فانقسموا مع من كان معهم من القوم بعد دفن سليمان شاه وافترقت كلمتهم فمهم من شاء العود الى الوطن ومنهم من فضل الغربية والنزول على بعض الجهات الغربية وهؤلاء قد انضم اليهم الامير ارطغريل والامير كوندز وكانوا زهاء أربعمائة عشيرة فيها أربعمائة وأربعمئة وأربعون فارسا مدججين بالسلاح فساروا فى طريقهم قاصدين الجهات الغربية وبينما هم على هذا الحال اذ رأوا فى طريقهم جيشين يقتتلان قتالا عنيفا وكان أحدهما قليل العدد والعدد وكان هذا الجيش الضعيف للسلطان علاء الدين السلجوقى من ولد ملكشاه بن قلج أرسلان والثانى من المغل الذين هم أعداء للترك قال الامير ارطغريل بقومه الى معاونة جيش السلطان علاء الدين وانضم اليه فاشتد القتال بين الفريقين شدة بالغة وما زالوا يقاتلون حتى دارت الدائرة على المغل وتم النصر للسلاجقة وجاء الخبر بذلك الى السلطان علاء الدين ففرح واستدعى اليه الامير ارطغريل وأحسن لقاؤه وأدناه من مجلسه وخلع عليه وعلى أخيه كوندز وأزلهما وقومهما عمراى فومانية وأرمينية أو بيجبال قراچا طاغ عند أنقرة وأخلص ارطغريل فى خدمة السلطان علاء الدين وباع فى طاعته وقاتل معه فى حروبه المتتابعة مع الروم والمغل وأبلى فى كل منها بلاء حسنا فأقطعته ايلة عظيمة واقعة بين بلاده وبلاد الروم يقال لها سلطانية فنزل فيها بجماعة ممن لادوا به وأحسن السيرة فى أهلها فعلمت كلمته فلما كان حوالى سنة سبعمائة للهجرة أى سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ميلادية مات ارطغريل وقيل بل كانت وفاته حوالى سنة تسع وتسعين وسبعمائة للهجرة أى سنة ست وتسعين وثلثمائة وألف ميلادية بعد أن تغلب على قوطاهية وأخذها من الروم سنة ثمانين وستمائة هجرية أى سنة



احدى وثمانين ومائتين وألف ميلادية وفي قول بعض المؤرخين من المتقدمين ومنهم المؤرخ  
 جورجى فرايزس الروى المولود بمدينة القسطنطينية ان أصل الدولة العثمانية آت عن ملوك  
 الروم بالسلافة وملوك الفرس بالكلالة \* قال بعد كلام فلما كانت سنة ثلاثين ومائة وألف  
 ميلادية خرج الامبراطور يوحنا كونيوس امبراطور الروم ومعه ابن أخيه أوغسطس المدعو  
 يوحنا أيضا لقتال الملوك السلجوقيين فقاتلهم أياما حتى تغلب على كثير من قلاعهم وحصونهم  
 وأقام على هذا الحال حتى نفذت الذخيرة أوكدت وعز القوت في تلك الاصقاع الباردة ومات  
 أكثر دواب الحمل والخيول من قلة العلف نخاف الامبراطور شر العقاب إذا ظل على هذا الحال  
 وجعل يدبر حيلة للخلاص ورسم بتوزيع ما بقى من الخيل على أعظم فرسانه وأسندهم بأسا وهم  
 من طوائف الروم والايطاليان وجعل يجول بين الصفوف ويتقى منهم من يتوسم فيه سمه  
 الفتوة والشجاعة فبينما هو على هذا الحال اذ رأى بين الصفوف فارسا من الطليان حسن  
 الشكل أعجبه منظره فنظر الى ابن أخيه أوغسطس وقال له ادفع فرسك الى هذا الشاب ليمتطيه  
 فاستعظم أوغسطس هذا الامر فشدد عليه الامبراطور في ذلك فترجل أوغسطس عن فرسه  
 وهو يتيمز غيظا ودفعه الى الشاب وسار من ساعته مغضبا قاصدا ملك العجم فلما علم ملك العجم  
 بقدومه وما وقع له مع عمه فرح به وأحسن لقاءه وقر به اليه ورفع منزلته فدان أوغسطس  
 بدين الاسلام فزوجه ملك العجم بابنته وأقطعها بلادا كثيرة وأجرل عطاءهما وكان أوغسطس  
 هذا شابا جميلا رفيق الشمائل عارفا بعلوم اليونان ولغة العرب مهذبا طلق الوجه كريما  
 مقادما لين الجانب فلقبه الفرس بالشلبى وأحبه الناس كثيرا وملوا اليه بقلوبهم فعملت  
 كلمته وطارت شهرته وامت مهابته سائر مدن آسية وولدت له زوجته ولدا فسماه سليمان  
 وهذبه وعلمه العربية واليونانية وبالغ في تهذيبه فترعرع وشب على مكارم الاخلاق وأحسن  
 الطباع فأحبتة الرعية ومات اليه فلما مات أبوه تولى مكانه وسار في قومه سيرة حسنة  
 وكان ميالا الى الفتح والجهاد فاستولى على الكثير من البلدان وضم الى مملكته كثيرا من  
 مملكة الروم المجاورة لبلاده فانسع نطاق مملكته وارتفعت كلمته وطار صيته في الآفاق قال  
 فكان أوغسطس هذا الذى هو يوحنا جدا للامير ارطغريل خان الذى هو أبو الامير عثمان  
 رأس ملوك آل عثمان \* وأوهم بعض أهل التاريخ من المتأخرين ومنهم ادواردس  
 فوكوك الذى ترجم تاريخ أبى الفرج الملقب الى اللاتينية وجعله هدية لسكرووس الثانى  
 ملك الانكليز عام ثمان وأربعين وستائة وألف ميلادية أى عام ثمان وخمسين وألف هجرية  
 فقال بعد كلام \* ولم يتسن لاصحاب التاريخ الى الآن معرفة شئ حقيقى عن سليمان شاه  
 جيد آل عثمان ولا الى من ينتهى نسبهم وحاصل ما نقلوه من أخباره هو أنه لما تغلب  
 چنكيزخان ملك التتر على أكثر البلاد ودان له أكثر مدن آسية خرج سليمان شاه المذكور  
 حوالى سنة احدى عشرة وستائة للهجرة في نفر من قومه وسار الى تحت الدولة السلجوقية  
 وكان معه أربعة بنين وهم سنقور زكى وكدنطغدى وارطغريل وكوندز فبينما هم يعبرون

الفرات اذ غرق سليمان شاه المذكور فافترق بنوه واختلفت كلمتهم فذهب اثنان منهم وهم سنقور زنكي وكدنطغدى ببعض القوم الى الجهة الجنوبية من الفرات وسار ارطغريل بك وكوندز مع من بقى الى تحت السلطان علاء الدين السلجوقى صاحب قونية ونزلوا فى جواره فأحلهم محلا رحبا وأقطعهم قرجيطاغ فما زالوا بها حتى مات ارطغريل حوالى سنة سبع وثمانين وستمائة هجرية أى سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف ميلادية اه وقال العلامة ابن خلدون بعد كلام طويل والظاهر أن ملوك بني عثمان كانت الى هذا العصر من أعقاب علي بك وعلى بك صهر محمد بك أحد أمراء التركان من بني جق أو أقاربه يعنى أعقاب أقاربه قال ويشهد بذلك اتصال هذه الامارة فيهم يعنى الامارة على التركان مدة هذه المائة سنة قال فلما اضمحل التتر من بلاد الروم واستقر بنو ارتنا بسيواس وأعمالها غلب هؤلاء التركان على ما وراء الدروب الى خليج القسطنطينية ونزل ملكهم مدينة برصا من تلك الناحية وكان يسمى ارخان بن عثمان جق فاتخذها دارا لملكهم ولم يفارق الخيام الى القصور وانما ينزل فى خيامه فى بسيطها وضواحيها الى أن قال اه

قلت ومع اجتماع كلمة بعضهم على أن الترك انما هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام واختلف السواد الاعظم منهم فيمن هو جد آل عثمان الاول فقد عادوا بعد تأويل وتعليل الى القول بأن سليمان شاه هو رأس هذه العائلة العظيمة التى دؤخت بحروبها وغاراتها المتتابعة ثلاثة أرباع المعمور من الارض وقلبت تحت الممالك العظيمة وأبادت الكثير من الامم والشعوب الذين قاموا فى وجهها فاستولت على ممالك الدولة العباسية وعلى بعض مملكة الدولة الغزوية لآل سبكتكين والدولة السلجوقية فى الروم وفى كرمان والشام ودولة المماليك فى مصر والشام ودولة الاتابكية فى الموصل ثم الفرنجية فى بعض مدن الشام وقارة أوروبا وجزائر العرب وجزء عظيم من قارة افرىقية وجزائر بحر الروم وغيرها مما هو باق بعضه فى حوزتها الى يومنا هذا وانه بموت سليمان شاه المذكور ظهرت كلمة ابنه ارطغريل واتسعت شهرته ودؤخ أكثر البلدان المجاورة لولايته الصغيرة التى أقطعه اياها علاء الدين وما زال على دأبه من الغزو والجهاد وتوسيع أرجاء مملكته كل أيام حياته حتى مات فى سنة ثمانين وستمائة هجرية أى سنة احدى وثمانين ومائتين وألف ميلادية فكانت مدة تصرفه فى هذه الامارة زهاء اثنيتين وخمسين سنة بالتبعية لسلطين قونية السلجوقيين

وبموته قام بعده ولده الامير عثمان وكان يقال له عثمان جق كما رواه ابن خلدون خذا حذو أبيه فى الغزو والجهاد ولبث يقاتل الروم ويهاجم بلادهم حتى استخلص من أيديهم بلادا كثيرة ووقعت هيئته فى قلوبهم وخافوه فأرسل اليه سلطان السلجوقيين منشورا ولواء أبيض وطبولا لإعلانا بامارته وولايته على تلك الاصقاع ولقبه بالغازى فعلت من ذلك الحين كلمته وكبرت مهابته وأحسن السياسة والتدبير وما زال مثابرا على الغزو والجهاد وفتح

البلدان وتدويج المدن حتى أحس بزوال الدولة السلجوقية ورأى من اختلال أحوالها وزوال هيبة القيصرية الرومية وضعضة أمورها بسبب الخلاف الواقع في أمر الدين بين جماعة المسيحيين مادفعه الى طلب الملك ومال به الى جانب الظهور والاستبداد بملك السلجوقيين فجعل حينئذ عهد الاسباب ويأتى على كل أمر منها من أقرب الابواب حتى قدر الله بانقراض الدولة السلجوقية في سنة تسع وتسعين وثمانمائة هجرية أى سنة تسع وتسعين ومائتين وألف ميلادية واندرست معالمها من الاناطولى ولم يبق أحد من سلاطينها واستقل كل من كان تحت حكمها من الامراء وتقاسموا البلاد فاخص الامير عثمان المذكور بجزء من مملكة بروسية وخطب له في بعض أعمالها ولما استقرت به الامارة أحسن السياسة ورتب أمور البلاد على ما فيه المصلحة ثم تجرد للغزو وفتح المدن والامصار وكان شهما جليل القدر عارفا بضمون الحروب والقتال ففتح الفتوحات العظيمة بنفسه وعلى يدي ولده أورخان بك وأخذ كثيرا من مدن القياصرة فكبرت مملكته واتسعت أرجاؤها وظهرت وعرفت من ذلك الحين بالدولة العثمانية ثم نقل تحت مملكته هذه الى مدينة بنى شهر وأقام بها على أحسن ما يكون من الصولة والبأس حتى مات في سنة ست وعشرين وسبعائة هجرية أى سنة خمس وعشرين وثمانمائة وألف ميلادية وكان كريما على الهمة أبى النفس جوادا قيل ولذلك لم يترك بعد موته شيا لامن الاموال ولا من النفائس التى جمعها في غزواته وفتوحاته الكثيرة ولم يوجد عنده الا بعض الملبوس ومسبحة كانت أعز شئ لديه وكانت مدة ملكه تسعا وعشرين سنة وقيل بل سبعا وعشرين

وقام بالامر بعده ولده أورخان الغازى تولى السلطنة في السنة التى مات فيها أبوه سنة ست وعشرين وسبعائة هجرية أى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف ميلادية فأحسن التدبير ونظم الامور وعادل في الرعية فاجتمعت القلوب على محبته وولى أخاه علاء الدين الوزارة فقام بها خير قيام وأخذ في تنظيم الامور وسن القوانين واعلاء شأن المملكة وكان الغازى أورخان المذكور محبا للغزو والفتح كما بيته ميالا لتوسيع نطاق المملكة ففتح مدينة بروسية وبالغ في تحسينها بالمباني الفاخرة والآثار العجيبة ثم نقل كرسى مملكته اليها ولم تقعه كثرة حروبه عن تنظيم عسكره وترتيبهم على أسلوب جديد بعد أن كانوا في أيام أبيه أخلاطا من فرسان التركان وغيرهم فانشأ وجاه الانكشارية ورتبه وأحسن ترتيبه فكان له عون على كثرة الفتوح والغزى وهابه الملوك وبلغت شهرته مبلغا عظيما ولكن عاد أولئك الانكشارية بعد قليل فصاروا أعداء لمن تولى السلطنة فكان السلطان لا يأتى أمرا الا بإشارتهم ولا يعمل عملا الا برضا كبارهم فتبدل خيرهم سرا ونفعهم ضرا وكثرتهم وبالا وما زالوا على هذا الحال من التصرف في معظم الامور واختصاصهم بالرياسة والسياسة حتى أذلهم السلطان محمد الثانى وحرق شملهم وفرق كلمتهم وشردهم تشريدا \* ولما دانت للسلطان أورخان الامور عد الى غزو بلاد اليونان فجهز عليها جيشا عظيما للغاية وقاتلها

ففتح مدنها وبلدانها وأحسن معاملتها أهلها فالت إلى محبته القلوب واجتمعت على طاعته الخواطر وسار في غزواته يرافقه الأقبال حتى بلغ خليج القسطنطينية وبوغاز كاليبولي وكانت الامبراطورية الرومية في هذا الحين آخذة في الانحطاط إلى حضيض الدمار لاسيما بعد أن ضعفتها الحروب الداخلية التي سببتها فتنة يوحنا كاتا كوزين نائب الامبراطور يوحنا باليولوغوس ووصيه \* وتحريز الخبر بالايجاز أنه لما كثر عبث كاتا كوزين المذكور بأمور الدولة وأساء التصرف أبغضه الناس بغضا شديدا وهم الروم يخلعه فلما أنس منهم ذلك راسل آل عثمان واستمدّهم فأمدّوه وقويت عزيمة الترك على التوغل في وسط أوروبا فغزوا وفتحوا عدة مدن منها وكثيرا من القلاع والحصون واستولوا عليها وتصرفوا فيها وسار الامير سليمان أكبر أولاد السلطان أورخان فاجتاز بوغاز شقق قلعه في سنة ستين وسبعائة هجرية أي نحو سنة تسع وخسين وثلاثمائة وألف ميلادية وفتح مدينة غاليبولي التي هي مفتاح القسطنطينية ثم اخترتمه المنية فخرن عليه أبوه حنزا عظيما وأفرط في البكاء والنحيب فمات غما في السنة التي مات فيها ولده أي سنة اثنتين وستين وسبعائة هجرية

فقام بالامر بعده ولده السلطان مراد الاول وكان شجاعا مهيبا مغازيا فلما استقرت به السلطنة عمد إلى فتح أدرنه ففتحها وسار إلى الصرب والبلغار فأخضعهما وكانت بلاد الاناطولي لم تزل مستقلة في حكمها تابعة لبعض الامراء من الترك يتصرفون في حكمها كما يشاؤون فخارهم وأخضعهم وأدخلهم تحت طاعته وزوج ابنه الامير بايزيد بابنة أمير كرميان ترلفا إلى ولاية آسية الصغرى وتقرّبا منهم ليتسنى له بذلك ضم بلادهم إلى أملاكه ففاز بذلك وضم إلى بلاده مقاطعة كرميان وغيرها من مدن آسية الصغرى واستولى على مدينة كوتاهيا وكان أمير كرميان وهبها لابنته يوم زفافها ثم سار بعسكره بعد ذلك للحمل على مقاطعتي مقدونية وبلاد الارنؤد فأخضع كثيرا من مدنها واستفحل أمره واتسعت كلمته وتهدب منه جميع الامراء المجاورين له فنهض أهل الصرب والقلاخ وأهل دلماطيا والمجر والبلغار وتحالفوا على قتاله وابقاه عند حده وخرجوا في جيش جرار فركب عليهم وقاتلهم جميعا وهزمهم وشدت شملهم وأبلى فيهم بلاءا حسنا وبينما هو يبعد ويروح في ساحة القتال ويكثر بجواده اذ وثب عليه جندي من البلغار كان بين جثث القتلى وطعمه بجنجر في أحشائه فمات حينه فتقهقرت عساكره وانكفوا عن القتال \* قال بعض أصحاب التاريخ وهذا القرن هو الدور الاول للدولة العثمانية فانها في مدة المائة سنة هذه قد عظم أمرها وتمكنت وثبتت أركانها وظهرت في منظر الدول البكار بعد أن كانت امارة صغيرة ولم يتم لها هذا الا بمحاظرة سلاطينها على وصية الغازي عثمان قالوا وذلك أنه لما حضرته الوفاة دعا اليه ولده أورخان وأوصاه بوصايا ثلاث فقال له يا بني تمسك في كل أمورك بالثريعة الغراء وشاور في المهمات أهل الرأي والدهاء \* وأعط كل ذي حق حقه من التكريم والانعام لاسيما العلماء الاعلام الذين هم دعائم الدين مصداقا لقول صاحب الشريعة خير الناس من ينفع الناس \* وتبته لما هو أعظم من ذلك

وهو التعظيم لاوامر الله والرافعة بعباد الله واطلب خير النتائج من اعلاء كلمة الله والغزو لوجه  
الله فانك خليفتي من بعدى اه قالوا فكانت هذه الوصية سنة مرعية بين سلاطين آل عثمان  
يتلقاها الخلف عن السلف والملك لله يؤتته من يشاء

ولما مات السلطان مراد الاول قام بالامر بعده ولده السلطان بايزيد الاول في السنة  
التي مات فيها والده وكان بطلا مقداما عارفا بقرن الحرب والقتال وضروب السياسة  
مبالا الى الغزو والجهاد فلما استقرت به السلطنة عمد الى اخضاع ما بقى من الممالك الصغيرة  
التي كانت الى هذا الحين مستقلة في الاناطولى فدوخها وأخضعها لسلطانه ثم سار في عسكر  
جرار الى ايلات مقدونية والبلغار والروم ايلي ففتحها وأدخلها تحت طاعته فكبر أمره وعظمت  
هيئته ودانت له الامور فلما أنس من الايام النصر تها لفتح القسطنطينية واخضع ممالك  
الفرنجية فزحف بجيش كبير الى نواحي أوروبا واستولى على مدينة سالونيك وشن الغارة على  
بلاد المجر وانتصر على جيوش الفرنجية في موقعة هائلة ثم سار الى القسطنطينية فحاصرها  
وكان امبراطورها يومئذ مانوئيل خفاف وهاله كثرة عساكر السلطان بايزيد فأرسل الى من  
جاوره من الملوك يطلب منهم المدد على قتال الترك خفاف السلطان بايزيد من اتحادهم وخشى  
عاقبة أمرهم فعدد مع الروم صلحا لعشر سنين وأن يعطوا له في كل سنة ثلاثين ألف ريبال وأن  
يجعل في القسطنطينية قاضيا من المسلمين ويبني فيها مسجدا ثم رحل عن القسطنطينية ولبث  
قليل حتى تبين من الفرص أنفعها فعاد الى حصارها وشدد في الحصار ولم يراع ميثاقا ولا عهدا  
وبينا هو يرسل الرمي على أسوارها وحصونها اذ جاءته الاخبار بركوب تيمورلنك بعسكره الى  
بلادهم وفتح الكثير منها وضمها الى سلطنة التتار فاضرب السلطان بايزيد من ذلك واستعظمه  
جدا ورحل عن القسطنطينية ليدفع تيمورلنك عن بلاده فالتقى الفريقان عند مدينة أنقره  
واقتملا قتالا عنيفا يوما كاملا وقد مات في ذلك اليوم خلق كثير جدا حتى خاضت الخيول في  
الدماء ثم انكشفت المعركة عن نصرة تيمورلنك وهزيمة السلطان بايزيد وسقوطه في قبضة  
تيمورلنك فسجنه في قفص من الحديد وما زال في سجنه هذا الى أن مات سنة خمس وثمانمائة  
هجرية أي نحو سنة احدى وأربعمائة وألف ميلادية \* قال بعض كتاب الاخبار وكان قد تغلب  
السلطان بايزيد في آخر أيامه هوى النفس فتهاقت على ما لا يليق من الاسراف والتبذير  
والاسترسال في اللهو والحلابة وغير ذلك من دواعي التأخر فاغتنم تيمورلنك هذه الفرصة  
وسار على ملكة بايزيد في سبعائة ألف مقاتل فقابله السلطان بايزيد وقاتله فوقع في يده أسيرا  
وفرح ملوك أوروبا بسقوط السلطان بايزيد في قبضة تيمورلنك فرحا عظيما وأرسلوا الى تيمورلنك  
رسائل التهاني فكان ممن أرسل ذلك شارلس الثالث ملك الفرنسيين فرد عليه تيمورلنك ردا  
حسنا جدا وأوصاه خيرا بن يقدم الى بلاد الفرنسيين من تجار الفرس كما أنه ضمن لتجار  
الفرنسيين الذين يقدمون على بلاد فارس كمال الراحة والرفاهية

## (مطلب)

(ماجري بعد موت السلطان بايزيد من الاختلال)

ولما مات السلطان بايزيد كاد يختل نظام الملك اذ قامت الفتنة بين اولاده واستبد كل واحد منهم بقسم من مملكة ابيه فنجزأت المملكة الى عدة امارات صغيرة وجرى عليها ماجرى لدولة آل سلجوق وخرجت عن الطاعة في خلال هذه الفتنة ولايات البلغار والصرب والسلاخ واستمر النزاع بين اولاد السلطان بايزيد زهاء احدى عشرة سنة وكان أحد اولاد بايزيد المدعو عيسى قد استبد بحكم البلاد الواقعة على مقربة من انقره وسينوب والبحر الاسود فوثب عليه اخوه محمد وقتله بعد حروب يطول شرحها واستولى على جميع تلك الاصقاع وسار بلا منازع من اخوته الى آسية الصغرى واستخلص أخاه موسى وكان في أسر تيمورلنك وسيره في جيش عظيم الى قارة أوروبا لقتال أخيه سليمان فلم يقو عليه بل انهزم أمامه وعاد الى آسية مدحورا ثم أصلح حال جيوشه وعاد بهم مرة ثانية لقتال أخيه سليمان المذكور فالتقى الجمعان واقتتلا قتالا شديدا فقتل سليمان خارج أسوار مدينة أدرنة وتم الظفر للسلطان محمد \* وكان آل عثمان لما اشتد الخصاص بين اولاد السلطان بايزيد وعمت الفتنة واستفحل أمرها اختاروا الامير سليمان هذا سلطانا عليهم في مملكة ابيه التي بقارة أوروبا فبايعوه بالسلطنة وولوه أمورهم ولكنه كان ضعيف الرأي سيء التصرف منهمكا في الملاذ مولعا بالملاهي والفجور خمل الفكر فلم تطل سلطنته حيث مات في سنة اثنى عشرة وثمانمائة هجرية أي نحو سنة عشر وأربعمائة وألف ميلادية \* ولما تم الظفر لموسى المذكور سارعن معه من العساكر وركب على بلاد الصرب وعاقب أهلها على خروجهم وتردهم وقاتل سمسون ملك المجر حيث أنجد أهل الصرب عليه وكاد يظفر به فظهر من هذا الحين نبهت وعلت كلمته واتسعت شهرته فدخله الطمع وطمحت نفسه الى الاستقلال بالملك والخروج عن طاعة أخيه السلطان محمد وأخذ جميع بلاد ابيه التي بقارة أوروبا وسار بعسكره لحصار القسطنطينية فحاصرها وضيق عليها ليفتحها ويجعلها تحت ملكه فأحس السلطان محمد بما وراء ذلك وخشى العاقبة وأتت اليه رسل قيصر الروم تشكو من فعال أخيه موسى وتستنجده فسار الى القسطنطينية في جيش عظيم جدا وقاتل أخاه فكانت الحرب بينهما سجالا ثم تقوى السلطان محمد بعسكره فزحزح الامير موسى عن القسطنطينية وتحالف السلطان محمد مع قيصر الروم وأمير الصرب على اذلال الامير موسى وتمزيق شمل من معه من الجنود فأعملوا الفتنة وبثوا الدسائس بين عسكر الامير موسى حتى نفرت منه قلوب الجنود وخانه بكار القواد ثم ركب عليه السلطان محمد بعسكره وانتصر عليه نصرة عظيمة وقتل موسى هاربا فتمبعه فارس من فرسان أخيه محمد وقتله واحتز رأسه وأتى به الى أخيه وذلك سنة ست عشرة وثمانمائة

هجريه اى نحو سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف ميلادية وفي رواية أنه قتل بين يدي  
أخيه صبيرا

## (فصل)

### (في استقلال السلطان محمد الغازي بالملك)

ولما مات الامير موسى انفرد محمد بالسلطنة على ما بقى من ملك آل عثمان وبايعه  
الناس كافة فكان هو الخامس من ملوك آل عثمان على المتفق عليه عند أصحاب التاريخ  
وقد عرف عندهم بالسلطان محمد جلبي الغازي وكان ملكا جليل القدر واسع المعرفة حلما  
فصفت له الايام ودانت له الامور وجاءت اليه رسل ملوك الفرنجة برسائل التهاني والتبريك  
فأكرمهم وأحسن وفادتهم وأخذ يمهّد الامور ويدير أحوال المملكة ففقد الصلح مع الاجانب  
وقوى معهم روابط المودة والاتحاد وحافظ على مخالفة ما فؤيل فيصر الروم الذي لولاه لخيف  
على ملك آل عثمان من الدمار وردّ اليه جميع ما أخذه أسلافه من القلاع والحصون الرومية  
فالت اليه الخواطر واجتمعت على محبته القلوب وعلت كلمته وكان عادلا ذا شفقة على الرعية  
موفقا في غزواته ونقل كرسى مملكته الى مدينة أدرنة وأنشأ السفن البحرية وجعل لها جنودا  
يقاثلون على ظهور تلك السفن وأعاد رونق السلطنة الى ما كان عليه بعد أن كاد يتولاها الدمار  
بأسباب غارات تيمورلنك \* وظهر في أيامه رجل اسمه بدر الدين من كبار علماء زمانه وكان  
متوليا القضاء في عسكر الأمير موسى أخى السلطان محمد فلما انهزم عسكر الامير موسى وتمزق  
شملهم حكم على بدر الدين القاضى المذكور بملازمة مدينة ازنيك فلبث بها حيناً ثم هرب  
منها واختفى خبره أياماً ثم ظهر يدعو الى مذهبه وهو المساواة بين الناس على اختلاف طبقاتهم  
في الاموال والمتاع وعدم التفرقة في ذلك بين الغنى والفقير والمسلم والمسيحي فتبعه خلق عظيم  
من المسلمين والمسيحيين وكان يقول ان الناس جميعا اخوة لاب واحد وأم واحدة فذاع خبره  
وكرت أحرابه ولبى دعوته القاصى والدانى وخيف على بهجة الدولة العثمانية من الزوال بسبب  
دعوته فسير اليه السلطان محمد جيشا عظيما ومقدمه ابن أمير البلغار الذى كان أسلم  
وتولى العمالة على مدينة سمسون فخرج عليه أحد زعماء مذهب بدر الدين المذكور في جيش  
كبير وقاتله وهزم عسكره شهزيمة وقبض على ابن أمير البلغار وقتله فلما جاء الخبر بذلك الى  
السلطان محمد اضطرب واستعظم هذا الامر جدا وجمع جيشا عظيما وجعل رئيسه الوزير  
الاول بايزيد فسار بايزيد لقتال ذلك الزعيم فلاقاه على مقربة من ازمير وكان بدر الدين قد  
سار الى بلاد مقدونية فاقتلت عساكر الوزير مع عساكر بدر الدين واشتد القتال بين الفريقين  
وانكشف عن هزيمة عسكر بدر الدين وسقوط مقدمهم المدعو مصطفى في قبضة الوزير فأمر

بقتله فقتلوه بين يديه وقتلوا عددا كثيرا ممن كانوا معه وسيروا من يقبض على بدر الدين في بلاد مقدونية فحجز بدر الدين وكانت بينهم وبينه وقائع كثيرة وحروب يطول شرحها ثم قبض عليه وقتل شنقا في سنة عشرين وثمانمائة هجرية أى سنة سبع عشرة وأربعمائة وألف ميلادية بعد استصدار فتوى في شأن ذلك قال عمر في تاريخه ونص الفتوى من أناكم وأمركم جميعا على رجل يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه \* فسكنت بقتله الفتنة وزالت أسبابها واطمأنت قلوب الناس وبقى السلطان محمد عزيزا مهيبا محبوبا مطاعا الى أن أدركته الوفاة سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية أى سنة احدى وعشرين وأربعمائة وألف ميلادية \* قال بعض كتّاب الاخبار والسلطان محمد هذا أول من أرسل الهدية الى أمير مكة قدرا من الذهب في كل عام للنفقة على فقراء مكة والمدينة وهى التى يطلق عليها اسم الصرة الآن ولكنها لم تكن تبلغ ما بلغت الآن وقال آخران السلطان سليم الاول هو أول من أرسل الصرة المذكورة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة هجرية بعد فتح الديار المصرية وازالة دولة الجراكسة الثانية والقول الاول هو الذى عليه المعول

وبموت السلطان محمد جلبي قام بالامر بعده (ولده السلطان مراد الثانى) ببيع له بالملك سنة أربع وعشرين وثمانمائة هجرية أى نحو سنة احدى وعشرين وأربعمائة وألف ميلادية وعمره يومئذ ثمان عشرة سنة فلما استقرت به السلطنة قام بتدبيرها أحسن قيام ووسع نطاقها وأبرم صلحا مع أمير القرمات وقرر اتفاقا مع ملك الجز على هدنة خمس سنوات وتفرغ لتدويع من عصى وخرج عن الطاعة من ولايات آسية فلم يتم له ذلك حتى جاءته رسل مانويل قيصر الروم فى طلب العهد منه على أن لا يحارب القيصرية الرومية بوجهما وأن يسير الى القسطنطينية اثنين من أولاد السلطان محمد الغازى وهيته على وفاء العهد فان أبى ذلك أطلق القيصر سراح الامير مصطفى بن السلطان بايزيد وكان الامير مصطفى المذكور قد اختفى خبره ولم يوقف له على أثر بعد واقعة أنقرة التى أسرف فيها أبوه السلطان بايزيد الاول ثم ظهر فى أيام السلطان محمد الغازى عقب واقعة بدر الدين الخارجى وطالب أخاه السلطان محمد بالملك وأعانه على ذلك أمير القلاخ تعظيما للفتنة واضراما لئارها فأغار الامير مصطفى المذكور على اقليم تساليا من أملاك اليونان فطاردته جنود أخيه السلطان محمد ففر الى سلانيك وكانت قد عادت الى مملكة الروم مع غيرها من بعض الايالات التى أرجعها السلطان محمد الى قيصر الروم ونزل على عاملها مستنجرا فأجاره وطلبه السلطان محمد فلم يجبه قيصر الى ذلك ووعد أنه يتيقنه عنده ولا يفتك سراحه ما دام السلطان على قيد الحياة فقبل السلطان منه ذلك ورتب لآخيه شيا فى كل سنة فلبث فى جوار قيصر حتى سار قيصر رسله الى السلطان مراد فى طلب ذلك العهد فامتنع السلطان مراد من اجابة قيصر الى ما طلب فسير قيصر الامير مصطفى المذكور ومعه عشر مراكب حربية فأتى بها وحاصر مدينة جاليسولى وضيق عليها فاستسلمت وامتنعت عليه فلعنتها فأحاطها بطائفة من العسكر لينع عنها المدد وسار عن بقى معه يريد أدرنه فسير



اليه السلطان مراد جيشا عظيما ومقدمه وزيره بايزيد فلما التقى الجمعان برز الامير مصطفى  
 أمام صفوف ابن أخيه السلطان مراد ونادى على العسكر وخطب فيهم وقال انه هو أولى  
 بالملك وأحق بالسلطنة من ابن أخيه واستنهض العسكر الى نصرته فلبت الجيوش دعوته  
 وقاموا لنصرته وقبض جماعة منهم على بايزيد وزير السلطان وقتله ثم سار الامير مصطفى للقاء  
 السلطان وكان السلطان متحصنا مع عسكره عند نهر صغير فلم يقرب الامير مصطفى من ذلك  
 المكان حتى وقعت الفتنة بين عسكره وখানে بعض قواده وتركه أغلب العسكر فكتر راجعا  
 الى چالبيولى ولم يدخلها حتى قبض عليه بعض أتباع السلطان وأتوا به اليه فأمر به فقتلوه  
 شنقا \* ولما سكنت الفتنة بموت الامير مصطفى عم السلطان مراد الى الانتقام من قيصر  
 الروم فسار الى حصار القسطنطينية بجيش جرار وحاصرها وضيق عليها أياما ثم عاد عنها  
 مدحورا لقيام الفتنة وخروج بعض الايالات عن طاعته وما زال يراقب الفرص حتى مات  
 مانوئيل قيصر وخلفه على سرير الملك يوحنا باليولوغوس فراسل يوحنا المذكور في دفع  
 مبلغ من المال في كل عام جزية وأن يسلم اليه جميع البلاد التابعة للقسطنطينية ويستثنى  
 من ذلك القسطنطينية وضواحيها وأنه يتأهب لقتاله فقبل يوحنا هذه الشروط وسلم الى  
 السلطان مراد جميع القلاع والحصون التي كانت الى هذا الحين في حيازة الروم على سواحل  
 البحر الاسود وسواحل الروم ايلي ومملكتي مقدونية وتساليا ثم ركب بعد ذلك بعسكره  
 واستخلص أيضا جميع المدن والبلدان التي هي داخل برزخ كورنثوس وما زال يتقدم في  
 غزواته حتى توغل في بلاد المورة وضم أكثرها الى أملاكه \* ولما شاع بين ملوك أور وباختر  
 فتوحات آل عثمان ومنازعة ملوكهم على الغزو والجهاد خافوا من سقوط القسطنطينية في  
 قبضة الترك ومن زحفهم على بقية الممالك المسيحية فنهض عند ذلك أوجينيوس البابا وشرع  
 في عقد محالفة بين ممالك الفرنجة على مقاومة الترك ومنعهم وقام لادسلاس ملك بولونيا  
 والجر وأخذ على نفسه مقاومة الترك وجيش لذلك جيشا عظيما ومقدمه يوحنا هودياس القائد  
 الشهير وانضم الى هذا الجيش جمهور من الحربيين والمنطوعة من الفرنسيين والجرمانيين  
 وساروا للقاء الترك فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا عنيفا نظرفيه يوحنا في معركتين عظيمنتين  
 واستظهر على الترك نخشى السلطان مراد شر العاقبة وعمد الى المصالحة فتمقررت القاعدة  
 على أن ينسحب السلطان مراد بمن بقي من جيوشه فانسحب راجعا الى كرسى مملكته فلما  
 سكنت الفتن وزالت أسباب القلاقل خلع السلطان نفسه عن الملك وتنازل عنه لولده محمد  
 فبايعه الناس وطبخوا الخبير بذلك الى الآفاق ولقبوه بالفتح واعتكف السلطان مراد عن  
 الناس واعتزلهم والتزم العبادة والتهدد فلما علم لادسلاس صاحب بولونيا والجر بخبره خالف  
 العهد ونبذ الهدنة ظهر يا وتقدم بعساكره لقتال الترك وحجب الى الملك القرمان شن الغارة  
 عليهم أيضا ليقعوا بين نارين فتقدم عند ذلك بكار الدولة الى السلطان مراد في رجوعه الى  
 منصب السلطنة لرد العدو عن البلاد فعاد الى المنصب وجيش جيشا عظيما وسار به لقتال

الاعداء فالتقى الفريقان عند مدينة وارنه واقتتلا قتالا عنيفا وثبتت جيوش المسيحيين أمام  
عسكر الترك واشتد القتال شدة بالغة وجرى الدم بين الصفوف مجرى الماء \* قال بعض كتاب  
الاخبار وكانت العساكر المسيحية قليلة في هذه الواقعة لانفصال المحاربين من الفرنسيين  
والالمان عنهم بعد نصرتهم الاولى وكان لادسلاس في حومة القتال ينادى على العساكر  
ويحرضهم ويستنهض همهم ويكره بين المواكب وصفوف الترك كانه الأسد الضارى حتى  
أصابه سهم فسقط ميتا وذاع خبر موته بين جنوده فقترت همهم وتفرق شملهم فهم مقدمهم  
هودياس بجمع شتاتهم والرجوع بهم الى ساحة القتال فلم يفلح وقد أعمل فيهم الترك القتل بحد  
السيف فكانت قتالهم زهاء عشرة آلاف في هذه الواقعة الهائلة على ما رواه بعض أصحاب  
التاريخ وعاد السلطان مراد بعد هذه الواقعة وراية النصر تخفق على رأسه وتنازل عن  
السلطنة ثانية لولده وعكف على العبادة فلم ترض بذلك جماعة الانكشارية وأبوا اعوده  
الى المنصب فعاد اليه ككارها ثم لم يلبث أن جيش جيشا عظيما وسار به الى بلاد الارنؤد  
ليضمها الى مملكته وكان ممن تولى الحكم على شئ من تلك البلاد بانتوريث أمير اسمه  
يوحنا كاتريو فلما علم بقدم السلطان مراد بجيوشه وتحقق أن لا قبيل له على رده راسله في  
أمر الصلح وعاهده على دفع الجزية فأجابه السلطان الى ذلك وعاهده وأبقاه على ما بيده من  
البلاد وأخذ أولاده الاربعة رهينة عنده فاختلف ثلاثة منهم بمالك السلطان حتى صاروا  
لايمتازون عنهم في شئ والتزم رابعهم وهو أصغرهم واسمه جورج بخدمة باب السلطان وما  
زال حتى تقدم وارتيق المناصب العالية لشجاعته وبأسه وذلك بعد ذلك وتجرد للغزو  
والجهاد وعرف باسم اسكندريك فكانت له مواقع هائلة وحروب عظيمة في خدمة الترك قال  
بعض كتاب الاخبار ثم عاد بعد ذلك فندم على ما فرط منه من قتال المسيحيين وارتد الى دينه  
وتعصب وصار من أكبر أعداء المسلمين وأشد المبغضين لآل عثمان فخرض الاهالي على  
الخروج وشق عصا الطاعة فكان من وراء ذلك من الحوادث والخطوب ما لا محمل لذكره هنا  
وركب أيضا السلطان مراد على قسطنطين صاحب المورة وباقي الاقاليم المتاخمة لتلك البلاد  
فدوخهم وأخضعهم للملكة ورتب عليهم الجزية وجرت بسبب ذلك حروب هائلة كثيرة بينه  
وبين الارنؤد والمجر وما زال يعززو ويفتح البلاد حتى أصابته سكمة فمات في سنة خمس وخمسين  
وثمانمائة هجرية أى نحو سنة احدى وخمسين وأربعمائة وألف ودفن بمدينة بورسه

فقام بالأمر بعده ولده (السلطان محمد الثاني) بايعه أهل الدولة في اليوم الذي مات فيه  
أبوه فكان سابع سلاطين آل عثمان قال أصحاب التاريخ وهو من أعظمهم همة وأعلام  
قدرا وكان بطلا مقداما شجاعا قوى الجنان موصوفا بالمعازي والحروب وكان أبوه السلطان  
مراد قد أوصاه قبل موته أن لا يعبد له سيفا ولا يبطله جهادا حتى يفتح مدينة القسطنطينية  
بخيش جيشا عظيما وأخذ يتأهب لحصارها وكان نظام القيصرية الرومية في هذا الحين على

شفا جرف هار بسبب المنافسات الدينية ولذلك أصبحت القيصرية في غاية الضعف فزال  
هيبتها وانحطت عظمتها فلم يبق للقيصر من السلطنة الا مجرد الرسوم والعبادات البسيطة \*  
قال بعض كتاب الاخبار وبلغ من خلل أحوال الامبراطورية الرومية وانحطاط قدرها أنه لما  
وردت الاخبار الى القسطنطينية بان السلطان محمد الثاني ابنتى قلعة بونغاز كسن وكان قد  
ابتنها لغرض سد خليج القسطنطينية على سفن الامبراطورية والتضييق عليها خاف الروم  
واضطربت أحوالهم وعقدوا للذاكرة في ذلك مجلسا كبيرا في كنيسة أياصوفيه فلما اجتمعوا  
أخذوا يتزاجون ويتقدم بعضهم على بعض في الجلوس ولم يراعوا درجات بعضهم فأدى بهم  
ذلك الى السباب والملاكمة وانفرط عقد اجتماعهم ولم يعملوا عملا يذكر اه

وكان الامبراطور على القسطنطينية يومئذ قسطنطين دراغليس بن ايمانوثيل فأرسل الى  
السلطان محمد رسلا يستعطفونه ويستمالونه الى تقرير قاعدة للصلح فطردهم السلطان ولم يسمع  
كلامهم وأخذ في التأهب والاستعداد ورسم ببناء الحصون والقلاع على شاطئ بونغاز  
القسطنطينية فزاد خوف قسطنطين وهاله الامر جدا وأرسل الى السلطان سفراء آخرين  
يقول على أيديهم ان ما وراء بناء هذه القلاع الا القتال واضرام نار الحرب فان لم ترع  
ما كان بين بلادي وبلادك من العهود والمواثيق وتقرر بيننا قاعدة للصلح فذاك اليك وقد  
فوضت أمري الى الله فان هداك سبحانه وعطف قلبك كان ذلك غاية المراد وان كان قد  
قضى لك بفتح القسطنطينية فلا مفر مما قدره وقضاه والا فلا أسلم فيها وفي لسان ينطق  
فلما وصلت رسله وقالوا للسلطان مقاتله لم يلتفت لقولهم وشدد في بناء الحصون والقلاع  
وبالغ في التأهب والاستعداد فكتب قسطنطين الى دول الفرنجة يطلب منهم المعونة والاسعاف  
ويستحثهم على نصرته وأقسم أنه ينجز لهم ما وعدهم به أسلافه من ضم الكنيسة الشرقية  
الى الكنيسة الغربية فسر البابا بذلك سرورا عظيما وسير اليه نجدة عظيمة من طوائف  
الفرنجة فاغضبت فعال قسطنطين جماعة الروم لكراهتهم ضم كنيستهم الشرقية الى  
الكنيسة الرومانية لما بين الفريقين من العداوة القديمة والشحناء المستمرة وتقموا على  
امبراطورهم وتفرقوا عنه وخذلوه وفضلوا سقوط المدينة في أيدي المسلمين على خلاصها وضم  
الكنيستين الى بعضهما وقال الدوق نوتاراس كبير وزراء القسطنطينية يومئذ جهارا أحب  
الى أن أرى في هذه المدينة يريد القسطنطينية تاج السلطان محمد من أن أرى فيها اكليل البابا  
ثم تخلى أكثرهم عن حماية أسوار المدينة وتفرقوا عنها فلم يبق منهم الا نحو عشرة آلاف بين  
روم وفرنجة وبيناهم على هذا الحال من فتور الهمة واختلاف الكلمة وتفرق الرعية عن  
راعيا اذ أقبل السلطان محمد في مائتين وستين ألفا من المقاتلين وذلك في سنة ثلاث وخمسين  
وأربعمائة وألف ميلادية أى سنة سبع وخمسين وثمانمائة هجرية ومعها عمارة حربية مؤلفة من  
ثلاثمائة سفينة كبيرة فنزل بجميوشه على أسوار المدينة وحاصرها من جميع الجهات وأرسل

الى قيصري يطلب اليه أن يسلم البلد تحت شروط كلها شدة واهانة فأبى قسطنطين وصمم على القتال جهدا لاستطاعة فغضب السلطان محمد لذلك وأمر فشددوا في الحصار وجاءت الاخبار الى قسطنطين بعزم السلطان محمد على الهجوم على الاسوار وأخذ المدينة عنوة في يوم كذا فهاله الامر جدا وجمع اليه خواصه وبارقومه ومن كان عليهم معتمده من الروم وشكى اليهم حاله وبالغ في الشكوى وبكى وانتحب وعظم البلاوى فبكوا جميعا لبكائه وأقسموا على الذب والدفاع واقحام نار الوغى حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ثم قاموا وتعانقوا وقبيل بعضهم بعضا قبلة الوداع وطلعوا على الاسوار وتحصنوا فيها وكذلك فعل قسطنطين وكان ممن لبى دعوة قسطنطين وقام لتصرته على المسلمين أهالى چنوه فسيروا لتجذته عمارة بحرية ومقدمها الامير جوستينيانى فأتى بها يريد الدخول الى مياه القسطنطينية فعارضته السفن التركية فاقتتلوا قتالا عنيفا وانتصر جوستينيانى نصرة عظيمة فدخل المينا غامغا فاستعظم السلطان هذا الامر جدا وصمم على ادخال مراكبه الى المينا أيضا ومحاصرة المدينة برا وبحرا قال بعض الكتاب وفكر كثيرا في هذا الامر فخطر على باله أن يتقل المراكب على البر حتى تجتاز السلاسل الحديدية الموضوعة على مضيق البوغاز فهد لذلك طريقا على البرطوله فرسخان وقيل أكثر وغطاه بالخشب وصب عليه الزيت والدهن ونقل عليه في ليلة واحدة أكثر من سبعين سفينة \* قلت ولعل في ذلك مبالغة \* ولما حل الاجل المعهود هجم عساكر المسلمين على الاسوار هجمة الاسود وكانوا زهاء مائة وخمسين ألفا من الابطال المشهود لهم فلقبهم الروم بقلوب مطمئنة واشتبك القتال وحى الوطيس نقرت الابطال من فوق الاسوار وكان قسطنطين قائما ما بين النارين ينادى على الروم بالتجلد والثبات واعمال السيف في أعناق الاعداء وهو يقاتل قتال الابطال والمسلمون يندفعون على الاسوار من كل فج عميق فلما أيس قسطنطين من الظفر وأيقن بالغلبة وسقوط المدينة في أيدى المسلمين نزع عنه أسلحته المذهبة وألقى بنفسه بين صفوف المسلمين فقطعوه بحمد السيف ولم يعلموا من هو فلما شاع بين من بقى على الاسوار من الروم خبر موت قسطنطين انفسلوا فظفروهم المسلمون وتغلبوا على الاسوار وأخذوها ثم اقتحموا المدينة وأعلموا في أهلها السيف ودخلوا كنيسة القديسة صوفية وقد كان فيها بطرق القسطنطينية يصلى وحوله خلق عظيم وقتلوا من فيها بحمد السيف ولم يبقوا على أحد ونهبوا وأسروا وأحرقوا وخرّبوا ما في المدينة من الابنية العظيمة والآثار الفاخرة وأحرقوا جميع مكاتبها فكان عدد ما أكتسه نار الحريق منها مائة ألف مجلد وعشرين ألفا

ورأى السلطان محمد من أبنية القسطنطينية وممراسمها ومنتهاتها ما حجب اليه نقل كرسى مملكته اليها فترج الروم عنها فرارا من الترك وكادت تخلو من السكان فرسم لكل من عاد اليها من الروم أن يبقى على دينه وعاداته ولا يتعرض له أحد بسوء فلم يأت اليها الا القليل بل كثير النازحون منها لاسيما بعد اقامة الأذان والصلاة في كنيسة أياصوفية وتبديل حالها

فهال السلطان هذا الامر واستعظمه وأتى اليها بكثير من أهل القرى والضواحي ثم أقام  
لاروم بطركا ليجمعوا حوله وسلم له عصا البطريركية وحاتها كما كانت تفعل القياصرة في  
سالف الازمان وقسم مافي المدينة من الكنائس بين النصارى والمسلمين وجعل لكل فريق  
منهم حدا لا يتعداه وفرض على النصارى قدرا من المال يقومون به الى الخزينة السلطانية  
في كل عام قال بعض كتاب الاخبار وبقى الحال على ذلك زهاء ستين سنة حتى جاء السلطان  
سليم الاول فسنخه وسيرهم على ما أراد

ولما استقامت للسلطان محمد الأول بعد فتح القسطنطينية عمد الى فتح جزيرة رودس  
فسير الى أهلها يتهددهم ويطلب منهم الجزية وكان عظيمهم يومئذ يوحنا دولستيك فأرسل  
اليه يوحنا يقول كف عنا فوالله ان فرسان رودس لم يأخذوها الا بسيفوفهم ومعونة الله  
سبحانه وتعالى ولم تطأ أرجلهم أرضها بعناية أحد من ملوك الارض فلن نسلم لك فيها وفيها  
رمق \* وعرض للسلطان محمد بعد ذلك ما شغله عنها فوجه عنايته الى فتح الصرب فسار  
اليها في جيش عظيم وتوغل في جوفها فقام عند ذلك البابا كالكستوس الثالث يستنض جميع  
ملوك المسيحية على قتال المسلمين ويحضهم على استخلاص البلاد من أيديهم ويحثهم على  
الجهاد في سبيل الله وجاءت الاخبار بذلك الى السلطان محمد فسار في مائة ألف وخمسين  
ألفا من الجنود المدربة وحاصر مدينة بلغراد وضيق عليها برا وبحرا حتى كادت تسقط في  
يديه وطارت الاخبار بذلك الى الآفاق فأخذت حية الدين أحد رهبان القديس فرنسيس  
فطاف يحث النصارى ويحضهم على الجهاد واستخلاص بلغراد من أيدي المسلمين وأكثر من  
التطواف والحض والمناداة فاجتمع حوله زهاء أربعين ألفا من الجنود النمساوية فسار بهم  
الى القائد هونيادس الشهير قائد الجيوش الجرية وجعله المقدم عليهم فسار بهم هونيادس  
وقاتل السلطان محمد قتالا عنيفا للغاية فانتصر عليه وأتلف سفنه الحربية وأغرق  
أكثرها فلبث السلطان محمد يهاجم المدينة أربعين يوما فلم ينل منها ورجع عن  
بقي من عسكره وقد مات منهم خلق عظيم وأصاب هونيادس قائد العساكر المسيحية بعد  
نصرته جراحات بليغة فاعتل ومات بها بعد انسحاب السلطان محمد بعسكره فلما علم السلطان  
بموته فرح وسير وزيره محمد باشا الى فتحها فحاصرها ولبث يقاتل عليها سنة ونصف سنة  
حتى تم له النصر وسقطت في يده فخرت بذلك استقلالها وأصبح حكمها حكم بقية المدن  
التي وقعت في قبضة العثمانيين

ولما كانت سنة احدى وستين وثمانمائة هجرية أي نحو سنة ست وخمسين وأربعمائة وألف  
ميلادية زحف السلطان محمد على ولاية أئينا وفتحها بعد حروب هائلة وضمها الى أملاكه  
وافتح في هذه الاثناء ان وقع الخلاف ما بين الملك توما والملك ديمتريوس بالبولوغوس أخى  
قيصر الروم بشأن مملكة المورة التي كانا يحكمانها بالاشتراك معا ويدفعان عنها الخراج

## مطلب

قيام البابا كالكستوس  
الثالث وحنه المسيحيين  
على قتال السلطان محمد

## مطلب

زحف السلطان محمد على  
ولاية أئينا وما كان من  
وراء ذلك

للسلطان محمد واشتد بينهما الخصام واستفحل أمره فقامت الحرب بينهما على ساق فظفر  
 توما بدمتريوس وهزمه فاستنجد دمتريوس بالسلطان محمد وطلب منه المدد وزوجه  
 بابتنه ليستميله اليه فلبى لذلك دعوته وأنجده على توما وسير اليه جيشا ضخما فهرب  
 توما بعد انهزامه شرهزيمة وخلا الجولدمتريوس فجعل يتصرف في الامور ولكن  
 لم تكده تستقر به الراحة بعد تلك الحروب الهائلة حتى داخل السلطان الطمع ومالت نفسه  
 الى ضم مملكة دمتريوس الى يبلاده فركب على دمتريوس بجياله ورجله وقبض عليه ونفاه  
 الى احدى الديارات واستولى على بلاد المورة الا بعض الحصون التي كان سملها توما الى  
 البابا وأهل البندقية قبل فراره من وجه دمتريوس \* ولم تأت سنة سبع وستين وثمانائة  
 هجرية أى سنة احدى وستين وأربعمائة وألف ميلادية الا وقد زالت آثار السلطنة  
 المشرقية العظيمة ولم يبق منها سوى مملكة طرابزون فعمد السلطان محمد في تلك السنة الى أخذها  
 وضمها الى مملكته وجيش جيشا وسار به اليها وقاقلها حتى أخضعها لحكمه ودخلت في عداد  
 ممالكه ثم سار منها فأخذ ولاية سنوب وجاء بصاحبها داود كوموين أسيرا الى القسطنطينية  
 ومثل به شرميل ثم أمر بقتلوه صبوا وكان فداتهم بمكاتبة ملك فارس والتألب معه وقتل  
 كذلك أولاده بين يديه وكفوا ثمانية وعاد الى القسطنطينية ظافرا غائما \* ثم جيش بعد قليل  
 جيشا عظيما وسار به لقتال أمير الفلاخ وكان سبب ذلك تعدي بعض أهالي الفلاخ  
 على جماعة من التجار العثمانية النازين هناك فلما علم صاحب الفلاخ بحضوره أرسل  
 اليه رسلا في طلب الصلح وقيامه بدفع جزية في كل سنة قدرها عشرة آلاف دوكاوان  
 يصادق على جميع الشروط التي تقررت في معاهدة سنة ست وتسعين وسبعمائة هجرية  
 أى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وألف ميلادية ما بين السلطان بايزيد وأمير الفلاخ يومئذ  
 فقبل السلطان محمد الثاني بذلك وانسحب بجميع جيوشه وكان هذا القول من أمير الفلاخ  
 خدعة ليتمكن من عقد محالفة مع ملك المجر على قتال الترك فلما تم له ما أراد وعلم السلطان  
 بالخبر سير اليه رسولين يسألانه في ذلك فقبض عليهما وقتلهما ثم لم يلبث ان زحف في  
 جيش عظيم وأغار على بلاد بلغاريا التي هي من أملاك آل عثمان فعات فيها وأفسد وخرب  
 وأحرق وعاد بخمس وعشرين ألف أسير فسير اليه السلطان رسلا في طلب فك الاسرى  
 والرجوع الى الطاعة وعدم مخالفة العهد فلما مثلوا بين يديه قيل انه أمرهم بخلع عماثمهم  
 عن رؤسهم اجلالا له وتعظيما فأبوا ذلك فأمر بأن تسمر عماثمهم على رؤسهم بمسامير من  
 حديد ففعلوا بهم ذلك وهم بين يديه وجاءت الاخبار الى السلطان بما وقع لرسله فكاد  
 يتميز غيظا ونادى في جنده بالتأهب ثم خرج في مائة ألف لقتال أمير الفلاخ وما زال حتى  
 احترق جوف يبلاده ووصل الى مدينة بخارست عاصمة مملكته بعد أن هزمه شرهزيمة  
 وخرق شمل عسكره فهرب صاحب الفلاخ ونزل على ملك المجر مستجيرا فنادى السلطان

محمد بخلعه من منصب الامارة وأقام أخاه راوول مكانه وكان راوول هذا قد تربى في حضنة السلطان محمد وللسلطان به ثقة فصارت بذلك بلاد الفلاخ تابعة لأمر السلطنة العثمانية

مطلب

تدويج بلاد البوسنا  
وأخذها عنوة

وركب في سنة سبع وستين وثمانمائة هجرية أى سنة اثنتين وستين وأربعمائة وألف ميلادية على البوسنا لامتناع أميرها عن دفع الجزية فخاربه وانتصر عليه وقتله هو وولده بعد قتال عنيف للغاية فدانت له بقتله جميع بلاد البشناق وكبر الامر على صاحب المجر فهم باستخلاص البوسنا من أيدي العثمانيين وخرج في عسكر عظيم فركب عليه السلطان في جيش جرار وهزمه وفرق شمل عساكره فعاد خائباً وشدد السلطان على أهل البوسنا فسلبهم جميع ما كان لهم من الامتيازات والحقوق وأدخل في الصفوف الانكشارية زهاء ثلاثين ألفاً من شبان البوسنا وشدد على كبار أهلها وأشرفهم فتدين أكثرهم بالدين الاسلامي وصارت البلاد ولاية كبقية الولايات الداخلة في حكم آل عثمان \* ولما كانت سنة ثمان وستين وثمانمائة هجرية أى سنة ثلاث وستين وأربعمائة وألف ميلادية ابتداء الخلاف بين العثمانيين وأهل البنادقة وكان سبب هذا الخلاف ان عظيماً من العثمانيين هرب الى ناحية كورون التابعة للبنادقة فطلب فلم يسلوا فيه وامتنعوا وقالوا انه تنصر واعتنق الدين المسيحي فلا يحل اعتباره عبداً رقيقاً وكان في نفس السلطان أن يشن الغارة على جميع أعمال البندقية ويضمها الى أملاكه فالتخذ ذلك حجة للقتال وجيش جيشاً عظيماً وسار به في سنة خمس وسبعين وثمانمائة هجرية ونزل على جزيرة اغريوز المعروفة أيضاً بارجوس يريد قتالها فقاتله أهلها قتالاً عنيفاً وأرسلوا يستجدون حكومتهم فسيرت ليجدتهم عمارة عظيمة فوصلت الى بلاد المورة وأنزلت الى البر من بهامن الجنود والمقاتلة فتقوت بهم عزائم سكانها وناروا معهم على من كان عندهم من عسكر السلطان فأجلوهم عن البلاد ثم رموا ما كان تهم من أسوار برزخ كورنشيم وحاصروا مدينة كورنشيم واستخلصوا مدينة اغريوز فاستعظم السلطان هذا الامر وأكبره جداً وزحف في زهاء ثمانين ألفاً نخاف أهل البندقية وسقط في أيديهم وتركوا البرزخ المذكور ورجعوا القهقري فوصل السلطان بعسكره ودخل البلاد بعد قتال خفيف واسترجع كل ما أخذوه وأرجع الامور الى سابق مجراها

واشند بغض أمم أوروبا للعثمانيين وكرهوا جوارهم فقام البابا بيوس الثاني يدعو المسيحيين الى قتال المسلمين ويستحثهم على نصرته الدين ومحو آثار العثمانيين من قارة أوروبا وأكثر أتباعه من النداء والتحريض فهاجت الخواطر وامتألت القلوب بغضا فقام صاحب البانيا بعسكر جرار وشن الغارة على المملكة العثمانية وقاتل العثمانيين قتال الابطال نجرب وأحرق وأهلك الحرث والنسل وأراق الدماء الكثيرة وما زال يقاتل حتى أدركته المنية فمات

سنة ثمان وستين وثمانمائة هجرية حثف أنفه وقد كان من أشد خصوم العثمانيين وألد أعداء سلاطين آل عثمان فأرهبهم خسا وعشرين سنة لا ينجده فيها سيف ولا يثني له عزم ولم يقو السلطان محمد على قعه وادخاله تحت الطاعة \* وسير السلطان بعد ذلك بقليل عمارة حربية لفتح ميناء آق كرمان ففتحها وأقلعت السفن تريد مصاب نهر الدانوب لاعادة الكرة على بلاد البغدان وأخذها فلاقته العساكر البغدانية وفي مقدمها الامير اصطفن الرابع صاحب البغدان عند نهر الدانوب فاجتاز السلطان النهر فلم تقف امامه عساكر اصطفن وتقهقروا خديعة ومكرا ولم يقاتلوا السلطان فتبعهم السلطان بعساكره وساق خلفهم بجياله ورجله حتى دخلوا في غابة كثيفة للغاية لاتعرف مفاوزها فلم يعلمهم اصطفن المذكور حتى انقض عليهم بعسكره وقهرهم وأعمل فيهم القتل بحمد السيف ففر السلطان ونجا وتغزق شمل من بقي من عسكره وانتصر اصطفن في هذه الموقعة نصرة عظيمة وكان ذلك في سنة احدى وثمانين وثمانمائة هجرية أي سنة ست وسبعين وأربعمائة وألف ميلادية ففرح المسيحيون بنصرة اصطفن فرحا عظيما وسير اليه البابا رسولا يهنئسه بالنصر ويقول له ان البابا قد سماه من هذا اليوم بطل النصرانية وحامي حجي الديانة المسيحية

مطلب  
فيما أصاب عسكر السلطان  
في بلاد البغدان وفي هزيمتهم

مطلب  
حصار سفن السلطان  
لرودس والرجوع عنها

وجهر في سنة خمس وثمانين وثمانمائة هجرية أي سنة ثمانين وأربعمائة وألف ميلادية عمارة أخرى عظيمة وعليها مائة ألف مقاتل وشيء كثير من الذخيرة ومعدات الحرب وسيرها مع ميشطس باشا أحد العائلة الباليولوجية الامبراطورية الرومية وكان قد اعتنق الدين الاسلامي بعد فتح القسطنطينية فسار بها الى جزيرة رودس وحاصرها وضيق عليها وأقام تحت أسوارها تسعين يوما فلم ينل منها نجاة الامر بالارتجال عنها فارتحل ولم يقدر الله للسلطان محمد قتالها بعد ذلك \* قال أصحاب التاريخ ولما وصلت عمارة السلطان محمد الى جزيرة رودس كان صاحبها قد تمكن من ابرام صلح مع سلطان مصر وباى توتس بعد ان وقعت الحرب بينهما وبينه أياما كثيرة ليتفرغ بذلك الى دفع غارات العثمانيين عن الجزيرة التي هي مقر رهبنة القديس يوحنا الاورشليمي فحاصرتها عمارة السلطان محمد حصارا تاما ومنعت عنها المدد وضيق عليها من كل جانب ووالت الرمي عليها بالمكاحل فكان أهلها يصلحون في الليل ما تخربه المدافع من أسوارها في النهار فطال حصارها تسعين يوما وفي كل يوم يهجم العثمانيون على الاسوار فلم تنل منها وقد قتل منهم خلق كثير للغاية فلم يبق الا القليل وجاء مرسوم السلطان برفع الحصار والارتجال عنها فارتحلوا وما زال السلطان محمد على قدم الغزو والجهاد لا يتكف عن القتال وتدويخ البلاد حتى أدركته المنية وهو سائر بعسكره جوار لقتال ملك فارس مات في مدينة ازنيكيد في سنة ست وثمانين وثمانمائة هجرية أي سنة احدى وثمانين وأربعمائة وألف ميلادية

مطلب  
وفات السلطان محمد وولاية  
ابنه بايزيد



في سلخ ربيع الاول وله من العمر ثلاث وخمسون سنة فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة قال أصحاب التاريخ زوله الفعال المأثورة في داخل بلاده فهو الذي دعا الحكومة العثمانية بالباب العالي وقسم هيئتها الى اربعة أقسام وهي الوزير وقاضي عسكر والدفتر دار والنيشانجي أى كاتب سر السلطان ورتب وظائف الجند على أسلوب جديد فجعل لطائفة الانكشارية كبرا سماه الاغا وسلمه حراسة القسطنطينية وضبط أحوالها الداخلية وآخر لأصحاب المكاحل وآخر لما تحتاجه الجيوش من الذخيرة والمؤونة ومعدات الحرب واهتم بترتيب وظائف القضاء وسن القوانين النظامية المناسبة للزمان والمكان \* وأعقب ولدين وهما بايزيد وجم فبايع الناس بايزيد بالسلطنة في اليوم الذي مات فيه أبوه وهو الرابع من ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة هجرية أى سنة احدى وثمانين وأربعمائة وألف ميلادية وطيروا الخبر بذلك الى الآفاق فأخذت له البيعة العامة في خلال سنة ست وثمانين هجرية وكان سلطانا جليل القدر عالما شاعرا لبيبا مواظبا على العلم حسن السيرة \* قال أصحاب التاريخ لما مات السلطان أبو الفتح محمد وكان أكبر أولاده بايزيد وولى عهده من بعده مقيما باماسيا يحكمها من قبل أبيه أخفى الوزير قرمانى محمد باشا خبر موت السلطان حتى يأتي ابنه بايزيد المذكور ولكنه لما كان بينه وبين أصغر أولاد السلطان مودة ومحبة أكيدة وكان يفضل على بقية إخوته سير اليه سرا من يعلمه بخبر موت أبيه ويستقدمه على عجل ليسلمه مقاليد السلطنة قبل أخيه بايزيد فشاع خبر ذلك بين الناس وعلم به جماعة الانكشارية فثاروا على الوزير وقتلوه وعاثوا يومئذ في المدينة وأفسدوا وقتلوا ونهبوا وولوا الامير كركود ابن السلطان بايزيد السلطنة مكان أبيه حتى يأتي أبوه فلما كان الثالث عشر من ربيع الاول وصل الرسول الى بايزيد وأعلمه بخبر موت أبيه فركب في اليوم الثاني في أربعة آلاف وسار مجدا فدخل مدينة القسطنطينية بعد مسير مائة فرسخ وستين فرسخا في تسعة أيام فخرج أمراء الدولة وكبارها وأعيانها للقاءه ودخل المدينة في أبهة وجلالة عظيمة للغاية وأخذ في مباشرة الامور \* أما الامير جم فانه لما وصل اليه الخبر بموت أبيه ركب من فوره في جماعة من أصحابه وسار قاصدا مدينة بروسة فمانعه من دخولها من كان بها من المرابطين فقاتلهم عن معه وانتصر عليهم نصره عظيمة ودخلها عنوة وأقام بها ولم يستقر به المقام حتى جاءه أخوه السلطان بايزيد في جيش عظيم وقاتله وقهره وساق خلفه بجياله ورجله حتى أوصله الى تخوم ديار مصر فلما رجع ظافرا منصورا سأله الانكشارية أن يبيع لهم بروسة ليمتقوا منها فلم يوافقهم على ذلك ولكنه خاف عاقبة أمرهم فأقطع كل رجل منهم قرشين

وأقام جم بمصر ماشاء ثم عاد الى حلب واتحد مع الامير قاسم بك آخر سلالة أمراء القرمان على قتال أخيه بايزيد فلم ينال شيئا فراسل أخاه في طلب الصلح بشرط أن يقطع بعض الولايات ليقم بها فلم يقبل بايزيد منه ذلك فخاف جم العاقبة وسار الى جزيرة رودس

وطلب الى رئيس رهبنة القديس يوحنا الاورشليمي أن يساعده على أخيه بايزيد فقبله عنده وأنزله منزلا رجا لجأت وفود السلطان بايزيد الى رئيس الرهبنة وكلوه في أمر جم المذكور وانه ان بقي عندهم بالجزيرة تحت الحفظ تعهد لهم السلطان بعدم مس استقلال جزيرتهم مدة حياته وأن يحمل لهم في كل سنة مبلغا من المال قدره خمسة وأربعون ألف دو كاقبل الرئيس ذلك ووفى بالوعد فلم يمكن حيا من الخروج ولم يسمح له بالذهاب الى ملك المجر ولا امبراطور الالمان وقد كان كل منهما يطلبه ليتخذ واسطة لتذليل السلطان بايزيد وذهاب هيئته وسيره الى مدينة نيس ليمقي بها محجورا عليه لا يفارقها ثم نقله الى شمبري وجعل بعد ذلك ينتقل من بلد الى آخر من بلدان فرنسا زهاء سبع سنوات فلما كانت سنة خمس وتسعين وثمانمائة هجرية بعثه رئيس رهبنة القديس يوحنا الى البابا توتان الثامن ليمقي عنده فراسل البابا السلطان بايزيد في أمره وطلب اليه أن يبعث بالمال الذي كان يحمل في كل سنة الى رئيس رهبنة القديس يوحنا فأجاب السلطان الى ما طلب وظل الامر على ذلك حتى مات البابا توتان وقام بعده البابا اسكندر بورجا واشتغل السلطان بايزيد بما جاءه من أخبار اغارات شارل الثامن ملك الفرنسيين على بلاد ايطاليا وعقدته النية على فتح القسطنطينية وقد اشتدت رغبة شارل في ذلك فبعث البعث الى بلاد مقدونية واليونان لاضرام نار الفتنة والخروج على السلطان بايزيد فلما علم ملك نابولي وجمهورية البنادقة بما ينويه شارل خافوا من تعاطف شأن دولة الفرنسيين واستفحال أمرها وأرسلوا الى السلطان بايزيد يحذرونه شر العقاب ويحثونه على الاخذ بأسباب التأي والحزامة وأن يسير الى بلاد ايطاليا طائفة من عسكره ليصد بها جيوش ملك الفرنسيين فأحس شارل بذلك وأكبره فسار الى مدينة رومة وحاصرها وضيق عليها من كل جانب وطلب من البابا اسكندر أن يسلمه حيا فأخا السلطان بايزيد فلم يردا من تسليمه فسار جم مع جيوش الفرنسيين حيث ساروا حتى أدركته المنية في مدينة نابولي فدفنوه في بلدة من بلاد ايطاليا ثم نقل الى مقابر أجداده بمدينة بروسه

وتأقت نفس السلطان بايزيد الى فتح الديار المصرية وضمها الى أملا كفسار في جيش عظيم لقتال سلطانها فالتقى جهة القرمان واقتتلا قتالا شديدا فلم يفلح السلطان بايزيد وراسلها ماى توتس بالكف عن القتال بدعوى انه لا يصح قيام الحرب بين ملكين مسلمين فتمقررت بين الفريقين قاعدة للصلح وعاد السلطان بايزيد بعسكره وعادت كذلك العساكر المصرية وبينما هو يغزو ويحارب ويفتح المدن والامصار والتوفيق ملازمه اذ قامت الفتنة داخل بلاده بخروج اثنين من أولاده عن طاعته واضرامهم نار الحرب قال بعض كتاب الاخبار وقد كان له ثمانية أولاد ذكورات منهم خمسة في حدائهم وعاش ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم وكان كركود مولعا بالعلوم والآداب ميالا لمخالطة العلماء والأدباء فكانت العساكر لا تميل اليه لهذا السبب وكان الثاني عاقلا رزينا محبوبا من الامراء والاعيان موقرا

مطلب

وتأقت نفس السلطان  
بايزيد الى فتح الديار المصرية

عند كبير الوزراء مكرما وكان الثالث ميالا للغزوات والحروب فكانت طوائف الجنود والانكشافية تحبه وتجتمع عند كلمته ولذلك ولي السلطان بايزيد كلا منهم منصبا يليق بحاله فولى الامير كركود احدى الولايات البعيدة وولى الامير آجد ولاية اماسيا وولى الامير سليما ولاية طرابزون فلم يقبل الامير سليم هذا المنصب واستصغره وسار من طرابزون الى كفا وسير منها رسلا الى ابيه يطلب اعطائه احدى الولايات الكبرى من مملكته التي في أوروبا فاستعظم السلطان ذلك وأكبره ولم يجبه الى ما طلب وردّ الرسل كما حضروا فكبر الامر على الامير سليم وركب في جيش من التتار وسار لقتال ابيه فأرسل أبوه كذلك جيشا لارهابه فلم يرعوا واشتد في التأهب والاستعداد لاضرار نار الوغى نخشى السلطان شر العقاب وأجابه الى ما طلب وعقد له الولاية على مدينتي ودين وسمندرية فداخل نفس الامير كركود من ذلك ما داخلها وأغار على ولاية صاروخان وجعلها له مقرا حتى لا يكون بعيدا عن تحت مملكة ابيه عند الحاجة

مطلب

خروج الامير سليم على ابيه  
السلطان بايزيد في طلب الملك

ولم يستقر بالامير سليم المقام في سمندرية حتى تافت نفسه الى ارتقاء منصب السلطنة والانفراد بالملك فسار من سمندرية في جيش الى أدرنه واستقر بها ونادى بسلطنته عليها وطير الاخبار بذلك الى الآفاق فلما وصل الخبر الى السلطان بايزيد هاله جدا وأعضبه فسير جيشا لاختضاع الامير سليم وارجاعه الى الطاعة فقاتله فانتصرت عساكر السلطان بايزيد وفر الامير سليم الى بلاد القرم واختفى وتفرق من كان معه من العساكر والاحزاب ولما تم للسلطان بايزيد النصر على ابنه سليم سار جيشا آخر لقتال ولده كركود بصاروخان فخرج كركود لقتال عسكر ابيه فالتقى الجمعان واقتتلا فانهزم أصحاب كركود شهزيمة واختفى كركود حتى كان من أمره ما سيذكر في محله \* ولم يكذب يتم الظفر للسلطان حتى قامت طوائف الانكشافية على قدم وساق وسألوه العفو عن ولده الامير سليم وارجاعه الى ولاية سمندرية فطاولهم فأكثروا من الالحاح وشددوا وارهبوا وهددوا وما زالوا حتى أجابهم السلطان الى ما طلبوا وسير الى الامير سليم فرمان الرضا والولاية على سمندرية كما كان قظهر الامير سليم عند ذلك من محبته وسار في تفريده سمندرية فخرج للقائه جماعة من الانكشافية وساروا في ركابه وعرجوا به الى القسطنطينية ودخلوها في كبكبة وضجة زائدة وما زالوا على ما هم عليه من الجلبة والصياح حتى صاروا تحت قصر السلطان بايزيد وسيروا اليه جماعة يطلبون اليه خلع نفسه والتنازل لولده الامير سليم عن الملك وأكثروا من النداء والصياح وشددوا في الطلب فاجتمع الناس وكثر الزحام وعلت الضوضاء وعم الخوف سائر من في المدينة وأشدت الهرج نجف السلطان بايزيد شر العقاب وأجابه الى ما طلبوا وخلع نفسه في اليوم الثامن من صفر سنة ثمان عشرة وتسعمائة هجرية أي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ سبع وستون سنة

وفي رواية انه لما قامت الفتنة في داخلية البلاد بخرج اثنين من اولاده عن طاعته أمر  
بقتلهما فقتلا فكثرت لذلك القلاقل وعلت كلمة الانتكشارية فعاهدوا الامير سليما بالملك  
وكلوه في أمر السلطنة فاجتاز بونغاز القسطنطينية لاستخلاص الملك من أبيه فخاربه أبوه  
وهزمه فهرب الى بلاد القرم وأقام بها ثم قصد القسطنطينية ثانية في جيش وجرى بينه  
وبين أبيه وقائع كثيرة فلما اشتد الحال بالسلطان بايزيد خلع نفسه من السلطنة وعهد  
بها الى ابنه سليم المذكور وسار الى أدرنة فدرس له ابنه من سقاه السم خوفا من رجوعه  
الى دست السلطنة فلما مات بايعوا بعده السلطان سليما البيعة العامة واستقرت به السلطنة  
فقبض على أخويه أحمد وكر كود وقتلهم ومثل بهما ليخاوله الجو ثم سار لقتال ملك فارس ثم  
كان ما كان من انتشاب الحرب بينه وبين السلطان قانصوه الغوري صاحب مصر وتغلغله  
بعساكره في داخل البلاد حتى وطئت خيله القاهرة وتصرفه في الامور بعد ان بدد شمل  
عساكر الملك الاشرف طومان باي وظنه موت الاشرف مع من قتل من الامراء والاجناد  
والمماليك في الواقعة التي حصلت عند الريدانية كما مر بك بيان هذا كله في محله

## ( المقالة التاسعة وفيها فصول )

### ( الفصل الاول )

( فيما جرى بعد دخول السلطان سليم القاهرة وفي سلطنة

على ديار مصر ولبسه شعار الخلافة )

لما استقر بالسلطان سليم المقام بالقاهرة بعد انتصاره على السلطان الملك الاشرف طومان  
باي ومن معه من كبار الامراء والمماليك وتبديد شملهم وإعمال السيف فيمن بقي منهم ظن  
موت السلطان الملك الاشرف وان قد دانت له البلاد فجمد الى ترتيب الامور وتقرير قواعدها ورسم  
في يوم الثلاثاء رابع المحرم افتتاح سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة هجرية بتقليد بعض  
أصحابه المناصب العالية وأمر ونهى وقضى يومه هذا في أنس وصفاء وهو لا يعتقد الاهلاك  
الاشرف فما أذن لوقت العشاء من ليلة الاربعاء حتى أطبقت عساكر الاشرف على السلطان  
سليم من كل جانب والاشرف يتأدى فيهم بالجل وإعمال السيف وأن لا يبقوا أحدا فاندفعت  
عساكر الاشرف على عساكر السلطان اندفاع الوحوش الضواري وأعمالوا فيهم السيف

وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأحرقوا بعض خيامهم وبجثوا عن السلطان سليم فلم يقفوا له  
 على أثر من شدة الظلام وهرع العامة وعياق بولاق من النوتية وغيرهم وأحاطوا بخيام  
 عسكر السلطان وصاروا يربجون بالمقالع وفيها الحجارة وكثر الصياح وعلت الاصوات  
 واشتدت الجلبة واستمروا على هذا الحال الليل كله حتى مطلع الفجر فتمزق عساكر  
 السلطان سليم كل ممزق وتفرقوا في الشوارع والحارات يريدون النجاة وذهب فريق منهم  
 الى ناحية النصرية فلاقاهم الامير عيلان الدوادار الكبير عند الميدان وقاتلهم قتالا عنيفا  
 ومازال حتى استرد منهم الطريق من رأس الجزيرة الوسطى الى قنطرة باب البحر والى  
 قنطرة قديدار واستمر القتال بين الفريقين من مطلع الفجر الى ما بعد الغروب واشتدت  
 عزائم الجرا كسة وقويت قلوبهم فأنشوا في قتل العثمانيين وأخرجوهم من جميع  
 الاماكن التي كانوا محتفين بها وجعلوا يختزنون رؤسهم كما فعلوا هم عند الريدانية وكافوا  
 يأتون بالرؤس بين يدي السلطان الملك الأشرف وهو يستحث المماليك على القتال والاختد  
 بالنار وأصبحوا يوم الاربعاء الخامس من المحرم والقتال قائم على ساق بين الفريقين  
 والمناذرة من السلطان الملك الأشرف متواصلة بالقبض على كل من يجردونه من عساكر  
 السلطان سليم فجاء الناس كافة في طلبهم والقبض على من يجردونه منهم فكان يوما شره  
 مستطير \* ورتب السلطان سليم من بقي من عسكره ونادى فيهم بالقتال فقويت قلوبهم  
 وصدمو المماليك عند بولاق وجزيرة الفيل صدمة قوية للغاية فاجلواهم عنهما وأخذوهما  
 وهجماه على زاوية الشيخ عماد الدين بالنصرية وقبضوا على من كان بها من المماليك  
 الشرا كسة وأحرقوا البيوت التي حول الزاوية وقتلوا جماعة كثيرة من العامة والنساء  
 والاطفال والشيوخ وأجلوا من بقي من المماليك عن النصرية فتوجهوا الى قناطر السباع  
 ونزل الأشرف طومان باي الى جامع شيخون بالصليبية وأخذ يجمع من تفرق من عسكره  
 ثم رسم بحفر خندق في راس الصليبية وآخر عند قناطر السباع وآخر عند راس الرميطة  
 وآخر عند جامع ابن طولون وآخر عند جزيرة البقر ورسم باحراق خان الخليلي فنعاه بعض  
 الامراء من ذلك ثم قسم عساكره الى أربع طوائف طائفة تقاتل عند قناطر السباع  
 وطائفة عند الرميطة وطائفة عند جامع ابن طولون وطائفة عند راس الصليبية ولكن قد كان  
 الخوف استولى على قلوب عساكره ففترت هممهم وكبر خوفهم لمباراة عسكر السلطان سليم  
 على القتال وكان القتلى من الفريقين مطروحين في الطرق من بولاق الى قنطرة السباع والى  
 الرميطة والى تحت قلعة الجبل وبقي الحال على هذا الوصف الى يوم السبت ثامن المحرم فلم  
 يشعر السلطان الملك الأشرف الا وقد اختفى من بقي من أصحابه ولم يبق معه في ساحة القتال  
 الا بعض العبيد الرماة والمماليك السلطانية وقليل من الامراء \* فلما رأى أنه مأخوذ لاحالة ترك  
 القتال وهرب الى بركة الحبش وشاع الخبر بفراره فانقض عسكر السلطان سليم على الصليبية  
 وأحرقوا جميع البيوت التي حولها من درب ابن عبد العزيز وقتلوا كثيرا من العامة وأنشوا

في القتل والنهب والاحراق وعاثوا في البيوت والمساجد والاضرحة سعيوا وراء المماليك فن وجدوه منهم ضربوا عنقه في الحال وفعلوا بالجامع الازهر ما لا يحسن وكذلك فعلوا بجامع الحياكم وجامع ابن طولون وغيرهما من الجوامع فكانت الكلاب من كثرة الرمم تنهش فيها نهشا وتمزقها تمزيقا وكان المنظر مدهشا مرعبا جدا والناس في شغل عن دفن تلك الجثث لانتشار عسكر السلطان سليم في الحارات وقتلهم كل من يجدونه في طريقهم

ورسم السلطان سليم بالمنادة في العسكر بالكف عن القتل واراقة الدماء فانكفوا وعاد السلطان الى خيمته في الجزيرة الوسطى واشتغل الناس بدفن الموتي فكانوا لا يكادون يميزون بعضهم عن بعض وانتشر البكاء والعيويل في مصر والقاهرة وقامت المآتم ببعض البيوت الكبيرة فكان الخطب عظيما والمصاب شديدا \* وأخذ السلطان سليم بمشورة أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله العباسي وعمل بقوله فظهرت كلمة الخليفة يومئذ وعظمت شوكرته ووقف في دهليزه الامراء من المقدمين وامراء الطبخانات والعشروات فرارا من عسكر السلطان سليم وكذلك المخدرات من النساء وأصحاب البيوتات العالمية ونزلت عنده خونده ابنة الامير آق بردى زوجة السلطان الملك الاشرف طومان باى وقد فرض عليها السلطان سليم مبلغا من المال غرامة فلم تقدر على وفائه واستغاثت بالخليفة على استرضاء السلطان فاخذ يتظلف به حتى تجاوز عن شئ منه وألتمت بايفاء الباقي وما زال الحال في شدة والناس في خوف ما عليه من مزيد حتى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم نادى منادى السلطان سليم بالامان لجميع من بقى من الامراء المقدمين وامراء الطبخانات وامراء العشراوات والمباشرين وأصحاب الوظائف الديوانية فخرجوا من محبتهم وألوا الى معسكر السلطان فأمنهم ورسم لهم بالذهاب الى مدرسة الغورى فلما اجتمعوا بها جاءت طائفة من العساكر العثمانية واحاطت بالمدرسة فتحوف الامراء من ذلك وظنوا الغدر بهم ثم رسم لهم بعد أيام بالصعود الى قلعة الجبل فصعدوا اليها والجند تحرسهم فاقاموا بها تحت طلب السلطان فلما كان يوم الخميس عشرى المحرم صعد السلطان الى القلعة في موكب حافل للغاية وأمامه الجنائب والطبول والزهور وطوائف الجند من المماليك الذين كانوا مع خير بيك والغزالي والعساكر العثمانية ومتر من الصليبية فانطلق العامة بالدعاء له

ولما استقر به المقام رتب من قومه كشافا على الغربية والشرقية ونظر في بعض المهمات من الامور وقيده بعض المأمورين بمساحة الشرقية وكشف ما فيها من اقطاعات المماليك الشراكسة وغير ذلك من الرزق والاقواق وكذلك فعل بالغربية والحلة وجميع الجهات القبليية واحتجب عن الناس بالقلعة ولم يجلس على الدكة السلطانية للنظر في الظلمات كما كانت تفعل ملوك مصر وسلطينها قبله \* وبينما هو على هذا الحال اذ جاءت الاخبار من الاقاليم القبليية بظهور السلطان الملك الاشرف طومان باى ومعه جوع كثيرة من المماليك والغلمان السود والعربان والعامة والكثير من الخيل والدواب والاسلحة وانه عازم على الجيء

الى القاهرة ليقاتل السلطان سليما ويجليه عن البلاد وشاع هذا الخبر بين الناس وتأكد  
بوصول مكاتبه من الاشرف الى السلطان سليم يقول له فيها

وبعد فان شئت أن أجعل الخطبة باسمك وكذلك السكة وأكون نائبا عنك بمصر  
وأجعل اليك في كل سنة الخراج حسبما يقع الاتفاق عليه بيننا فأرحل عن مصر الى الصالحية  
أنت وعسكرك وصن دماء المسلمين بيننا ولا تحمل وزر اراقة دماء الشيوخ والنساء والاطفال  
بغير سابق ذنب والافخرج للقائى بعسكرك في الجزيرة والله سبحانه يعطى النصر لمن يشاء  
فلما وقف السلطان سليم على ما في المكاتبه جمع اليه أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله  
والقضاة الاربعة وجماعة من وزرائه وكتب بحضورهم صورة يمين الى الملك الاشرف وكتبه  
بخطه ووقع عليها ثم تكلموا في الامر طويلا فوقع الاتفاق بينهم على تسيير الخليفة والقضاة  
الاربعة الى الاشرف بذلك اليمين وخلع السلطان سليم على القضاة وأمرهم بالتأهب للسفر  
فتزلوا من عنده على ذلك اما الخليفة فانه امتنع عن السفر فرسم السلطان بتسيير دواداره بدلا  
عنه فسافروا ولما صاروا على مقربة من البهنسا خرج عليهم جماعة من الشراكسة وقبضوا  
عليهم وسلبوا ما كان معهم من متاع وسلاح وهدايا وخيول وجمال وغير ذلك وقتلوهم  
فلم ينج منهم سوى القضاة الاربعة ودوادار السلطان ورجعوا الى القاهرة وهم في أسوأ  
حال فلما علم السلطان سليم بما جرى لهم أمر فنقلوا معسكره من الجزيرة الوسطى الى بركة  
الحبش ونزل في يوم السبت حادى عشر صفر من قلعة الجبل ومعه الجم الغفير من العساكر  
والمباشرين والغلمان ورمات البنادق وقد أشيع خبر انحدار عسكر الاشرف طومان باى  
من البهنسا الى ترسه بالجزيرة فرسم السلطان بعمل سقائل على النيل بناحية طرا ومصر  
القديمة وبولاق لعبور العساكر عند الاقضاء وأخذ في التأهب والاستعداد وقد ظهرت عليه  
وعلى جميع قومه علامات الاضطراب وخاف الناس كثيرا لاسيما وهم لم يتناسوا ما حصل  
بهم باسباب الوفاة التي وقعت بالصليبية والناصرية وغيرها

ولما كان يوم الاربعة ناني شهر ربيع الثاني أمر السلطان سليم فجاء بجميع الامراء  
الذين كانوا بقلعة الجبل وقد كانوا ظهروا بأمان من السلطان كما تقدم القول فانزلوهم مكبلين  
بالحديد والجند من حولهم الى بركة الحبش فلما مشوا بين يدي السلطان أخبرهم بما فعله  
الملك الأشرف بالقضاة والدوادار وامتناعه من الصلح بعد ان طلبه وأكثر من تأنيبهم  
وتوبيخهم ثم أمر بضرب أعناقهم جميعا فضربوا أعناقهم بين يديه وكانت عدتهم اربعة  
وخمسين أميرا مابين مقدمى ألوف وأمراء طبخانات وعشروات وغير ذلك وألقوا  
جثثهم للكلاب فكانت نساؤهم تسعى في أخذها بدفع شئ من المال الى الموكلين بالعمل  
ثم قام السلطان سليم من ساعته الى بركة الحبش وعبر النيل بعسكره الى الجزيرة فجاءته  
الاخبار بوصول عسكر الاشرف الى المناوات فأقام بالجزيرة الى يوم الخميس عاشر ربيع الثاني  
فظهرت طلائع عسكر الاشرف ولاقتها عساكر السلطان عند المناوات وقيل بل عند وردان

فالتحم القتال بين الفريقين واشتد وحى الوطيس والتقت السنايك بالسنايك والرماح بالرماح  
والصفاح بالصفاح فاستظهر المماليك على عساكر السلطان وقتلوا منهم خلقا كثيرا وساقوهم  
حتى أتى أكثرهم بأنفسهم الى النيل فأتوا غرقا وكاد يتم النصر للاشرف طومان باي  
وعسكره وجوعه خافت في وسط هذه الشدة لعساكر السلطان نجدة من أصحاب البنادق  
ورموا بالبنادق على المماليك واصلوا الرمي بشدة حتى ردوهم وما زالوا بهم حتى فرقوا جمعهم  
ومزقوا شملهم وعادت الهزيمة عليهم فولوا الادبار وولى الاشرف مهزوما يريد قرية من أعلى  
تروجة اسمها البوطة فلما تم للسلطان سليم النصر عاد الى القاهرة ودخلت عساكره ومعهم  
العدد الكثير من رؤس القتلى وهم في كبكبة عظيمة ثم نودي بالزينة فزينت البلد ثلاثة  
أيام والناس مع ذلك في شغل بما سيكون من وراء ذلك لعلمهم بما هو عليه الاشرف من  
البسالة والجلد على الحروب \* أما الاشرف فانه نزل بقرية البوطة فأقام بها ثلاثة أيام  
وهو متحز في نصر من أصحابه ثم حضر اليه الشيخ حسن بن مرعي وشكر ابن أخيه  
مشايخ عربان البحيرة وكان بين المذكور وبين الاشرف صداقة قديمة فدعاه حسن للضيافة  
وألح عليه في ذلك فركن اليه الاشرف ونزل عنده فلما استقر به المقام طلب مصحفا  
ووضعه بين يدي حسن واستخلفه عليه هو وابن أخيه انهما لا يخونانه ولا يغدرانه ولا  
يدلان عليه ولا يخبران بخبره أحدا ولا يسميان ضده عند السلطان سليم خلفا على ذلك  
ثلاثا فطاب قلب الملك الاشرف وسكن جاشه وبات ليلته وأصبح وقد أحاط العربان بالمكان  
الذي هو فيه وأحذقوا به من كل جانب تخاف من كان معه من الغلمان والمماليك وتفرقوا  
عنه وأرسل ابن مرعي المذكور الى السلطان سليم يعلمه بالقبض على الاشرف ففرح السلطان  
بذلك فرحا عظيما وسير طائفة من عسكره فقبضوا عليه وقيده بالحديد وأتوا به بين يدي  
السلطان وهو في زى العربان فقام له السلطان اجلالا وعاتبه ثم أشار الى بعض الواقفين  
من أصحابه فخرجوا بالاشرف من حضرته وأدخلوه في خيمة أعدت له وأقاموا حولها  
الحرس من الغلمان الرماة والانكشارية فلبث الى يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر  
فحو سبعة عشر يوما والاخبار عنه بين الناس كل يوم في شان \* فلما كان يوم الاثنين المذكور  
أركبوه على اكديش بعد ان عبروا به النيل من انبابه الى بولاق وهو مكبل بالحديد في  
زى العربان الهوارة وامامه زهاء الاربعمائة من العثمانيين وساروا من سوق مرجوش  
ومروا به من القاهرة فتسابق الناس لرؤيته وهم في دعاء له وصياح وجلبة عظيمة وكان  
يحميهم بلطفه المعهود وهو لا يدرى أين هو ذاهب فلما جاؤا به عند باب زويلة وقفوا له  
وأنزله عن الاكديش وارخوا حبالا قد نصبوها له على السبيل الذي هناك ووقفت حوله  
العساكر بالسيوف فلما رأى ما فعلوه قال أو أنتم قاتلي اليوم قالوا بلى فتبسم والتفت  
الى من حوله من جهود الناس وقال وهو ثابت الجنان راسخ القلب اقرؤا لي الفاتحة  
ياخواني ثلاثا واعفوا عما فرط مني فضج الناس وارتفعت أصواتهم بالبكاء والتعجب

مطلب  
قتل السلطان الملك  
الاشرف طومان باي



وعلت الضوضاء وارتفعت أصوات النساء من أعالي البيوت والتفت الأشرف الى الجبل وقال له تقدم وافعل ما شئت فقلت له والى الامر فتقدم الجبل ووضع الجبل في عنق الأشرف وجذبه فانقطع الجبل وسقط الأشرف فضج الناس وصاحوا وولولوا فرفعوه ثانيا فانقطع الجبل فاشتد صياح الناس وعلت أصواتهم بالبكاء ففارقته روحه فبكاه الناس بكاء مرًا وكان عند ذلك مكشوف الرأس وعليه ثياب من الجوخ الاحمر وفوقها ملوطة وفي رجليه سراويل من جوخ أزرق ثم تركوا جثته معلقة ثلاثة أيام حتى فسدت وانبتت فانزلوها وساروا بها الى مدرسة عمه السلطان الغورى فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في الخوش الذى خلف المدرسة رحمه الله برحمته الواسعة \* قال أهل التاريخ وقد كان شابا حسن الوجه لا يتجاوز الرابعة والاربعين من العمر بطلا مقداما حازما تولى النيابة فى الغيبة لما خرج عمه السلطان الغورى الى قتال السلطان سليم بحلب فاحسن التدبير وأمن السبيل ودفن المظالم وأبطل الاحداث والبدع وكان محبا للرعية شفوفا كثيرا البر والاحسان وقورا \* قال بعض كتاب الاخبار ولما جهز لقتال السلطان سليم حجب اليه بعض الامراء أن يجيب الاموال من الرزق والاقطاعات مجالا لنفقة الحرب فقال لا ولا أجعلها نقطة سوداء فى صحيفة أعمالى وكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما اذ كانت ولايته فى الرابع عشر من رمضان وهربه فى التاسع والعشرين من ذى الحجة وهى كلها حروب وكروب وخطوب \* روى أنه لما كثرت مظالم ممالك الغورى وزاد عبثهم بأمور الرعية وكثرت فسادهم فى الارض أبغضهم الناس جدا وخبوا الى الله يطلبون الخلاص واتفق أن رجلا من خيار الناس رأى جنديا من عسكر الغورى أخذ متاعا من دلال ولم يرضه فى قيمته فتمتعه الدلال يطالبه بحقه وهو تمتنع فقال الدلال بينى وبينك شرع الله فضربه الجندى بدبوس شج رأسه وسقط مغشيا عليه فرقع الرجل يديه الى السماء وقال الهى أنت أعلم بما تفعل هذه الفئة فاحكم فأنت خير الحاكمين ثم نام فى تلك الليلة وهو حزين مما رأى فرأى فى منامه أن ملائكة نزلت من السماء وبايديهم مكاس وهم يكنسون الشراكسة كنسا فاستيقظ مدهوشا واذا بقارئ يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين \* فعلم الرجل أن الله يأخذهم أخذنا وببلا فلم يمض الا القليل من الايام حتى قدم السلطان سليم وبدد شملهم وأباد سلطانهم ومزقهم أيدى سبا فزال موت الأشرف طومان باى دولة الشراكسة المعروفة فى عرف أصحاب التاريخ بالدولة الثانية فكانت مدة تصرفهم مائة سنة واحدى وعشرين سنة وجملة سلاطينهم اثنان وعشرون سلطانا أولهم برقوق وآخرهم الأشرف طومان باى

ولما دانت الامور للسلطان سليم بموت الأشرف أخذ يرتب أمور البلاد على ما يشاء فجعل ادارة البلاد ثلاث طبقات وجعل فى كل طبقة منها رئيسا وجميعهم طوع أمر وزير الديوان

الكبير ورتب هذا الديوان من الولى المنتدب من قبل السلطنة على البلاد ومن بكوات سبع وجافات عسكرية وخص الولى المذكور بتبليغ الاوامر السلطانية الى الديوان وحماية البلاد وتوصيل الخراج الى الخزينة السلطانية وفصل الخصومات بين ارباب الديوان وبعضهم وايقاف كل عند حده وخص ارباب الديوان بنقض اوامر الولى عند الحاجة وخلعه من المنصب عند الضرورة والتصديق على ما يصدر منه من المراسيم الديوانية المتعلقة بامور البلاد وقسم البلاد القبلية والبحرية الى اربع وعشرين مديرية وولى جماعة من الممالك عليها فكان عليهم جمع الخراج وجباية الاموال ورد العربان عند خروجهم عن الطاعة وقيد هؤلاء الحكام ولم يطلق لهم العمل الا بمشورة ارباب الديوان العالى ولقب احدثهم المقيم بالقاهرة بشيخ البلد \* ثم قسم الخراج الذى يتحصل فى كل سنة الى ثلاثة اقسام الاول لمرتبات الخدم من المشاة والفرسان والثانى لحاجات الحرمين والثالث للخزينة السلطانية واقام من المرابطين لحراسة البلاد عشرين ألفا من المشاة واثنى عشر ألفا من الفرسان وجعل مقدمهم خير الدين آغا الانكشارى ورسم له بلازمة قلعة الجبل وعدم البراح منها \* قال بعض كتاب الاخبار ولم يلتفت الى تحسين احوال الرعية ولا نظر فى رفع تلك المضار السائدة على أهل البلاد ولاخفف عنهم شيأ مما أتت به الحروب المتوالية والخطوب المترتبة فكان هذا كله أكبر الاسباب التى آلت بهذا النظام الى الزوال وبشوكة السلطنة العثمانية الى الضعف والذبول على نوالى الايام \* ثم انتقل بجيماه من الجزيرة الوسطى الى الروضة وابتنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على النيل والروضة والمقياس فكان يجلس فيه محتجبا الاعن بعض خواصه وكرار دولته ثم نزل من ذلك الكشك وسكن فى دار الاشرف طومان باى التى خلف حمام العراق المطبل على بركة الفيصل وكان سبب ذلك ان بعض الانكشارية تأمر وا على قتله فأحس بذلك ونزل من الروضة وسكن فى الدار المذكورة وأمر فقبضوا عليهم وكانوا كثيرين واعملوا فيهم القتل والتفريق والشنق على أبواب القاهرة بكاب زويلة وباب النصر وباب الفتوح حتى أقنأهم

وجاءت الاخبار الى السلطان سليم بتأهب ملك فارس لقتاله ورد ما أخذ من أملاكه فاهمه هذا الامر جدا وأخذ يتأهب للخروج من مصر الى الشام فعرض جميع الخزانة وحواصل الحكومة وأخرج ما فيها من سلاح ومتاع وكراع وغير ذلك ونقل جميع التحف والنفائس التى بالديوان الكبير بقلعة الجبل وكذلك التى كانت فى قاعة البيسارية والدهيشة وغيرهما وجمع جميع الكتب التى كانت فى خزائن المدارس على اختلافها وخاف أن يترك أمير المؤمنين المتوكل على الله فى منصب الخلافة فتطمع نفسه فى السلطنة فقبض عليه ليحمله معه الى القسطنطينية وقيل بل أمره بالشخص اليها فخرج يوم الثلاثاء عاشوراء جادى الاولى وخرج معه ابن عمه خليل وهما أبوبكر وأحمد وخرج معه أيضا الناصرى محمد العسلى على بن خاص بيك صهر الخليفة وكذلك الشرفى يونس ابن الاتابكى سودون

وقبل خروج الخليفة نزع السلطان سليم منه الخلافة قهرا ولبس شعارها في محفل حافل  
فخرجت في هذا اليوم الخلافة من بني العباس الى آل عثمان وزالت عنهم كما زال الملك  
من ديار مصر بزوال دولة الغوري فسبحان من بيده تصريف الامور وهو المعز المذل يؤتي  
الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء انه على كل شئ قدير

وتأهب السلطان للرحيل عن مصر فسير امامه الى القسطنطينية من اولاد الملوك والسلاطين  
الذين كانوا بديار مصر و كبار الامراء والقضاة ونواب القضاة والشهود والعدول والمباشرين  
والكتاب من القبطة وهم المعلم بانوب كاتب الخزينة السلطانية والمعلم يوحنا الصغير والمعلم أبو  
المكارم وغيرهم وكثير من الاعيان وكبار التجار وأرباب الصنائع من مثل المهندسين والبنائين  
والتجارين والحدادين والمرخين وصغار الفعلة فساروا بهم في يوم الجمعة سابع عشر رجب الفرد  
الى الاسكندرية ثم الى القسطنطينية وأنزلوا معهم شياً كثيراً من الرخام والعدما مما أنزلوه من  
قلعة الجبل والقاعات الكبرى وأخذوه من بيوت الامراء والاعيان من القاهرة ومصر القديمة  
وكانت شياً كثيراً جدا \* قال بعض كتاب الاخبار كان عدد من خرج من الامراء وأولاد  
الملوك والقضاة وغيرهم زهاء ألف وثمانمائة وقيل بل أكثر من ذلك جدا فكانت شدة  
عظيمة للغاية \* ولما كان يوم الخميس ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة خرج  
السلطان سليم يريد الرحيل الى القسطنطينية فسار من بيت الاشرف ومتر من الصليبية الى  
الرميلة وهو في موكب وجلالة وامامه العساكر والاجناد من المشاة والفرسان وطوائف  
الامراء وكبار الجند وعدة جنائب حربية والامير خير بيك نائب مصر وجان بردى الغزالي  
وكان السلطان راكبا على بغلة قميل انها كانت للسلطان الغوري كان يركبها في الاسفار  
وحوله جماعة الوزراء وبينهم يونس باشا والدفتردار فسار بموكبه على السور وهو بترتبة  
الاشرف قايتباي ووقف امام القبر لحظة لطيفة ثم متر من بين المقابر الى تربة العادل التي  
بالفضاء واستمر على ذلك حتى نزل بالمخيم الذي نصبوه له ببركة الحج ولم تعلم العامة بخروجه  
في ذلك اليوم فلم تقف للقاته والدعاء اليه كعادتهم في مثل هذه المواكب \* ثم سار من بركة  
الحج الى خانقاه السرياقوسية قال بعض كتاب الاخبار ولما وضع رحله بالركاب يريد  
المسير تقدم اليه خير بيك بمضايح البلد فردها عليه وقال له وليتدك اياها الى ان تموت بها  
فشاوره على أن أبناء الشرا كسة يريدون الدخول في خدمة الاجناد فأجابته الى ذلك فشاوره  
أيضا في ابقاء أوقاف الشرا كسة وهي نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأجابته بابقائها  
على ما كانت عليه فأستاء وزيره وقال فني مالنا وعسكرنا ونسلهمم بلادهم وندخلهمم في  
عسكرنا ونبقى أوقافهم يستعينون بها علينا \* قال فغضب السلطان وقال أين الجلاد فضرب  
عنق الوزير ووضع رحله الثانية في الركاب وسار \* قلت ويقال ان لقتل الوزير المذكور  
سببا آخر \* ولما نزل السلطان خانقاه لاطفوه وسألوه عن سبب قتل الوزير فقال عاهدناهم

مطلب

خروج السلطان سليم  
من مصر الى مقر سلطنته  
بالقسطنطينية

على انهم ان ملكونا بلادهم أبقيناها لهم وجعلناهم عليها فهل يجمل بنا ان نخون العهد  
واذا أدخلنا أبناءهم في جندنا فهم مسلمون أولاد مسلمين واما أرضهم فأصلها ملك الفاتحين  
ومنهم من أوقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز لنا أن ننازع الملاك في  
أملاكهم وانما أزلت الوزير كراهة ان يغير على اعتقادي بتكرار كلامه

وسار من الخانقاه يريد بلبليس فلما صار على مقربة منها أصابه مرض حال بينه وبين  
ركوب دابته فأرسل الى الامير خير بك يطلب منه ان يجبل بارسال محفة فأرسلها  
اليه فركبها وسار الى الشام لقتال ملك فارس فأقام هناك أشهرا وقد اشتدت به علته  
فسار الى القسطنطينية فكانت مدة اقامته بمصر ثمانية أشهر الاياما وكان من يوم  
قتاله للسلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى في مرج دابق الى قيامه من القاهرة سنة  
واحدة وشهر واحد وقد عمك في هذه المدة من الفرات الى مصر والعراقين وما حولهما قال  
بعض كتاب الاخبار وكان دخول السلطان سليم بجيوشه الى مصر من أكبر الضربات على  
البلاد وأهلها فقد هلك بسببه العدد العديد من الرجال والنساء والاطفال حتى الدواب  
وتحرب الكثير من المساكن والشوارع والحدارات وكسدت التجارة وتعطلت الصناعة حتى  
بطل منها خمسون صنعة من أعظم الصنائع وأشرفها وزالت منها الخلافة كازالت السلطنة  
وأصبحت ايلة تابعة لدار السلطنة العثمانية

ولما ارتحل السلطان بعسكره الى القسطنطينية اشتد به المرض وظهرت في ظهره قرحة  
عظيمة عجز الاطباء عن علاجها فكانت توضع الدجاجية في قرحة هذه فتذوب وشوهدت  
معاليق أكاده من خلف وما زال يشتد به المرض حتى مات سنة ست وعشرين وتسعمائة  
فكانت مدة سلطنته تسع سنين فتولى الملك بعده ولده السلطان سليمان

## ( الفصل الثانی )

### ( في سلطنة السلطان سليمان ابن السلطان سليم )

ثم قام بالامر بعده ولده السلطان سليمان بويج له بالملك يوم موت أبيه سنة ست  
وعشرين وتسعمائة هجرية أى سنة تسع عشرة وخسمائة وألف ميلادية وعمره يومئذ ست  
وعشرون سنة فكان عاشر ملوك آل عثمان وكان يوم مات أبوه مقبلا بأفليم سارخان فأخفى  
الوزراء خبر موت السلطان سليم حتى يحضر خوفا من قيام الانكشارية واضرام نار الفتنة  
فلما جاء الخبر بموت أبيه سار الى القسطنطينية فدخلها في سادس عشر شوال وكانت  
طوائف الانكشارية في انتظار قدومه فلما رأوه صاحوا بأصوات التهليل وطالبوه بالعطايا  
حسب العادة فطيب خواطرهم ووعدهم بالاحسان وفي غد ذلك اليوم أغدق عليهم من إنعامه

وطير الخبر بخلافته الى الاتقاق وراسل جميع العمال والولاة وأمراء مكة والمدينة في أمر  
الحكم بين الناس بالعدل فكان يستهل رسالته بآية \* لئنه من سليمان وانه بسم الله  
الرحمن الرحيم

مطلب

نظر السلطان الى ترتيب  
الدواوين والمجالس وتنظيم  
الاحكام الشرعية وتقرير  
قاعدة لذلك بديار مصر

وعلم السلطان سليمان بما كان من اخلاص خيربك في خدمة أبيه السلطان سليم فأعجبه  
ذلك ونظر الى مصر نظرة الراغب في فلاحها فأخذ في تقرير أمورها على أحسن القواعد  
ورتب فيها ديوانين يتظران في مصالح الرعية ويفصلان في الخصومات فكان إذا انعقد هذان  
الديوانان جلس الوالي خلف سمار المنبر ليسمع ما تدور عليه رعي الحديث بعد أن يرسم  
الكتخدا والدفتردار بذلك فإذا تمت مباحثات المجلس رفع الكتخدا والدفتردار ما استقر عليه  
الرأى الى الوالي فيرسم بتنفيذه بلا نقض ولا ابرام فيقضيه الكتخدا مع الدفتردار \* ويختص  
الديوان الكبير من هذين الديوانين برؤية أهم الامور التي لاعلاقة لها بدار السلطنة  
العثمانية فكان لذلك يتألف من أعوان الوجاقات الست والدفتردارين والرزناجيين  
والنواب في جميع وجاقات العساكر وأمير الحاج وقاضي القضاة والمشايخ والعلماء والاشراف  
وأصحاب الفتوى الأربعة والأئمة الاربعة \* وكان لا يجتمع الا في المهمات من الامور ولا  
يصح اجتماعه الا على طلب الوالي وكانت تأتي اليه المراسيم السلطانية على يد الوالي  
\* وأما الديوان الثاني فكان ينعقد كل يوم في بيت الوالي من الكتخدا والدفتردار والاغا  
وكبار وجاق المنفرقة ونائب من كل وجاق فينظر في الاعمال وما يحتاج اليه البلاد من الامور  
النافعة \* ورسم السلطان بأن يكون مقر الوالي بقلعة الجبل وان لا تزيد ولايته عن سنة  
واحدة ثم تعطى لغيره ممن يقع الاختيار عليه ورسم أيضا بابطال بعض المكوس والمغارم  
وأزال بعض العوائد والرسوم وهباً الحصون ومهد المسالك وزاد في نظام الجند فأنشأ وجاقاً  
سابعاً من بقي من المماليك الشراكسة ورتب لكل وجاق ديواناً يتظر في شؤنه ويتألف  
هذا الديوان من كبار الوجاق وافراد من ضباطه وكان لكل منهم لباس مخصوص وعلامة  
مخصوصة تدل على مرتبته ووظيفته وكان عدد جنود هذه الوجاقات كلها عشرين ألفاً  
وربما زادوا أو نقصوا وكان لوجاق الانكشارية الافضلية على سائر الوجاقات وكبيره مقدم  
على جميع كبارهم وله الكلمة النافذة عليهم في كل حال وهم يجالونه ولا يخالفون له أمراً

مطلب

تقرير الامير خيربك على  
عمالة مصر وما جرى له

ولما أتم نظام الامور على ما أراد أقر خيربك على عمالة البلاد واجاز له التصرف في  
الامور بما فيه المصلحة وان يعدل في الرعية ولا يحدث شيئاً من المغارم والمكوس فجعل  
خيربك يتصرف تصرف الملوك والسلاطين وبدت منه دلائل الجفاء والشدة \* قال بعض كتاب  
الاخبار ثم لم يلبث ان طغى وظلم وأخذ الناس بالشبهات وأساء الى طوائف الجند فأبغضوه  
وتربصوا به الشرف فلما أحس منهم بذلك أخذ في تدبير الخيلة وجمع اليه من بقي من طوائف  
المماليك الشراكسة وقربهم اليه وأدى كبارهم منه وأباح لهم ركوب الخيل وجعل السلاح  
وقد كان ذلك محرماً عليهم منذ دخول السلطان سليم القاهرة بعسكره ورسم فنادوا بذلك في

القاهرة ومصر القديمة وسوق السلاح وقلعة الجبل فشق هذا الامر على طوائف الجند وأحسوا بما وراء ذلك من الخيبة انهم ظلوا متقاعسين فقاموا قومة رجل واحد وسيروا طائفة منهم فوقفوا لخير بك في حوش الديوان وكلوه في ذلك وأغلظوا عليه في القول ومنعوه من الدخول الى بيته وسبوه وهم بعضهم بقتله فأقلت منهم وانزوى في بيته فعاتوا في قلعة الجبل وأزعجوا من فيها وتناولت أيديهم الى النهب وناروا على خير الدين نائب القلعة وهموا بقتله فأغلق دونهم الابواب واختفى منهم في ذلك اليوم فنزلوا الى المدينة وتفرقوا وهم حاقدون على خير بك ناقون عليه واشتدوا على الرعية فصاروا يشوشون على جميع الخلق بلا فرق ولا تمييز حتى على السوقة والباعة وكانوا يأخذون مافي البيوت من الابواب والشبابيك وخشب الاسقف للوقود وكان اذا احتاج أحدهم الى وقود للحريق ذهب الى أقرب البيوت لبيته وأخذ منه ما يحتاجه ليومه أو ليوميه وغده على مرأى من صاحب البيت حتى أخذوا جميع مافي الاماكن التي في زقاق الكحل والسطاحي والتي في الجسر وحكر الشامي والازبكية من الاخشاب وكانوا يبيعون ما فضل منهم بأبخس الاثمان \* قال بعض كتاب الاخبار فضج الناس وعجوا واجتمع أصحاب البيوت وتبعهم العامة وساروا الى بيت قاضي القضاة العثماني وشكوا اليه من فعال أولئك الجند وصاحوا واستغاثوا وقالوا ما يحل ذلك يا مولانا فشق الامر على القاضي وركب من ساعتها وسار الى بيت الامير قايتباي الدويدار وأخذ وسار الى خير بك بمقره وأعلمه بالخبر وأغلظ القاضي في القول وهدد خير بك ان لم ينشط الى العمل فجمع خير بك كبار الجند واختيارية الوجقات وكلهم في ذلك فطيبوا خاطره وهوتوا عليه الامر وطلبوا منه ان يمنع فتح الحوانيت ليلا فأمر فنادوا بذلك فكانت السوق تقفل الحوانيت قبل غروب الشمس

واتفق في هذه الاثناء ان جاء رسول من دار السلطنة في طلب بعض الامراء المصريين وعدد من العساكر الشاهانية يعني الانكشارية والاصهبانية نجدة ففرح خير بك بذلك ونادى في العسكر بالتأهب للرحيل فغضبوا وظنوها خدعة من خير بك وأبوا الرحيل وزادوا في الافساد والاضرار بخلق الله فكانوا كلما كثروا فيهم المنادة زادوا تمردا وطغيانا ثم خرج منهم جماعة الى الشرقية وآخرون الى الغربية فعاتوا وأفسدوا وأحرقوا الحرث والنسل وانضم منهم جماعة أيضا الى بعض العربان وقطعوا السبل على المارة واختفى منهم جماعة بالقاهرة ومصر القديمة فشدد خير بك في التفتيش عليهم وقبض على جماعة منهم وسجنهم في قلعة الجبل ورسم لرسول دار السلطنة بالتأهب للسفر معهم بلا ابطاء فلما كانت الليلة التي قبضوا في نهارها عليهم اجتمع جميع الذين كانوا في القلعة منهم بالحوش وكسروا باب القلعة ونزلوا منها ليلا الى مصر القديمة وركبوا بعض السفن التي وجدوها هناك وساروا الى الصعيد متفرقين تخشى خير بك شر العاقبة ورسم للامير قايتباي الدويدار بالخروج خلفهم بجنله ورجله وان يقتل كل من لقيه منهم في الطريق بغير معاودة فقام قايتباي ومعه

الامير جاتم الجزاوى والامير على العثماني وعبروا النيل الى البحيرة فلبشوا بها يومهم حتى تكامل خروج عسكرهم ثم ساروا الى ناحية الميمون بالقرب من جزيرة عدى فالتقوا هناك مع الانكشارية فقاتلوهم قتالا عنيفا وانتصر الامير قايتباى عليهم نصره عظيمة وحرق مرابهم وقتل منهم خلقا كثيرا بالمكاحل والبنادق وقبضوا على من بقى منهم وخرؤا رؤس كبارهم وأصحاب الكلمة فيهم وعادوا الى القاهرة ففرح خيربك بذلك ورسم لوالى القاهرة برفع تلك الرؤس على أبواب المدينة فلم يمكنه كبار الانكشارية من ذلك وكادت الفتنة تقوم بالقاهرة\* وخاف من بقى من الانكشارية والاصهبانية وانكشوا وأطاعوا وخرج منهم طائفة كبيرة مع رسول دار السلطنة الى الريدانية ثم رحلوا عنها بعد أيام الى الشام مع بعض الامراء المصريين الذين جاءهم الطلب فكانت هذه الواقعة أول فتن الانكشارية بعد أن تسلموا حراسة البلاد والذب عنها\* ولما ظهرت الفتنة على النحو المذكور ضعفت شوكة خيربك وكادت هيئته تزول وطمع العربان فى البلاد وخرج حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة فى طائفة كبيرة من قومه وانضم الى جماعة من عربان الشرقية وغيرهم وعانوا فى بلاد البحيرة وأفسدوا ونهبوا وقتلوا وسلبوا وقطعوا السبل على المارة وسار بهم ابن مرعى المذكور يريد القاهرة ووردت الاخبار بذلك الى خيربك فاضطرب ونزل من قلعة الجبل الى الميدان وعرض بجميع الممالك الشراكية والعساكر العثمانية واختار منهم جماعة وسيرهم مع الامير قايتباى الدويدار والامير خورشيد كبير العثمانيين وكانت الامور قد ضاقت جدا على أهالى الشرقية والغربية واتسع نطاق الفتنة واستفحل أمر الفساد وفعل أولئك الناس بالقرى ما لا يطاق من الجور وظهر عبد الدائم بن بقر واخوته وهو من زعماء عربان الشرقية فعماث أيضا وأفسد وخرّب بلادا كثيرة من الشرقية والغربية وعمت الفتنة البر والبحر فكبر خوف الامير خيربك وشدد على قايتباى الدويدار وخورشيد بالقيام الى البحيرة أولا وقطع شأفة ابن مرعى وأصحابه فخنوا السير فلما أحس ابن مرعى بقدمهم وعلم أن لا قبل له على قتالهم أرسل أخاه شكرا الى الامير خيربك يطلب له الامان فكتب اليه خيربك يؤمنه وبعث اليه صورة عيين ليخلفه على يدى القاضى نحر الدين بن عوض وأرسل اليه كذلك قفطان حرير مخمل وخلع على أخيه شكر خلعة أخرى وكتب الى الامير قايتباى أن يتربص بعساكره فتربصوا فى المكان الذى أدر كههم فيه الخبر وجاء حسن بن مرعى بحجة القاضى نحر الدين بن عوض وصعد الى قاعة الجبل فأكرم خيربك لقاءه وخلع عليه خلعة سنية ثم أنزله فى موكب حافل وعادت الامور فى البحيرة والغربية الى سابق مجراها واطمأنت قلوب الرعية وتحول قايتباى عن معه من العساكر نحو الشرقية فلما علم بقدمه عبد الدائم بن بقر زعيم العصاة بها أرسل الى خيربك يطلب الامان فأجابته الى ذلك وأرسل يستقدمه فحضر الى القاهرة ومعه جماعة من العربان وحضر معه أبوه أحمد بن بقر فلما مثل بين يدى خيربك أكرم لقاءه ولقاء أبيه وهم أن يخلع عليهما ويقرر عبد الدائم المذكور على شياخة عربان

الشرقية فقال أبوه ان أنت فعلت ذلك أيها الامير جلبت على أهل الشرقية وبالا ومكنت ولدى هذا من رقاب الابرياء وزدت نار الفتنة اضراما فمجب خير بك بكلامه وأمرني الحال فقبضوا على عبد الدائم وكبلوه بالحديد وقبضوا على جميع من جاؤا معه من أصحابه وسلموهم الى خير الدين بك نائب القلعة ففرح الناس بذلك فرحا لا يوصف لاسيما أهل الشرقية والغربية واطمأنت قلوب الخلق وزالت عنهم المخاوف ثم بعد أيام قلائل أخرجوا من أولئك العربان عدة أشخاص وأما توهم شنقا بعضهم على قنطرة الحاجب وبعضهم على رأس الحسينية وبعضهم عند باب النصر وقتلوا آخرين بغير ذلك أيضا \* وأما حسن بن مرعي شيخ عربان الغربية فانه بعد ان خلع عليه خلعة الرضا وأعادته الى الغربية معززا لم يلبث بها الا قليلا حتى دس خير بك الى اينال السيفي طراباى كاشف الغربية بأن يقتله مع أخيه شكر فأخذ اينال المذكور يكتب ابن مرعي ويتودد اليه ويظهر له غاية الاخلاص والمودة حتى أمن جانبه ومال اليه ثم أدب له مأدبة عظيمة في بلدة قريبة من دمشق ودعاها اليها مع أخيه شكر فأجابا دعوته وأتيا اليه فأحسن لقاءهما وبالغ في الترحيب بهما حتى حضر الطعام فأكلوا جميعا ثم انتقلوا الى مجلس الشراب فشربوا فبينما هم كذلك اذ خرج على حسن وأخيه جماعة من المماليك الشراكسة من مكان كانوا محتفين به وعاجلوهما بضرب السيوف واحتزوا رأسيهما فأرسل بهما اينال الكاشف الى خير بك ففرح ورسم لوالى القاهرة برفعهما على باب النصر فرفعهما وتراحم الناس لمشاهدتهما \* قال بعض كتاب الاخبار وحسن ابن مرعي هذا هو الذى غدر بالسلطان الملك الاشرف طومان باى وقبض عليه وسلمه الى السلطان سليم واتفق انه لما سار حسن المذكور الى مأدبة الكاشف اينال السيفي كان راكبا على فرس السلطان الملك الاشرف التى كان أخذها يوم سله الى جند السلطان سليم بعد أن أقسم انه لا يخونه ولا يدس عليه فلما احتز المماليك رأسه ورأس أخيه شكر ربطوهما فى عنق ذلك الفرس ودخلوا بهما القاهرة على هذه الصورة فعند ذلك من النوادر الجيية فى بابها

وفرح خير بك بموت ابن مرعي وعده من أكبر أسباب الظفر وبث العميون والارصاد حول جماعة العربان فى البحيرة والغربية والشرقية وشدد فى ذلك فانسكشوا وخافوا وتمكن كاشف المنوقية من قتل شيخ العرب على الاسمر بن أبى الشوارب فاختمى من بقى من بكر العربان وأصحاب الكلمة فيهم وسلكت بعض الطرق التى قطعها العربان واطمأنت قلوب الناس ولكن لم تطل هذه الايام حتى عاد عربان السوالم الى الخروج بالشرقية وكاد يستفحل أمرهم وعاد الناس الى التخوف فاعمل اياس كاشف الشرقية الحيلة للقبض على مشايخهم وما زال يتقرب منهم ويتودد اليهم حتى استدعاهم الى مأدبة لتأديها لهم فركنوا اليه واطمأنت من قبله قلوبهم وأتوا اليه فأكرم لقاءهم وأحسن وقادتهم ولم يقبضوا معه يومهم حتى قبض عليهم وقتلهم وسلخ جلودهم وحشاها بالتبن وأرسل يعلم الامير خير بك بالخبر



فسير اليه خير بك طائفة من الانكشارية والاصهبانية والجزا كسة فأحاطوا بمنازل عربان  
السوالم وقتلوا من وجدوه بها من الشيوخ والنساء والاطفال وغنموا ما فيها من الخيل والابل  
والاغنام والاماء والعييد والمبوس والمفروش وقبضوا على الشيخ نجم شيخ عربان العائد  
لاتهامه بامداد عرب السوالم وأتوا برؤس من قتلوا مع جلود المشايخ الى القاهرة فتفرق من  
بقي وطلع جماعة الى الجبال \* ونزل جماعة الى الصاحية فأحرقوها وأحرقوا ما جاورها من  
القرى والكفور وقتلوا ونهبوا أخذوا بالثار واشتدت الفتنة وعمت جميع انحاء الشرقية فولى  
خير بك اخا نجم شيخ عربان العائد شيخا بدل أخيه نجم وجهاز لقتال السوالم طائفة من  
الانكشارية والاصهبانية وأخرى من المماليك الشرا كسة وطائفة من الرماة بالبندق وبعض  
المكاحل وكان لما قبضوا على نجم شيخ عربان العائد قام أيضا اصحابه وعائوا في بلاد  
الشرقية وقطعوا الطرق على أبناء السبيل وانحدروا حتى أتوا على رأس المطرية فكافوا  
يقبضون على المارة ويسلبون ما يجردونه معهم فلما وصلت العساكر الى الشرقية هرب من  
بقي من السوالم وأطاع من بكرهم من لم يهرب وسلبوا بأنفسهم الى اياك كاشف الشرقية  
فتزل بهم الى القاهرة ودخل بهم على الامير خير بك فأكرم لقاءهم وخلع عليهم خلع الرضا  
وأقرهم على المشيخة بشرط الطاعة وحسن الولاة والاخلاص في خدمة الدولة فأطاعوا

مطلب

خروج الغزالي والى الشام  
عن طاعة السلطان وعزمه  
على الزحف على مصر  
وضمها الى الشام

ورسم خير بك بشتق شيخ العرب أبو الشوارب فشتق ومعه آخرون من بكر العربان ثم  
عاد فعفا عن نجم شيخ العائد وأفرج عنه وولاه المشيخة ثانية وأطلق آخرين من بكر  
السوالم وكان الحامل له على ذلك ما ورد اليه من الاخبار بخروج جان بردى الغزالي والى  
الشام عن طاعة السلطان واستقلاله بملك الشام واتخاذ لنفسه شعار السلطنة وانه  
قد خضع له جميع الولاة والعمال وقبلوا الارض بين يديه وزينت له جميع المدن والبلدان  
أياما ثلاثة فلقب نفسه بالملك الاشرف أبي القموح وكتب الى جميع الولاة يستحثهم على  
تجنيد الجند واعداد آلات الحرب لقتال خير بك بمصر وأخذ البلاد منه وضما الى الشام  
كما كانت على عهد من سلف من الملوك والسلاطين \* وكان الحامل له على قتال خير بك انه  
لما هم بالخروج وشق عصا طاعة السلطان راسل خير بك في ذلك وحبب اليه الخروج وألح  
عليه في الطلب وهون عليه الامر فقدمه خير بك وسير كتب الغزالي الى السلطان وعلم  
الغزالي بخبر ذلك فأكبره وأعظمه جدا وتجرد لقتال خير بك فخاف خير بك من هذه الاخبار  
وخشى سوء العاقبة فأطلق لذلك من أطلقهم من مشايخ وبكر العربان الذين كانوا في السجون  
وعاهدتهم وأمدتهم بالاسلحة والاكراع ورسم لهم بقتال جان بردى الغزالي في طريقه قبل  
أن يصل الى الديار المصرية فخرج منهم جماعة وساروا الى الشام لمنع الغزالي ولومه وكان  
الغزالي قد جمع اليه جموعا كثيرة من الاكراد وعربان جبل حوران وناپلس وعربان بني عطا  
وبني عطية وغيرهم من طوائف العربان وخرج من دمشق في جيش عظيم للغاية وجموع  
كثيرة جدا يريد الديار المصرية فاهتم الامير خير بك لذلك وعرض العساكر والاجناد وجمع

طوائف الانكشارية والاصهبانية والكليسة المماليك الشراكسة وغيرهم ممن شاء الدخول في خدمة الدولة وجماعة كثيرة من المغاربة والروم أصحاب الحرف والصنائع وأكثر من جمع السلاح وانشاء المركبات والمجلات لبحر الكاحل وفنادى في هذه الجوع والاجساد بالتأهب والاستعداد

وبينما كان خيربك يجند الجنود ويكثر من جمع السلاح كانت رسل الغزالي تأتي الى مصر بالرسائل الى بعض الامراء من الروم وبعض التجار والخواسيس تنقل من أخبار خيربك الى الغزالي كل ما وصلوا الى معرفته فأحس خيربك بذلك وشدد ومنع من دخول الاغراب الى القاهرة الا بعد البحث والتنقيب عن أحوالهم وقبض على بعض الروم من تجار خان الخليلي وأمر بقتلهم فقتلوا تحت قلعة الجبل بتهمة نقل الاخبار وكان من أمره أنه اذا نقل اليه أن أحد الناس مهما كانت درجته ذكر الغزالي في مجلس أو تكلم عن زحفه على ديار مصر أو عن استقلاله بملك الشام أمر بصلبه على أحد أبواب القاهرة ثم أمر بالقاء جثته للكلاب فتمشها خفاف الناس جدا وانكشوا وقل نحو وجههم الى الاسواق وجلسهم على الحوانيت وجاءت الاخبار بوصول طلائع لوم الغزالي الى اقطيا فجرّد خيربك لقتالهم طائفة من الاصهبانية وأخرى من الكليسة فساروا من الريدانية الى بليس ومنها الى الصالحية فافسدوا في طريقهم وعانوا ونهبوا الكثير من الضياع وعلى الخصوص ما كان منها حول بليس والصالحية وأخذوا ما فيها من الشعير والسمن والطيور وأذاقوا أهل البلاد مرارة الجور وانقطع الوارد من الديار الشامية وسدت المسالك في وجوه أصحاب التجارة فانكفوا وانقطعت العلائق مع أهل الشام وكتب خيربك بتحرير الخبر الى دار السلطنة فاهتم السلطان بأمر الغزالي وجند لقتاله الجنود وسيرها على قدم السرعة ومقدمها الوزير فرحات باشا فلاقته العساكر السلطانية عند حلب الشهباء وكان الغزالي محاصرا لها فقاتلته قتالا عنيفا أياما كثيرة ثم انتصرت عليه ومزقت شمل جنوده ففر وسار يريد الشام وقد كسر جسر الرستين فبعثته العساكر السلطانية وقاتلته خارج دمشق قتالا شديدا أياما مات فيه خلق كثير قيل عشرة آلاف وقيل أكثر من ذلك وضيق عليه العساكر السلطانية وسدوا عليه المسالك حتى قبضوا عليه وقتلوه ذبحا كذبح الشاة وأخذوا رأسه مع رؤس كثير من كبار قومه وأرسلوها الى دار السلطنة قال بعض الكتاب وكان الغزالي هذا من ممالك الاشرف قايتباي اشتراه وأعتقه وأخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة المماليك السلطانية ثم استخدمه الامير تغرى بردى الاستادار شادا على ضيعة له بالشرقية يقال لها منية غزال فنسب اليها وقيل له جان بردى الغزالي مضافا لاسم تلك الضيعة ثم ان الاشرف قايتباي قرره جدارا وجعله في كنف الشرقية ثم صار أمير عشرة في آخر دولة الناصر محمد بن قايتباي ثم تولى محتسبا للقاهرة في دولة السلطان الغوري ثم ولاه في مجبسية الحجاب بمدينة حلب فخرج اليها من يومه ثم نقله السلطان الملك الغوري الى نيابة صفد وذلك سنة سبع عشرة وتسعمائة ثم الى

### مطلب

قتل الغزالي وارسل رأسه الى دار السلطنة

نيابة حجة فلبث بها حتى كان ما كان بين الغورى والسلطان سليم فانضم الغزالي بعسكره الى جيوش السلطان سليم فولاه السلطان سليم الشام وجعل له التحتث على الشام وحجة وحصن وصيدا وبيروت وبيت المقدس ورملة والكرك وغير ذلك من الاعمال الشامية فلما استقر به هذا المنصب تاقت نفسه الى الاستقلال بملك الشام فصار يجند الجنود ويكثر من المعدات وآلات الحرب وضم اليه الكثير من عربان حوران وناپلس والكرك وغيرهم واستمال كثيرا من المماليك الجرا كسة عن كاثواني خدمة الدولة في مصر فساروا اليه ولحقوا بعسكره ولحق به أيضا كثير من الاكراد والتركان ومازال حتى بلغت جنوده اثني عشر ألف مقاتل و بينهم كثير من الرماة بالبنادق فزحف بهم يريد فتح المدن والامصار وألبس نفسه شعار السلطنة وتلقب بالملك الاشرف ابي الفتوح وضرب السكة باسمه وخطب له على المنابر في دمشق وغيرها من المدن قيل خطب له بدمشق بجمعتين \* وكان طائفا عديم الرأي غير بصير بعواقب الامور كثير الاخذ بالشبهات كبير البطش وكانت مدة ولايته على نيابة الشام ثلاث سنين وسبعة أشهر الا أياما ولقد صدق من قال

والنفس لا تنتهى عن نيل مرتبة \* حتى تروم الذى من دونه العطب

ولما جاءت الاخبار بزوال ملك الغزالي وسقوطه في قبضة العساكر السلطانية وقتله فرح الامير خير بك فرحا عظيما اذ لم يكن عنده من الجنود ومعدات القتال ما يقوى معه على مبارزة جوع الغزالي وجيوشه المنظمة لاسيما وقد كانت الفتنة ضاربة بين بكار جنيد خير بك ورؤساء عسكره وكان كلما أخرج طائفة وسير بها لقتال الخوارج عانت في البسلاذ وأهلكت الحرث والنسل وفعلت ما لا تفعله جنود العدو اذا احتلت البلاد عنوة وكان يخاف جدا من طوائف المماليك الشرا كسه حيث تحقق له أن بعض بكارهم مالوا عنه وانضموا الى دعوة الغزالي وانهم يراقبون القرص ويتأهبون للخروج عند أول سبب \* وعادت المواصلات التجارية ما بين مصر والشام بعد موت الغزالي وجاءت قوافل التجارة باصناف البضائع على اختلافها وزالت وحشة الناس وسكنت خواطرهم بعد الخوف وزاد اطمئنانهم بوصول الاخبار من دار السلطنة بان السلطان سليمان أجاز لمن كان أحضرهم أبوه من الامراء المصريين والقضاة ونواب القضاة والشهود والعدول والمعتبرين والتجار وأرباب الحرف والصنائع من المصريين يوم خروجه من مصر بعد فتحها أن يعودوا الى اوطانهم فلم تكن الا أيام بعد ذلك حتى حضر منهم من لم تخترمه المنية قال بعض كتاب الاخبار وقد ذاقوا النذل ألوانا وأصبح الاعيان والمباشرون منهم لا يملكون شروى نقيير حيث نفذت أموالهم \* وجاءت أيضا خاتون سلطنة عمه السلطان سليمان ومعها ولدها الامير مصطفى تريد الحج الى بيت الله الحرام وكان حضورها في كيكبية زائدة وخدم وحشم وكثير من الخصيان فقبولت بغاية الاحتفاء والاحتفال وسار الامير خير بك وجميع الامراء وبيار المماليك في ركابها حتى نزلت في بيت مطل على بركة

الفيل وربت لها وخدمها الماء والمشرب ووقف على بابها بعض الحجاب وزارها نساء  
الامراء وقدمن لها التحف والهدايا النفيسة فلما خرج المحمل خرجت مرافقة له في هودج  
وامامه الخدم والحشم وبالغ أمير الحاج في تنظيم الركب وسير امامه المركبات وعليها المكاحل  
والمدافع النحاس وأنفقت السلطنة في الحرمين أموالا عظيمة وشيا كثيرا من الاقشة والغلال  
وتصدقت على الفقراء ونزلاء التكايا وكثر في هذا الحين افساد الانكشارية والاصهبانية  
بأسباب عدم صرف جماكيهم وتأخير مرتباتهم فنزعوا الى الثورة وتعرضوا لخيربك في طريقه  
وتحت القلعة وخطبوه ببذى القول وخش الكلام وأقسموا أنهم ينهبون المدينة إن هو أصر  
على ايقاف صرف جماكيهم ومرتباتهم ووقف جماعة منهم على أبواب الامراء يهددونهم  
ان لم يكلموا خيربك في ذلك فكلموه وحذروه شر العاقبة فصرف لهم بعض المال على قدر  
الحاجة واعتذر بقله ذات اليد وعجز المباشرين عن جباية الاموال وتعذر البيع والشراء  
وكساد الحال وبوار الكثير من المزارع وتشرد أصحابها بسبب فعال العساكر وعبثهم بالبلاد  
تم شدد على المباشرين وطالبهم بالمال فانبثوا في البلاد وطلبوا قسط الخراج معجلا قبل وفاء  
النيل وزرع الاراضي وضيقوا على أهل البلاد وبالغوا في التشديد وقد كان متحصل  
خراج مصر في هذه الدولة أى دولة السلطان سليمان على ما قاله بعض الكتاب ألف ألف  
دينار وثلاثمائة ألف دينار ذهباً ومن الغلال ستمائة ألف اردب منها ثلثمائة ألف قححا  
وثلاثمائة ألف شعيرا وفولا وغير ذلك في كل سنة ﴿قلت﴾ وكان خراج مصر على عهد  
المقوقس عظيم القبطه على مارواه تقي الدين في خططه مائة ألف دينار وثمانين ألف  
ألف دينار وكانت مساحة أرضها على عهد الفراعنة مائة ألف ألف فدان وثمانين ألف  
ألف فدان تزرع غير البور وبلغ خراج مصر على عهد عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي  
السرْح في صدر الاسلام اثني عشر ألف ألف دينار وفي أيام أحمد بن طولون أربعة آلاف  
ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار غير ما يتحصل من المكوس والغلال \* وجي خراجها  
في الدولة الاخشيديه فكان اثني عشر ألف ألف دينار ووجي خراجها في أيام الملك الظاهر بيبرس  
البنْدَقْدَارِي فكان اثني عشر ألف ألف دينار ﴿قلت﴾ وهو اليوم عشرة آلاف ألف ألف  
وجسمائة ألف وربع مئاة ذهباً أى جنيتها \* وكانت جوامك ومرتبات العساكر في ذلك الحين  
درجات بعضها فوق بعض فكانت جكية الاصهبانية منهم ستين دينارا وخسين وأربعين وثلاثين  
وعشرين في كل شهر والانكشارية ما بين خمسة عشر واثني عشر دينارا في كل شهر والصوباشية  
ثلاثين دينارا في كل شهر والبيكالية ما بين اثني عشر وعشرة دنانير في كل شهر والمساميك  
الشراسة سبعة دنانير في كل شهر هذا عدا مرتبات الامراء وبيكار الخند وعظمائهم وكانت  
هذه الجوامك والمرتبات لاتصرف الا من خراج الشرقية والغربية والبحيرة والاقاليم القبلية  
فقط دون الاموال الخارجة من الثغور كغفر الاسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس وعبدة

مطلب

كم كان خراج مصر في  
دولة السلطان سليمان وما  
بعده إلى هذا الحين

وغيرها فانها كانت تحمل الى خزائن السلطان مباشرة فلا يأخذ الوالى منها شيئا حتى ولا للجهاد والغزو وكانت أيضا بعض المغارم والمكوس تحمل كذلك الى خزينة السلطان فلا يأخذ الوالى منها شيئا وسرى ذلك الى ما كان مقررا على الرزق والاقطاعات والارزاق الاحباسية والاقواق وترك الاموات من طوائف الترك والمماليك الشراكسة ثم تعدى ذلك أيضا الى ما كان مقررا لنواب القضاة والشهود على عقود الانكحة فقيدوا به قاضيا مخصوصا اسمه القسام فضرب على عقد البكر ستين نصفًا والثيب ثلاثين نصفًا كانت تحمل الى الخزينة السلطانية

ولما كانت سنة ثمان وعشرين وتسمائة رسم السلطان سليمان بإبطال قضاة المذاهب الاربعة من التصرف في القضاء بديار مصر وتسلم جميع الاحكام الشرعية لقاض واحد من قضاة الروم وان تبطل وظائف سائر النواب والشهود وأن لا يسبق سوى اربعة من النواب لكل مذهب نائب لا غير ولكل نائب منهم اثنان من الشهود لا غير وانهم يكونون جميعا بالمدرسة الصالحية فلا يصح بعد ذلك لاحد أن يوقف وقفًا أو يعقد عقداً أو يكتب وصية أو عتقا أو اجارة أو حجة أو غير ذلك من الامور الشرعية حتى تعرض على قاضى العسكر المذكور ونودى في القاهرة ومصر القديمة بذلك فاضطربت أحوال الناس كافة وانكش جميع القضاة والنواب والشهود وصاروا يتوقعون حضور قاضى العسكر المذكور في كل يوم فلما كان يوم الاثنين عاشر رجب من السنة أى سنة ثمان وعشرين وتسمائة قدم الى القاهرة القاضى المذكور واسمه سيدى جلبى فاوكبوا له موكبا حافلا وساروا به حتى أنزلوه في بيت الامير جاجم مصيفة الكائن خلف المدرسة الغورية فلما استقر به المقام قدم عليه قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة المالكي محبى الدين الدميرى وقاضى القضاة شهاب الدين التتوحى الحنبلى وكان قاضى قضاة الحنفى مريضا في هذا الحين فلم يحضر قال بعض كتاب الاخبار فلما دخلوا عليه لم يجلبهم ولم يقيم لقدمهم وكان شيخا مسنا أبيض اللحية طويل القامة على عينه سحابة فصيح اللسان يحسن العربية جيدا فكلهم ساعة ثم انصرفوا فلما كان اليوم الثانى نزل الامير خير بك من قلعة الجبل الى الميدان وجلس بالمصطبة وجلس معه الامراء العثمانيون والامير قايتباى الداودار ثم حضر القاضى المشار اليه وبين يديه المرسوم السلطانى فقرئ المرسوم بحضرة من ذكروا وهو يتضمن تسليم زمام جميع الاحكام الشرعية فى المذاهب الاربعة اليه وأن يكون القائم على جميع الامور الشرعية على اختلافها ثم كان منه بعد ذلك ان رتب جميع الامور التى تتعلق بالاحكام والقضاة فاقام قاضيا للحنفية من الروم يحكم بالنيابة عنه وجعل مقره بالمدرسة الصالحية واقام آخر للحكم على مذهب الامام الشافعى بالنيابة عنه واقام لكل قاض من الروم نائبا من قضاة مصر فجعل القاضى شهاب الدين بن شيرين الحنفى نائبا عن القاضى صلاح الدين العثمانى وجعل القاضى شمس الدين محمد الحلبي الشافعى نائبا عن القاضى فتح الله العثمانى وجعل القاضى أبا الفتح الوفاى أحد نواب المالكية يحكم بين الناس على قاعدة مذهبه

مطلب

إبطال السلطان سليمان

لقضاة المذاهب الاربعة

والمرجع في جميع الاحكام الى قاضي العسكر المشار اليه ثم رسم بأن لا يبقى مع كل نائب من هؤلاء الاربعة سوى شاهدين اثنين وأبطل سائر النواب والشهود ورسم للرسول والوكلاء الذين بالمدرسة الصالحية بأنهم اذا وقفوا امامه يأخذون بأيديهم العصى فاجتمع منهم بالمدرسة زهاء الستين ثم أقام أيضا شخصا من الروم للتحدث على التركات سماه (القسام) فضرب على كل تركة الخمس لبيت المال مع وجود الورثة من الذكور والاناث وشدد في طلب ذلك ونودي في القاهرة ومصر القديمة بذلك وبأن لا يعقد أحد من الشهود قاطبة عقدا ولا يكتب وصية ولا اجارة ولا مبايعة ولا شيئا من الامور الشرعية الا في المدرسة الصالحية وشدد في السير على مقتضى الشريعة والعمل بموجب السنة وعامل الغني والفقير والجليل والحقير على السواء فهابه الناس كافة وخافه الامراء والكبراء حتى اذا كان لاحد من العامة في ذمة أحدهم شيء بادر الى ارضائه وتلطف في معاملته خوفا من الشكوى\* ورسم فنادوا في القاهرة ومصر القديمة بأن لا يخرج امرأة الى الاسواق الا العجائز ممنهن ومن خالفت تضرب وتربط من شعرها بذنب الكدش ويطاف بهافي القاهرة ومصر تخاف النساء خوفا عظيما وانكسرن ولم يخرجن\* واتفق انه سعد الى قلعة الجبل يوما فوجد بعض النسوة يتحدثن مع جماعة من العسكر الاصبهانية في وسط السوق فعز عليه هذا الامر وكلم الامير خير بك في ذلك فرسم الامير خير بك بأن لا يخرج امرأة من بيتها ولا تترك على حمار مكارى وكل مكارى أركب امرأة شئتق من يومه تخاف المكارية وبارت حرفتهم فباعوا حديدهم قاطبة واشتروا بدلها أكاديش وشدوها فصارت النساء يركبن عليها وتحتمن الطنافس والمكارى يقود لحام الاكديش كما يفعل المكارية بالقسطنطينية\* ورسم القاضي أيضا بسخ أطيان الاقاليم القبلية وترتيب سائر الرزق الاحباسية على قاعدة نظمها هو لذلك وقيد بهذا العمل القاضي نخر الدين ابن عوض فسار الى الصعيد ومعه جماعات المساحين والقياسين وطوائف الكتاب والمباشرين فجعل يدخل كل ما يجده من أطيان الرزق الاحباسية في المساحة العمومية وجبس غلاتها ومنع أصحابها من أخذ شيء منها فاضطربت أحوال أصحابها ووقفوا الى الامير خير بك في طريقه يشكون له مما يفعله القاضي نخر الدين بن عوض وأبرز اليه بعضهم مكاتبتهم بتلك الرزق وبعضهم أبرزهم بعاتهم فأخذها منهم وصرفهم خائبين ورسم بادخال رزقهم في أطيان الذخيرة قال بعض أهل التاريخ ولم يكن ليتعرض لهذه الرزق قط أحد من سلاطين مصر ولا أخرج منها شيئا عن أصحابها منذ أنشأها الامام الليث بن سعد فانه هو الذي دون الاحباس وأنشأ لها في أيامه ديوانا يختص بها دون ديوان الجيش واستمر ذلك باقيا بعد الامام الليث حتى قام القاضي نخر الدين بن عوض المذكور فنقضه وهو على جهات البر والاحسان قلت ومن هذا الحين زالت ولاية الاحكام الشرعية أيضا عن قضاة مصر الاربعة كزوال الخلافة والسلطنة عنها وآلت الى قضاة الروم يتناوبها الواحد بعد الواحد فيمولي ويعزل من القضاة والنواب والشهود من يشاء وقد تبدلت هيئتها وزالت رسومها القديمة ونجرت

مطلب  
ما تقر من الرسوم على  
التركات لبيت المال وما  
أحدث من الاحداث

من طور الى آخر وضاقت حدودها الاعلى من اجازهم قاضى العسكر المشار اليه بتولى الاحكام وبطل من هذا الحين أيضا جلوس الشهود على الخوانيت للفصل في الخصومات لاسيما ما كان منها بين المتزوجين وزوجاتهم ومن كان منهم له حانوت لذلك أغلقه وزالت عن أولئك القضاة والشهود والنواب بهجتهم ورونق وظيفتهم وصارت المدرسة الصالحية دار الشريعة ومقر المتحدثين عليها دون بقية الجهات ولبث القاضى المشار اليه على هذا الحال من الشدة وعدم التهاون حتى بصغائر الامور مدة والناس في قلق واضطراب عظيمين يضجون ويهجون الى الله تعالى بزوال منصبه وازهاب سلطته \* فلما كان السادس والعشرون من شعبان خرج القاضى المشار اليه يريد الحج من طريق القلزم فركب وركب معه الى تربة العادل مودعا الامير خير بك وبقية الامراء من العثمانيين والشراكسة و كبار الجند وقدموا له بعض التقدام والهدايا النفيسة فسار الى مدينة بليس ثم الى السويس ومنها الى مدينة جدة ففرح الناس بمخروجه وكانت النساء أشد فرحا وأكبر سرورا فغنت بعض المغنيات منهن بهذه الكلمات

مطلب  
خروج قاضى القضاة الى  
الحج

قوموا بنا نقب ونسكر \* قد خرج عنا قاضى العسكر

فكانت عند العامة من أطرب المغاني وأحسنها توقيعا وأكثرها استعادة واستحسانا وأعمها تداول على ألسنة الكبار والصغار \* وممرض الامير خير بك في هذه الاثناء مريضا شديدا فانقطع عن الخروج ولازم الفراش أياما واشتد به المرض شدة بالغة فأعق جميع جواريه وعبيده ومماليكه وأمر بأن يتصدق من ماله على العلماء والفقهاء وأولاد المكاتب وأصحاب المزارات والمنقطعين من ذوى البيوتات ففروا شيئا كثيرا من المال ومن القمح نحو عشرة آلاف إردب وأكثر نسائه وجواريه من التصدق والاحسان لعلى الله تعالى يشفيه وأمر بأن يخرجوا مراسيم للقاضى فخر الدين بن عوض بالانصراف عن الرزق الاحباسية لاصحابها ويردها اليهم وقد كان ماضط منها وأدخل الى الديوان السلطاني ألف رزقة وثمانمائة رزقة فأفرج عنها لاصحابها وأعاد لهم أيضا مكاتب الرزق الجيشية التى كان أخرجها عنهم يوسف بن الجاكية ثم رسم باطلاق المحاييس من الرجال والنساء وكانوا كثيرين فلم يغن عنه هذا شيئا واشتدت به علته فاستقدم اليه الامير سنان بك العثماني ودفع اليه الخاتم الذى سلمه اليه السلطان سليم يوم ولاء عمالة الديار المصرية وأعلمه بأن في خزائنه من المال ستمائة ألف دينار ذهبها عينا خلاف ما هو فى بيت المال \* فلما كان يوم الاحد رابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة مات خير بك المذكور فاجتمع جميع الامراء وبينهم الامير سنان بك وتولوا غسله ودفنوه فى موكب حافل للغاية واستقر الامير سنان بالقلعة يريد التصرف فى الامور حتى يأتيه مرسوم السلطان فعارضه فى ذلك خير الدين نائب القلعة ومنعه من التصرف حتى يأتي مرسوم السلطان فأبرز الامير سنان مرسوما

مطلب  
موت الامير خير بك

سلطانيا يتضمن جواز تصرفه اذا مات خيربك حتى يأتي الفرمان بما يستقر عليه الرأي وقيل كان الخلاف على التصرف بين الامير سنان المذكور وبين الامير خضر أحد كبار أمراء العثمانيين فلما أبرز الامير سنان المرسوم السلطاني لم يبق بينهما من موجب للخلاف واستقر الامير سنان بالقلعة وأخذ من يومه يتصرف فعرض ما في بيت المال من الاموال فوجد خيربك بينها ستمائة ألف دينار ذهباً عينا وكثيراً من الذخائر والتحف والنفائس والاقشة البعيدة النوال مما لا يكاد يدخل تحت الحصر

وكان الامير خيربك هذا من مماليك الاشرف قايتباي وهو شركسي الجنس أباطيا وكان اسم أبيه ملباي الشركسي ولهذا كان يدعى خيربك ملباي الى الاشرف قايتباي وكان له أخوان أحدهما اسمه خضر ولم يعيش طويلاً ومات والثاني اسمه جان بلاط وكان مقدم ألف وله شهرة مات في دولة الملك الناصر محمد بن قايتباي وكان موته بالطاعون وأقام خيربك المذكور بالطباق وصار في عداد مماليك الطباق السلطانية فأخرج له السلطان خيلاً وقاشاً وأدخله في عداد الجدارية ثم الخاصة وصار داودار سكن ثم صار في سنة إحدى وتسعمائة أمير عشرة في دولة الملك الناصر محمد بن الاشرف قايتباي وبعث به رسولا الى دار السلطنة العثمانية في مهمة في سنة ثلاث وتسعمائة ثم صار مقدم ألف في دولة الاشرف جان بلاط وخرج مع من خرج من العساكر والاجناد الى الديار الشامية فلما وصلها حجر عليه في دمشق فلما حضر العادل الى مصر أرسل بالافراج عنه واستقدمه فلما حضر أتى عليه بتقدمة ألف وأقره على ما كان عليه فلما تولى السلطنة الملك الاشرف الغوري جعله حاجب الحجاب فلبت بها حتى تولى نيابة حلب في سنة عشر وتسعمائة وما زال بها حتى زحف السلطان سليم على الديار الشامية يريد ملك مصر فجرى منه ما جرى من الانضمام بجيوشه الى جيوش السلطان سليم كفاعل الغزالي وكان من أمر توليته على نيابة مصر ما تقدم بيانه فاستمر على النيابة الى ان مات في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فكانت مدة نيابته خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً بما في ذلك مدة انقطاعه عن المحاكمات \* وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء كثير الاخذ بالشبهات طاغية قتل في أيامه ما لا يحصى من الخلائق ظلماً فلما جاء الخبر بموته الى السلطان سليمان وهو على حصار رودس ولي الامير الوزير مصطفى باشا وكان صدر الوزراء العثمانيين وزوج أخت السلطان سليمان فحضر الى الاسكندرية وجاءت الاخبار بوصولها فنادوا بذلك في القاهرة ومصر القديمة

فلما كان يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة وصل الى ساحل بولاق فنزل للقائه الامير سنان وخير الدين نائب القلعة والامير خضر وجميع الامراء وكبار الجنود وجميع الانكشارية والاصهبانية والكلية والشراكية وقابلوه ثم أركبوه على فرس وعليه الخلعة السلطانية وسارت امامه العساكر والاجناد قاطبة والاعيان والمقدمون فدخل من باب

مطلب

ولاية الوزير مصطفى باشا



البحر وسار الى باب القنطرة فر من سوق مرجوش ثم من القاهرة وكان الامير سنان على  
يمينه والامير جانم الجزاوى على يساره والامير خير الدين والامير خضر امامه فارتفعت له  
الاصوات من العامة بالدعاء وكان ابيض اللون عربي الوجه أشقر الشاربين حليق  
الحيمة معتدل القامة عليه حشمة ووقار وما زال في موكبه حتى مر من الرميطة  
ودخل من الميدان وصعد الى قلعة الجبل \* قال بعض كتاب الاخبار تولى مصطفى باشا  
نيابة مصر وهو في ركاب السلطان سليمان على حصار رودس يوم السبت خامس ذى الحجة  
سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ودخل مدينة الاسكندرية في التاسع عشر من ذى الحجة  
فكانت مدة ولايته مذ تقرر برودس أربعة عشر يوما وكانت مدة حضوره من الاسكندرية  
الى ساحل بولاق أربعة أيام فدخل في يوم الاربعاء ثالث عشر ذى الحجة فتكون مدة  
ولايته من حين ولى برودس الى ان دخل الديار المصرية ثلاثة وعشرين يوما اه ولما  
استقره المقام بالقلعة تحول عنها الامير سنان ونزل الى داره بدر بن البابا فكانت مدة  
نيابته بالقاهرة ثمانية وثلاثين يوما وفي ثاني يوم نزل مصطفى باشا الى الميدان واجتمع جميع  
الامراء والاكابر والاعيان والقضاة والعلماء وقرئ عليهم المرسوم السلطاني القاضي بولايته  
ثم أخذ يتصرف وجلس للناس عامة فترادفت عليه القصص بمجائج الناس وأخذ في تدبير  
الامور فأبطل نظام القلعة القديم الذي كان على عهد من سبق من الملوك وأبطل البوابين  
والركبة والبوابية والسواكس والقراشين وعلمان السلطان قاطبة والمقرئين والمؤذنين وغير  
معالم ذلك النظام ورسومه وتصرف في الحواصل السلطانية والاشوان وبيت المال كما يجب  
ويختار وجمع اليه اعيان المباشرين وكلهم في أمر الخراج فشرعوا في تحصيله ورتبوا  
له ولما ليك خاصة وحاشيته وبطانته ثمانية آلاف دينار ذهباً في كل شهر يقومون بدفعها  
نقرة فكان اذا تأخر المباثرون في شئ من هذا المال المقرر في أجله ضيق عليهم وشدد  
وبالغ في الوعيد فتمتبت أعوانهم في البلاد يضيقون على أهلها ويشددون في الطلب  
ويأخذون كل ما وصلت اليه أيديهم من الماشية والغلال ويبيعونها بأبخس الاثمان قياما  
بأداء تلك النفقة في آجالها فاشتد بسبب ذلك الكرب على الفلاحين وأصحاب الزروعات  
وعم الخطب وزح الكثير من أهالي الاقاليم القبلية الى الاقاليم البحرية وأهالي الاقاليم  
البحرية الى القبلية وأهملت الارض فرارا من المطالب المتتابعة فبارت وقل الوارد من  
الغلال الى مصر وبولاق فارتفعت الاسعار وشكى الناس من هذا الحال وضجوا وابتهلوا الى  
الله فلم تطل مدة ولايته وجاء الخبر بعزله وولاية أحمد باشا ففرح الناس بذلك فرحا عظيما  
وانكف المباثرون عن التضيق على أهالي البلاد في جباية الاموال فكانت ولايته سنة  
واحدة وعشرة أشهر ويومان

مطلب  
إبطال نظام قلعة الجبل  
القديم

ولما جاء الخبر بوصول أحمد باشا المذكور الى بولاق نزل الامراء وبكار الدولة والعلماء  
والقضاة وأصحاب العكاكيز للقاءه فركب في أمه وكبكية عظيمة وصعد الى قلعة الجبل

مطلب  
ولاية أحمد باشا

وأمر فقرأ فرمان التولية في محفل حافل \* قيل وكان السبب في توليته هو أنه لما جلس السلطان سليمان على تخت السلطنة العثمانية صادف وزير أبيه وهو محمد باشا الصديق فأقره على الصدارة وكان محمد باشا هذا كبير السن بطيء الحركة في قيامه وعوده وتصرفه فرأى عجزه عن القيام بأعباء هذه الرئاسة فأنزل نفسه وولى مكانه إبراهيم باشا المعروف بأودة باشا وكان أقدم من إبراهيم باشا في الخدمة آخره هو أحمد باشا وكان يؤمل ان الصدارة لا تنقوت الى غيره من بقية الامراء فزاحم إبراهيم باشا المذكور وجلس بقوة قربه من السلطان فشكاه إبراهيم باشا الى السلطان فدبر في ازالته وولاه مصر ليستجلب خاطره فلما يولاه وأخذ يتصرف في أمورها جعل إبراهيم باشا الصدر يتعقبه للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله وما زال بالسلطان حتى أبرز الامر لجماعة المرابطين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه في محله ثم يولوا أحدهم مكانه حتى يرد عليهم الامر بولاية خلافه وأرسلت الاحكام بذلك الى الامراء بمصر \* قال بعض أصحاب الاخبار فوقع الامر في يد أحمد باشا المذكور قيل أن يصل الى الامراء تخاف وجعل يضرب اجناسا في أسداس حتى سوت له نفسه العصيان والخروج عن طاعة السلطان وان يقاتل بجيش يجمعه من مصر فأبدى الخروج وادعى السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وتحصن بقلعة الجبل وقبض على الامير وهب جانم الجزاوى والامير محمود بك وسجنهما يريد قتلهما ولبث الحال هكذا أياما اختل فيها نظام القاهرة وظهرت الغوغاء وانقطعت السبل وأغلقت الخوانيت نهرا وعات أهل الفساد فسرقوا ونهبوا وفعولوا مالا خيرا فيه

واتفق ان يدخل أحمد باشا المذكور الحمام يوما للغسل فعلم الجزاوى والامير محمود بك بذلك فكسرا الابواب وخرجا ورفعا صنجقا سلطانيا وناديا من أطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت الصنجق فوقف تحت الصنجق خلق كثير وجم غفير فساروا وسار امامهم الجزاوى ومحمود بك الى الحمام فكبسا الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه وأجعله على حلق النصف الثانى هجوم أصحاب الجزاوى فهرب الى سطح الحمام وتسلق من مكان الى مكان فنهبوا جميع ما عنده من سلاح ومتاع واقفوا أثره فأدركوه بمنية جناح بالخرية فقتلوه وذلك في آخريات سنة ثلاثين وتسعمائة واحتزوا رأسه وجيء به فعلقوه على باب زويلة ثم بعنوا به الى دار السلطنة فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة لا غير لم يأت فيها عملا يذكر فيشكر وقد تولى بعده قسام جزل باشا فدخل القاهرة في السنة المذكورة وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل وامامه أرباب الوظائف وطوائف الجنود من المشاة والفرسان وعليه خلعة الشريف السلطانية فلم يكده يستقر به المنصب حتى جاء الامر بخلعه وولاية إبراهيم باشا فنزل من القلعة في الحرم افتتاح سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة ولم يلبث إلا أياما حتى جاء إبراهيم باشا الوالى المذكور ودخل القاهرة في كبكبة عظيمة وصعد الى قلعة الجبل ثم نزل في ثلثي يوم وجلس على المصطبة بالميدان وبين يديه جميع الامراء والقضاة والعلماء والمباشرين

مطلب

ولاية قسام جزل باشا  
وخلعه وولاية إبراهيم باشا

وأصحاب الوظائف فتسلى فرمان التولية ورفعت إليه القصص في ذلك اليوم فنظرت في مصالح الخلق وكان عاقلا ذكيا محبا للخير \* واهتم السلطان سليمان في أيامه بترتيب أمور الديار المصرية فأجاز لطوائف المماليك الشرا كسة الذين أقرهم والده على خدمة الدولة أن يتولوا رتبة الباشوية عند الحاجة وضم إليهم اثني عشر أميراً فكان من يصح انتخابهم إلى هذه المرتبة العظيمة الكيخياوقباطين ثغور السويس ودمياط والاسكندرية وأمير الخزينة السلطانية والدفتردار وأمير الحج وصناجق الشرقية والغربية وجرجا والبحيرة \* وكان لدار السلطنة اهتمام عظيم وعناية كبرى بالثغور الثلاثة المذكورة لأنها أبواب البلاد فكان الجنود المرابطون فيها يقدمون من دار السلطنة مع القباطين فيقيمون سنة ثم يستبدلون بآخرين وهكذا في كل سنة فكان مرابطو الثغور المذكورون غير محسوبين في عداد العسكر المصري وكانهم أجانب عنه

ولم تطل مدة إبراهيم باشا فقد جاء الأمر بعزله فرحل عن مصر في شعبان سنة إحدى وثلاثين وتسمائة فكانت مدة تصرفه سبعة أشهر وبتولى بعده سليمان باشا الخادم فدخل القاهرة في ناسع شعبان من السنة وجعل يتصرف في الأمور فرسم في أيامه السلطان سليمان بمساحة جميع قرى مصر وضبط أراضيها على يدى الأمير كيوان وربط خراجها على من كان يستغلها فطاف المساحون البلاد ومسحوها وقسموها إلى أحواض سموها بالقراريط وأحكوا عملهم فزاد الخراج زيادة عظيمة وجباه الولاية فكان بعد ذلك شياً كثيراً \* ورسم بأنه هو صاحب جميع أرض مصر ومالكها يعطيها لمن يشاء ويمنعها من يشاء فكان يقطعها لطائفة من الأهالي يعرفون بالملتزمين فكانوا يتصرفون في الأرض تصرف الملاك ما بين هبة وإسقاط وإيقاف وغير ذلك وكان أصحاب الأرض الذين هم ملاكها من أهل البلاد يحرثونها ويفعلونها لأولئك الملتزمين ولا يأخذون من غلاتها إلا بقدر الحاجة ولا يتصرفون فيها مع توريشها لأعقابهم من بعدهم وكان لا يحل لأحد منهم ترك ما بيده من الأرض أو التخلي عن تعهدها بالحرث والزرع بل كان يجبر على ذلك ويضرب ويقوم بدفع ما عليها من الخراج إلى أولئك الملتزمين فإذا مات الفلاح ولم يعقب نسلاً أعطيت أرضه للملتزم وهو يعهد بمحراثتها لمن يشاء فإذا مات الملتزم ولم يعقب وارثاً انحلت التزامه وعاد إلى ملك السلطان وكان إذا تأخر الفلاح والملتزم في دفع الخراج أخذت منهما الأرض وسلمت لغيرهما ليقوم بما عليها في آجاله وبعدها أتم مساحة جميع الأيمان سموها من هذا الحين أطميانا سلطانية ورزقا وأوقافا واقطاعات وغير ذلك وكتب بها دفاتر محررة ووضع بدوان مصر المحروسة وتسمى دفاتر ترايع سنة ثلاث وثلاثين وتسمائة ولم تلبث أن أحرقت ثم جددت وقيل بل أهملت ولم تتجدد

وكان سليمان باشا المذكور ميالاً للخير يجب إنشاء المباني العظيمة والآثار الفاخرة فعمر جامعاً بقلعة الجبل وآخر ببولاق القاهرة وبجواره وكابل وأسواق وربوع وغير ذلك ثم

## مطلب

ولاية سليمان باشا الخادم  
وقميا رسم به السلطان من  
مساحة أطميان سائر البلاد  
وجعلها ملكاً للسلطان

ورد عليه مرسوم السلطان سليمان بالتوجه الى اليمن فكانت مدة تصرفه بديار مصر تسع سنين  
واحد عشر شهرا وستة أيام فتولى بعده خسرو باشا ودخل القاهرة في عشرين رمضان سنة احدى  
وأربعين وتسعمائة وصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد ولم يقع في أيامه من الحوادث  
شئ يذكر وعمر صهر يجا بين القصرين بالقاهرة وتصرف الى سادس جادى الآخرة سنة  
ثلاث وأربعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة وثمانية أشهر وستة أيام وعزل ثم عاد  
سليمان باشا الخادم الى ولاية البلاد عند عوده من اليمن في حادى عشر رجب سنة ثلاث  
وأربعين فتصرف الى حادى عشر المحرم سنة خمس وأربعين وكانت ولايته الثانية سنة  
واحدة وخمسة أشهر وواحدا وعشرين يوما \* وكان حسن التدبير عظيم السياسة واسع الرأى  
مطاعا محبوبا ثم عزل وتولى بعده داود باشا فدخل القاهرة في سابع المحرم سنة خمس  
وأربعين وتسعمائة وجلس للناس على المصطبة بالميدان فرفعت اليه القصص فنظر في مصالح  
الخلق وجعل يتصرف مع الكياسة والعدل وكان كريما مهيبا محبا للعلوم والعلماء كلفا  
بالمطالعة واقتناء كتب العرب وقد جمع منها شيا كثيرا واستنسخ كل ما ظفر به منها وسعدت  
في ولايته البلاد واطمأنت الرعية وساد الأمن وسلكت السبل وبني في ولايته مدرسة  
عظيمة بسويقة صفية اللالة بالقاهرة ووقف لها أوقافا وهي باقية الى الآن وتصرف الى  
ثالث عشر ربيع الاول سنة خمس وخسين وتسعمائة فكانت مدة ولايته احدى عشرة سنة  
وشهرا واحدا وعشرين يوما وتوفي بالقاهرة ودفن بالقرافة وكانت أيامه كلها ركة واسعادا  
وتولى بعده مصطفى باشا صفصافان فوصل القاهرة في الخامس من ربيع الاول سنة ست  
وخسين وتسعمائة وصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد ولم يقع في أيامه شئ يذكر  
فتصرف الى شهر رجب من السنة المذكورة وعزل فكانت ولايته أربعة شهور ونصف شهر  
وتولى بعده على باشا في خامس شعبان سنة ست وخسين وتسعمائة وتصرف الى غاية المحرم  
سنة احدى وستين وتسعمائة وعزل فكانت مدته أربع سنين وخمسة أشهر وستة وعشرين  
يوما وكان على باشا هذا وقورا معززا محبوبا من الرعية شفوفا عليها بعيدا عن العسف  
والظلم ميالا الى انشاء العمائر العظيمة والآثار النافعة فساد منها في رشيد والقاهرة وفوه  
وحذا حذوه الامراء والكبراء ففعلوا كذلك بمصر والقاهرة وغيرهما من المدن \* ولما انصرف  
عن ولاية مصر عاد الى دار السلطنة فجعل يتقلب في الوظائف العالية والمناصب الرفيعة حتى  
بلغ مسند الصدارة فدبر الامور وسار سيرة حسنة للغاية فأحبه الناس ومالت اليه القلوب  
وتولى بعده على مصر محمد باشا المعروف بدوقتر كين زاده ودخل القاهرة في أوائل صفر سنة  
احدى وستين وتسعمائة فلما جاء الخبر بوصوله الى بولاق نزل الامراء والعلماء والقضاة للقائه  
فصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد ثم تجبب عن الناس وزاد في التجبب وكان فظا  
غليظا جبارا عنيدا فأساء التصرف وعبث بالامور وأكثر من المغارم ومصادرة الناس في  
أموالهم فنكثر الوشاة على أبوابه وأخذ بالشبهات فكرهه الناس كافة وأبغضه الامراء

مطلب

ولاية خسرو باشا وخلعه  
ورجوع سليمان باشا الى  
الولاية ثانية

مطلب

ولاية داود باشا

مطلب

ولاية مصطفى باشا  
صفصافان وخلعه وولاية  
على باشا

مطلب

ولاية محمد باشا المعروف  
بدوقتر كين زاده

مطلب

ولاية اسكندر باشا

وأعرضوا عنه ثم خلع فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وشهرين وتسعة عشر يوما وتولى بعده  
اسكندر باشا فدخل القاهرة في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية  
رجب سنة ست وستين فكانت ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثمانية أيام وكان شهـما  
حازما حسن التدبير والسياسة وقورا مهيبا عمر في ولايته المدرسة التي بباب الخلق المطلة على  
الخليج الناصري وهي من أنحر المباني وأتقنها وعمر تكية تجاهاها وسبيلها بجوار المدرسة فعمل  
له بعض الشعراء تاريخا  
نصه رحم الله من ذنا وشرب سنة ٩٦٦

مطلب

ولاية علي باشا الخادم  
وخلعوه وولاية شاهين باشا

ووقف على ذلك أوقافا جليلة واما خلع تولى بعده علي باشا الخادم فدخل القاهرة في  
سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف الى سادس عشر صفر سنة ثمان وستين  
فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر ولم يقع في أيامه من الحوادث شيء يذكـر \* وتولى  
بعده شاهين باشا فدخل القاهرة في ثلثي ربيع الاوّل سنة ثمان وستين وأخذ يتصرف  
في الامور فكان رجلا جليل القدر حسن السياسة والتدبير وما زال حتى عزل في غاية  
جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر

مطلب

ولاية علي باشا الصوفي

\* وتولى بعده علي باشا الصوفي فدخل القاهرة في أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة  
ولاقاه الامراء والعلماء والقضاة وأصحاب الوظائف وصعدوا به الى قلعة الجبل فلم يجلس  
للناس كعادة الامراء والولاة وتوجب ثم لم يلبث ان تجبر وظلم وكان قبل حضوره الى مصر  
واليا على بغداد وكان له فيها أحوال غريبة وأحكام جائرة فأبغضه الناس وشكوا  
منه وضجوا وعجوا فعزل عنها وأتى به الى مصر وكثر عسفه فكثر الفساد في البلاد  
وارتفع الامن وعاث اللصوص فنهبوا وسلبوا بغير ممانع وأحاط قطاع الطرق بضواحي  
مصر والقاهرة فانكش الناس وانكفوا عن الخروج خارج السور وضجوا وشكوا الى علي  
باشا المذكور فلم يلتفت لشكواهم وكأنه كان يقاسم أهل الفساد فيما يسرقونه فبلغت  
الجرأة بالغوغاء والخرافيس مبلغها وقامت طائفة من الفداوية فأوقدوا النار في المدينة طمعا  
في النهب فسرى الحريق الى الجامع الابيض واشتدت النيران وعلا اللهب وكثر النهب  
والسلب وخرجت النساء والاطفال والشيوخ من الديار هائمين على وجوههم فرارا من  
فعال الفداوية وما زالت النار تعمل في جميع ما وصلت اليه حتى كادت تدمر جميع المساكن  
والوكائل وغيرها وكلم الامراء على باشا المذكور في أمر اللصوص وفيما آلت اليه حالة  
المدينة من الخراب فلم يلتفت لقولهم فرأوا أن يقيموا سورا من قنطرة الحاجب الى الجامع

مطلب

في سبب إقامة السور من  
قنطرة الحاجب الى الجامع  
الابيض

الابيض ليمنعوا البلد من تناول أيدي اللصوص اليها فأقاموه وكدوا به من بحرسه  
فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر قليلا وما زال علي باشا المذكور يتصرف بالجور والظلم  
حتى خلع وتولى بعده محمد علي باشا المعروف بالمقتول فقدم من دار السلطنة في كبكة عظيمة  
فيكون كلما ترينيلد من الاسكندرية الى القاهرة قدمت له التحف والهدايا ومدت له المؤانث  
وبالغ الناس في تعظيمه واجلاله فرحا بخلصهم من ظلم الصوفي وجوره \* فلما دخل القاهرة

مطلب

ولاية محمد علي باشا  
المعروف بالمقتول

لاقاه جميع الامراء والعلماء والقضاة والمباشرين وأصحاب الوظائف العالية والامير محمد بن  
 عمر متولى الاقاليم القبلية يومئذ وقدم له عدة هدايا نفيسة للغاية وخمسين ألف دينار نفرة  
 فأجده محمد على باشا المذكور وأذناه من مجلسه وقد طمع فيه فلما استأذنه بالانصراف  
 وخرج من مجلسه أمر ققبض عليه جماعة من أعوان الباشا وقتلوه خنقا فاندحش الناس  
 من ذلك جدا وأخذتهم الطيرة وسأل عن قاضى القضاة يومئذ الشيخ يوسف العبادى فقيل له إنه لم  
 يحضر فرسم باحضاره فاحضروه فلما مثل بين يديه أمر بخنقه وهو يستغيث وليس من يغيثه ثم  
 تحجب عن الناس أيا ما ثم ظهر وبث العيون والجواسيس بين الامراء وأرباب الدولة فزاد  
 عسفه وأخذ للناس بالشبهات وأكثر من القتل واراقة الدماء وبالغ فى اذلال الرعية والتسكيل  
 بالامراء وكان لا يسير فى المدينة الاومعه الشوباصى وهو كبير الجلادين فاذا امر بأحد وأراد  
 قتله أشار بيده الى الشوباصى المذكور فيترع حالا رأسه عن جسده ويمد يده على الفور  
 فانكش الناس وزاد خوفهم وضجوا الى الله وابتهلوا بالدعاء وزاد سحقهم عليه وتواردت  
 قصص الامراء بمصر على دار السلطنة مستغيثين من عسف محمد على باشا المذكور وظلمه  
 للزعية فلم يلتفت السلطان اليهم لاشتغاله يومئذ بفتح جزيرة مالطا التى كانت الى هذا  
 الحين مقر رهينة القديس يوحنا الاورشليمي وإعداد سفن الحزب ومراكب النقل اللازمة  
 لذلك لانه لما اتسعت أملاك السلطنة العثمانية وبسطت يدها على الكثير من سواحل البحر  
 الابيض المتوسط وكانت جزيرة مالطا واقعة بين اقليم تونس وجنوبى ايطاليا وكان لمن يملكها اليد  
 الطولى على البحر المذكور عمد السلطان سليم الى فتحها وسير الى ذلك مائتى سفينة حربية  
 فحاصروها حصارا تاما وضيّقوا عليها تضيقا شديدا وواصلوا الرمي عليها بالماححل وداموا  
 على هذا الحال أربعة أشهر مات فى خلالها الامير طرغول أمير تلك العماره العظيمة وكانت  
 الفرنجية تسميه دراجوت ومع كل ذلك لم ينالوا منها وجاء الشتاء وكثرت الزوابع وارتفعت  
 أمواج البحر فارتفع عنها الحصار وعادت العماره الى القسطنطينية فعاد الامراء بمصر الى  
 الاستغاثة بالسلطان من شر محمد على باشا الوالى وأكثروا من رفع الظلمات وترادف  
 القصص فلم ينالوا منه شيئا لخروجه فى جيش عظيم فى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة لصد  
 هجمات النمسا عن بلاد المجر اذ كانت له السيادة عليها الى هذا الحين وبينما هو فى الطريق  
 بلغه أن صاحب سكدوار إحدى مدائن بلاد المجر التى يقال لها أيضا زيجت قد ظفر ببعض  
 الجيوش العثمانية التى كانت تقايل فى تلك الاصقاع فسار الى قتاله وحاصر المدينة المذكورة  
 وشد عليها حتى أخذ جميع معاقلها الامامية فأخلى عساكرها المدينة وتحصنوا بقلعتها فلم  
 تفتقر لسلطان هامة فى قتالهم واشتد فى القتال وقد نهكه التعب ففرض وثقل عليه المرض  
 فلما كان العشرون من صفر سنة أربع وسبعين وتسعمائة اشتد عليه مرضه ومات فاخفى  
 وزيره خبر موته تخاشيا من وقوع الفشل فى العسكر وسير الى ولده الامير سليم بكونتاهية  
 يعلمه بخبر موت أبيه ويحثه على الحضور الى القسطنطينية ليتولى منصب السلطنة ولم ينكشف

الوزير عن القتال مع من تحصنوا بقلعة سكدوار ووالى الهجوم عليها وما زال بها حتى  
احتملها العساكر العثمانية عنوة فهرب من كان بها من الاعداء فلم يستقر بها مقام العساكر  
العثمانية حتى انخسفت بهم أرض القلعة وسقط جميع بناؤها عليهم جميعا فقاتوا تحت الردم  
وذلك أن العدو كان قد دبر هذه المكيمة بان عمل عدة الغام تحت بناء القلعة فلما دخلها  
العساكر واستتقروا بها أشعل العدو تلك اللغام فانخسفت أرض القلعة وتهدم جميع  
بناؤها وهلك جميع من دخلها ولما تم النصر للعساكر السلطانية على هذه الكيفية طير الوزير  
خبره الى الآفاق وسير الرسائل بخاتم السلطان كي لا يعلم أحد بخبر موته ثم عاد الى القسطنطينية  
مع من بقي من العساكر ومعهم جثة السلطان فوجد أن الامير سليم قد حضر وقبض على  
زمام الامور وأخذ يتصرف في أعمال المملكة \* قال أصحاب التاريخ ولم تكن ولاية العهد  
قد أتت اليه بالارشدية أو الاستحقاق بل بدسياسة أمه روكسلان احدى حظيات السلطان  
وقتل السلطان لولده الارشد الامير مصطفى وابنه الثاني الامير بايزيد مع أولاد بايزيد الخمسة  
\* وتحرير الخبر \* أنه كان للسلطان سليمان حطية مجهولة النسب تسمى روكسلان وكان يحبها  
حبا شديدا فولدت له من الذكور الامير سليمان وابنتين وكانت تتمنى أن يكون الملك لابنها  
بعد موته ولكنها كانت تخشى ذلك عن السلطان وتراقب من الفرص أنفعها فلما مات  
اياس باشا صدر الدولة سعت روكسلان المذكورة لدى السلطان في تولية رستم باشا منصب  
الصدارة وكان بينها وبين رستم المذكور كلام في أمر مبايعة ولدها بالملك بعد أبيه فولاه  
السلطان الصدارة وأدناه منه كثيرا وزوجه بابنته من روكسلان هذه فزاد تعلق روكسلان  
به وعدها هو الى ارضائها بتهديد الطريق لتولى ابنها الملك بعد أبيه فلما انتشبت الحرب بين  
الدولة وملكه فارس سير السلطان الامير مصطفى أكبر أولاده على رأس جيش الى ساحة  
القتال وكان محبوبا عند طوائف الانكشارية لحسن سياسته ومعرفته بفضون الحرب والقتال  
وبسالته وإقدامه فأبلى في الفرس بلاء حسنا وظهرت شجاعته فازداد حب طوائف  
الانكشارية له ومالت قلوبهم جميعا اليه فانتهمز رستم باشا هذه الفرصة وكتب الى السلطان  
يخوفه من ولده ويقول إنه عامل على الخروج وشق عصا الطاعة مع طوائف الانكشارية  
وعزل السلطان ويؤلمه هو منصب السلطنة كما فعل السلطان سليم الأول بأبيه بايزيد فأكثر  
السلطان هذا الخبر واستعظمه وكاد لا يصدقه وأهمه للغاية فأنست منه روكسلان الحيرة  
والاضطراب فسألته عن سبب ذلك فاخبرها بخبر ولده مصطفى وما قاله رستم باشا فظهرت  
غاية الخوف والانزعاج وأخذت تقبح له فعال الامير وترمي بالخيانة والعدو وتحذره من عاقبة  
التهاون بهذه المكيمة وما زالت به حتى التهب قلبه غيظا وقام في طائفة من عسكره يريد  
بلاد فارس وطير الخبر بأنه انما قام ليتولى قيادة هذه الغزوة فلما اقترب من المعسكر  
خرج ولده مصطفى وجميع الامراء وبكار الجنود للقائه وساروا في ركابه حتى أنزلوه في سرادقه  
وفرح ولده مصطفى بقدومه فرحا عظيما فلما كان الثاني عشر من شوال سنة ٩٦٠

هجرية استدعى السلطان ولده مصطفى الى سرادقه ليكلمه في أمر القتال مع الفرس فدخل عليه وهو في لباسه المعتاد فلم يكذب يصرخ الى أبيه حتى قبض عليه جماعة من الخدم وقتلوه خنقا وهو يصيح ويستغيث بأبيه حتى مات وأبوه يتظر اليه ثم نقلوا جثته الى مدينة بروسة فدفنت في تربة أجداده \* قالوا ولم تكف روكسلان بقتل الأمير مصطفى بل أرسلت أيضا الى مدينة بروسة بعض خواصها فقتلوا ابنه الرضيع وشاع هذا الامر بين الناس فاستعظموه وانحرفت خواطرهم عن السلطان وبكى الأمير مصطفى أهل العلم والادب ورتاه الشعراء ولم يخشوا بأس أبيه فقال بعضهم في ذلك

بادهر ويحك ما أبقيت لي جلدا \* وأنت والد سوء تأكل الولدا

ونار طوائف الانكشارية على السلطان وطلبوا قتل رستم باشا المذكور وهاجوا وهاجوا حتى كادت الفتنة تعم فرسم السلطان بخلعه وولى مكانه أحمد باشا تسكينا للفتنة واسترضاء لطوائف الانكشارية وكان للامير مصطفى أخ اسمه الامير جهانكير خزن على أخيه حزنا عظيما جدا وبكاه بكاء شديدا للغاية حتى مات كيدا عليه بعد قليل من الأيام وقيل بل قتل نفسه امام أبيه بعد ان وبخه وأنبه على قتل أخيه فلم يبق بعد موته من أولاد السلطان سوى الامير بايزيد والامير سليم بن روكسلان \* وكان للامير بايزيد مرب اسمه لاله مصطفى فولاه السلطان النظر على بيت الامير سليم بعد روكسلان امه فأحببه الامير سليم وقربه منه وأعلمه بما كان يخشاه من مزاجه بايزيد له في الملك بعد أبيه وطلب منه أن يعمل على هلاك بايزيد وأولاده ليخلو له الجور فهون عليه لاله مصطفى الامر ومناه بالفوز وجعل يستعمل الحيلة فكتب الى بايزيد يوما يقول ان أحالت سلينا منهمك في اللذات غافل عن واجب السلطنة وما هو مفروض على أبناء الملوك فضلا عما هو عليه من الطيش وعدم الاهلية لمنصب الخلافة ومع ذلك فان أباك أجي إلا مبايعته بولاية العهد من بعده فهل لك في هذا الامر رغبة \* وتعددت بينهما الرسائل وركن الامير بايزيد الى لاله مصطفى وأعلن جانبسه فكاشفه بما في نفسه ولم يخف عنه أمرا ثم كتب الامير بايزيد الى أخيه سليم يوما يعيب فعال أبيه ويرميه بالجفاء وغلظة الطبع ويسمه بالقسوة وفقدان الخنوع الأبوي فأشار لاله مصطفى على الامير سليم باعطاء تلك المسكينة لابيه فلما اطع السلطان على ما بها مما عيس كرامته غضب غضبا شديدا وزاده غضبا وشاية لاله مصطفى بالامير بايزيد فسير الى بايزيد يقول له اذا أتاك كتابي هذا تحول من فورك عن قونية الى اماسية وكان واليا على قونية تخاف بايزيد من ذلك وظن ان أباه انما يضمه له الشر فامتنع من الذهاب الى اماسية وجيش له جيشا عظيما ومحصن في قونية فسير اليه أبوه جيشا ومقدمه الوزير محمد باشا الملقب صقللي فالتقى الجيشان عند قونية واقتتلا قتالا عنيفا مدة ثلاثة أيام كانت فيها الحرب سجبالا ثم انكشف القتال عن هزيمة بايزيد وفراره الى مدينة اماسية فلحقته عساكر أبيه فرحل عنها الى بلاد فارس وبلغا هو وأولاده الى طهماسب ملك فارس فقبله وأكرم مشواه ولكنه سير الى السلطان سليمان خفيته يعلمه بخبره فأرسل السلطان



سليم رسلا في طلبه فسلمه اليهم طهما سب مع اولاده ولم يرع ذمتهم فأمر بهم السلطان  
فقتلوا جميعا في مدينة قزوين احدى مدائن فارس ونقلت جثثهم الى مدينة سيواس وخنقوا  
طفلا كان لبايزيد بمدينة بورسة ودفنوه مع أبيه واخوته بسيواس \* قال أصحاب التاريخ  
فكانت هذه الامور الشنعاء نقطة سوداء في تاريخ حياة السلطان سليم وكادت تذهب بجميع  
حسنته وشهرة غزواته وكثرة فتوحاته ادراج الرياح مع أنه كان ملكا جليل القدر واسع  
القامة عارفا بفضون الحرب وأساليب السياسة محبا للخيرات وافر الصدقات \* قال بعضهم  
ومن آثاره الحميدة السجادة الكبرى بطريق الحج ولها أوقاف كثيرة يشتري من ريعها  
في كل عام جمال لحمل الفقراء والمنقطعين والعواجز والماء والراد وغير ذلك ومقررها من  
المغاربة أربعون نفرا ومن المطاوعة أربعون نفرا (يريدهم العسكر) ذهابا وايابا مات فكانت  
خلافته نحو من تسع وأربعين سنة وله من العمر أربع وسبعون سنة فضاها كلها في الغزو  
والفتوحات

ومات في أيامه مرقس بطرك المتأصلين بعد ان أقام أربع عشرة سنة وفي أيام سليمان  
المذكور اشتد الولاة على قبطة مصر وضيقوا عليهم وعملوا على تبعيدهم عن أوطانهم  
فبعدوا منهم خلقا من العظماء والوجهاء وخيار الناس ثم صادروا من بقي وأخشوا في  
تخريب بيوتهم وتبديد أرزاقهم فكانت شدة عظيمة للغاية وبعد موت مرقس المذكور  
أقيم يوحنا وهو خامس ثمانينهم وأصله من الشام فأقام ست سنين ومات فأقام المتأصلون  
بعده غبريال وهو سادس ثمانينهم وكان راهبا من دير المحرق فأقام ثمان سنين ومات فأقيم  
بعده متاوس وهو سابع ثمانينهم وكان راهبا بدير المحرق فأقام ثلاثين سنة ومات وكان  
عالما تقيا عاقلا محبا للخير معينا للفقراء كثير التصدق ولم تكن أيامه أقل شدة من أيام  
سلفه فقد ذافت فيها النصرانية من البلايا والمحن اشكالا وبموته أقام المتأصلون غبريال  
وهو ثامن ثمانينهم وكان راهبا بدير القلامون ووقع في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله  
وموت السلطان سليم كما تقدم القول بولي السلطنة بعده ولده السلطان سليم الثاني

## الفصل الثالث

(في سلطنة السلطان سليم الثاني)

ثم قام بالأمر بعد السلطان سليم ولده السلطان سليم الثاني بويج بالملك تاسع ربيع  
الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة هجرية أي سنة ست وستين وخمسمائة وألف ميلادية  
وعمره ست وأربعون سنة ولم يمض الا ثلاثة أيام على بيعته حتى سار في جيش عظيم الى

نجدة العساكر الذين كانوا يقاتلون بناحية سكندوار فلما وصل الى ناحية سردم لاقاه الوزير محمد باشا وكان هو القائد لجيوش تلك الغزوة فاعلمه بما يعانیه العسكر من البرد وسقوط الثلج وكان الوقت وقت شتاء وأعلمه بمنعة قلعة سكندوار ووجوب عودهم الى الاوطان حتى ينقضي الشتاء وأشار عليه أن يتربص ناحية سردم حتى يأتي اليه بجميع الجند والامراء المحاصرين للقلعة فلبث السلطان سليم أياما حتى اجتمع العسكر وساروا في ركابه الى دار السلطنة \* ووردت الاخبار الى مصر بسلطنة السلطان سليم فزينت المدينة ثلاثة أيام وأطلقت البشائر وفرح الناس بولايته وتقوت آمالهم بالخلاص من مظالم محمد علي باشا واستعباده لهم فرفع الامراء وبكار الرعية والعملاء والمباشرون عندئذ ظلامتهم الى دار السلطنة واستغاثوا وضحوا فوردمرسوم السلطان الى محمد باشا المذكور باجراء العدل في الرعية والرفق بالناس والنهي عن الجور وكان قد تزايد جورهم وأخذ للناس بالشبهات فافخس في القتل والسلب وتبمع العورات فلم يرفع ولم تأخذ آخذة من الخوف فعادوا الى الشكوى وعظموا للسلطان البلى ولبنوا ينتظرون ما سيكون بعد ذلك \* واتفق في هذه الغضون موت الامير ابراهيم بك الدفتردار الذي كان متوليا امارة الحج فاستولى محمد باشا المذكور على خزائنه ومماليكه وجواريه وكل ماله وجملة ذلك مائة ألف دينار ذهباً فضمها الى خزانة السلطان التي يبعث بها في كل عام من مصر وأرسل معها أيضا شيئا كثيرا من الهدايا والتحف التي لا مثيل لها هدية منه للسلطان ورجال الدولة استجلبا بلانوطاظرهم فلم يكن بعد ذلك من يسمع للمصريين شكوى ودامت الحال على ذلك مدة \* فلما كان يوم الاربعاء غاية جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة خرج محمد باشا المذكور في ككبسة وحوله طائفة من أعوانه ومر من جهة الناصرية يريد مصر القديمة فلما صار على مقربة من حائط هناك أطلقت عليه بندقة من خلف الحائط فأصاب رصاصها صدره فسقط عن فرسه فهاج لذلك أعوانه ويحشوا عن القاتل فلم يعثروا له على أثر واتفق في هذه الاثناء ان امر رجلان من الفلاحين بالقرب من موضع الحادثة فقبضوا عليهما واتهموهما بالفعل وقتلوهما ظلما وقيل انه قتل في يوم الاحد تاسع عشر شهر جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة أشهر وعشرين يوما وفرح الناس بموته فرحا ما علمه من مزيد فقال فيه بعض الشعراء

موت محمود حياة \* فيه للعالم رجه

قتله بالشارفور \* وهو في التاريخ ظلمه

سنة ٩٧٥ هجرية

وقال بعضهم أيضا

أتى محمود باشا يوم خمس \* فساقته منيته غصبيه

بجاه الناصرية خلف حيط \* بغيظ جاء منه مصيبه

ببندقة رماه ككف رام \* فخرها فجاءته مصيبه

فلما وصل خبر موته الى دار السلطنة أرسل للولاية بعده سنان باشا فدخلا لقاها  
في ثالث عشرى شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وكان قبيل مجيئه واليا على حلب فلم  
تستقر به الولاية على مصر حتى ورد عليه مرسوم السلطان بالقيام الى فتح اليمن واسترجاعها  
من الزيديين وكانوا قد خرجوا ثانية وشقوا عصا الطاعة فسار من القاهرة في الرابع من شوال  
سنة ست وسبعين فكانت مدة تصرفه في مصر نحو من تسعة أشهر وسار معه من الامراء  
المصريين حزة بك وعماد بك وغيرهما من الصناجق قتل وكان استعجابه لهؤلاء الصناجق  
لامر نسبه اليه وهو قتل محمد باشا الوالي السابق \* وأقام سنان باشا المذكور  
يقابل اليمانيين سنتين وأربعة أشهر حتى يسر الله له الفتح واستنقاذ اليمن من أيدي الزيديين  
وطرد الاخبار بذلك الى مصر والقسطنطينية ففرح السلطان بذلك فرحا عظيما وتراحم على  
أبوابه الشعراء بقصائد التهاني وألف العلامة قطب الدين محمد بن أحمد المكي تاريخه لهذا الفتح  
سماه البرق اليماني في الفتح العثماني قتل وهو غاية في البلاغة وبه قصيدة لأبأس يابرد  
بعض أبيات منها هنا وهي

لك الحمد يا مولاي في السر والظهر \* على عزة الاسلام والفتح والنصر  
كذافيكن فتح البلاد اذا سعت \* لها الهمم العليا الى أشرف الذكر  
جنود زهت من كو كان خيامها \* وآخرها بالنيل من شاطئ المصر  
(ومنها)

فهل يطمع الزيدى في ملك تبع \* ويأخذها من آل عثمان بالكر  
أبي الله والاسلام والسيف والقنا \* وسر إمام المسلمين أبي بكر

وهي طويلة للغاية

مطلب  
ولاية اسكندر باشا الفقيه  
السر كشي بدلا من سنان  
باشا

فلما سار سنان باشا الى فتح اليمن أتى للولاية بعده اسكندر باشا الفقيه السر كشي فدخل  
القاهرة في رابع جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وجعل يتصرف الى غاية المحرم افتتاح سنة  
تسع وسبعين فكانت مدته سنتين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وكان عادلا تقيا محبا للرعية  
أبطل بعض المغارم والمكوس ورفعها عن الفقراء والعواجز وأهل العلم وأمنت في أيامه السبل  
واطمأنت قلوب الرعية فكانت أيامه كلها بركة ورخاء على البلاد وأدلمها ولم يقع فيها شيء من  
الاحن والبلايا وما زال يتصرف في الامور ويعدل في الرعية حتى مات \* وعاد سنان باشا  
من فتح اليمن بعد موت اسكندر باشا بأيام قلائل ولم يرجع معه أحد من الامراء والصناجق  
الذين كانوا قد ساروا في ركابه الى هذه الغزوة وكانهم قد ماتوا جميعا فلما دخل القاهرة  
جاءه الامر بولايته على مصر ثانية فتولاه من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين فزاد البلاد  
اطمئنانا وأمن السبل وأتى على اصلاح الامور من أبوابها فحفر خليج الاسكندرية وأحسن  
مجراه وأنشأ عدة مساجد وتكايا وربط وجوامع بديار مصر في الثغور والبنادر ولم يكن الى  
ذلك الحين أحد من الولاة أمثاله فعل ما فعله سنان باشا من البر والخيرات وكان كثير العناية

بصالح الرعية شفوفا عليهم يسأل العيال عن الصغيرة والكبيرة وقد بلغه ان الامير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية حدث متلاعب أهمل أمور الولاية وهو منهمك في اللذات واتباع الشهوات وان جماعة من السفهاء قد استولوا على عقله وهم المنصرفون في ولايته وقد زاده اهمالا وجرأة معرفته بالوزير الاعظم ميلوش باشا وتقريبه منه وكان قد عهد له بأن لاقدرة لاحد على خلعه من ولاية المنوفية فسار سنان باشا في القعدة من السنة أى سنة تسع وسبعين وقبض على الامير منصور المذكور وخلعه وولى مكانه الامير علام بن بغداد واستقر الامير منصور مسجوناً في البرج بقلعة الجبل من سنة تسع وسبعين الى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة عند ما قدم حسن باشا وأطلق سبيله وأرجعه الى ولاية المنوفية فكانت مدة حبسه نحواً من عشر سنين

وما زال سنان باشا يتصرف في الامور مع الرفق واللين بالرعية حتى جاءه أمر السلطان سليم بالحضور الى دار السلطنة فرحل عن مصر والقلوب راضية عنه فكانت مدته الثانية سنتين اثنتين وتولى بعده حسين باشا فدخل القاهرة في سادس عشرى المحرم افتتاح سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وجعل يتصرف في الامور ثم خلع في سنة اثنى عشر وعشرين فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً وكان عاقلاً رزيناً شفوفاً بالرعية مميلاً الى الخير والاحسان ووقع في أيامه غلاء عظيم وانقطع الوارد من المأكول والمشروب ثم وقع قحط عظيم جدا فأكل الناس بذر الكتان والحشيش اليابس واشتد الجوع بالناس اشتداداً عظيماً وأعقبه الموت جفاعة حتى ان الرجل أو المرأة أو الخادم اذا خرج من بيته لقضاء حاجته أدر كته المنية في الطريق فيموت سريعاً بلا ألم ولا وجع وبقي الحال على هذا الوصف أياماً كثيرة فهاجر الناس الى ضواحي القاهرة ومصر ونزحوا الى بعض القرى والبلدان فراراً من الموت ولكنه لم يلبث ان عم جميع القرى والمدن وكثر واشتد شدة بالغة ثم أخذ يزول \* ومات زواله حتى كثرت اللصوص وظهر قطاع الطرق فعاثوا في البلاد وسلبوا ونهبوا وأفسدوا وقطعوا الطرق على أبناء السبيل وكانوا لا ينفكون ليلاً ولا نهاراً وعجز حسين باشا المذكور عن ردعهم فتمادوا وكثر شرهم وعم الخوف جميع البلاد فكانت شدة عظيمة وازدادت الاحوال اضطراباً والامور خللاً وفساداً بتطاول أيدي الجند أيضاً الى أموال الناس وعيشهم بصالح الدولة وعدم وقوفهم عند طاعة كبارهم وايدائهم للسوق والباعة وأصحاب البيوت حتى ضج الناس وترقبوا مرور حسين باشا في الطريق وصاحوا في وجهه وقبحوا مجزئه وأقسموا انهم انما هم رافعون ظلامتهم الى السلطان وكان السلطان في هذا الحين في شاغل ليس عن مصر فقط بل عن جميع الايالات التابعة الى مملكة أبيه بما تولى عليه من الخول وضععة النفوذ \* قال أصحاب التاريخ وذلك لانه لم يكن متمصفاً بما يؤهله للقيام بحفظ قنوجات أبيه ولا هو متمصفاً بالجزامة واصالة الرأي فارتبكت لذلك أحوال المملكة وانفشت أمورها وطمع فيها الاعداء ومالت بعض الولايات الى الخروج فشد بعض الدول الكبرى في طلب كثير من

مطلب  
ولاية حسين باشا

الامتيازات كدولة الفرنسيين فقد نالت في أيامه حقوقا مهمة غير الذي نالته منها في أيام أبيه وكان صدر الدولة يومئذ صقلى محمد باشا وهورجسل موصوف بالتدبير على الهمة كبير السياسة خبير بفتون الحرب صادق الخدمة فبذل العناية في بقاء مركز الدولة غير محقر ولا مهان وأجهد النفس في حفظ ما بيدها من الثغور والعمالات وفتح ما يمكن فتحه من المدائن والثغور فسير لفتح جزيرة قبرس عمارة عظيمة من سفن الحرب تحمل زهاء مائة ألف مقاتل ومقدمها لاله مصطفي باشا فحاصرت الجزيرة الى ان دخل الشتاء فانصرفت عنها ثم عادت لحصارها حتى تم فتحها وأقلعت بعد ذلك هذه العمارة الى جزيرة كريد لفتحها فلم تنل منها فأخذت من البندقية بعض المدن الواقعة على بحر الادرياتيك فا كبر البنادقة هذا الامر جدا وعمدوا الى محالفة دولة اسبانيا فلما تمت لهما المحالفة تعاهدا مع بابا رومة على قتال الترك ومنازلة عمارتهم ومحو آثارهم من البحار فأعدوا لذلك عمارة عظيمة من مائة وأربعين من سفن البنادقة وسبعين من سفن الاسبانيول واثنتي عشرة سفينة للبابا وتسع من سفن رهبنة القديس يوحنا الاورشليمي بمالطه وكان مقدم هذه العمارة الامير دون جوان وهو ابن للامبراطور شربكان من احدى عشيقاته وكانت سفن الترك ثلثمائة سفينة فلما التقى الفريقان عند ليينة اقتتلوا قتالا عنيفا للغاية نحو من ثلاث ساعات ثم انكشف الأمر عن هزيمة السفن التركية وانتصار سفن الاحزاب فاستولوا على مائة وثلثين سفينة عثمانية وأحرقوا واغرقوا اربعا وتسعين وغنموا زهاء ثلثمائة من المدافع وأسروا نحو ثلاثين ألفا من المقاتلين فكانت هذه الواقعة من اتعس الوقائع وأشدّها خطرا على مقام الدولة العثمانية في عرض البحار وجاءت الاخبار الى دار السلطنة بما حل بالعمارة فهاج المسلمون وماجوا وهموا بقتل رسل البابا الذين هم رعاة المذهب الكاثوليكي فلم ينالوا منهم لاهتمام صقلى محمد باشا بمنع القلاقل وعدم تطاول أيدي الرعية الى الايذاء \* قال بعض كتاب الأخبار ولم تكن هذه الكسرة المشؤومة لتعبد همة صقلى محمد باشا عن لم شعث العمارة العثمانية واعادة ما كان لها من الروتق والبهجة حيث أنشأ لها عدة سفن وجهازها وبالغ في تجهيزها واتقن نظامها وسيرها في عرض البحار طلبا للثار فلم يقع بينها وبين سفن الاحزاب شئ من القتال لانقسام عرا الاتحاد ما بين البنادقة والاسبانيول وعقد معاهدة ما بين العثمانيين والبنادقة على شروط رضاهما الفريقان فلما كان في خلال الحوادث الاخيرة مرض السلطان سليم واشتد به مرضه أياما ثم مات في سابع رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة هجرية أي سنة اربع وسبعين وخمسائة وألف ميلادية فكانت سلطنته نحو من تسع سنين فولى السلطنة بعده ولده السلطان مراد خان

## (الفصل الرابع)

(في سلطنة السلطان مراد ابن السلطان سليم)

ثم قام بالأمر بعد السلطان سليم ولده السلطان مراد بويوع له بالملك عاشر رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة هجرية أى سنة اربع وسبعين وخمسمائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وكان شهما مقداما على الكلمة واسع المعرفة خبيرا بالأمر محبا للفتح والغزوات فغزا عدة غزوات وسار بجيش ضخم لاختضاع المجر وردّها الى طاعة الدولة بعد أن كادت تخرج عنها فقَاتلتها وأذلها اذلالا كبيرا وأعادها الى ما كانت عليه وفتح عدة مدائن وحصون ودوخ كثيرا من البلدان فانسعت كلمته وكبرت هيئته وعاقده كثير من الملوك وتقربوا اليه

وكان حسين باشا والى الديار المصرية قد عزل من منصب الولاية قبل أن يتولى السلطان مراد السلطنة بقليل فأقام بدله مسيح باشا وكان من خزنة دار السلطان سليم فدخل القاهرة في أوائل سنة اثنتين وثمانين وكان ذا مهابة وعفة يكره أهل الفساد والاصوص وقطاع الطرق وكافوا في ولاية حسين باشا قد كثروا في الأرض وعاثوا وأفسدوا فيها كما تقدم فعمل على قطع شأفتهم وصار يتجسس أخبارهم ومواطنهم ويبعث بالحكام فيقبضون عليهم ويأتون بهم عشرات عشرات فيقتل منهم ويشنع في قتلهم فخافوا وانكفوا وارتجع أهل التهم وسكن الحال واستتب الامن واطمأنت قلوب الرعية واشتدت يقظة الحكام وهابوه وانكفت أيدي الولاة والكشاف جميعا عن التجري على ما لا يصلح عمله من أخذ الرشاوى والبراطيل وأخذ الاموال من أصحابها بالسوط والنبوت وبالغ مسيح باشا في القتل والتمثيل لاقبل سبب قتل فكان عدد من قتل في أيامه زهاء عشرة آلاف وقد علق سناكل من الحديد بالرميلة وبولاق والشون بمصر القديمة لقتل المفسدين وأصحاب الكبائر فكان لذلك وقع في قلوب الرعية وخافه جميع الناس ومالت اليه القلوب وأحبته الرعية وتصرف في الولاية التصرف العام الى ثاني عشرى جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة ثم جاءه الامر بالانصراف عنها فقام الى القسطنطينية على الاثر فكانت مدة تصرفه خمس سنين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وكان قد بنى له مدرسة ومدفنا بالقرافة وأوقف عليها أوقافا عظيمة وكان يؤمل أن يدفن في مصر \* وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت \* فخرن

مطلب  
ولاية مسيح باشا

مطلب  
ولاية حسن باشا الخادم

الناس لعزله فلما عزل مسيح باشا تولى بعده حسن باشا الخادم فدخل القاهرة في سادس عشرى  
جمادى الاولى من السنة وكان قبل ولايته هذه خازن دار السلطان مراد فلم يستقر به المنصب  
حتى ظهرت عليه علامات الغلظة وجعل يتصرف مع العسف والكبرياء فكان ظلوما  
غشوما عتلا زنيا محبا للمال ومصادرة الناس ميالا للرشاوى والبراطيل فصادر كثيرا من  
أهل الوجاهة وذوى السيوتات فاصبحهم بعد الغنى والاثراء فقراء لا يملكون شروى تقير  
واشتمد بالرعية شدة بالغه وأخذهم بالشبهات فقتل وشرذ وألزم اليهودى أيامه بلبس الطرايطر  
الجر والزم النصارى بلبس القفاسوة السوداء وكان قليل الرأى ضعيف التدبير سفا كاللدماء  
ولكنه جبان صغير القلب متحجبا الاعلى بعض خواصه فابغضه الناس كافة وضجوا من  
فعاله ورفعوا القصص الى دار السلطنة واستغاثوا بقاءه الامر بالعزل في ثالث عشر ربيع  
الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين واحدى عشر شهرا وثمانية  
عشر يوما كلها بلايا واحن وقد عمر بمولاق وكالة تجاه الترسانة وصهر بيجا مقابلها يعالوه  
مكتب للآيتام وكان قصده أن يزيل الترسانة ويبنى مكانها جامعا فلم يتمكن من ذلك لعزله  
وتولى بعده الوزير ابراهيم باشا فدخل القاهرة في رابع عشرى ربيع الآخر من السنة وسار  
من وسط المدينة في موكب لم يعهد لاحد من قبله وفرح الناس به فرحا لا يوصف قيل وكان  
معه مرسوم من السلطان بتحقيق ما ارتكب فعله حسن باشا والقبض عليه وتعويقه حتى  
يتم ذلك فاحس حسن باشا بذلك وسار من القاهرة خفية قبل وصول ابراهيم باشا اليها وطلع  
من باب المقابر ليلا في نفر من أتباعه وبطائه فلما وصل الى دار السلطنة قبضوا عليه ثم  
أبعدوه عن خدمة الدولة وبالغوا في اذلاله ومازال حتى صادقته العناية والعناية صدف  
فارتقى مسند الصدارة العظمى وعلت كلمته واتسعت صوته ثم عزل وقتل شر قتلة وأما  
ابراهيم باشا فانه أخذ يتصرف فى الامور وأقام بجامع السلطان فرج بن برقوق ديوانا لسماع  
القصص التى كانت ترفع من الناس على حسن باشا فلبث الديوان ينظر فى تلك القصص  
من العاشر من رجب من السنة الى غاية رمضان من السنة فأبان التفتيش عن شئ كثير  
من مظالم تكاد لا تحصر ولا تعد وكان منها مائة ألف اردب وأربعمائة واثان وخمسون  
اردب فحبا بيعت من الشون وأخذ ثمنها حسن باشا المذكور وغير ذلك من الاختلاسات  
الاخرى قيل فلما رفع أمر هذا كله الى السلطان مراد وكان حسن باشا المذكور قد  
ارتقى منصب الصدارة العظمى أمر باعدامه خنقا وجاءت الاخبار بذلك الى مصر ففرح  
الناس بموته لما قاسوه فى أيامه من البلايا والاحن

مطلب  
ولاية الوزير ابراهيم باشا

وسار ابراهيم باشا من القاهرة الى داخلية البلاد ليستطلع أحوال الاهالى ووصل الى  
بئر الزمرد فاحاط بها علما وظفر منها بالزمرد النفيس وسار الى دمياط والى المحلة الكبرى  
وكان بها كنيسة عظيمة للغاية وهى من أفخر العمار القديمة وبها جماعة من قسوس

التأصلين أى أهل البلاد فلم يشأ أن تكون لهم واستعظمها عليهم فأمر بهدمها وبني مكانها مدرسة وسماها الوزيرية فعادت له هذه نقطة سوداء في تاريخ حياته ثم سار الى كثير من المدن والبنادر ثم رجع الى القاهرة وأنزل نفسه عن الولاية في سنة اثنين وتسعين فكانت ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وسافر الى دار السلطنة في شهر شوال من السنة فتولى بعده سنان باشا الدفتردار ودخل القاهرة في ثالث عشر شوال من السنة وبرايم باشا بها فلما استقر به المنصب طغى وتجبى وظلم الرعية وصادر الناس في أموالهم وأراق الدماء لاقل الاسباب وأضعفها واشتد شدة بالغة فضج الناس ورفعوا أمره الى دار السلطنة فأنه الامر بالعزل وقد تصرف الى ثالث عشر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة أيام وليث بالقاهرة الى أن قدم أويس باشا واليا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق فأرسل الى أويس باشا المذكور هدية عظيمة للغاية ومعها حصان أشهب مسرج بسرج مرصع وعدة تليق به وكان يؤمل أن أويس باشا حال طلوعه من المركب الى الوطاق المنصوب له يركب الحصان المسد كور فعزل عنه وركب اكديشا أشهب كان أحضره معه ثم ان سنان باشا قدم ناحية شبرا وقابل أويس باشا عند غروب الشمس فشهد علامات الغيظ على وجهه فهاله ذلك ودخله الخوف فلما رجع من عنده الى القاهرة اختسفى ولم يربعد ذلك الا في الديار الرومية

وتصرف أويس باشا في أمور البلاد من ثالث عشر جادى الآخرة سنة خمس وتسعين وكان قبل ذلك قد ولي القضاء ثم صار دفتدار الروم ايلي ثم جاء الى ولاية مصر فكان جبارا عنيدا شديدا البطش سفاكا للدماء كثير الاخذ بالشبهات ثم تطاولت يده أيضا الى العبث بأمور العساكر والاجناد والتصرف في مرتباتهم وجبا كهم بما يناسب هواه فخرجوا عليه وأحاط جماعة منهم بديوانه ودخل عليه جماعة وأوسعوه ضربا فذهبوا داره فأخذوا جميع ما كان بها من مال وممتع وقاموا على عثمان أغا اغاة الجاوشية وذبحوه ذبح الشاة وأحرقوا دار القاضي وقتلوا اثنين من قضاة مصر ثم عمدوا الى حوانيت القاهرة ومصر فنهبوا ما فيها وعانوا وأفسدوا وفعلوا مالا خيرا فيه وذلك في شوال من سنة ثمان وتسعين فخاف الناس خوفا شديدا وانكشوا في البيوت وتحصنوا بها وقد تطاولت أيدي العامة والغوغاء الى النهب والسلب أيضا فكانت فتنة عظيمة للغاية لم تقدر الامراء ولا كبار الجنود على تسكينها وبذل الباشا الجهد في ملاطفة أصحاب الفتنة وكبار العصاة وبعث الى القضاة يعلمهم بان لا يجالقوا للتأثرين أمرا عسى أن ينكفوا عن فعالهم فزاد تمردهم وطغيانهم وقبضوا على أولاد الباشا وأخذوهم رهنا على ما يطلبون وكان أولاد البلد الى هذا الحين يدخلون في خدمة الدولة ويلبسون لباس العسكر لهم مالهم وعليهم ما عليهم فلما وقعت هذه الفتنة حرموا من ذلك وحظر عليهم الدخول في مصاف العسكر ايجابا لطلب أهل الثورة

مطلب  
ولاية سنان باشا الدفتردار

مطلب  
ولاية أويس باشا



وحدثت عقب ذلك مصادرات كثيرة من وجوه شتى \* قال بعض كتاب الاخبار فكان لاويس باشا المذكور يد في هذه الحركة لامر خفي وطالت أيام القسنة فقلت الاقوات وعز وجودها وضح الفقراء واجتمعوا تحت قلعة الجبل وسبوا أويس باشا ورجوا الناس بالاجار ولما كان يوم الاحد رابع صفر سنة تسع وتسعين حصلت زلزلة بالقاهرة ومصر بعد ظهر اليوم المذكور فشككت درجة وسدس درجة وسقط بسببها عدة منارات وبيوت وربوع وقاض الماء من حيضان الحمامات ومظاهر الجوامع وهدمت عقبة أيلة فنهب العرب جميع ما كان بها من ذخيره للحجاج والمرابطين قيل ولم يسبق وقوع مثل هذا الزلزال الامن عهد بعيد للغاية ووقعت بعدها بثلاثة أشهر أى في يوم الاربعاء عاشر جادى الاولى من السنة زلزلة أخرى ولكنها لم تلبث الا يسيرا جدا فزاد تشاؤم الناس وكرههم الى أويس باشا وعجوا الى الله تعالى ونضرعوا اليه وكثر الدعاء بالجوامع وغيرها فلما كان سادس شهر رجب سنة تسع وتسعين أصابته سكتة قلبية فجأة فبات بها ودفن بالقرافة ففرح الناس بموته فرحا لا يوصف وكانت مدة تصرفه أربع سنين وشهرا واحدا وثمانية أيام فنظم بعضهم تاريخا في موته فقال

أهلك الله أويسا انسه \* جار في الحكم ولم يخش الوعيد  
 مذ أتى مصر تعدى حده \* وبه الظلم تبسدى في مزيد  
 هلك الحرث وكم من فتنة \* قد أثرت منه فيما لا يقيد  
 مذ دهاه الموت ما أفلته \* لا ولا كان له عنه حميد  
 خاب سعيها بوفاة أرخو \* ها وخاب كل جبار عنيد

سنة ٩٩٩ ٦٠٩ ٥٠ ٢٠٦ ١٣٤

فلما مات تولى بعده أحمد حافظ باشا الخادم فدخل مصر في سابع عشر رمضان سنة تسع وتسعين وتسعمائة وأخذ يتصرف في الامور فكان نعم الرجل ذارأى وتديبر محبا للعلم والفقراء حسن السياسة فأمنت في أيامه السبل وانتظمت أحوال الرعية وامتنع أهل الفساد وانكف الولاة والعمال عن العبث بأموال الرعية وكان يجلس للناس فترفع اليه القصص بمجاجات الخلق وعمر في أيامه وكالة كبرى وأخرى صغرى وسوقا وربوعا وبيوتا بمولاق من القاهرة بجوار شون الخطب وعمل مصلى بالوكالة الكبرى مطلة على النيل وعمر كذلك برشيد عمائر أخرى عظيمة وعمل سحابة بطريق الحاج وبها النفع للحجاج فلما كان التاسع من شعبان سنة ثلاث وألف هجرية جاءه الامر بالعرزل والقيام الى دار السلطنة فكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وعشرة أشهر واثنين وعشرين يوما ولما بلغ دار السلطنة جدت مساعبه بديار مصر فولى الصدارة العظمى ثم أنزل نفسه عنها واستأذن في الحج فأذن له وجاء الى مصر بحرا فتلقياه الكبراء والامراء أحسن ملتي وأهدوا اليه الهدايا النفيسة

مطلب  
 ولاية أحمد حافظ باشا الخادم

فج ورجع الى الديار الرومية فمات بها وتولى بعده علي ديار مصر قيودر باشا فدخل القاهرة في ثالث عشر رمضان سنة ثلاث وألف وكان أمياداً ذكاه محباً للهو والسذات قليل الخيلة ضعيف الرأي لاهم له غير اللعب والهوى وروى عن لهوه حكايات كثيرة أضربنا عن ايرادها هنا صفحا

وكان لما تولى السلطان مراد السلطنة أمر فانشأ بالمدينة تكية ورباطا بظاهر المدينة وقررها أرباب وظائف ومجاورين ورتب بالتكسية طعاما وجوبا للحرمين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة بأقليم البحيرة ناحية نكلا وناحية الضاهرية وبالمثوية ناحية سبك الاحد وناحية شبرا زنكي وبالقليوبية ناحية طنان وناحية كفر زريق وناحية طوخ الملق وناحية سد طنان وناحية سنهرا وبالدهليية ناحية سندوب وناحية منية سمندود وناحية أبو الحسن وبالحيزة ناحية كومبرا وناحية نهبيا وناحية العثمانة وناحية ديشنا وبالوجه القبلي الهنساوية وناحية بلينا وناحية الذيل وناحية العثمانة وناحية ديشنا وناحية نهبيا بلفية وناحية دنديل وناحية العثمانة وناحية الضوابط وناحية اهناس الخضراء فكان يججز الى بندر السويس من متحصل النواحي المذكورة في كل عام من الحب أنى اربد وماتى اربد تحمل في مراكب في وقف المشائس الدارية الى ينبع برسم التكية المذكورة ومجاورى الحرمين هذا عدا ما كان يججز من النقد من متحصل النواحي المذكورة في كل عام بحجة أمير الحج المصرى وقدره سبعة عشر كيسا توزع على أربابها من مجاورى الحرمين \* ولعل هذنا كله باق الى الآن \* فنتطلع قيودر باشا الى هذه الاوقاف وطمعت نفسه في أخذ بعضها فلم يقدر ثم خشي العاقبة وانعطف الى غيرها من موارد الاموال فشكاه الدفتر دار الى دار السلطنة وبالغ في فساد الاحوال وعدم صلاحيته للولاية \* قال أصحاب التاريخ ولم تكن هذه الاوقاف والخيرات والتسكيات لتكفر عن ذنوب السلطان مراد وما اقترفه من جريمة قتل اخوته الخمسة بعد توليته منصب السلطنة فانه بعد ان تمت له البيعة واستقر به المنصب أمر فقتلوا اخوته المذكورين صبوا لبأمن على ملكه من النزاع ولم يخش الخزى والعار فكانت هذه الفعلة الشنعاء نقطة سوداء في صفحات أيامه مع ما يضاف الى ذلك من تحجبه عن الناس وعدم اكثرائه بالامور وتركه الغزو والخروج في مقدمة الجند كما كانت تفعل أجداده حتى طمع العسوفى البلاد وتغلبت دولة النمسا على كثير من القلاع والحصون العثمانية وانتصرت في عدة وقائع عظيمة مات فيها كثير من رجال الدولة ومقدمى العساكر وخرجت بعض الايلات عن الطاعة فقاتلت حتى انتصرت ونالت الاستقلال واسترجعت ما أخذ من مدنها وبلداتها عنوة واستخفت طوائف الانكشارية بقدر الدولة فتمردوا وأهانوا كبارهم ومقدميهم وثاروا على بعض العمال وبيكار الدولة فقتلواهم جهارا ولم يقو السلطان على منعهم حتى كاد يبلغ الخلل حده وكانوا سببا في دوام الحروب ومعاداة السمالك المجاورة لدولة القسطنطينية

لاجتماعهم على الخلاف وعينهم بامور الدولة وتقويض أركان الامن فيها بما يفعلونه من القتل والنهب واذلال كبارهم عند أقل سبب وقد كان مما أهاجهم وخرج بهم عن حد الطاعة انه لما كثر فسادهم وكبر شرهم بما فشا فيهم من الادمان على السكر والافراط فيه أمر السلطان بمنعهم من ذلك وبالغ في عقاب من يقبض عليه سكران فقاموا عند ذلك قومة رجل واحد وحاصروا السلطان في قصره وضيقوا عليه وصمموا على قتله جهارا ولبسوا على هذا الحال أياما كثر فيها النهب والسلب والعريضة وتطاوت أيدي الناس لسلب أموال بعضهم ولم تسكن هذه الفتنة الا بعد ان أباح لهم السلطان السكر وتعاطى الخمر والرجوع الى ما كانوا عليه من العريضة والفساد

وظلت الاحوال في مصر ودار السلطنة في قلق واضطراب بعضه بسبب الحروب المتواصلة بين السلطنة والممالك المجاورة وبعضه بسبب كثرة العزل والتولية في ولاية مصر وتحزب الاحزاب وظهور كلمة الجند فيها وعدم وقوف كبارهم عند حد الى أن مات السلطان مراد في السابع عشر من جمادى الآخرة وقيل سابع عشر رمضان سنة ثلاث وألف هجرية فكانت سلطنته عشرين سنة وتسعة أشهر وستة أيام فخلفه ابنه السلطان محمد ومات في أيام السلطان مراد غير يال بطرك المتأصلين بعد أن أقام تسع عشرة سنة وكانت الامور في أيامه على طرفي نقيض ما صفت يوما الا وتكدرت أياما فاقم بعده يوحنا وهو تاسع ثمانتهم ولم يكن لرهبانيتها دير وكان حازما مهيبا محبوبا محبا للخير ميالا للفقراء آوى اليه كثيرا من ذوى الحاجة فمد لهم يد المعاونة وبذل لهم المعروف وأقام أربعاً وعشرين سنة ومات فخلفه متاوس وهو المتمم للتسعين وكان قبل ذلك راهبا في دير المحرق ووقع من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

## (الفصل الخامس)

(في سلطنة السلطان محمد ابن السلطان مراد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مراد ولده السلطان محمد بويج له بالملك في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف هجرية أي سنة أربع وتسعين وخمسمائة وألف ميلادية ولم يستقر به مقام السلطنة حتى قام على اخوته فقتلهم ليأمن على ملكه من المنازع وكان هذه الفعلة الشنعاء قد صارت سنة عند ملوك آل عثمان يجعل بها الخلف عن السلف ثم تحجب بعد ذلك عن الناس وانعكف على الملاذ وترك أمور المملكة لجماعة الوزراء فعاثوا وأفسدوا وتصرف كل منهم على هواه وعمل على ما فيه مصلحته فباعوا الوظائف والقاب الشرف بالبخس الاثمان وسلموا مقاليد الدولة للاغرار والسفلة فبلغ الخلل حده وزالت

حرمة الدولة وكبر طمع العدو فيها فخرجت عليها الخوارج وقامت الحروب من كل جانب واشتدت الخطوب وظهر الامير ميخائيل صاحب الفلاح على عساكرها في عدة مواقع عظيمة وضم الى مملكته اقليم البغدان وجزأ كبيرا من نسلفانيا وساعده على غير ذلك أيضا عساكر الفسا فعم الخلل جميع انحاء المملكة وقامت الفتنة وتطايير شررها الى جوف الاناطولى وظهر رجل اسمه قره يازجى كان من مقدمى المتطوعة الذين نفاهم السلطان الى آسية لجنبهم فى الحروب وادعى أن صاحب الشريعة الاسلامية أتاه فى منامه وأمره بالغزو والجهاد فى آل عثمان ووعده بالنصر والغلبة عليهم وأخذ جميع ولايات آسية منهم وبث الدعاة بذلك فى الآفاق فتبعه خلق عظيم من أولئك اللوموم فنزل بهم على بلاد القرمات وقاتل عامل الدولة عليها حتى ظفربه وأخذ مدينة عين تاب عنوة فكبرت عند ذلك لمومه وظهرت كلمته واشتهر أمره فسير السلطان لقتاله جيشا من الانكشارية فحاصروا مدينة عين تاب وضيقوا عليها وشددوا فلما أحس قره يازجى بالغلبة وأنه مأخوذ لا محاله عمد الى استعمال الحيلة فعرض على مقدم الانكشارية الطاعة للسلطان بشرط أن يوليه أماسيا فأجابته الى ذلك ورفع عن المدينة الحصار فلم يكن بأسرع من أن عاد قره يازجى المذكور الى العصيان وكان له أخ اسمه والى حسن قدولاه السلطان على بغداد فسير اليه قره يازجى رسلا تستغفره الى شق عصا الطاعة والقيام لتجدته فأجابته الى ذلك وسير اليه جماعة كثيرة من أصحابه فاشتدت عزيمته قره يازجى واستفحل أمر الفتنة وظهرت كلمة قره يازجى وأخيه والى حسن واتسعت شهرتهما وكادت تم دعوتهم ما فكبر الامر على السلطان واستعظمه وسير لقتالهما عساكرا عظيما ومقدمهم صقالى حسن باشا فقاتلوا أولا قره يازجى حتى ظهروا عليه وجرحوه فترفع الى الجبال ومات بجراحته ثم انحازوا لقتال والى حسن صاحب بغداد فقاتلهم قتالا عنيفا وانتصر عليهم فى عدة مواقع وقتل صقالى حسن باشا على أسوار (توقات) ومزق شمل عساكره ثم سار ونزل على دمشق بجنيه ورجله فهزم واليها شريفة وهزم ولاية حلب وديار بكر ونزل على مدينة كوتاهية فحاصرها وضيق عليها من كل جانب فاشتد عند ذلك الخلل وتعاضم وهامت أكثر ايلات الدولة الى الخروج وتأهبت الى شق عصا الطاعة الامصر فانها كانت فى شغل عن هذا كله بما قد انتابها من كثرة التولية والعزل فى ولايتها وعدم وقوف الجند والامراء فيها عند حد وعسف واليها قيودر باشا وعينه بجميع الامور وتطاول يده الى أموال الناس بلا استثناء وما زال الحال على ذلك الى سابع عشر رجب سنة أربع وألف ثم جاء قيودر باشا المذكور الامر بالعزل فكانت مدة ولايته عشرة أشهر وعشرة أيام فتولى بعده الشريف محمد باشا ودخل القاهرة فى ثالث شوال سنة أربع بعد الالف وكان مهيبا ذا بصيرة وخبرة بالامور واسع الاطلاع بادارة البلاد فلما استقرت به الولاية وجلس للناس رفعت اليه القصص ضد كوسى حسن الشاغرت وأجدد المسلمين وكان الاول على الاموال والثانى على الشئون السلطاني وكانا قد اختلسا منهما شيا كثيرا فعين عليهما من ضبط حسابهما

فثبت عليهما ما قيل فأمر بشنتهما على باب زويلة وتركت أجسادهما معلقة ثلاثة أيام  
فهابه الناس وخافوه خوفا ما عليه من مزيد فخامره لذلك الغرور حتى بلغ به الى الاخذ  
بالشبهات والبطش بن يتوسم فيه سمة الانكار وأراد أن يبطش ببعض كبار الناس فاشيع  
عنه ذلك فتهذروا منه وأبغضه الناس والامراء كافة فلما كان في بعض الايام أراد التوجه  
الى الربيع فنعى بعض أصحابه وأندروه بسوء العاقبة ان هو ذهب في يومه فنبتد كلامهم  
فلما خرج قام عليه جماعة من العسكر وتعرضوا له عند انصرافه وهو باب الوزير موكبه  
الخاص وعساكره وطائفة من السامانية وهم معدون بالبنادق فلما عين من معه كثرة العساكر  
تفرقوا عنه في الازقة وتركوه في نفر قليل من أتباعه فدعا العسكر للحاكم امام قاضي  
القضاة بمدرسة السلطان حسن فأظهر لهم الانقياد والطاعة وسار معهم الى ان وصل الى  
الرميلة فأركض فرسه نحو باب السلسلة ودخل القلعة وأغلق الابواب بينه وبين العسكر فهاج  
العسكر وأثاروا الفتنة وقتلوا كل من كان يكثر التردد على محمد باشا من الامراء والعلماء  
وأصحاب الوظائف وأخذوا الناس بالشبهات فعم الخوف وكبر اضطراب الناس وبقى محمد باشا  
بقلعة الجبل مكفوف التصرف قاصر الكلمة محجورا عليه الى أن جاءه الامر بالعزل في خامس  
عشر ذي الحجة سنة ست بعد الالف وكان جبارا عنيدا سنا كالدماء وقع في أيامه فحط شديد  
للعافية استمر مدة وأعقب القحط وباء عظيم فكثرت الموات في الناس بالقاهرة ومصر وضواحيها  
وزاد زيادة بالغة ثم عم القرى وانتقل أيضا الى بقية البلدان فكانوا يدفنون الاموات في الليل  
والنهار وكثرت الجثث في البيوت وفي الطرق والحارات واشتد الوهم بالناس وفر محمد الشريف  
باشا من القاهرة هربا من الموت واستخلف على البلاديري بيك أحد كبار الامراء فلم تستقر به  
الولاية حتى أدركه الموت فولى الامراء بدله عثمان بيك فأقام الى ان كانت الفتنة وعزل محمد  
الشريف باشا وأتى خضر باشا واليا فكانت مدة تصرف محمد الشريف باشا سنتين وشهرين  
وثلاثة عشر يوما وخرج من مصر في موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه  
خاصة العسكر وعامته فلما وصل الى الديار الرومية أرسله السلطان لقتال ملك فارس فأمر وبقى  
ببلاد فارس الى ان مات

مطلب  
ولاية خضر باشا

مطلب  
ولاية علي باشا

ودخل خضر باشا القاهرة في عشر ذي الحجة سنة ست بعد الالف فتصرف ثلاث  
سنوات وخمسة أيام فلم يقع في أيامه من الحوادث شيء يذكر الا ما كان من سكوت الفتنة  
ورجوع الجند والعسكر الى الطاعة وزوال الخوف من قلوب الرعية ثم عزل في خامس عشر  
الحرم افتتاح سنة عشر وألف \* وتولى بعده علي باشا فدخل القاهرة في تاسع صفر سنة عشر  
وألف وكان لما قدم الى الاسكندرية لبث بها أياما فتراكت عليه القصص وتساقطت بين يديه  
بالشكوى من الكشاف وبعض رجال الدولة وأكثرها من برويز كاشف المتوفية وكان برويز  
هذا عتلا زنيما ظالما محبا للمال كثير المصادرة للناس سفاكا للدماء لادين له ولا ذمة ولا حرمة  
ولأدب فلما أتى الكشاف للقاء علي باشا المذكور وبينهم برويز هذا أمر به علي باشا فقبضوا

عليه وقتلوه بين يديه \* وقيل ان لقتل برويز المذكور سببا غير ذلك وهو ان شيخى افندى  
الذى كان متوليا قضاء المنوفية وانصرف عنها قد اجتمع بعلى باشا في جزيرة رودس فسأله على  
باشا عن مصر وأحوالها وما فيها من الامور الخارقة فحدثه بما علمه من أحوال البلاد  
وأهلها وبالغ في الوعنة ببرويز كاشف المنوفية المذكور وأخذ يعدد فظائعه فلما وصل  
على باشا الى كفر الخضراء رفعت اليه القصص ضد محمد بن نجاحا كرم النجراوية فقبض عليه  
وقتله بفناء المكفر فهابه الحكام وخافه الكشاف ودخل القاهرة في هيبة وجلالة وقبض على  
برويز وقتله فلقبوه من يومئذ بالنمر \* ولما استقرت به الولاية أرسل قوسا وأمر أن يعلق  
على باب زويلة بالمرمى ولصق به ورقة ذكر انه مكتوب فيها كل من أدنى هذا القوس يعطى  
ما هو مقيد بالورقة فلم يجسر أحد أن يمسه القوس تأديبا واستمرو وهو معلق أياما ثم رفع ثم اشتد  
بعد ذلك على العسكر وضيق عليهم وصار يؤاخذهم على الصغائر والكبائر فابغضوه وجعلوا  
يراقبون فرصة للانتقام منه فانفق انه سار الى طنطا لزيارة السيد البدوي فعارضه بعض  
العسكر ومنعوه من الخروج من القاهرة الا اذا أعطاهم ما كانوا يطلبونه منه فأجابهم الى سؤالهم  
صاغرا وعاد الى القاهرة وقد كاد يتميز غيظا فرض واشتد به مرضه فإرسل الى دار السلطنة  
يطلب الاذن بالعود الى القسطنطينية فأذن له فسافر في سادس ربيع الآخر سنة اثنتى  
عشرة وألف فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرين يوما فلما وصل الى دار  
السلطنة قلد منصب الصدارة العظمى ثم وجبه لقتال المجر فلم يلبث الا قليلا وعاوده المرض  
فمات هناك وكانت أيامه بمصر كلها خيرا وبركة وظهر في أيامه التبغ بديار مصر وكثر استعماله  
ولم يكن الى ذلك الحين شيئا يذكر وظهر الطاعون فمات به خلق كثير جدا وعم القرى  
والمدن والبنادر ومكث أياما وقتك فتكا ذريعا ثم ارتفع \* وجاءت الاخبار في هذه الاثناء  
بموت السلطان محمد مات في رجب سنة اثنتى عشرة وألف هجرية فكانت مدة سلطنته  
تسع سنين وخمسة عشر يوما وتولى بعده ابنه السلطان أحمد

## (الفصل السادس)

(في سلطنة السلطان أحمد ابن السلطان محمد خان)

ثم قام بالامر بعد السلطان محمد ابنه السلطان أحمد ببيع له بالملك في ثالث رجب سنة  
اثنتى عشرة وألف هجرية أى سنة ثلاث وستمئة وألف ميلادية وله من العمر ثمانى  
عشرة سنة فاستوزر الامير قويجى مراد باشا وكان شيخا كبيرا صادق الخدمه تولى  
الوزارة وأركان الدولة مستعزعة في جميع جهات آسية والفتنة قائمة ونار الحرب مستعرة  
على حدود فارس شرقا والنمسا غربا والسبب في ذلك انه لما تولى عباس شاه على ملك فارس

بعد موت محمد مرزا في سنة أربع وتسعين وتسعمائة هجرية نهض الى استرجاع مأخذه ملوك  
 آل عثمان من ملك فارس فأعد المعدات وجيش الجيوش ورمم القلاع والحصون وسار في عسكر  
 من خراسان الى مشهد وكانت قد استولت عليها قبائل الازبك فاستخلصها منهم وانتصر  
 عليهم عند هرات أيضا نصرة عظيمة فلما تقوت عزيمته بما ناله من الظفر عمد الى قتال آل  
 عثمان فنال منهم واسترجع جميع مأخذه من مملكة فارس عنوة ولم تقو الدولة على رده  
 يومئذ لاختلال الاحوال وسريان الفساد في جميع ولايات الدولة الشرقية وخروج الخوارج  
 بعضهم يستغفر بعضا فلما بطت الحرب مع عباس شاه سار قويجي مراد باشا الصدر في  
 مقدمة جيش عظيم الى اطفاء نار الفتنة وقمع أولئك الخوارج في جميع الولايات الشرقية  
 فقاتلهم وانتصر عليهم ومزق شمل لمومهم وقبض على كبارهم وأعمل فيهم القتل بحد السيف  
 وما زال بهم حتى زالت الفتنة وعادت الامور الى سابق مجراها ورجع عن بقي من جيوشه  
 الى القسطنطينية ظافرا غانما فلقب يومئذ بسيف الدولة ثم مات بعد ذلك فكان موته خسارة  
 عظيمة على الدولة لصدق خدمته وأمانته وسعيه في اعلاء منار الدولة وارجاع رونقها القديم  
 فتولى بعده الوزارة نصوح باشا واتفق بعد ولاية نصوح باشا هذا ان عادت سفن رهبنة  
 سالطة وسفن الحرب الاسبانية الى مهاجمة مراكب الدولة وسدد المسالك عليها في عرض  
 البحر الابيض وأعانتها على ذلك المراكب الايطالية أيضا فرسم نصوح باشا لجمع مراكب  
 الدولة بالاجتماع في البحر الابيض والمحافظة على المواصلات ما بين القسطنطينية والايالات  
 المغربية فاجتمعت وكان محجى بعضها من البحر الاسود فلما خلا البحر الاسود منها قامت  
 طائفة من القوزاق وزحفوا على نغر سينوب فنهبوا وعاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خيرا فيه  
 وجاء الخبر بما وقع الى دار السلطنة فأكبره السلطان واتهم الصدر الاعظم بالخيانة وسوء  
 القصد وكان للصدر خصوم وأعداء لا تغفل عن الوشاية به فزينوا للسلطان قتله وحببوا  
 اليه التخلص منه فأمر به فقتلوه خنقا في قصره \* وكانت مصر الى ما بعد خلع واليها على  
 باشا وقيامه الى دار السلطنة بأيام كثيرة بلاول والاحوال فيها في اضطراب والامراء  
 والجنود على طرفي نقيض حتى جاء مرسوم السلطان الى أمير الحاج بالتصرف في ولاية البلاد  
 فتصرف من عاشر ربيع الآخر فكان لا بأس به أصلح بعض الامور ورفع بعض المغارم  
 وأبطل كثيرا من المظالم وأعاد الجنود الى حد الطاعة وأزال الشحنة من بين كبارهم ولكن لم  
 تطل مدته اذ اخترمه المنية في يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة اثنتي عشرة وألف من  
 الهجرة فكانت مدة تصرفه نحو من خمسة أشهر ودفن بالقرافة فاتفق الامراء وكبار الدولة  
 على تولية عثمان بك أمير اللواء فولوه المنصب في سابع عشر شعبان المذكور الى أن يقدم  
 من دار السلطنة من يتصرف وكان الامير عثمان هذا مشهورا بالعفة والاستقامة وله  
 جلاله وهيبته ورأى وخبرة بالامور فتصرف مدة ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما \* ثم جاء  
 الخبر بولاية ابراهيم باشا المعروف بالمقتول فدخل القاهرة في يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة

مطلب  
 ولاية ابراهيم باشا المعروف  
 بالمقتول

سنة اثنتى عشرة وألف فلما استقر به المنصب وتصرف في الامور منع الكثير من طلبات  
العسكر وجعل يتبع عثراتهم ويتجسس أخبارهم ولا سيما مجالس هزلهم فأشار عليه  
أصحاب المعرفة بأن يقلع عن هذا فلم يقبل وكان مستقلا برأيه نفورا مختالا لا يتقاد الى  
نصح ولا يهتدى لقول مشير \* واتفق ان أتت له الاخبار يوما بأن جماعة من العسكر بالغيظ  
الذى بقناطر السباع يتعاطون الحجر ويفعلون ما لاخير فيه فقام وغير لباسه وسار اليهم ومعه  
ثلاثة رجال من خواصه فلما علم العسكر بحضوره فروا هارين وزاد بغضهم له ونووا قتله  
فلما كان في ناسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة خرج ابراهيم باشا في نفر من الجند  
والاتباع وأصحاب الوظائف والصناجق لقطع جسر أبي المنجي بين شبرا وقلوب فأشار عليه  
بعض أصحابه أن لا يخرج وان الذى يخرج عادة لقطع هذا الجسر هو زعيم مصر فان كان  
ما يمنعهم أرسل بعض أتباعه لقطعه فقال وما على لوز هبت بنفسى قالوا ان خواطر الجند  
منرفة وقلوبهم متغيرة عليك بسبب فعلك بهم فقال لا يد من الذهب وخرج بغير اجماع وقد  
أدر كنه صلاة الجمعة بيولاق القاهرة فصلى بها وهيئت له سفينة عظيمة وزينت بالستائر  
والرايات والفرش والطنافس الثمينة فركبها وصحبته الامير محمد بن خسرو أمير اللواء  
بمصر المحروسة وبعض أ كبر خدمة الديوان وما زال الى ان وصل الى الجسر فقطعه في يوم  
السبت مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة بعد الالف وكان ابراهيم باشا قد هيا طعاما  
بالغيظ الذى أنشأه محمد باشا تجاه أبي المنجي فدخل الغيظ ومن معه وصحبته الامير  
محمد بن خسرو وعزى زاده قاضى القضاة يومئذ وحصل لهم الصفو والمباسة قبل  
الطعام فلما حضر الطعام رأى الامير محمد بن خسرو طائفة من العسكر مقبلين بسلاحهم  
يريدون القتلك بهم فاسرع اليهم وعارضهم وسألهم عما يطلبونه فسألوا من ابراهيم باشا شياً  
كان يمكن قضاؤه في الحال فلما رأى ابراهيم باشا ما هم عليه من التهديد والجفاء والتخرب  
لم يجبههم الى ما طلبوه وأغلظ عليهم القول فتقدموا نحوه فنانعهم الامير محمد وزجرهم وصاح  
في وجوههم فطعنوه أحدهم بختجته فسقط يختبط في دمه فعلا صدره آخر واحتز رأسه  
وهجم آخرون على ابراهيم باشا واحتزوا رأسه وهو على مائدة الطعام فامتلات أوانى  
الطعام من دمه ورفعوا رؤسهما على جريدتين من نخيل الغيظ وعادوا الى القاهرة وهم في  
ضجة وجلبة وطاقوا بهم ما الشوارع وساروا من وسط المدينة الى باب زويلة وعلقوهما  
هناك نحاف الناس وأغلقت جميع الحوانيت في ذلك اليوم وسدت أبواب الدور من خلف  
وأيقن الناس بوقوع الفتنه واضطرام نارها وأغلقت أبواب المدينة كباب الحسينية وباب  
النصر وباب البحر وتعطلت جميع الاعمال فكان يوما عبوسا وفي قول ان قتل ابراهيم باشا  
المذكور كان في قلعة الدولاب وهو راجع مع من كانوا معه الى القاهرة لما بلغه خبر حضور  
العسكر لقتله \* وكان قد أشار عليه بعض الصناجق بالهروب بحرا وعدم العود الى القاهرة  
فلم يلتفت لقولهم ولا أخذ بمشورتهم فلحق به العسكر وقتلوه واحتزوا رأسه وطاقوا به في



الشوارع وعمثوا وأفسدوا في ذلك اليوم وفعلوا ما لاخير فيه فكانت مدة تصرف ابراهيم باشا المذكور في الولاية اربعة أشهر وثمانية أيام لاغير وقد نظم بعضهم تاريخها في موته فقال

ان ابراهيم باشا \* قدسني في الخير سعيها  
قتله قد أرخوه \* وأرى التاريخ بغيا

سنة ١٠١٣

ولما قتلوه على الصورة المتقدمة أقاموا قاضي القضاة عزى زاده واليا بعده في ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة بعد الالف وقد كانوا أرادوا أن يولوا الامير عثمان بك فامتنع ولم يقبل \* فلما وصل خبر قتل ابراهيم باشا الى دار السلطنة غضب السلطان ورسم بولاية برجى محمد باشا الخادم وأمره بقتل الثائرين وقطع دابر جميع من كان له يد في هذه الثورة فدخل القاهرة في سابع رجب سنة ثلاث عشرة بعد الالف وأتى الى الصناجق أيضا مرسوم السلطان بما ذكر فلما استقر محمد باشا بالقلعة وطلب الامراء ليقرا عليهم مرسوم السلطان وان يأتوا بأهل الفساد وأصحاب الثورة خاف الامراء وامتنعوا من الصعود الى القلعة واجتمعوا بقرايميدان تحت القلعة وتشاوروا طويلا وكان بعض أكبر الدولة يترددون ما بين الباشا والصناجق حتى استقرت القاعدة بينهم على تسليم زعماء الثورة والعفو عن الصناجق فسلوهم فأمر الباشا برى أعناقهم بين يديه فرميت في الحبال ونشتت من بقي من أصحاب الثورة في البلاد فرارا من وجهه فجدد في طلبهم من الكشاف فنتهم من بجى به حيا فقتل ومنهم من قتله العربان قال بعض كتاب الاخبار فكان ما قتله منهم نيقا ومائتين في مدة تصرفه وكانت مدة يسيرة اذ جاءه الامر بالعودة الى الديار الرومية فسار في يوم الاحد ثلثي عشر ربيع الاول سنة أربع عشرة فكانت مدته سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتقلبت به الاحوال الى أن ولى مسند الصدارة العظمى وكان حازما شهما قوى الجاش حسن التدبير صائب الرأى ذاخبرة بالامور واسع الكفاية مهيبا \* وتولى بعده حسن باشا الدفتردار وقد كان واليا على اليمن ثم صرف عنها وقدم منها صحيفة الحج الى القاهرة فتردد عليه الناس وزاره الامراء والعلماء والأكابر فشاهدوا منه رجلا عاقلا أدبيا محتشما وأقام بالقاهرة أياما كان يبحث فيها عن أحوال البلاد وسير الكشاف ومعاملة أرباب الحل والعقد لاهالى البلاد فوردت الاخبار الى القاهرة في يوم الاثنين ثالث ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف بولاية حسن باشا المذكور على الديار المصرية وقد كان اذا أتى لزيارة الكبراء والامراء والعظماء توجع لهم مما يشاهده من ضنك الأهالى وفاقاة الناس واشتداد الكروب ويقول اذا أتانى الله سبحانه ولاية مصر بذلت في اصلاح الاحوال مهيجتى فلما جاءت الولاية واستقر بها لم يمنع ولم ينفع واختلفت أموره وقصرت كلمته وعمت البلوى وانتقل في وجه أصحاب الظلمات باب الشكوى فغاث العسكر في أيامه وعادوا الى التمرد

مطلب

ولاية برجى محمد باشا الخادم

مطلب

ولاية حسن باشا الدفتردار

والانفساد فلم يقدر على ردهم فاشتدت الفتنة وظهر أهل الفساد وارتفع الامن وسدت الطرق في وجوه أبناء السبيل وقبل الوارد من المأكول الى القاهرة ومصر القديمة فغلت الاسعار وتعذر على الفقراء الحصول على قوت اليوم ولبث الحال على هذا الوصف حتى صرف عن الولاية في يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف فكانت مدته سنة واحدة ونصفا وستة وعشرين يوما\* ثم تولى بعده الوزير محمد باشا فدخل القاهرة يوم الخميس خامس عشر صفر الخير سنة ست عشرة وألف وكان حازما عاقلا ذا فكرة وتدبير ساكن القلب هادئ اللب كثير الصبر والجلد فلما استقرت به الولاية التفت الى أمور البلاد وحاجات الخلق وبانغ في ترتيب الاحوال وتأمين السبل وابعاد أهل البغي والفساد وأخذ السبل بالشبهات فاتحرفت لذلك خواطر الامراء عنده وابعضه الجند وكثرت عليه الشكاوى من جور الكشاف وأخذهم أموال الناس فلما كان غاية جمادى الاولى من السنة المذكورة استقدم اليه ابن درغت كاشف المنوفية وبروز مجر كاشف الغربية وكوسى كاشف البحيرة وعوقبهم عنده بقلعة الجبل الى غروب اليوم ثم أمر برمي أعناقهم وولى مكانهم آخرين وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن لا يظلموا الرعية ولا يتعدوا الحدود وكان ممن عين لكشافة الغربية الحلوجى فانفق انه بعد توليته ذهب الى بولاق القاهرة لقضاء مصلحته فالتقى بطائفة من العسكر وقد علموا بولايته على اقليم الغربية فسألوا منه حاجة فلم يجبهم اليها وأغلظ معهم في القول ونهرهم فاطلق عليه بعضهم طنبجة محشوة بالبارود فانزعج وألقى بنفسه الى النيل فانقته ثيابه فبات غريبا وبلغ الخبر محمد باشا فجمع اليه الأمراء وأكابر العسكر بالميدان تحت قلعة الجبل ونشروا البيرق السلطاني ونادى منادى من كان مطيعا لله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر العسكر ومكثوا بالميدان ثلاثة أيام ثم طلع الامراء الى قلعة الجبل فكلمهم الباشا طويلا في أمر هؤلاء الخوارج وقد كانوا بعد موت الحلوجى اجتمعوا خارج سور القاهرة وانضم اليهم طوائف أخرى من العساكر والاجناد وقسموا بينهم بلاد مصر وأقاموا عليهم سلطانا منهم واختص كل فريق بجهة من جهات مصر العليا والسفلى وتفرقوا على ذلك فماتوا وأفسدوا الحرث والنسل وسدوا الطرق وقطعوا السبل ومنعوا ورود الاقوات الى القاهرة فاستقرت القاعدة ما بين محمد باشا والامراء في ذلك اليوم على الخروج بطائفة من الجند لقتالهم فخرجوا واقتتلوا معهم قتالا شديدا وظفروا بهم ومزقوا شملهم وقبضوا على زعمائهم وأصحاب الكلمة منهم وقدموهم الى محمد باشا فأمر بقتلهم بين يديه وتبضع الجند من بقي منهم في المدن والقرى وبادوهم الا من طال عمره وحدثت نار الثورة ثم لم تسكد تطمئن خواطر الخلق حتى ظهر جماعة من لموم الاشقياء في أوائل القعدة سنة سبع عشرة وألف واجتمعوا من الاقاليم القبلية والبحرية وتألفوا حزبا واحدا وحلفوا لمن بقي من متشردى اولئك العسكر بعد الواقعة الأولى على الأخذ بشأهم وقطع

مطلب  
ولاية الوزير محمد باشا

داب الامراء وأكابر الدولة ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وتحالفوا على الهجوم والقتال فلما علم محمد باشا بخروجهم أرسل لهم جماعة من الاختيارية الموصوفين بالعقل والتجربة فوعظوهم وحذروهم عاقبة هذا الامر فلم ينتهوا فعادوا وأخبروا الباشا بما كان لجمع الباشا طوائف العربان ومشايخها من الاقاليم وجميع العساكر والاجناد وجيش منهم جيشا عظيما مدججا بالسلاح وآلات الحرب وعدة من المدافع وجعل مقدمه الامير مصطفى بك سردار العساكر فسار مصطفى بك بهذا الجيش لقتال الخوارج فلما وصل الى بركة الحاج تراهى الجمعان فاقتتلا قتالا شديدا وظفر بهم مصطفى بك وضيق عليهم المسالك فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقبضوا على أسرارهم ومقدميهم وهرب من خالص منهم فتبعتهم العربان وقتلتهم وعاد مصطفى بك الى القاهرة بمن معه من الخوارج وهم مشاة حفاة حاسرو الرؤس مكبلون بالحديد ورؤس القتلى مرفوعة على الرماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون اليهم ومرروا بالقصبة الى أن وصلوا الى القلعة فلما تملاوا بين يدي محمد باشا أمر بجماعة منهم فقتلوا في ساعة وصولهم والباقي منهم قتل في ليلة وصوله وألقوا جثثهم في النيل ثم أخذوا يتبعون اثر من بقى منهم فكانوا اذا عثروا بأحد نفوه الى اليمن وما زالوا حتى لم يبق منهم أحد وصفت الحال وسكنت خواطر الخلق واطمأنت قلوب سكان مصر والقاهرة \* ووجه الباشا عنايته الى ترتيب خراج البلاد وابطال الكلف والمعارم وتخفيف الضرائب وابطال طريقة جباية الاموال التي كانت جارية من عهد دولة المماليك الشراكسة ورسم بجبايتها على ما جاء في حكم السلطان سليمان الموقع في ستة اثنيتين وثلاثين وتسعمائة وكان شفوفا بالرعية محبا للضعفاء أخذنا بناصر المظالم نافذ الكلمة لا يرد له أمر وما زال محفوظا الى ان اختار العود الى دار السلطنة وتنزل نفسه عن ولاية مصر فخرج في يوم السبت ثلثي جمادى الآخرة سنة عشرين وألف في جلالة وموكب عظيم ما تخلف عنه أحد من العسكر والاجناد والامراء فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر واثني عشر يوما وعمر في ولايته جللة مبان وعدة عمارات بنغر رشيد وأخذ الجزر المقابلة لرشيد وأطمينا بالمنوفية والجيزة وعمل صحابة بطريق الحاج فلما بلغ دار السلطنة ولي مسند الصدارة ثم أرسل بجيش جرار لقتال ملك فارس فلم يقارن أعماله بتوفيق ولم ينجح له تدبير وعاد مهزوما فولاه السلطان ولاية حلب فأقام بها قليلا ومات

مطلب

ولاية حاجي باشا وخلعه  
وولاية محمد باشا المعروف  
بالصوفي

فتولى بعده على مصر حاجي باشا بأمر سلطاني أحضره اليه محمد باشا قبل سفره الى الديار الرومية وسلمه اياه بمدينة بليس في يوم السبت ثالث رجب سنة عشرين وألف ودخل القاهرة وتصرف لغاية يوم الخميس العشرين من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته شهرا واحدا وسبعة عشر يوما وتولى بعده محمد باشا المعروف بالصوفي ودخل القاهرة في ثاني عشر شعبان وجعل يتصرف في الامور فكان ظاهره اللين والرفق بالرعية وتأمين السبل وقطع شأفة أهل الفتن والفساد فلما كان في شهر ربيع الآخر سنة اثنيتين وعشرين وألف قدمت الى مصر طائفة من عسكر الدولة يبلغون زهاء أربعة آلاف غير

الاتباع وكان السبب في قدومهم انهم ناروا على الدولة وخرجوا عن طاعة كبارهم وكادت فتتهم ثم فندبر الصدر الاعظم في ابعادهم الى مصر وأشاع بينهم انه يريد بقاءهم بها رباطا مستديما فلما وصلوا الى القاهرة أتى الى محمد باشا مرسوم سلطاني بتجهيزهم الى بلاد اليمن وامدادهم بما يلزم من المؤن والعلائف ودواب الحمل قدر الاستطاعة فلما تحققوا انها مكيدة عصوا وتمردوا فأجملهم محمد باشا بالخروج بعد ان صرف لهم جوامك السفر وسير معهم فندق بك أحد الامراء ليسير بهم الى مدينة السويس فبرز فندق بوطاقه يوم ثالث عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة فر الوطاق بيباب زويلة ثم الى باب النصر وكان به أولئك العسكر فقاموا عليه ورموا بالخيام من فوق ظهور الجبال ومنعوه من الخروج وهاجوا وماجوا ونادوا بالويل والثبور على السلطان ورجال دولته فوصل الخبر الى محمد باشا فجمع من وجد عصر اذذاك من العسكر ورسم الى فندق بك بالخروج الى الريدانية بالعسكر واجهار النداء بأن جميع العسكر الذين قدموا من دار السلطنة يخرجون بحجة السردار المعين ومن خاف قبض عليه وجوزى فامتنعوا جميعا وأغلقوا بابي النصر والفتوح ورموا خلف البابين بالاجبار وتحفظوا من كل جانب ومنعوا كبارهم من الخروج الى الريدانية والطلوع الى الديوان ونصبوا حواجز بالشوارع الموصلة اليهم وتحصنوا بكثير من المتاريس وصعد جماعة منهم الى أعلى الخانات والربوع والبيوت والجوامع والمنارات وهم ينتظرون من يقدم عليهم فلما بلغ محمد باشا خبر هذا التحصين وان لاطاقة لفندق بك ومن معه على اخضاع أولئك الخوارج جمع الصناجق والكشاف ومقدمي الخضر بيمدان الرميثة وتشاوروا في الامر فاستقرت القاعدة بينهم على ان يسيروا اليهم فساروا فلما عين الخوارج ذلك الجمع اذعنوا للطاعة وأجابوا ورفعوا الحصار وأزالوا المتاريس وفتحوا الابواب وطلبوا الامان ودواب الحمل فأحضرها لهم ما يزيد عن ثمانين جلا فلما وصلت اليهم الجبال عادوا الى العصيان وضربوا الجبال بالسيوف فنفرت وتشردت وقلوا الابواب ثمانية وعادوا الى أقوى مما كانوا عليه من التحصين وشاع الخبر بأنهم قتلوا كبارهم ولم يبقوا على أحد فأمر محمد باشا السردار بالخروج فخرج ومعه جمع كبير من الامراء والاجناد واثني عشر من كبار الامراء وطائفة من حارة القوالة وساروا الى الخوارج بستة مدافع كبار محشوة بالفلوس الحديد والمسامير وودى للرعايا الملاصقين لاما كنهم وبيوتهم بعلق الخوانيت والبيوت فلما وصلوا اليهم وجدوهم متيقظين متحفظين بعلو الاسطحة والمآذن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كل ما ألقى العسكر من الرصاص والنشاب والاجمار لا يصل الى الخوارج لعلوهم على العسكر وكل ما ألقاهم على العساكر نال منهم فقتل من العساكر سبعة فهال عسكر الوالي هذا الامر وخشى استفحال امر هذه الفتنه وقد اشتد رمي الخوارج وتتابع على العسكر فجعل مقدم عسكر الوالي يتدبر في الوصول اليهم من وكالة البطيخ وما زال حتى اتصل اليهم بجماعة من العسكر واتصل الامير قاسم والامير عبدى

من خلفهم وتقدم الامير يوسف الغاص بأصحابه فرفع الحواجز والمتاريس ونقبوا عليهم  
 أماكنهم ودخلوا عليهم فلما اشتد الحال عليهم ولم يجدوا لهم قوة على القتال وعلوا أنهم  
 مأخوذون لا محالة طلبوا الامان وأجابوا بالامتثال في السر الى حيث شاء الباشا فأخرجوا  
 جميعا ولم يتخلف منهم أحد وسيروا بهم الى السويس وزالت الفتنة وسكن الحال واطمأنت  
 خواطر الناس وعادت جميع الامور الى سابق مجراها \* وسار محمد باشا في الرعية سيرة  
 حسنة وكان شفوفا عليهم ميالا لخيرهم فرفع كثيرا من المغارم القديمة وأبطل بعض  
 المكوس الفادحة وكان يجلس بنفسه للنظر في مصالح الخلق ويوقع على ما يرفع اليه من  
 القصص فزال في أيامه القلاقل والفتن ودرت الارزاق وحصل رخاء عظيم حتى بيع الاردب  
 القمح بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول كل اردب بخمسة عشر نصفا والعدس  
 والبسلة كل اردب بثمانية عشر نصفا وكثر وارد الماء كولات وتنازلت أثمان غير ما ذكر  
 ففرح الناس فرحا عظيما ومالوا اليه بقلوبهم وأحبوه محبة عظيمة \* فلما كان في يوم  
 الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وألف ورد مرسوم سلطاني بصرف محمد باشا  
 عن ولايته فكانت مدتها ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما فخرن الناس عليه  
 كثيرا \* وتولى بعده أحمد باشا الدفتردار ودخل القاهرة في يوم الخميس حادي عشر ربيع  
 الاول سنة سبع وعشرين وألف في موكب عظيم مشى فيه جميع العساكر والاجناد وهو  
 على فرس وعلى رأسه عمامة بريشتين قيل ان قيمة كل ريشة منهما ألف دينار فلما وصل  
 بموكبه الى الجواخين سقط على فرسه حجر من طاقية بيت بالربع الذي يعلو حوانيت  
 الجواخين نألقى احدى الريشتين على الارض ومزق جانبها من القماش فقبض في الحال على  
 من ألقى الحجر فتمطير أحمد باشا من ذلك وأمر برى عنتق الرجل فرموا عنقه وكان الرجل  
 يوصف بجهال العقل وما زال في موكبه حتى صعد الى قلعة الجبل واحتجب أياما لا يراه  
 أحد ثم جلس للناس وتصرف في الامور فكان حاكما سياسيا صاحب تدبير سهلا في أموره  
 قريبا من الناس ليس عنده تحجب ولا غلظة مجبا لخير الرعية ميالا لاسعاد البلاد فكان يأتي  
 الى أحسن الامور من أبوابها حتى اجتمعت القلوب على محبته واتحدت على طاعته وهابه  
 الحكام وخافه الولاة والكشاف وساروا بسيرته الا القليل وعمت الراحة أفراد الرعية  
 وراجت أسباب الزراعة وكثرت غلات البلاد كثرة عظيمة

مطلب

ولاية احمد باشا الدفتردار

فلما كان شهر شوال وردت الاخبار الى أحمد باشا بموت السلطان أحمد مات في اليوم  
 العاشر من القعدة سنة سبع وعشرين وألف حتف أنفه وهو آخر السلالة المتصلة من  
 عود هذا النسب وكان عادلا محبا للخير أرسل الى حرم صاحب الشريعة الاسلامية حجرا  
 من الماس قيمته يومئذ اثنا عشر ألف دينار وأكثر ورسم بأن يوضع في الحجر وهو موجود  
 الى الآن وأرسل أيضا جلة هدايا وتحف وميزابا من الفضة مموها بالذهب فوضع موضع  
 الميزاب العتيق قيل وله خيرات أخرى كثيرة وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة

وأربعة أشهر وعشرة أيام فتولى بعده السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وهو أخو السلطان  
أجد المشار إليه

ومات في سلطنته متاوس بطرك المتأصلين بعد ان أقام ثلاث عشرة سنة وكانت  
أيامه كلها هادئة مطمئنة فأقيم بعده غريال وهو حادى تسعهم فأقام ثمان سنوات و مات  
فأقيم بعده ميخائيل وهو ثانى تسعهم وكان تقيا فاضلا متواضعا فلم تطل مدته غير سنة  
واحدة و مات فأقيم بعده يوحنا وهو ثالث تسعهم وأصله من بلدة نقادة من صعيد مصر  
وكان في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

## (الفصل السابع)

(في سلطنة السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان)

ثم قام بالامر بعد السلطان أحمد أخوه السلطان مصطفى ابن السلطان محمد وهو أول من  
ارتقى على سرير السلطنة من اخوة ملوك بني عثمان بويغ له بالملك ثالث عشرى ذى  
القعدة سنة سبع وعشرين وألف هجرية أى سنة سبع عشرة وثمانية وألف ميلادية وكان  
في مدة سلطنة أخيه أحمد مقبلا في محل داخل السراى السلطاني ممنوع التصرف والاجتماع  
بالناس لا يمكن من الخروج من مكانه وعندده بعض صبيان يخدمونه قيل وهو موصوف  
بالصلاح والتقوى لا التفات له الى سلطنة ولا الى تصرف في أمر من الامور وكان كلما اجتمع  
بأخيه السلطان أحمد يقول له لاجحة لى بسلطنة مطلقا وكان يقال ان السلطان أحمد  
كلما خطر بقلبه شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى كان مصطفى يقول له ارجع بأحمد  
عما تقصده قيل فكان ذلك سببا للكف عنه فلما تولى السلطنة ظهر عجزه اذ كان ضعيف  
الرأى منبوذ الكلمة لاهيية له ولا وقار مغلوبا على أمره والكلمة لوزيره الاعظم وانفق  
عقب توليته بأيام ان هرب أحد أشرف بولونيا وكان معتقلا في دار السلطنة بعد الحرب  
التي أخذ فيها أسيرا وكان هروبه بمساعدة سفير دولة الفرنسيين في دار السلطنة فأكبر  
الصدر الاعظم هذا الامر وأعظمه وأمر فقبضوا على السفير وكتبه وترجمانه وألقوههم  
جميعا في السجن و وصل الخبر بذلك الى عاصمة الفرنسيين فهاجوا وماجوا وكادت الحرب تقوم  
على ساقتها وبالغت دولة الفرنسيين في التهديد والوعيد والتأهب والاستعداد وكثر الاخذ  
والرد بين الفريقين أياما ثم كان من أمر ذلك ما سيذكر في سلطنة السلطان عثمان خان  
الثانى

واستمر أحمد باشا الدفتردار يتصرف في ولاية مصر لاراد لكلمته ولا مانع لامره وقد  
خافه الجنود وهابه العسكر فاعتنى بأمرهم واهتم بصرف مرئياتهم وجاكيهم وعرفاتهم فصاروا

سيرة حسنة وانكفوا عن الايذاء والشر وأمسوا وهم طوع أمره ثم ورد الى الباشا المشار  
اليه مرسوم السلطان بأن يجيش نحو ألف من العسكر المصرى نجدة لعسكر السلطان القائم  
الى اليمن لقتال الخوارج من الزيديين وقيل لقتال ملك فارس فأرسلهم صحبة الامير صالح بك  
أمير الحاج وزودهم بالمال والسلاح والعلوفة فساروا ومروا بالاقليم المصرية ولم يقع منهم  
شيء ولا لحق بالاهالى من مرورهم ضرر وقد كان قبل ذلك إذا مر عشرة منهم بقرية أو مدينة  
عاثوا فيها وأقلقوا راحة أهلها وأهلكوا الحرث والنسل وفعولوا مالا خيرا فيه فلما فرق فيهم  
المال نال الرجل منهم عشرين دينارا وبينما هو يتصرف فى الامور على ما ألفه من العدل  
وإغاثة الملهوف اذ جاءه الخبر بخلع السلطان مصطفى وتولية السلطان عثمان \* وتحرير الخبر \*  
أنه لما كان السلطان مصطفى ممن تربي في حجر الانزواء وكانت أحواله مخالفة للألوف من حال  
الزمان وكان مغلوبا على أمره كما تقدم القول لم تطل مدة تصرفه سوى ثلاثة أشهر وعشرة  
أيام ثم قام عليه كبار الدولة وأصحاب الكلمة وبينهم شيخ الاسلام وفضلار أناسى السراى  
السلطانية وبعض الحرم تخلعوه ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف  
هجريه ثم أودع فى حب داخل السراى \* قال بعض الكتاب وسد عليه بابه ماعدا روضة  
لطيفة ينزل منها الطعام والشراب وولوا بدله السلطان عثمان ابن السلطان محمد خان الثانى

## ( الفصل الثامن )

( فى سلطنة السلطان عثمان بن السلطان محمد خان الثانى )

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى السلطان عثمان ابن السلطان محمد خان الثانى بويج  
بالمك يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف هجرية أى سنة تسع عشرة  
وستائة وألف ميلادية وله من العمر احدى عشرة سنة لا غير \* قال بعض أصحاب التاريخ  
فكان مع صغر سنه واسع الفكر هماما ذاهبية فأول عمل بدأ به هو أنه أمر فأطلقوا سفير  
الفرنسيس وكتبه وترجمانه من الحبس وسير الى ملك الفرنسيس وهو يومئذ الملك لويز الثالث  
عشر رسولا يستعطفه ويستميله الى الصفح فأجابته الى ذلك وعادت الامور بين السلادين الى  
سابق مجراها فعمد السلطان بعد ذلك الى اصلاح ما فسد من أحوال الدولة ودفع ما استولى  
على جميع أمورها من الخلل فلم يتمكن لخروج العساكر عن الطاعة وتطرق الفساد  
الى جميع المصالح وأخذ الاوغاد والاعرار بزمام جميع الامور وتصدرهم فى الوظائف العالية  
والمراتب السامية ومع ذلك فان هذه الشوائب لم تقعه عن الغزو وفتح المدن والبلدان فتأهب  
لقتال مملكة بولونيا وجعلها حديين أملاكه وأملاك الروس وجيش لذلك الجيوش وأعد  
المعدات وخاف ان يترك أخاه الامير محمدا فى دار السلطنة فينازعه فى الملك فأمر بقتله صبورا

وكان الى هذا الحين لا يبرم أمرا في دار السلطنة الا بإشارة مفتيها ولا يتم للسلطان ورجال الدولة عمل الا برأيه فكان يعزل ويؤتى من يشاء من الولاة والحكام ويمضى الاحكام بلا معارض ولا منازع تخاف السلطان منه وخشى من تركه في دار السلطنة على هذا الحال من نفوذ الكلمة وبسط اليد لاسيما وقد كان الانكشارية لا يقفون عند حد وقد نفشى الخلل والفساد بين كبارهم وصغارهم فترزع منه ذلك النفوذ وأبعد عنه تلك الهيبة وأوقفه عند حد الافتاء لا غير ليأمن شره وسير في طلب أحمد باشا الدفتردار والى ديار مصر فجاءه المرسوم السلطاني بالانصراف عن الولاية فانصرف عنها في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة تسع وعشرين وألف هجرية فكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام كلها اسعاد وبركة وخير ورفاهية على البلاد وأهلها

مطلب

ولاية مصطفى باشا السلطدار

وولى بعده مصطفى باشا السلطدار فدخل القاهرة في ثالث عشر صفر من السنة ثم سار السلطان بجيوشه لغزو مملكة بولونيا فالتقى الجمعان واقتتلا قتالا عنيفا للغاية ولما كانت طوائف الانكشارية مضطربة الاحوال ناقتة على السلطان تقاعست عن الحرب وأظهرت الملل وطلبت مخافة البولونيين في تقرير قاعدة الصلح والكف عن القتال فمانع السلطان في ذلك وأبى الا القتال حتى يتم له النصر فلم يفلح وأبى الانكشارية الا عقد الصلح وألحوا في الطلب وبالغوا في التهديد فقرر الصلح بين الفريقين وعاد الانكشارية الى دار السلطنة الى ان كان من أمرهم ما يستل على عليك في موضعه \* ولما عاد السلطان الى القسطنطينية خلع مصطفى باشا عن ولاية الديار المصرية أخريات سنة تسع وعشرين فكانت مدة تصرفه سنة الاشهر لم يأت فيها من الاعمال شئ يذكر فانه كان ضعيف الرأي حامل الفكر كثير التعجب والازواء \* وولى بعده جعفر باشا وكان جعفر باشا هذا لما قدم من اليمن أقام بالقاهرة أياما والناس يترددون عليه فكان ذا علم وفضل ومشاركة في غالب العلوم العالية وبحاث جيدة فلما رأى اقبال الناس عليه وميل قلوبهم اليه طمع في الولاية فأرسل الى دار السلطنة التماسا بذلك ولبث ينتظر الجواب وكان لما علم مصطفى باشا بذلك خشى الفتنة وساءه ما فعله جعفر باشا فأرسل اليه بعض كبار الامراء يحثه على الرحيل عن مصر ويعلمه شر عاقبة البقاء فامتنع أولا ثم عاد فأذعن وسافر برا في نفر من أتباعه وحاشيته ولكنه لم يلبث ان عاد بمرسوم الولاية فخرج لاستقباله الامراء والعلماء وأكابر الدولة وكبار العسكر ودخل القاهرة في موكب لم يعهده لمثل وفرح العامة وانحاصة بقدمه وكان دخوله القاهرة في أواسط صفر سنة ثمان وعشرين وألف كما تقدم القول فلم يستقر به المقام حتى فشا الطاعون بمصر والقاهرة ثم عم جميع القرى والمدن وكثر الموات في الناس واشتد اشتدادا عظيما فقلت الاسواق بمصر والقاهرة قال بعض كتاب الاخبار الا أسواق الا كفان فلم تقفل ليلا ولا نهارا ومنع جعفر باشا عامل الاموات من التعرض للأموال فكان الناس يدفنون موتاهم بغير اذن في الليل والنهار

مطلب

ولاية جعفر باشا



واستمر الحال على هذه الشدة نحو الشهرين مات فيهما خلق كثير لا يكاد يدخل تحت حصر ثم ارتفع الموات وزال فسكنت القلوب واطمأنت الخواطر وكره الناس جعفر باشا وتطيروا من ولايته وحسبوا شؤما على البلاد \* فلما كان شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف جاءه مرسوم السلطان بالعزل فسافر بجرا الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه ستة أشهر وأياما قال بعض كتاب الاخبار فلم يبق بالديار الرومية الا أشهرا قلائل ومات فعاد ولده الى مصر وعاش بها فقيرا وليس له من يسأل عنه

مطلب

ولاية مصطفى باشا

وتولى بعده مصطفى باشا فدخل القاهرة في عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف فلم تستقر به الولاية حتى جار وظلم وضرب المغارم والمكوس وأكثر من جمع الأموال بجميع وسائل العسف والقهر وشدد على أصحاب الأموال وضيق وهدد وبالغ في الارهاب فكثرت الوشاة وأصحاب السعاية على بابه يتقاولون له أخبار الناس فضاقت أحوال أصحاب الأموال واختلت جميع الأمور فكان من وثى به اليه وبذل ماطلبه منه سلم ومن تقاعس ولم يبذل حقر وأخذ منه أكثر مما طلب منه قال بعض كتاب الاخبار وتتبع أثر مصطفى بك التجلى زعيم ثورة الجند التي حصلت على عهد مصطفى باشا وقبض عليه وقتله بيده فظن الناس قيام الفتنة بسببه وتمنوا ذلك فلم يحصل فكبر خوفهم منه ورفعوا ظلامتهم الى دار السلطنة وضجوا وطلبوا خلعهم فجاء مرسوم السلطان بخلعه في ثالث رمضان سنة تسع وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه سنة الاثلاثة أيام

مطلب

ولاية حسين باشا

وتولى بعده حسين باشا في ثالث عشرى الشهر المذكور ووصل الى القاهرة وأدرك مصطفى باشا المعزول قبل سفره فمنعه من السفر وأنزله من قلعة الجبل الى بيت مراد باشا بالسبع قاعات بالقاهرة وجعل على يابه الحرس وتركه على هذا الحال أياما ثم طلبه فلم يجده وكان قد تخلص بتدبير أحد كبار الدولة وسار الى الديار الرومية فتبعه كثير من صادرهم وأخذ أموالهم فادعوا عليه ونالوا منه وأخذوا جميع ما كان اغتاله منهم وسار حسين باشا الى الجديد سيرة حسنة للغاية فأبطل بعض المغارم والمكوس المستحدثة على أيام مصطفى باشا ورتب أمور الدولة وأحكم نظام مااختل منها أيام أسلافه ووقع في أيامه غلاء عام حتى بيع إردب القمح بالكييل المصرى بمائتي نصف فضة والشعير بمائة وعشرين نصف الفول بمائة وستين نصفاً وكذلك بقيمة الغلال فكانت شدة عظيمة للغاية \* ثم زاد النيل زيادة فوق الحد وعم جميع الارض وثبت على الزيادة فوق جميع الاراضى للغاية شهر هاتور القبطى حتى كساد الناس ييأسون من زرع الأرض ثم هبط فتمكنوا من الزرع ولكنه لم يأت الا بما قل من المحصول وضربت على الناس في أيامه أيضا ضريبة جديدة هى ضريبة النظرون وقد فرضت على جميع المدن والشغور فتألم الناس منها وراجعوه في رفعها فلم يرص فانحرفت الخواطر عنه وابتعدت القلوب وتقوا عليه وظهر الخلل في جميع أمور الدولة واستخف الناس بحرمته وزالت عنهم هيئته فعاد أهل الفساد في جميع المدن

مطلب  
ولاية محمد باشا البستنجي

والقرى للعبث وكاد يستفحل أمرهم فلما كان عاشور ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وألف  
 جاء مرسوم السلطان بعزله فكانت مدة تصرفه سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام  
 وتولى بعده محمد باشا البستنجي في احدى عشرى ربيع الآخر ولما قدم الى مصر  
 لقيام الفتنة في دار السلطنة وخروج طوائف الانكشارية عن طاعة السلطان عثمان  
 وخلعهم اياه ثم سجنه ثم قتله فتاب عنه في الولاية على مصر حسن افندى الدفتردار \* قال  
 أصحاب التاريخ لما ظهر عصيان الانكشارية أيام قتال البولونيين امام مدينة شوك زم  
 وكرههم السلطان عثمان على عقد الصلح مع البولونيين والكف عن القتال والباحهم في  
 ذلك عاد السلطان الى القسطنطينية وقلبه يلهب غيظا وأقسم ان يستأصل الانكشارية ويعجو  
 آثارهم عن وجه الأرض فرسم من هذا الحين بجمع عسكر جديد في بعض عمالات آسية  
 وجعل يمد لهم المعدات ويبالغ في اتقانهم وتنظيمهم فأحسن الانكشارية بذلك وعلما ما وراء  
 التقاعد والسكوت فقاموا على قدم واتحدوا على خلع السلطان فخلعوا بيعة في التاسع من  
 رجب سنة احدى وثلاثين وألف هجرية ودخلوا عليه في قصره وهو بين نسائه وجواريه  
 وقبضوا عليه وأخذوه قهرا الى محلهم وسبوه باقبح السب والشتم ثم نقلوه الى قلعة يدى قله  
 فلبث بها يوما وبعض يوم ثم دخل عليه جماعة من بكار الدولة وأصحاب الفتنة فقتلوه ونادوا  
 بولاية السلطان مصطفى الأول ثانية بدله وطيروا الخبر بذلك الى الآفاق فكانت سلطنة  
 السلطان عثمان أربع سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وكان جليل القدر واسع المعرفة كبير  
 السياسة عظيمها شديدا في الحروب عظيم التدبير ومع هذا كله فإنه لم يفلح مع جماعة  
 الانكشارية ولم يقدر على ابادتهم كما كان يبتنى

ومات في سلطنة السلطان عثمان يوحنا بطرك المتاصلين فكانت أيامه كلها شدة وعناء  
 وضيق وفناء ومصائب واحن ومحن ذاق فيها القبضة من جور العمال وظلم الحكام وعسفهم  
 أشكالا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات فأقيم بعده يوحنا وهو رابع تسعهم وأصله من بلدة  
 صدفة يعرف بابن المصرى وكان تقيا ورعا كثير الصدقة مهيبا محبوبا ووقع في أيامه من  
 الحوادث ما سجد كره في محله

## ( الفصل التاسع )

( في سلطنة السلطان مصطفى الثانية )

ثم قام بالأمر بعد قتل السلطان عثمان السلطان مصطفى ارجعهوه الى تحت الملك ثانى  
 يوم قتل السلطان عثمان في ثامن رجب سنة احدى وثلاثين وألف هجرية أى سنة ثمان

وأربعين وستائة وألف ميلادية ولم تستقر به السلطنة حتى قامت الفتنة واشتد لهيها فانه لما تم اطوائف الانكشارية ماأرادوه من خلع السلطان عثمان وقتله كبر استخفافهم بالامور واستصغارهم لكبار الدولة ورجال السلطنة فعاثوا في القسطنطينية وأفسدوا وصاروا يعزلون ويولون من يشاؤون من الوزراء وبكار الدولة ويبيعون الوظائف جهارا ويقبضون على من يتوسمون فيه سمه الانكار حتى اختلفت جميع الامور وفسد نظام الدولة وزالت هيبة السلطنة وظهر الاوغاد وأسافل الناس وقبضوا على زمام الأمور واشتد الكرب وسرت نار الفتنة الى جميع العمالات التابعة لدار السلطنة فنهض والى طرابلس الشام ووالى ارضروم الى شتى عصا الطاعة وركب والى ارضروم فى عسكر عظيم للغاية ونادى بالثارات عثمان ونزل على مدينة سيواس وانقره وفتحهما واعمل السيف فيمن كان فيهما من طوائف الانكشارية وضبط أموالهم وأرزاقهم ثم سار الى مدينة بروسه وقد تبعه والى سيواس ووالى سنجق قره شهر فحاصروها وأقاموا على حصارها ثلاثة أشهر حتى دخلوها عنوة ووردت الاخبار بذلك الى القسطنطينية فلم يلتفت اليها لاشتغال طوائف الانكشارية بالنهب والسلب والقتل واراقة الدماء ظلما وظل الحال على ذلك من الخلل والارتباك سنة ونصف سنة والناس فى ضيق ماعليه من مزيد ثم اجتمع رجال الدولة واتحدت كلمتهم على تولية على باشا كما نكش منصب الصدارة وتفويض الأمور اليه لعله يتمكن بخبرته من ارجاع الامور الى سابق مجراها فتولى المنصب وجعل يتصرف فى الامور ويدبر الاحوال جهدا لاستطاعة ويعمل على اعادة الامن الى داخلية البلاد ويدفع غارات الانكشارية عن أهلها بالتي هي أحسن حتى كان من أمره بعد ذلك ما سيذكر فى محله \* ولم تثبت نيابة حسن افندى الدفتردار فى ولاية مصر عن محمد باشا البستانجى فقد صرف محمد باشا المذكور عن الولاية قبل أن يقدم الى مصر فكانت مدة تصرف حسن افندى الدفتردار أربعة أشهر وسبعة أيام

مطلب

ولاية ابراهيم باشا السلحدار

ثم تولاه ابراهيم باشا السلحدار ودخل الى رشيد فى يوم الجمعة ثانى عشرى شعبان سنة احدى وثلاثين وألف ووصل الى القاهرة فى أوائل رمضان من السنة وكان ذا فكر ومهابة واسع الدراية صاحب تدبير ولكنه كان محبا للمال والكسب بكل ما متصل اليه قدرته واتفق انه وقع فى أيامه غلاء زائد جدا فجاء الناس من الاقطار الحجازية والديار الشامية ومن غزة وغيرها الى مصر ليمتاروا فن كان ذامال امتار ما يحتاج اليه ورجع الى أهله ومن لا مال معه وله قدرة على الكسب أو الخدمة صار يقنات من خدمته أو كسبه ومن لا مال له ولا قدرة له على الكسب ولا الخدمة صار يستعطى حتى امتلأت مصر وقراها منهم فكان ما يبيع فى مصر والمدن والكفور والثغور والقرى من القمح والفول والعدس والشعير وبقيمة الحبوب شيئا كثيرا جدا لا يكاد يدخل تحت حصر \* ولما طالت أيام ابراهيم باشا تغيرت أحواله وتزايد جوره وجور اتباعه وكثرت على الناس طلباته وطلبات اتباعه فكانت له تجارة واسعة فى بن القهوة يأتيه من اليمن فى كل عام فكان يلزمه التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم بسبب ذلك

ذلك خسارة عظيمة فشكوا اليه فلم يلتفت لشكواهم فرفعوا ظلامتهم الى بعض كبار الدولة فحرك عليه جماعة منهم ومنعوه من ذلك فانحط قدره وقصرت كلمته وبقى مقهورا مدحورا الى أن صرف عن الولاية في يوم الاربعاء سابع رمضان سنة اثنتين وثلاثين وألف هجرية فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما

مطلب  
ولاية مصطفى باشا

وتولى بعده مصطفى باشا فدخل القاهرة في الثاني والعشرون من رمضان فلما صعد الى قلعة الجبل أتى اليه كتبة الديوان يشكون من ابراهيم باشا المعزول وقالوا انه أخذ من مال الخزينة السلطانية أموالا جزيلة فسير مصطفى باشا في اثره جماعة من العسكر فالتقوا به فتهددوهم فرجعوا وأخبروا بما كان فسير اليه مصطفى باشا الامير صالح بك فادركه وقد نزل البحر عند الاسكندرية فسأله أن يترتب فقال اني سأتر الى دار السلطنة فاذا كان على الخزينة شيء دفعته هناك فألح عليه صالح بك فلم يلتفت لكلامه وأقلعت به المركب فأطلقوا عليه المدافع من طابية منارة الاسكندرية فلم ينله منها ضرر ونجا بما كان معه من الاموال والمتاع وكان شيا كثيرا \* فلما وصل الى القسطنطينية لم يصبه من جانب السلطنة شيء لاشتداد الفتنه يومئذ وارتباك الاحوال وتعدر ارجاع الامور الى سابق مجراها وانكماش على باشا الصدر الاعظم ورفضه البقاء في منصب الصدارة ان بقي السلطان مصطفى في منصب السلطنة مع ما هو فيه من وهن العزيمة وضعف العقل وعدم الوقوف عند حد فلما رأى رجال الدولة أن لاخلاص من هذه الفتن الا بجمع السلطان قاموا عليه وخلعوه في يوم السبت الثالث والعشرين من ذى القعدة وقيل في الخامس والعشرين منه سنة اثنتين وثلاثين وألف هجرية وولوا بدله ابن أخيه السلطان مراد ابن السلطان أحمد فكانت سلطنة السلطان مصطفى سنة واحدة لاغير

## (الفصل العاشر)

(في سلطنة السلطان مراد الرابع ابن السلطان احمد)

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان مصطفى ولد أخيه السلطان مراد ببيع له بالملك يوم الاحد في الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف هجرية أي سنة ثلاث وعشرين وستمائة وألف ميلادية فكان مغلوبا على أمره لا كلمة له لحدائنه سنة اذ كان لا يتأخر الثانية عشرة من العمر وكانت كلمة الانكشارية فوق كل كلمة ويدهم فوق كل يدهم قال أصحاب التاريخ ولما كان كل من يتولى الحل والعقد في تلك الايام من أهل هذا الاختلال والغش كان الخروج من هذه الدائرة الفاسدة واصلاح الامور من المحال وشاع الخبر بذلك عند

ملوك الدول المجاورة وكثر تحدّثهم به وكان ممن سره هذا الخلل وافرحه وهن أركان الدولة العثمانية عباس شاه ملك فارس لما كان بين الدولتين من البغضاء والشحناء فاعتنم هذه الفرصة وعمد الى أخذ بعض بلاد الدولة العثمانية وارجاع ما أخذ من بلاده وسار في جيش عظيم الى بغداد فحاصرها وكان بها عسكر السلطان فأقام على حصارها حتى احتلها عنوة وأعمل السيف في أعناق من بها من العسكر السلطاني وقتل جميع كبار الدولة وعظماء الجند ووردت الاخبار بذلك الى القسطنطينية فهال السلطان هذا الامر وأزعجه جدا وكان للصدر الاعظم كثير من الاعداء والخصوم من بطانة السلطان وقرنائه فوشوا به عند السلطان وقالوا ان سقوط دار السلام في يد العدو انما كان بخيانة الصدر الاعظم فغضب السلطان وأمر بقتله فقبضوا عليه وقتلوه وولى مكانه شركس محمد باشا فلم تطل مدته ومات وتولى الصدارة بعده حافظ باشا

وورد مرسوم السلطان الى مصطفى باشا والى مصر بتسميته في مقام الولاية والايغاز اليه بالرفق بالرعية والقيام بما يلزم للحرمين وخروج الحاج في أوقاته فقرئ بحضرة العلماء والامراء والمشايخ وأخذ مصطفى باشا يتصرف في الامور ولكنه لم يلبث ان جاءه الامر بال عزل والعود الى الديار الرومية فلما شاع خبر عزله اجتمع طوائف العسكر على عادتهم وساروا الى عيسى بك نائب الغيبة وطلبوا أن يعطيهم العطايا التي كانوا يأخذونها عند تولية الولاية فلم يعطهم ومنعهم من الاتيان الى ديوانه فألحوا في الطلب وكرروا النداء فلم يلتفت اليهم فاجتمعوا وساروا من وسط المدينة وهم يضحون وينادون لانزيد أحدا يتولى أمور البلاد غير مصطفى باشا وكان مصطفى باشا بعد أن جاءه الامر بال عزل لبث ينتظر الخلف وما زال الجند يطوفون وينادون الى أن وصلوا الى قره ميدان فتحالتوا على أن يكونوا جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا ووصل الخبر بذلك الى مصطفى باشا ففرح فرحا لا يوصف وتقوت عزيمته وكتب الى دار السلطنة يلتمس البقاء على ولاية مصر وكذلك كتب العلماء والمشايخ والقضاة فلم تكد تصل رسل مصطفى باشا الى دار السلطنة حتى وصل الخبر بوصول علي باشا الالى الجديد الى ثغر الاسكندرية فسيروا اليه في الحال من يعلمه بان الجند وأهل البلاد كافة لاتقبله فبعث هو كتابا الى العسكر وكافة الامراء والاجناد وأعيان البلاد يتدحهم وينثي عليهم ويقول أما بعد فاني لم آت الى مصر الا طائعا لامر السلطان الذي يجب على وعلى كل مسلم صحيح الدين طاعته فلما قرئت الكتب على أهل الحل والعقد سيروا اليه ثانية يقولون انا لاتقبلك فقبض عند ذلك على الرسل وقيدهم في سجن قلعة الاسكندرية وكان العسكر المرابطون فيها اخوانا لاولئك الرسل ففكوا في الحال قيودهم وهجموا جميعا على وطاق علي باشا المذكور بسيفوفهم وقبضوا عليه وأنزلوه في مركب وأخرجوه من ميناء الاسكندرية وكانت الريح معاكسة فأعادت المركب الى الميناء فهرا فأطلق عليه الامير مصطفى امير جند قلعة المنارة

عدة طلقات ثقت المراكب عدة ثقب ولم تغرقها فخرج القارب من فوره قاصدا الديار الرومية  
وعاد الرسل الى القاهرة فأخبروا بما جرى ففرح مصطفى باشا بذلك

ولما كان العشرون من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين قدم الى القاهرة من الاسكندرية  
طائر البطاق يحمل الخبر بقرب وصول قابوچي (أى رسول) من دار السلطنة ومعه مرسوم  
سلطاني فبعد أيام قلائل وصل القابوچي المذكور ودخل القاهرة في موكب حافل للغاية  
وصعد الى قلعة الجبل وجمع الامراء والعلماء وجميع الصناجق وتلا عليهم الفرمان بتثبيت  
ولاية مصطفى باشا على مصر اجابة لطلبهم ثم ألبس مصطفى باشا خلعة سنية وقلده سيفا عظيما  
ففرح الجنود بذلك فرحا لا يوصف حيث فازوا بمقصودهم واستقر المنصب بمصطفى باشا  
فتصرف وعلت كلمته ومالت اليه القلوب وأحبهته وزاد النيل في أيامه زيادة عظيمة فارتفع  
الى أربع وعشرين ذراعا وثبت على ذلك أياما يخاف الناس من وقوفه الا أنه هبط بعد  
ذلك سريرا وانكشفت الاراضي ففرح الناس وأخذوا في الحرث والبذر \* وبينما هم على  
هذا الحال والقلوب مطمئنة والفتن ساكنة اذ ظهر الطاعون بالقاهرة ومصر في أوائل  
ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وامتد امتدادا سريعا في جميع المدن والبنادر والقرى وعم  
البلاد شرقا وغربا مات به خلق كثير \* قال بعض الكتاب كان عدد من مات في هذا الطاعون  
نيفا وثلثمائة وألف بين الخامسة عشرة والعشرين من العمر واشتد اشتدادا عظيما لم يسبق  
له مثيل ثم أخذ في التناقص في شعبان من تلك السنة وارتفع في أوائل رمضان فتناولت  
يد مصطفى باشا الى أخذ تركت ومقتنيات جميع من ماتوا في هذا الوباء وادعى لنفسه حق  
التوريث فشكا الوراث من ذلك فلم يسمع منهم فرفعوا أمرهم الى دار السلطنة وأكثروا من  
الشكوى فجاء الامر بعزله وتولية بيرم باشا بدله فدخل القاهرة في جمادى الاولى سنة سبع  
وثلاثين وألف فكانت مدة تصرف مصطفى باشا المذكور في المدة الاولى والثانية نحو ثلاث  
سنين وبضع أشهر \* ولما استقر بييرم باشا المقام منع مصطفى باشا من السفر وحجزه في بيت  
بالقاهرة ووكل به من يحرسه وطاسبه على ما في ذمته من أموال الخزينة وترك الاموات  
وألزمه بارباع جميع ما أخذه فباع كل متاعه وجميع مقتنياته ودفع ما عليه ورحل الى الديار  
الرومية ولبث بها الى أواخر سنة سبع وثلاثين ثم أمر السلطان بقتله فقتل

مطلب  
ولاية بييرم باشا

وتصرف بييرم باشا فكان يرى في الجنود شدة العناد الذي يكاد يذهب بنفوذه ويحط بعزيمته  
اذ كان تحرشهم لعزل وتولية الولاة والخروج عند أقل سبب وتداخلهم في أمور الدولة مجلبة  
للبوار وازهاب روثق النظام الذي أسسه السلطان سليم الفاتح لكل طائفة من الطوائف  
الحاكمة بديار مصر وقد زاد الجنود جراءة وتداخلوا تهاون رجال السلطنة واجابتهم الى كل  
ما يطلبون وعدم الالتفات الى ما ينبج من ذلك من الخلل والفساد فبذل بييرم باشا جهده في  
ترتيب الامور ومنع هذه المضار واعاد نفوذ الدولة الى ما كان عليه قبله فلم يفلح ولم يتم  
له الامر الا بقدر الحاجة فاطمأنت مع ذلك قلوب الرعية وسكنت الخواطر المضطربة

مطلب

ولاية محمد باشا الوزير

بسبب الفتن المتوالية والاحن المتراكم بعضها فوق بعض وراحت أسباب المعاملات  
وتحسن التجارة ولكنه أكثر من المكوس والضرائب على أغلب البضائع ولا سيما الصابون  
فلما كان شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين استمدعى بريم باشا المذكور الى دار السلطنة  
فسار اليها فكانت مدة تصرفه سنة ونحو ثلاثة أشهر وتولى بعده محمد باشا الوزير فدخل  
القاهرة في أواخر شعبان المذكور وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل وتصرف وجلس  
للناس على العادة فكان رجلا حازما مهيبا واسع الرأي نافذ الحكمة متحجبا عن الناس لا ينزل  
المدينة ولا يتجول في الشوارع ولا يزور المنتزهات قيل ولم يظهر في طرق القاهرة في مدة  
تصرفه الا ست حرات وكانت الاحوال في أيامه هادئة والقلوب مطمئنة وظهرت في أيامه  
الفتنة في بلاد اليمن وخرج أهلها عن الطاعة فعرض على السلطان اخضاعها وتعهيد سبلها  
وارجاعها الى طاعة الدولة فأجابه السلطان الى ذلك وعهد اليه بالامر فنظم جيشا من  
العسكر المصرى وبالغ في تنظيمه وعقد لواءه الى قانصوه بيك أمير الحاج يومئذ فأعجب  
السلطان ذلك وولى قانصوه بيك المذكور ولاية اليمن واعطاه رتبة الباشوية فجعل قانصوه  
المذكور يرتب أمور جيشه ويكثر من معدات الحرب فاجتمع تحت لوائه ثلاثون ألفا وبينهم  
زهراء الاف من العساكر العثمانية وقد حضروا من دار السلطنة لهذه الغزوة وأخرج  
قانصوه خزائنه فكانت كثيرة للغاية وبعد ان رتب أمور جيشه على ما أراد انقطع في داره  
أياما لغير سبب معلوم ولا أمر ظاهر فأركنت العساكر الى البغي والفساد وعانت في الاسواق  
وأخذت من الباعة سلعها بغير عن فكان اذا مانع البائع عن ماله ضربوه وربما قتلوه  
وتعرضوا للنساء والصبيان في الطرقات والحارات فأنكف الناس عن الخروج وأغلق أصحاب  
الخوانيت حوانيتهم واحتاج الناس الى الخبز فلم يتيسر الحصول عليه لغلق الخوانيت والافران  
فضج الناس الى محمد باشا فجمع اليه كبار العسكر العثماني وكلمهم في أمر ذلك فكفلوا له  
الراحة ورد العسكر المصرى عن فعاله وأرجموا قانصوه بالخروج والسفر الى اليمن فخرج صاغرا  
قيل وكان امتناعه لاسباب يطول شرحها وسار بالعسكر وقاتل اليمانيين حتى أخضعهم  
وأرجعهم الى الطاعة وكان خروجه في المحرم افتتاح سنة تسع وثلاثين ولبث هناك يتصرف  
في الولاية فلما كان شهر شعبان من السنة جاء الخبر الى محمد باشا والى مصر بأن قد نزل  
في الشهر المذكور بمكة سبيل عظيم فأعرق معظم أرضها وهدم جميع بنيان البيت  
الحرام ولم يبق منه الا الجدار الايمن فأبلغ محمد باشا هذا الخبر الى دار السلطنة  
فعهد اليه السلطان أمر ترميمه فقام بذلك وتوسع في النفقة فكان ما أنفق عليه مائة ألف  
قرش روى

وفي سنة أربعين وألف قصر النيل في الزيادة وجاء شهر توت ولم يبلغ الستة عشر ذراعا  
خفاف الناس من حصول القحط فاعتنى محمد باشا بأمر رى الاراضى وتقسيم المياه بقدر  
الاستطاعة فأمنت البلاد من الجوع وأعطت الاراضى بعض المحصول فاطمأنت القلوب

ومالت

ومالت الى محمد باشا خواطر الرعية وأحبوه وتعلقت آمالهم به ولكنه لم يلبث ان جاء اليه الامر بالقيام الى دار السلطنة في السنة المذكورة واعتزال المنصب فاعتزله وقام الى الديار الرومية في ربيع الآخر من السنة فكانت مدة تصرفه سنة وعمانية أشهر

مطلب  
ولاية الوزير موسى باشا

وبولى بعده الوزير موسى باشا فلما وصل محمد باشا الى القسطنطينية قوبل بأحسن قبول وولاه السلطان مسند الصدارة العظمى ودخل الوزير موسى باشا القاهرة سلخ ربيع الآخر سنة أربعين وألف في موكب حافل وكان الناس قد خرجوا للملاقاة عند شبرا وصعد الى قلعة الجبل في كبة فلما استقر به المنصب أطاع هوى النفس فتناولت يده الى أخذ أموال الناس وقبول الرشاوى والبراطيل فأداه ذلك الى الجور والظلم والعسف بالناس وترصد أحوال الاغنياء من أهل البلاد وبالغ في التجسس عليهم وتعقب زلات الاكابر منهم وتفنى في أفانين السلب والنهب جهد الاستطاعة واتفق ان أرسل السلطان يعهد اليه تجريد جملة من الجند المصرى وتسييرها لقتال ملك فارس فجمع جيشا كبيرا وجعل مقدمه الامير قيطاس ثم فرض على البلاد النفقة لهذه الحملة وبت أصحاب الجباية فطافوا البلاد شرقا وغربا وجعوا من ذلك مالا جزيلا فلما جاؤا اليه بالمال أخذه لنفسه ولم ينفق منه شيئا في لوازم الحملة فطالبه قيطاس ببيك فقال لاقدرة للبلاد على القيام بنفقة العسكر لاسيما وان الحرب التي أعدت لها هذه الحملة لاتفيد مصر بشيئا ما فراجع قيطاس بيك وألح عليه في الطلب وبالغ في الشدة وكذلك فعل أشياح قيطاس بيك وكان الباشا يكره قيطاس المذكور ويتنى هلاكه فلما عظم الخلاف بينهما استدعى الباشا قيطاس يوم عيد الاضحى العاشر من الحجة من السنة الى قلعة الجبل فصعد اليه في نفر قليل من غلمانه فلما دخل قبض عليه جماعة من أعوان الباشا وقتلوه بالسيوف وأنزلوا جمته في نعش الى بيته بالمدينة وكان ممن تأهب من الامراء المصريين للخروج مع قيطاس ببيك لقتال ملك فارس الامير كنعان بيك والامير على بيك فلما جاءهما الخبر بموت قيطاس قاما واجتمعا بكار الجند وأعلماهم بخبر قيطاس فاجتمع الجند في الحال بالرماية تحت قلعة الجبل وحاصروها من كل جانب واجتمع العلماء والمشايخ والقضاة والصناجق وكبار الدولة بجماع السلطان حسن وتناجوا في الامر وانفقت كلمتهم على خلع موسى باشا المذكور وتولية من يحل محله حتى يأتي أمر السلطان بخلعه وولوا حسن بيك مكانه وكتبوا الى دار السلطنة بالواقعة وطلبوا صرف موسى باشا وتولية من يصلح فلم يكن بأسرع من أن ورد الخبر بعزله وتولية خليل باشا

مطلب  
ولاية خليل باشا

فلما كان شهر ربيع الأول سنة احدى وأربعين وألف وصل خليل باشا المذكور الى القاهرة وخرج موسى باشا وهو في أسوأ حال من الخزي والعار فكانت مدة تصرفه نحو سنة الا بضعة أيام وجعل خليل باشا يتصرف في الأمور فكان جليل القدر عادلا حازما فسكنت في أيامه الفتن وزالت عن البلاد الرزايا والاهن وأخصبت الأرض وكثرت محصولاتها فهبطت الاسعار وكثر وارد الغلال والمأكولات وفرح الناس بذلك\* وخرج في أيامه الشريف



نامى شريف مكة بجماعة من اللصوص فعاثوا في الأرض ونهبوا مكة فلما جاء الخبر بذلك الى خليل باشا جيش له جيشا عظيما وجعل مقدمه الامير قاسم بيك فسار وقاتل الشريف ومن معه فاستظهر عليه وظفر بزعماء الفتنة وأعمل فيهم السيف ثم عاد ظافرا منصورا فدخل القاهرة في صفر سنة اثنتين وأربعين فخلع عليه خليل باشا خلعة سنية واتسعت من هذا الحين كلمة خليل باشا وظهر نسله وكبرت هيئته وأحبتته الرعية حتى ابن أبي سرور انه جىء الى خليل باشا المذكور يوما بثلاثة من اللصوص قبض عليهم وهم يسرقون فرسم بمحاكتهم فقال رجل من ديوانه ليس في الأمر ما يدعو الى المحاكمة وقد قبض عليهم وهم يسرقون فلا شيء بعد ذلك الا الحكم عليهم بالقصاص فلما سمع خليل باشا مقاتله نظر الى أحد أعوانه وقال اذهب الساعة واهدم بناء بيت هذا وأشار الى المتكلم فقال ولماذا أيها الأمير قال اذا كان هدم بيتك المبني من حطام الدنيا قد دعاك الى معارضتي فكيف يكون حالنا عند ذلك الباني العظيم اذا هدمنا ما بناه ظلمنا قال ناقل الحكاية وأطلق اللصوص فتباؤا من ذلك الوقت خوفا من الباشا \* وفي آخريات سنة اثنتين وأربعين وألف أنزل خليل باشا المذكور نفسه عن منصب الولاية وكتب الى دار السلطنة بذلك فارسل السلطان يستقدمه فسافر فكانت مدة تضرفه سنة وثمانية أشهر كلها خير وبركة على البلاد وأهلها

مطلب  
ولاية أحمد باشا الجورجي

وتولى بعده أحمد باشا الجورجي فدخل القاهرة في موكب حافل وكان قبل ولايته على ديار مصر أميرا خور للسلطان مراد فتصرف وجعل يدير الأمور على النحو الذي نجاه خليل باشا فكان حازما كاملا واسع المعرفة بأساليب السياسة فلما كان شهر صفر من سنة ثلاث وأربعين جاءه مرسوم سلطاني بتجريد ألف مقاتل من العسكر المصري ليسيروا مع العسكر المنصور الى قتال طائفة الدروز بلبنان وان يسير معهم أربعة آلاف قنطار من البارود وخمسة آلاف من البقسماط جيش ذلك الجيش ولم يتم تنظيمه حتى جاءه مرسوم آخر بتجريد ألفين آخرين وثلاثة آلاف قنطار من البارود وتسييرهم لغزو ملك فارس فيها له هذا الأمر وكتب الى دار السلطنة يقول ان البلاد في فاقة ولا قدرة لاهلها على القيام بهذه المطالب الجسيمة فبعث اليه السلطان باثني عشر ألف قنطار من النحاس ليضربها سكة ويبعث بدلها الى خزينة السلطان ثلثمائة ألف محبوب ذهباً نفقة لتلك الحروب لجمع لذلك العمل وأعد المعامل ولكنه لم يفلح اذ مات أكثر العمال وعجز من بقي عن القيام بهذا العمل فجمع اليه أهل الديوان وأصحاب الشورى من الأمراء والقضاة والعلماء وشاورهم في الأمر وقال انه يرى وجوب صرف هذا المال من ماله رحمة بأهل البلاد وأن يجعل ذلك النحاس سبائك صغيرة ويبعث بها الى السودان فتباع فيها وقد رأى أحد القضاة غير ذلك وأن تجبر أهالي القاهرة على أخذ النحاس ودفع مطالب السلطان ثم تقرر القاعدة بينهم على عمل تفريدة على أهالي القاهرة فأقاموا لذلك عمالا وقيدوهم بالعمل فجعلوا يوزعون النحاس

ويجمعون عوضه الذهب وبدؤا بذلك من السادس عشر من ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين الى أواخر شعبان من سنة اربع وأربعين فعمت هذه البلوى الغنى والفقير والتاجر والصانع بلا فرق ولا تمييز فكانت من أشد الضربات ويلا وأنقلها جملا فضجوا وبعجوا الى الله وقلت النقود ثم امتنعت وارتفعت أسعار المأكولات وغلت غلاء فاحشا جدا وأعقب ذلك تقصير النيل في وفاء أذرعه المعتادة وتشريق الكثير من الاراضي فاستغاث الناس وانكشف حال المسورين وضافت الدنيا برحبها في وجوه الفقراء والمحتاجين وظهرت بعض اصابات بالطاعون بأسباب الجوع ولكنه لم ينتشر ولم تستمد وطأته \* فلما أتم الجباة جمع أموال هذه التفريدة طمعت نفس أحمد باشا فأخذها لنفسه ولم يرسل منها شيئا لخزينة السلطان فلم يعرض عليه بعد ذلك الا القليل حتى أتاه الطلب من الباب العالي فرحل عن القاهرة في سلخ القعدة من سنة أربع وأربعين وألف فكانت مدة تصرفه نحو سنتين الا أياما فلما وصل القسطنطينية قام بعض أهالى القاهرة وشكوا أمره الى الباب العالي وطالبوه بما أخذه من المال في ضريبة الخماس فعين السلطان جماعة لتحقيق ذلك ثم أمر بقتله فقتل

وتولى بعده الوزير حسين باشا فدخل القاهرة في الثانى من الحجة سنة اربع وأربعين وألف ومعه طائفة من العسكر من دروز لبنان وهم اخلاط من الاشقياء وقطاع الطرق فلما استقرت به الولاية واستقر بهم المقام جار وجاروا وظلم وظلموا وساموا أهل البلاد الخسف وأكثروا من قتل الباعة وهدر دماء السوقه لأقل سبب وتعرضوا للسابلية وقطعوا الطرق وتناولت أيديهم الى نهب أموال الناس بغير ممانع واشتدت مظالم حسين باشا أيضا الى حد لم يسبق له مثيل فكان اذا مات الرجل أرسل اتباعه وأعوانه فيحمّلون اليه ماله ويحجرون على عقاره فيأخذونه لنفسه أيضا ويحرم ورثته وعم فعله هذا جميع المدن والبنادر وكان يكثر التطواف في الشوارع والحارات راكبا ويقتل في كل مرة طافها الرجل والرجلين أو أكثر بلا موجب ولا سبب وربما قتل كل مصادفه من الدواب في طريقه \* قال بعض الكتّاب فكان من قتله في مدة تصرفه زهاء ألبى رجل وكان كثير الاخذ بالشبهات فكثير في أيامه الوشاة وتراحم أهل السعاية على بابه فكان اذا وقع بين رجل وآخر مخاصمة ذهب أحدهما وشى الى الباشا المذكور بأن خصمه من ذوى الاموال قبض عليه الباشا والقاءه في السجن فلا يخرج منه الا بالبذل الكثير وما زال على هذا الحال من القتل والسلب حتى جاء الامر بالعزل من منصب الولاية في سلخ القعدة سنة ست واربعين فكانت مدة تصرفه سنة ونحو احد عشر شهرا

وتولى بعده الوزير محمد باشا ابن أحمد باشا فدخل القاهرة في آخر القعدة من السنة المذكورة وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل من العسكر المنصور وتصرف فكان شهما مهيبا صاحب فكر وتدبير ثم لم يلبث ان تبدلت حاله وتغيرت أخلاقه وركب متن الجور فأفسد وظلم وتتبع خطوات السلف في مصادرة الناس ومد اليد الى تركت الامراء والاعنياء

مطلب

ولاية الوزير بحسين باشا

مطلب

ولاية الوزير محمد باشا ابن

أحمد باشا

والمستورين من أهل البلاد فأثرى وكثر ماله ومنع الصدقات والمرتبات الخيرية عن الأراذل  
 واليتامى وأخذها لنفسه فضج الناس واستغاثوا وعجوا إلى الله تعالى وتضرعوا إليه بزوال  
 ولايته فكان كلما طالت أيامه زاد عسفه وكثر فساده وسام الناس العسف \* وجاءه  
 الأمر من الباب العالى فى شوال من سنة سبع وأربعين بتجريد جملة للغزوم مع العسكر  
 المنصور ببغداد لخروج أهلها ففرح الناس بذلك وظنوا خروجه مع الجملة حسب مرسوم  
 السلطان فلم يخرج وسلم قيادتها إلى قانصوه بك أمير الحاج فسارت فى الحرم من السنة  
 اى سنة ثمان وأربعين وعاد من بقى منها فى صفر سنة تسع وأربعين ومحمد باشا الوالى على  
 ماهو عليه من الجور والعسف فضج الناس ورفعوا ظلامتهم إلى دار السلطنة فلم يلتفت  
 لشكواهم لقيام الفتنة فى دار السلطنة وخروج طوائف الانكشارية عن طاعة السلطان  
 وقتلهم حافظ باشا الصدر الاعظم فى السراى السلطانية وإصرار بكراهم على ارجاع خسرو باشا  
 الصدر المعزول وعدم مراعاة حرمة المراسيم السلطانية \* قال بعض كتاب الاخبار لما كانت سنة  
 تسع وثلاثين وألف هجرية أو نحوها مات شاه عباس ملك فارس وتولى الملك بعده ابنه شاه  
 مرزا وكان صبيا لم يبلغ أشده فلما جاءت الاخبار بولايته إلى دار السلطنة تقوت عزيمة بكرا  
 العسكر المنصور وفرح خسرو باشا الصدر الاعظم بذلك وسار فى جيش عظيم إلى بلاد فارس  
 رد مأخذ من بلاد الدولة ونزل على همذان ودخلها ثم سار منها قاصدا بغداد فلاقته  
 فى الطريق عساكر فارس فقاتلهم وانتصر عليهم وساق خلفهم حتى نزل على بغداد وحاصرها  
 من كل جانب وشد فى حصارها ووالى الرمي عليها بالمسكاحل بالليل والنهار فلم ينل منها وطالت  
 أيام الحصار ودخل الشتاء فتذمر الانكشارية وطلبوا رفع الحصار والعود إلى القسطنطينية  
 فنهاهم بالأمانى الكثيرة فلم يقبلوا وأبوا الا الرحيل فسار بهم عن بغداد إلى الموصل ولبث  
 معهم حتى انقضى الشتاء وعزم على الرجوع إلى حصار بغداد فلم تطعه العساكر فألح عليهم  
 فأبوا الا الرجوع إلى القسطنطينية فسار بهم إلى حلب خوفا من أن يداهم العدو وهو  
 بالموصل ولا قبل له على رده ووصلت الاخبار بما جرى إلى السلطان فاستعظم هذا الأمر  
 جدا ورسم بخلع خسرو باشا من منصب الصدارة وسير إليه فرمان بذلك وأعاد حافظ باشا  
 ثانية إلى منصبه فكبر الأمر على خسرو باشا ودس إلى طوائف الانكشارية من يعلمهم أن  
 خلعه من منصبه انما كان للذب عنهم والعمل برأيهم فهاجوا عند ذلك وساروا إلى دار  
 السلطنة وأشعلوا نار الفتنة ودخلت طائفة منهم إلى السراى السلطانية وقبضوا على حافظ باشا  
 الصدر وقتلوه فى الثامن والعشرين من رجب سنة احدى وأربعين وألف ولم يراعوا للسلطان حرمة  
 ولا حفظوا له عهدا ولا ذمة فكبر الأمر جدا على السلطان وسير إلى خسرو باشا جماعة  
 فقتلوه وولى الصدارة محمد باشا بيرم وتجرد السلطان من هذا الحين إلى اخضاع الانكشارية  
 واذلال بكراهم فاعمل فيهم القتل لأقل سبب ورسم بمنع الناس كافة من شرب القهوة

والدخان فكان يخرج في كل ليلة متنكرا ويمشي في أسواق القسطنطينية بدعوى تأديب  
المولعين بشرب القهوة والدخان ومعه جماعة من أعوانه وهو انما يخرج لاتلاف الاشرار  
وقطع شأفة أهل الفساد من الانكشارية وغيرهم فخافوا وانكسوا وامتلأت قلوبهم رعبا  
منه وخشيته الكبير والصغير فهدت الطرق وزال البأس عن الناس وأمنوا على أموالهم  
واعراضهم ولبثوا على الطاعة والانكاش الى سنة احدى وأربعين وألف هجرية فهبوا  
الى الحركة وتجردوا الى الثورة ومقدمهم يومئذ رجل اسمه رجب باشا فعاجلهم السلطان  
وقبض على رجب باشا المذكور وأمر به فذبحوه وألقوا جثته من شبك السراى السلطانية  
بين جهور الانكشارية فكبر عند ذلك خوفهم وتفرق جمعهم وعادوا الى السكينة وملازمة  
الحدود وزالت من هذا الحين سطوتهم وانحطت شهرتهم وتفرقت كلمتهم وكفى الله الناس  
شرهم \* ولما دانت للسلطان الأمور وزالت عن مقر سلطنته المخاوف بقطع شأفة أهل  
الفساد سار في جيش عظيم لغزو بلاد فارس فخارب ملكهم واسترجع كثيرا من القلاع  
والحصون التي أخذها ملك فارس على عهد الفتن المتتابعة ونال أيضا من بلاد فارس ففتح  
بغداد واريوان فسير اليه ملك فارس من يخابره في الصلح وطال الكلام في أمر ذلك ثم  
تقررت القاعدة بين الفريقين على بقاء دار السلام في حوزة السلطان ورد اريوان الى  
مملكة فارس وتم الصلح على ذلك وعاد السلطان ظافرا منصورا \* ثم مرض بعيد ذلك وطال  
مرضه فلما كان ناسع عشر شوال سنة تسع وأربعين وألف هجرية مات من غير عقب ولم  
يتجاوز التاسعة والعشرين من العمر فبكاه أهل الفضل من الناس وتولى السلطنة بعده  
اخوه السلطان ابراهيم الاول فكانت سلطنة المتوفى ست عشرة سنة واحد عشر شهرا  
وخمسة أيام رحمه الله تعالى

## ( الفصل الحادى عشر )

( فى سلطنة السلطان ابراهيم خان الاول )

ثم قام بالامر بعد السلطان مراد أخوه السلطان ابراهيم الاول ابن السلطان أحمد  
بويج بالملك في عاشر شوال سنة تسع وأربعين والى هجرية اى سنة أربعين وستمائة والى  
ميلادية قال بعض الكتاب ووافق تاريخ توليته استعنت بالله ولما كان مشايها  
سنة ١٠٤٩

٦٨ ٩٨١

فى أحواله واطواره لعمه السلطان مصطفى تولى أمور السلطنة الاغرار وقرناه السوء  
فاختلت أحوال المملكة وعادت الى ما كانت عليه من الفساد وهبت طوائف الانكشارية من

وقدمه الخول والانتكاش الى الظهور فعاونوا على عادتهم وطلبوا المطالب الطويلة العريضة فمناهم  
وأجرل عطاءهم وفتح امامهم أبواب الحرب ليشغلهم عن العبث بأموار الدولة ومصالح السلطنة  
فسير طائفة منهم لاسترجاع مدينة ازاق من بلاد القرم التي أخذها القوزاقيون فقاتلوا  
وأبلاوا بلاء حسنا حتى استردوها ثم سير طائفة أخرى لغزو جزيرة كريد إحدى الجزر التابعة  
يومئذ الى جمهورية البندقانية وسير لذلك أيضا سفنا حربية ومقدمها يوسف باشا ففتحوها  
الجزيرة المذكورة بعد قتال خفيف فسيرت جمهورية البنادقة سفن حربية الى بتراس  
وكورون ومورون من ثغور كريد فأحرقتها تشفيا وانتقاما تظير فتح جزيرة كريد فكبر هذا  
الامر على السلطان وهم يقتل جميع النصارى الذين في بلاد الدولة فتمنع من ذلك على ما قيل  
اسعد زاده ابو سعيد مفتى دار السلطنة وهون عليه الامر فأطاعه وبذل السلطان جهده  
الاستطاعة في اصلاح ما اختل من أحوال المملكة الداخلية \* وقد وصل الى مسامحة خبر  
ما يلاقه أهل مصر من جور محمد باشا واليهما وظلمه فأمر بعزله وورد الخبر بذلك  
الى القاهرة ففرح الناس به فرحا لا يوصف وتأهب محمد باشا للرحيل الى الديار الرومية وأخذ  
في جمع أمواله ومناعه فكان شيا كثيرا للغاية وتباطأ في السفر والخروج من مصر أياما  
كانت على أهل البلاد كأنها أعوام ثم نزل من قلعة الجبل وأقام في بيت أحد الامراء أياما  
أخرى جاءه الامر فيها ثانيا من دار السلطنة ببقائه في منصب الولاية فلما شاع الخبر بذلك حزن  
الناس حزنا ماعليه من مزيد فصعد الى قلعة الجبل وعاد الى التصرف في الأمور فضعف  
الجور وبالغ في الظلم واشتد على الرعية وأكثر من مصادرة الناس على اختلافهم وقتل  
وأراق الدماء ظلما وما زال على هذا الحال من الجور والعسف حتى قدر الله سبحانه وتعالى  
بخلعه فجاءه الامر بذلك في سلح جمادى الآخرة سنة خمس وألف فكانت مدة ولايته  
ثلاث سنين ونحو ستة أشهر

مطلب

ولاية مصطفى باشا البستانجي

وتولى بعده مصطفى باشا البستانجي فدخل القاهرة في غرة الحجة سنة خمس في موكب  
حافل وتصرف فكان عاقلا أبي النفس قنوعا لا يتطلع الى ما بأيدي الرعية وكان له ديوان اسمه  
أحمد افندي وهو جاف خشن الطباع ظالم نفور محتال وكان بيده مقاليد الامور فاستبد وجار  
وظلم وأعاد أيام احمد باشا من الاخذ بالشبهات ومصادرة الاعنياء والعظماء وأخذ أموال  
الصدقات والخيرات فشكا الناس أمره الى مصطفى باشا المشار اليه فلم يفلحوا لتجبه عن  
الناس وترك الامور الى ديوانيه المذكور يتصرف فيها كما يشاء فاضطربت لذلك الاحوال غاية  
الاضطراب واختل النظام وفسا الخصاص وظهر أهل الفساد والصوص وقطاع الطرق وكثرت  
السرفات في حارات القاهرة وبيوت مصر القديمة وما جاورها من القرى وقصر النيل في  
الزيادة فغلت الاسعار وقل وارد الجيوب واشتد البلاء على الناس فكانوا بين قرمين عنيدين  
الغلاء والصوص وكان إذا أتى الى والى القاهرة بلص أو بجماعة منهم أطلق سبيلهم وكذلك  
كانت تفعل كشاف البلاد والاقاليم فلما اشتد الحال بالناس اجتمعوا زمرا تحت قلعة الجبل

وصاحوا على الباشا وشكوا من أفعال والى القاهرة وكشف الاقاليم ونجوا ونادوا مايجل من  
الله يا باشا اتق الله في خلقه فاضرب الباشا وخشى العاقبة وخلع في الحال والى القاهرة  
وولى بدله كنعان بك ورسم باقبض على كل من تقع عليه شبهة فقبض على كثير حتى ملؤا  
السجون فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر وظنوا بقاء الحال على ذلك فلما كان شهر شوال  
سنة احدى وخمسين ثار جند وحق الجاويشية على بكارهم واشتدوا على أميرهم على بك  
وقالوا بأنه لم يفرق عليهم شيأ من أموال العطايا وان الكتاب هم الذين يأخذون هذه العطايا  
وطلبوا من الباشا خلعه فسايرهم وطاولهم فلم يرجعوا وشددوا في طلب عزله فعزله وأقام  
مكانه عابدين بك فلما رأى جماعة العسكر ما كان من فوز اخوانهم الجاويشية ثاروا هم  
كذلك وشكوا من فراغ مخازن ذخرتهم وطلبوا بمعاشاتهم المتأخرة واتهموا احمد افندى  
ديوانى الباشا السابق الكلام عنه ببيع ما فى تلك المخازن وأخذ أثمانها فعين لتحقيق ذلك  
قاضى قضاة المحروسة فبحث عما فى الاشوان والخواصل فلم ير فيها شيأ وثبت ان الكاتب  
المدكور باع ما كان فيها وأخذ الثمن لنفسه فخلعه الباشا تسكيناً للفتنة واسترضاء لخواطر  
الجند فاستنجد الكاتب المذكور بجماعة الجاويشية فأنجدوه وأرجعوه الى منصبه فهرا فزاد  
عسفه وتضاعف جورره وظلمه وبالغ فى اذائه وما زال والناس فى شدة وضيق حتى صرف  
مصطفى باشا عن الولاية فى جادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين

مطلب  
ولاية مقصود باشا

وتولى بعده مقصود باشا فدخل القاهرة فى رجب من السنة فكانت مدة تصرف  
مصطفى باشا المذكور سنة وثمانية أشهر ولما استقرت بمقصود باشا الولاية جعل ينظر فيما  
وقع من مصطفى باشا وعوقفه عن السفر من مصر وقبض على كاتبه أحمد افندى وعلى  
الكليخيا وجلدهما جلدا مبرحا وأخذ منهما مائتي كيس نقره من أموال الخزينة السلطانية  
وقد كانا أخذاهما لانفسهما غيلة ثم بعث مصطفى باشا المذكور الى دار السلطنة بحرسه طائفة  
من الجند فلما وصل اليها أخذ منه مائة كيس للخزينة السلطانية ثم أخلى سبيله ولبث حيناً  
متجيباً عن الناس ثم أدخل فى خدمة الدولة وما زال حتى بلغ مسند الصدارة العظمى  
وذكر مقصود باشا أمور البلاد أحسن تدبير فأبطل كثيراً من المكوس والمغارم وأزال بعض  
الضرائب وأعاد حقوق الوراثة لأهلها وضرب على الورثة ضريبة يدفعونها للخزينة  
السلطانية فقط ثم جعل يتعقب اللصوص وقطاع الطرق فقبض على كل من نالته شبهة منهم  
وسجن وعزق وقتل نخافوا واختفى خبرهم وارتاحت الافكار من شرورهم \* وبينما كانت  
القلوب هادئة والخواطر مطمئنة اذ ظهر الطاعون واشتد وعم القاهرة ومصر القديمة  
وضواحيها ثم تفشى فى جميع المدن والقرى وعم وكثر الموات وكان ظهوره أولاً من ناحية  
بولاق القاهرة فى أوائل شعبان من سنة اثنتين وخمسين وأنف وما زال على هذا الحال من  
الاشتداد والانتشار من ابتداء ذى القعدة من السنة الى غاية صفر سنة ثلاث وخمسين وألف  
ثم بدأ بالتناقص الى آخر شهر ربيع الأول ولم يسمع بمثل هذا الطاعون فى الفتك والشدة

فكانت تنقل الجثث عشرات عشرات والجنازات تسعى خلف بعضها حتى أبطلت الصلاة على الاموات لكثرتهم وفنك بالقرى كذلك فتسكا ذريعا جدا حتى أن مائتين وثلاثين قرية أصبحت خرابا ليس فيها ديار ولا نفاخ نار وكانوا يجردون الأموات في الطرق وعلى جوانب الجدران والكلاب تحوم حولها وما زال على شدته حتى ارتفع وزال

وبعد انتهاء الطاعون بقليل من الزمان ظهرت في العشرين من القعدة فتنة بمدينة الاسكندرية والسبب في ذلك ان ستمائة من الروم المسيحيين كانوا مقيدين بسجن الاسكندرية وقاسوا من العذاب أمره فأنت بعد حين لخلاصهم سفينة وجاءت اليهم أخبار قدومها فقاموا وكسروا أبواب السجن في اليوم المذكور والمسلمون في صلاة الجمعة وطافوا في شوارع المدينة وجعلوا ينهبون البيوت والحوانيت ومحازن الارزاق وعاثوا وأفسدوا فلم يبقوا ولم يذروا ثم نزلوا بتلك السفينة وأقلعوا من فورهم ونجوا بما كسبوا ولم يظفروا بأحد منهم\* وضيق مقصود باشا على الصناجق وطالبهم بثلث الأموال المرتبة على الاقطاعات التي بأيديهم لصرف علائف الجند ورواتب العسكر المنصور فأغضب ذلك جماعة الصناجق ولم يقبلوا فرأوا منه قرما عنيدا فاجتمعوا في بيت الأئمة مير رضوان أبي شنب في يوم الجمعة ثاني عشر رمضان سنة أربع وخمسين وتحالفوا على خلعهم ان هو شدد في الطلب فطولبوا فرفضوا وطلبوا عزل بكار مشورة الباشا فأجابهم الى ذلك وطالبهم فأبوا وكتبوا الى الباب العالي يشكون من تصرف مقصود باشا فورد اليه مرسوم السلطان بالاستعلام عن السبب الموجب لتلك الشكوى فأجاب بما دفع عنه الريبة وأختم أصحاب الخصومة وقد علم ان زعماء هذه الفتنة الأمير على بك والأمير ماماي بك وشعبان الدفتردار فعزم على القتل بهم ورتب لذلك كميناً وأقام لهم رسدا ليقتلهم في الديوان اذا نزلوا اليه في يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وخمسين فلم ينزل الى الديوان في ذلك اليوم الا الدفتردار فقط فأمسك عن قتله وأبقى العمل الى يوم آخر فلما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة جاءه الامر السلطاني بالطلع واعتزال المنصب وتولية شعبان بك الدفتردار النيابة حتى يأتي الوالي الجديد قيل فسحق هذا الامر على مقصود باشا واستعظمه جدا وسلم الامر الى الدفتردار صاغرا ثم جاء الخبر من الباب العالي بتولية أيوب باشا فلبثوا ينتظرونه وهم في خوف حتى انصرف مقصود باشا عن الولاية فكانت مدة تصرفه سنة ونحو سبعة أشهر

وقدم أيوب باشا الى مصر ودخل القاهرة في موكب حافل قيل ولم يقبل هذا المنصب الا بعد اقدام واجام لما يعلمه من اختلال الامور واستفعال أمر الجند واتساع سلطتهم وصعد القلعة في العاشر من صفر سنة خمس وخمسين وألف وأخذ في تدبير الامور وترتيبها على الوجه الاتم فأحكم نظامها وقطع دابر اللصوص واقتنى أثر من فرمهم وأعمل فيهم القتل والشنق والتغريق وأخذ على الصغار فخافه أهل الفساد وانكش أصحاب الغايات واستتب

مطلب  
ولاية أيوب باشا

الامن وزال الخوف وسادت الراحة واطمأنت قلوب الناس ولازم كل حده فقرحت بايامه  
الرعية ولبث يتصرف سنتين ثم كتب يستأذن السلطان في الانصراف عن منصبه فأذن له  
فسافر في سلخ رجب سنة سبع وخسين وألف فكانت مدة تصرفه سنتين ونحو ستة أشهر  
وخرج في موكب حافل جدا والناس في حزن عليه

مطلب  
ولاية الوزير محمد باشا بن  
حميد

فتولى بعده الوزير محمد باشا ابن حميد فلما وصل أيوب باشا الى دار السلطنة رقى الى  
مسند الصدارة العظمى فأحسن التصرف والتزم الخزامة وحسن التدبير ثم نزل وترك  
المنصب وعكف على العبادة وتنازل عن جميع أمواله ومقتنياته الى خزينة السلطان  
وتزيا بزى الدراويش وانفرد في جامع من جوامع الروم ايلي \* وتصرف ابن حميد المذكور في  
ولاية مصر فأساء التصرف وعكس التدبير وأفسد ما نظمه مقصود باشا فكانت أيامه كلها  
خروج وطغيان واشتد حوله الجند واستفحل أمرهم فكانوا يثورون عند أقل حادثه  
أولا صغر سبب وقامت منهم طائفة الانكشارية في العاشر من رجب سنة سبع وخسين  
وألف بعصر القديعة فعاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خيفيه فركب عليهم والى القاهرة وتم ددهم  
ان هم بقوا على هذا الحال فضجوا في وجهه وساروا الى ماتحت قلعة الجبل ونادوا بقتل  
الوالى المذكور وكان الوالى من وفاق الجاويشية فجاءهم الخبر بعزم الباشا على قتل الوالى انتصارا  
للعامة فركبوا جميعا ونادوا على الباشا بالويل والتمور نخشى الباشا العاقبة فدعا اليه  
قانسوه بك وشاوره في الامر وكان قانسوه ناقا على الأمير رضوان بك والأمير على بك فأشار  
اليه أن يكتب الى دار السلطنة بما جرى ويسند حدوث جميع هذه الفتن الى الأمرين  
المذكورين ويقول انهما قد أخذوا أيضا مال الخزينة واختلسا المناصب بغير استحقاق وكان  
قصد قانسوه بذلك رجوعه هو وما مالى الى منصب امارة الحاج وولاية جرجا فنجح الباشا الى  
مشورته وطلب بعض الاعيان للتوقيع على محضر بذلك فاتصل الخبر برضوان بك فبادر هو  
بالكتابة يشكو الباشا الى الباب وبالغ في الشكوى وعظم البلوى فورد الجواب من الباب  
بتفويض رضوان بك وعلى بك في تحقيق جميع ما أسند فعله الى الباشا وقانسوه بك وورد الى  
الباشا فرمان بذلك فى الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وخسين وألف  
وفى السابع والعشرين منه استدعاها الباشا الى الديوان الخاص بقلعة الجبل فصعدا اليه  
وعقدا مجلسا ومجادلا مع من حضر من الامراء والعلماء ثم تقرر قتل قانسوه بك وما مالى بك  
ومن كان على دعوتها فقتلا وقتل معها عدة من الامراء ثم قام بعد ذلك على بك الى مقر  
وظيفته بجزا وسكنت الفتنة وزالت بعض القلاقل وتسابق بعض الامراء الى أخذ منصب  
قانسوه بك وكان بمن تقدم الى ذلك وبذل الجهد فى الحصول عليه مصطفي كتمدا الملقب  
بالشيز فلم يفلح وخاب سعيه فجرد للعصيان وشق عصا الطاعة وكادت تستفحل فتتمه لولاماعانا  
رضوان بك من ايقاف تيارها بحسن تدبيره واستدعى الباشا الامير رضوان بك الى وليمة كان  
أعدها عنده بقلعة الجبل فخاف رضوان بك على نفسه وأبى الخه نور فغضب الباشا ورسم



بتجريدته من اماره الحاج وكأنه كان ينوي له ذلك فقام رضوان بك من القاهرة في نحو مائتي رجل وكثير من الامراء والكشاف ولحق بالامير على بك بيجرجا فجهز الباشا ألفين من الجنود ونحو خمسمائة من الانكشارية وأمرهم فاجتمعوا بالرميلة تحت قلعة الجبل وتأهبوا للسفر ثم عدلوا واتفقوا على نبد طاعة الباشا ان هو أصر على قتال رضوان بك وعلى بك فخاف الباشا وتخير في أمره ولبثت العساكر أياما بغير حركة فورد في هذه الاثناء فرمان السلطان بابقاء رضوان بك وعلى بك في منصبهما فخاب الباشا سعيا وأرسل يستقدمهما الى القاهرة فقدمتا في التاسع عشر من رمضان من السنة أى سنة سبع وخسين وسعى في مصالحتهما مع مصطفى كتحدا وأعقب رجوع رضوان بك وعلى بك الى القاهرة الاشاعة بخلع الباشا وتولية آخر اسمه مصطفى باشا فلهج الناس بهذا الخبر وعم واتصل بالباشا فأخذ يتأهب للسفر وجمع أمواله وأمنعته ولم يبق الا أن ينزل من قلعة الجبل فلما كان السادس والعشرون من رمضان المذكور ورد فرمان السلطان بتثبته في منصب الولاية فعاد وتصرف في الامور على ما كان عليه \* وفي غاية شهر رجب سنة ثمان وخسين وألف وردت الاخبار الى القاهرة بخلع السلطان ابراهيم ابن السلطان أحمد وتولية ابنه السلطان محمد بدله فسار المنادى بذلك في شوارع القاهرة ومصر القديمة وطبوا الخبر بذلك الى الآفاق \* قال أصحاب التاريخ ولما كثرت عيبت طوائف الانكشارية وزاد تمردهم وعمت شرورهم كبر أمرهم على السلطان ابراهيم وعمد الى الفتك بكارهم وأصحاب الكلمة فيهم وأخذ يدبر الحيلة في ذلك فأسر الى بعض خواصه أن يقتلوهما اذا حضروا وليمة زفاف احدى بناته على ابن الصدر الاعظم فتأهبوا لذلك واستعدوا فأحسن كبار الانكشارية بما في عزم السلطان تخافوا عاقبة السكوت وتجردوا خلعه وساروا الى مسجد أورطه جامع ونادوا بخلع بيعة فوافقهم على ذلك بعض العلماء والمفتي عبد الرحيم وشاع الخبر بذلك فهاج الانكشارية وطوائف السباه ونادوا جميعا بخلعه وولاية ابنه محمد بدله وهو لم يبلغ يومئذ الا السابعة فخلعه في ثامن عشرى رجب سنة ثلاث وخسين وألف هجرية وجرروا عليه في مقره فاضطربت عند ذلك الأحوال واختل النظام وزاد عسف الانكشارية وبقي الحال على ذلك عشرة أيام فعادت طوائف السباه وطلبت ارجاع السلطان ابراهيم الى منصب السلطنة وألحت في ذلك وتجردت لارجاعه فخشى زعماء الثورة عاقبة ذلك وعمدوا الى قتل السلطان ابراهيم فساروا الى مقره ومعهم الجلاد ودخلوا عليه وقتلوه خنقا فمات شهيدا وكانت مدة تصرفه نحو ثمان سنين وتسعة أشهر

ومات في أيامه يوحنا بطرك المتأصلين بعد ان أقام أربعين سنة وفي أيام يوحنا المشار اليه كان من حوادث الطاعون والغلاء ووالى الاحن ومصادرة الناس في أموالهم وتطاول أيدى العساكر والاجناد وانتشار أصحاب السعاية والوشاة والاخذ بالشبهات وغير ذلك من فرض القرض والمغارم والمكوس ما امر بيانه في محله فأقيم بعده غير بال

وهو خامس تسعينهم واسمه روفائيل من رهبان دير السريان ومولده في منشأة المحرق وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

## ( الفصل الثاني عشر )

### ( في سلطنة السلطان محمد الرابع ابن السلطان ابراهيم )

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان ابراهيم وقتله ابنه السلطان محمد الرابع بويع بالملك في العشرين من رجب سنة ثمان وخمسين وألف هجرية أي سنة ثمان وأربعين وستمائة وألف ميلادية وكان عمره يومئذ سبع سنين فكانت سلطنته بالاسم فقط والتصريف للوزراء وكبار الانكشارية فصارت لذلك أحوال المملكة في انحلال وأمورها في اختلال ونظامها في زوال لعدم وقوف طوائف العسكر عند حد وتداخلهم في جميع أمور الدولة وعزلهم للولاية والحكام عند أقل سبب وتناول أيديهم الى أموال الناس واراقة الدماء ظلما فكان اذا عمد صدر من الصدور الى اصلاح الامور وارجاع الاحوال الى سابق مجراها قاموا عليه وخلعوه وربما قتلوه وطافوا بجثته في الشوارع والطرق فلم يجسر قط أحد على فعل مالا يرضونه وقد أخذوا الى الترف وكرهوا الحروب فكانوا اذا ساروا الى غزوة نفاقوا وركبوا متن هواهم ولم يسمعوا لكبارهم كلمة فيستخف بهم العدو ويتم له النصر عليهم\* قال أصحاب التاريخ وقد سرى هذا الداء أيضا الى الجنود البحرية فتولى عليهم الخول ولازمهم الفشل فانتست جمهورية البندقية منهم ذلك وسيرت مراكبها لقتالهم عند مدخل الدردانيل فانتصرت عليهم نصره عظيمة واحتملت مدينة تينندوس وجزيرة لمنوس وغيرهما وقطعت الطريق على السفن الحاملة للغلال والمؤنة فلم تتم كمن من الوصول الى القسطنطينية فارتفعت لذلك الاسعار ووقع الغلاء وعز وجود الخبز واشتد الحال بالفقراء وطالت أيام هذه الشدة الى سنة ست وستين وألف هجرية وقد تولى الصدارة محمد باشا الكوبرلي وفوض اليه تدبير جميع الامور وكان شيخا قوى العزم ثابت الجاش حسن التدبير عظيم السياسة خبير بأحوال المملكة فأخذ بزمام جميع الامور وأتى أوجه الاصلاح من أبوابها واشتد على طوائف الانكشارية شدة عظيمة للغاية فقتل منهم وغرق وشرذ وسام بكارهم الخسف فثاروا فاشتد عليهم وضيق نفاقوا وانكسروا ولازموا الطاعة وسير سفن الحرب لاسترجاع ما أخذته مراكب جمهورية البندقية من الجزائر والثغور العثمانية وفتح طريق القسطنطينية فلاقته سفن البندقية واقتتلوا فكانت الحرب بينهم سجالا ثم انتصرت سفن الدولة واستردت ما أخذ من الجزائر والثغور وما زال يقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج ويأتي على أوجه

الاصلاح من ابوابها حتى مرض واشتد به مرضه فسأله السلطان عن يتولى المنصب بعده فقال ولدى وعليه في اتمام مالم أتمه معتمدى \* ومات في سنة اثنتين وسبعين وألف هجرية فتولى الصدارة بعده ولده أحمد باشا فكان كايه في الخزم واصالة الرأي وحسن السياسة والتدبير فخافه طوائف الانكشارية وتجرد لمحاربة أعداء الدولة ففاز وظفر ونهى وأمر وغلب وقهر وفتح القلاع والحصون ودوخ المدن والامصار وأتم الاصلاحات التي كان بدأ بها أبوه فأعاد للدولة مجدها القديم

وكان لما تولى السلطان محمد الملك وبلغ مسامعه خبر الخلاف الواقع ما بين محمد باشا والى الديار المصرية ورضوان بيك وعلى بيك مقدمى الامراء المصريين رسم بخلع محمد باشا المذكور بجاهه الفرمان بالعزل في أواخر رمضان سنة ثمان وخمسين وألف \* وتولى مكانه الوزير أحمد باشا فسافر محمد باشا المعزول في العشر الاولى من شوال فكانت مدة تصرفه سنة ونحو ثلاثة أشهر ودخل أحمد باشا القاهرة في غاية شوال وصعد الى قلعة الجبل وتصرف فكان سبب التدبير ضعيف الرأي مشؤم الطالع على البلاد فانه منذ قبض على زمام الاحكام ظهرت الفتن وبدأت القلاقل ودرج أهل الفساد وقصر النيل عن زيادته المعتادة فلم يبلغ في سنة ستين وألف زيادة عن الستة عشر ذراعاً فشرقت الاراضى في الاقاليم القبلية جميعها وبعض أراضى الاقاليم البحرية وعلت الاسعار وعزت الاقوات وانقطع واردها الا القليل جدا وتجرد أحمد باشا من ذلك الوقت الى تجديد المغارم وفرض الفرض واحداث المكوس وتبمع أهل اليسار وعادى جميع الامراء وخص بالمكيدة رضوان بيك أمير الحاج وكاتب دار السلطنة في شأنه وطلب عزله من منصب اماره الحاج وتولية على بيك بدله ليوقع النفرة بينهما فلم يفلح اذ كان رضوان بيك وعلى بيك على غاية المودة والاخاء \* فلما كان يوم السبت السادس من صفر سنة احدى وستين وألف جاء فرمان السلطان الى أحمد باشا المذكور بالعزل وولاية الوزير عبد الرحمن باشا فدخل عبد الرحمن باشا القاهرة في سلخ صفر وصعد الى قلعة الجبل وقبض من ساعتته على أحمد باشا وسجنه في بيت وحاسبه على ما في ذمته من أموال الخزينة فكانت شياً كثيراً ولم يفرج عنه الا بعد ان دفعها وسافر الى الديار الرومية فكانت ولايته نحو ستين

وتصرف عبد الرحمن باشا المذكور فاساء السلوك وحذا حذو السلف فأكثر من جمع الاموال السحت وزاد في التعرض لاموال الناس وأكثر من الفرض والعوائد والمغارم وتناولت يده الى مال الخزينة السلطانية ولم يقف عند حد بخار وظلم وما زال الى غرة شوال سنة اثنتين وستين وألف نخلع من منصبه \* وأتى مكانه الوزير محمد باشا ولم يدخل القاهرة في موكبها الا في ثامن المحرم افتتاح سنة ثلاث وستين وألف وصعد الى قلعة الجبل وقبض على عبد الرحمن باشا والى المعزول وسجنه ثم حاسبه على ما كان في ذمته من مال الخزينة السلطانية ولم يفرج عنه من السجن الا بعد ان أدى ما عليه صاغراً \*

وتصرف

مطلب  
ولاية الوزير أحمد باشا

مطلب  
عزل أحمد باشا ولاية الوزير  
عبد الرحمن باشا

مطلب  
ولاية الوزير محمد باشا

وتصرف محمد باشا المذكور فكان حازما عاقلا مدبرا واسع الكلمة مهيبا يخافه الخند  
وخشوا بأسه فتجرد الى اصلاح ما أفسدوه ورتب أمور البلاد على أحسن ترتيب فأمن الطرق  
وقطع دابر اللصوص وأهل الفساد فسكنت في أيامه القلاقل واطمأنت قلوب الرعية ودرت  
الارزاق وكثرت الافوات وزال الغلاء وانقطعت أسبابه وما زالت أيامه زاهية زاهرة حتى  
جاءه فرمان السلطان بالخلع سلخ المحرم سنة ست وستين وألف هجرية فأسف الناس على  
فراقه أسفا ماعليه من مزيد وخرج جميع الامراء والكبراء والعلماء والاعيان في ركبه مودعين  
\* وتولى بعده غازي باشا فأقام بضعة أشهر وجاءه الامر بالعزل فسار الى الديار الرومية وتولى  
بعده عمر باشا في أواخر سنة سبع وستين وألف هجرية فظالت أيامه \* ولما كانت سنة  
احدى وسبعين وألف قامت الفتنة بين العساكر المصرية على اختلاف طبقاتها واشتدت  
نارها وعلا لهيبها في القاهرة ومصر القديمة ثم امتدت الى الاقاليم القبلية وعظم أمرها  
فتطاوت أيدي الخند والغوغاء معا الى السلب والنهب وهتك الحرمات وظهر العربان  
فتخطفت كل من خرج من مصر فرارا من الفتنة فكانت شدة عظيمة للغاية مات فيها  
الجمل الغفير من الناس وجرى الدم في الشوارع والحارات ومات الكثير من الامراء الفقارية  
وغيرهم وطالت أيام الفتنة ثم انحسرت أسبابها ولبث عمر باشا الوالي المذكور يتصرف  
الى سنة سبع وسبعين وألف هجرية \* قلت فان صح ذلك كانت ولايته زهاء عشر  
سنين وهذا بعيد في جانب ما تعوده رجال السلطنة من كثرة العزل والتولية في ولاة مصر  
لا سيما وقد كانت أيام عمر باشا المذكور مفعمة بالفتن والكوارث والمحن وخروج  
الخنبد بعضهم على بعض فكان لا بد لتسكين الفتنة ومنع حدوث مثل هذه القلاقل من تغيير  
وتبديل في الولاية \* ثم عزل عمر باشا المذكور وتولى بعده أحمد باشا وقيل ابراهيم باشا وذلك  
في أواخر سنة سبع وسبعين فاقام سنة وعزل في أواخر سنة ثمان وسبعين وألف هجرية  
وفي رواية انه أقام يتصرف الى سنة خمس وثمانين وألف هجرية فكانت مدة تصرفه زهاء تسع  
سنين \* وتولى بعده حسين باشا وجاء الخبر بوصوله الى بولاق مصر فخرج الناس للقائه  
وركب في موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل ومعه كثير من الخدم والحشم فأخذ  
يتصرف مع الحكمة والعقل وكان محبا للرعية غير متحجب كان يجلس للناس فترفع  
له القصص فيأمر وينهى مع الرفق واللين وجاءه فرمان السلطان بطلب ثلثمائة كيس  
قروش كلاب على حساب القرش الكلب ثلاثون نصف فضة \* قال بعض الكتاب وكانت  
قيمة القرش الكلب الى ذلك الوقت أربعين نصف فضة وكانت قيمة الريال اثنين وأربعين  
والشريف البندقي خمسة وتسعين نصف فضة والشريف المحمدي خمسة وثمانين \* ولبث  
حسن باشا يتصرف حتى جاءه الامر بالعزل في المحرم افتتاح سنة سبع وثمانين وألف هجرية  
وتولية حسن باشا الجانبلاط فكانت مدة تصرف حسين باشا سنة وبضعة أشهر ودخل حسن  
باشا الجانبلاط القاهرة في منتصف المحرم فخرج للقائه العلماء والمشايخ والامراء وكبار الخند

مطلب

ولاية غازي باشا وعزله

ولاية عمر باشا

مطلب

ولاية أحمد باشا وأوهه

ابراهيم باشا وعزله وولاية

حسين باشا

مطلب

ولاية حسن باشا الجانبلاط

وأصحاب العكا كيز فصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد وأطلقت لقدمه البشائر فأخذ يتصرف في الامور فكان مشؤم الطالع وقع في أيامه غلاء عظيم وانقطع الوارد من المأكول وعز وارتفعت الاسعار جدا فبيع الورد القمح بمائة وثمانين نصف فضة والورد الشعير بمائة وثلاثين وكذلك الفول والبن كل جل بمائة وخمسين نصفاً فضة واشتد الحال على الفقراء حتى أكلوا الميتة وجذور الأشجار وطافوا في الشوارع يتخطفون الخبز من الأفران ويرجون بيوت الأمراء بالأججار ويصيرون ويضجون \* قال بعض أصحاب التاريخ ومع هذا فقد كان النيل في غاية النكال وأقام حسن باشا يتصرف الى ان جاءه الامر بالعزل في المحرم سنة احدى وتسعين وألف هجرية وتولية عثمان باشا فكانت مدة تصرفه أربع سنين\* ودخل عثمان باشا القاهرة وصعد الى قلعة الجبل وأخذ يتصرف في الامور فكان عادلا كاملا حسن السيرة قنوعا غير محب لاخذ ما يدي الناس وزاد النيل في أيامه زيادة عظيمة فعم جميع الاراضي القبلية والبحرية ورواها وأخصبها فأثرت وأنجبت غلاتها فزالت الاسعار وكثر الوارد وامتلأت العرصات بالقمح والفول والشعير والعدس والارز وكثر الخبز بالافران والدكاكين وشبع الفقراء ووجه غايته الى ضبط المقاييس والمسكاييل وتحريم عيار النقود على اختلافها فلم يتم ذلك حتى جاء الامر من دار السلطنة بان يكون وزن الالف نصف فضة مائتين وثلاثين درهما وكل مائة درهم فضة يدخله خمسة وعشرون درهما من النحاس ونودي بذلك في القاهرة ومصر القديمة فتكدر الناس من ذلك جدا وخصوصا السوق وأصحاب التجارة وراجعوا الباشا في ذلك فرفع الامر الى دار السلطنة وبان في شكوى الناس من ذلك فلم يلبثت اليه وجاه الامر بالتجميل ففعل

مطلب  
ولاية عثمان باشا

وكانت الى هذا الحين لم تبطل الحرب القائمة مابين الدولة وخصومها ولم يتم جميع الاصلاحات التي بدأ بها كوبري ابي أحمد باشا بعد توليته الصدارة العظمى انجازا لمقاصد آبيه اذ عاجلته المنية فمات حتم أنفه في سنة سبع وثمانين وألف هجرية فولى الصدارة بعده زوج أخته قره مصطفى قال بعض الكتاب فلم يكن ككفو لهذا المنصب الجليل ولا هو موصوف بحسن السياسة والتدبير فلما استقر به المنصب تغلب عليه هواه فركب متن الشطط وباع المناصب العالية وعاقد الدول على ما ياباه شرف دولته وعزة جانبها وخط وخبط فأبعد عن الدولة قلوب معاهديها وأزال بسوء تدبيره ما أسسه كوبري الكبير وابنه من بعده فظهر الخلل وتطرف الى جميع مصالح الدولة وتقدمت الاوغاد وعات كلمة الاغرار واشتد خصوم الدولة عليها فسار قره مصطفى الصدر المذكور في جيش عظيم يريد محاصرة ويانه عاصمة التمس فزل عليها وحاصرها وضيق عليها وأقام على حصارها زهاء شهرين واستولى على جميع قلاعها الامامية ورمى عليها بالقبائل وراسل الرمي ليللا ونهارا حتى هدم بعض أسوارها ولما أخذها فسير بابا رومه رسله الى ملك بولونيا وملك ساكس وباقيها يستنضمهم الى نجدة التمسانيين وقتال المسابن وخلص البلاد من أيديهم فقاموا جميعا

للقتال وهاجوا عساكر المسلمين وقاتلوهم قتالا عنيفا للغاية فظفر بهم وانتصروا عليهم  
 نصرته عظيمة وفشلت جنود قره مصطفى باشا وتمزقت فاستولت الاحزاب على جميع مصادقهم  
 ومات كوه من مؤنة ودواب وآلات الحرب وكانت شيباً كثيراً للغاية ثم جمع قره مصطفى باشا  
 ما بقى من جنوده على نهر داب وقفل راجعاً بهم الى مدينة بور فتبعه ملك بولونيا في عسكره  
 وصار يتخطف من خلفه ووصل الخبر بذلك الى دار السلطنة فكبر الامر على السلطان وسير  
 على الفور احمد حاشيته الى قره مصطفى باشا فقتله وبعث رأسه الى القسطنطينية وولى  
 مكانه ابراهيم باشا وكبر الامر على دولة النمسا وتعلقت آمال ملكها بالنصر بعد استخلاص  
 ويانه من هجمات العساكر العثمانية فتحالف مع مملكة بولونيا وجمهورية البندقية ورهبنة  
 القديس يوحنا وبابا روميسية ودولة الروس على قتال المسلمين وأخذ جميع ما بأيديهم من  
 البلاد في قارتي آسية وأوربا ودعوا هذه المحالفة بالخالفة المقدسة ثم فتحوا الحرب على الدولة  
 من كل صوب وحذب فسارت سفن جمهورية البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد الموره  
 ومعها سفن حرب البابا وسفن رهبنة القديس يوحنا فتغلبوا على مبدن اليونان وأخذوا  
 كورنيسه وأينته وزحفت جيوش الملك سويسكي على بلاد البغدان وأغارت عساكر النمسا  
 على بلاد المجر فاحتلت مدينة بست وحاصرت مدينة بور وضيقت عليها فلم تل منها فهاجوا  
 بعض القلاع والحصون وأخذوها عنوة وفاز الاحزاب وانتصروا عدة نصرات متتابعة فكبر  
 ذلك على السلطان وظننه خيانه من المصدر الاعظم فسير اليه الامر بالعزل والابعاد الى  
 جزيرة رودس وعين مكانه سليمان باشا السردار فلم يغن عزله شيباً ولم يفلح سليمان باشا  
 السردار على واقف النمسايون مدينة بور ودخاؤها واعلموا فيمن بها من العساكر العثمانية  
 القتل وقتلوا عاملها المدعو عبدى باشا فكان سقوط هذه المدينة في أيدي الاعداء خسارة  
 عظيمة على الدولة العثمانية وفشلت بغد ذلك عساكر سليمان باشا وتولى عليها الجبن  
 والضعف وفازت عساكر الاحزاب وتقدمها النصر في جميع حروبها والسلطان في  
 شاغل عن جميع أمور السلطنة بالصعيد والقمص ومنادمة قرناء السوء في القسطنطينية  
 وضواحيها

ولما وردت الاخبار الى دار السلطنة بتوالى هزيمة العساكر العثمانية وفوز الاحزاب  
 ودخول الشتاء رسم السلطان بأن يكون الروم ايلي مشتي العساكر في ذلك العام أيضاً وقد  
 كانوا أشتوا فيها عدة سنين فهاج العسكر عند ذلك وماجوا وأبوا الا العود الى دار السلطنة  
 فلما صاروا على مقربة منها كتبوا محضراً بما عليه السلطان من سوء الاخلاق وعدم  
 صلاحيته لئلا ينصب الخليفة وطلبوا خلع بيعته فوافقهم على ذلك العلماء والمشايخ وأهل  
 الدولة وخلصوه في غرة المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين وألف هجرية وأجلسوا بدلا منه  
 أخاه السلطان سليمان الثاني وبقي السلطان محمد محجوراً عليه حتى مات سنة خمس ومائة  
 وألف هجرية

## (الفصل الثالث عشر)

(في سلطنة السلطان سليمان خان الثاني)

ثم قام بالامر بعد خلع السلطان محمد أخوه السلطان سليمان خان الثاني ببيع له بالملك في الثاني من المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين وألف هجرية أي سنة سبع وعشرين وثمانمائة وألف ميلادية وطبروا الخبر بذلك الى الآفاق فلما تمت له البيعة دخل جميع العساكر الذين كانوا في حومة القتال الى دار السلطنة بسلاحهم وكراعهم ودوابهم وضربت كتائب السباهيين خيامهم في المكان المعروف بميدان السلطان أحمد وضرب الانكشاريون خيامهم في المكان المعروف بأت ميدان وماغنوا حتى قبضوا بعد ذلك على أزمة الاحكام وأمرها ونهوا وصاروا يعزلون ويولون ويقصون ويدنون من شأوا ويقتلون ويصادررون الوزراء والامراء والحكام على السواء وتطاوت أيديهم أيضا الى أموال الرعيصة واشتدوا على الناس شدة بالغة وعاثوا وأفسدوا وهتكوا الحرمات ودخل جماعة منهم يوما الى الباب العالي وقبضوا على الصدر الاعظم سيواس باشا وقتلوه شرق قلعة فعم الخلل وظهر أهل الفساد قبيحوا العسكر في النهب والسلب وعاثوا وعربدوا واتفق ان جماعة منهم دخلوا الى بيت شريف من الاشراف ينهبون فخانهم الشريف فلم يقدر تخرج وهو يصبح ويضج ثم رفع منديلا على رأس عصا وصار ينادي من كان مؤمنا بالله ورسوله فليأت تحت الصنح فلما سمع الناس نداء أتوا اليه من كل صوب وحذب وأحاطوا به وهم يضجون ويهجون الى الله وذاع الخبر في جميع أطراف القسطنطينية بخروج البيرق النبوي أي بيرق صاحب الشريعة فهرع الناس أفواجا أفواجا الى السراي السلطانية وهم لا يشكون في أن منديل ذلك الشريف هو البيرق النبوي فتعجب الامراء وكبار الدولة من هذا الامر الغريب وظنوا ان اجتماع هذه الجوع الكثيرة على هذه الصورة انما هو بارادة سماوية ومشيمة الهمة فأسرعوا في اخراج البيرق النبوي للحال ووقع السيف في أعناق أهل الشقاوة والفساد وكثر القتل والتفريق وعمت الثورة واستفحل الخطب واشتد الويل والكرب وأغلقت الاسواق وتترس الناس في البيوت والدروب فكانت فتنة كبرى وبينما كانت القسطنطينية تنأج بنار الفتنة والدماء تسيل في طرقاتها كانت عساكر الاحزاب تقاوم بلاد الدولة وتحتل المغور وتأخذ القلاع والحصون فاستولى البندقيون على ايلة المورة ووصل النمساويون الى بلغراد ثم استولوا على قلاع ودين وفتح الاسلام ونيس والافسلاق وغيرها ووردت الاخبار بذلك الى دار السلطنة فاجتمع كبار الدولة وأهل الحيل والعقد فيها وتشاوروا في الأمر واعترفوا بعجزهم وعدم قدرتهم على اطفاء نار هذه الفتنة وبعد اقدام واجام انفتحت كلمتهم على تسليم كوبريلي مصطفى باشا خاتم الصدارة العظمى فاستقدموه في الحال وسلموه الخاتم فقبض على زمام الأمور بهمة عالية وأبطل كثيرا

من البدع والمظالم المستحدثة وأزال جميع الامانات والالتزامات وأبطل رسوم وعادات الوزراء في الاعياد والمواسم وبالغ في ارجاع الجند الى حدود الطاعة وملازمة النظام وصرف لهم جميع جماكيمهم وعلوفاتهم المتأخرة وبث حول كبارهم العيون والارصاد فخافوه وأخذوا الى السكينة وقطع دابر أصحاب الشقاوة وأهل الفساد وأمن الطرق فأحبه الناس ومالت اليه قلوب الجند فأذعنوا لأمره واجتمعوا عند كلمته وانطلقت أسنة الناس كافة بالدعاء له فلما تم ما أراد من تنظيم أمور المملكة الداخلية تجرد للغزو وأخذ النار من الاعداء وأثار الحرب على النمسا وجمهورية البندقية وبقية الاحزاب وسير لقتالهم عسكريا جزارا فكانت بينهم سجالا \* وبينما كانت نار الحرب تشتعل بين العساكر السلطانية وجيوش الاحزاب تحرك كذلك بطرس الاكبر قيصر الروس ونكث العهد وزحف بجيش عظيم يريد اما التخلص من الجزية المفروضة على مملكته ليكوات القريم واما الحرب والقتال فكبر هذا الأمر على الصدر الاعظم ورسم لجيوش التتار بقتال الروس فقاتلوهم قتالا عنيفا وهزموهم شرهزيمة وغنموا ما كان معهم من المدافع وآلات الحرب وانخيام والدواب وكانت شيئا كثيرا وعادت التتار ظافرة غائمة وتفرغ الصدر الاعظم حينئذ لقتال الاحزاب وشدد في ذلك فهزمت العساكر السلطانية عساكر جمهورية البندقية وانتصرت عليها نصرا عظيما وركب هو بعسكره أيضا على دولة النمسا فافتتح قلعة نيس وجميع القلاع والبقاع المتصلة الى قلعة بلغراد وقلعة سمندرة واسترجعت أيضا السفن العثمانية قلعة ودين وسير طائفة من العسكر الى أطراف أردل ففتحوها وانتصروا على من كان بها من الاعداء

ولم تكن هذه الحروب المتتابعة لتشغل رجال السلطنة عن التولية والعزل في ولاية مصر فانه بعد ان لبث عثمان باشا يتصرف جاءه الأمر بالعزل في أوائل سنة تسع وتسعين وألف هجرية وتولية حسن باشا السلحدار فكانت مدة تصرفه نحو ثمان سنين وبنسعة أشهر \* ووصل حسن باشا الى الاسكندرية فخرج للقائه الامراء وكبار الجند والعلماء والوجهاء فدخل القاهرة في موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل وأخذ يتصرف في الامور فلما كانت سنة ألف ومائة هجرية وقع الغلاء بمصر وامتنع الوارد من الغلال الى القاهرة فبيع الارب القمح بمائة وعشرين نصفاً فضة والاردب الشعير بمائتين والفول بخمسة وتسعين نصفاً \* قال بعض الكتاب وأجرة طحين وبيبة القمح أربعة أنصاف فضة فضح الفقراء وظافوا بالازفة والحارات يتساولون وصاروا يتخطفون ما يجدونه من الخبز في الافران وفي الدكاكين واهتم حسن باشا بأمر الغلاء ففتح الاشوان السلطانية وأطمع حتى زال الغلاء وكثر الوارد من الغلال واطمأنت قلوب الناس ولبث حسن باشا يتصرف الى ربيع الثاني سنة إحدى ومائة هجرية فجاءه الأمر بالعزل وتولية أحمد باشا فنزل من قلعة الجبل \* ودخل أحمد باشا القاهرة في آخر ربيع الثاني المذكور فكانت مدة

مطلب

ولاية حسن باشا السلحدار

مطلب

ولاية أحمد باشا



تصرف حسن باشا ثلاث سنين غير كوامل وتصرف أحمد باشا تصرفا حسنا الا أنه لم تطل مدته  
 وكان السلطان سليمان قد رحل عن القسطنطينية إلى أدرنه وأقام بها يستطلع أخبار  
 الحرب ويستتشق نسمات النصر بعد ذلك الخذلان المتتابع فينبما هو على هذا الحال  
 جاءت الاخبار بظفر حنوده وقهرهم للاعداء ففرح بذلك فرحا لا يوصف وسار من أدرنه إلى دار  
 السلطنة فضربت لقدمه البشائر وعاد بعد أيام أيضا الصدر الاعظم بجميع عساكره ورايات  
 النصر تخفق على رؤسهم كان ذلك في وقت الشتاء فتمفرغ من الحرب إلى امضاء الاحكام  
 وتنظيم أمور الدولة واعادة ما خسرت من العز والجاه وبقى كذلك إلى دخول الربيع فخرج  
 بجيوشه يريد بلغراد للغزو والجهاد وخرج السلطان إلى أدرنه تشجيعا للقائين فلم يلبث  
 بها الا أياما حتى مرض واشتد به مرضه فمات في العشرين من رمضان سنة اثنتين ومائة  
 وألف فكانت سلطنته ثلاث سنين وتسعة أشهر وتولى الملك بعده أخوه السلطان أحمد خان  
 الثاني ابن ابراهيم خان

## (الفصل الرابع عشر)

(في سلطنة السلطان أحمد الثاني ابن ابراهيم)

ثم قام بالأمر بعد السلطان سليمان أخوه السلطان أحمد الثاني ابن السلطان ابراهيم  
 ببيع له بالملك يوم موت أخيه سنة اثنتين ومائة وألف هجرية أي نحو سنة احدى وتسعين  
 وسمائة وألف ميلادية فلما استقرت به السلطنة أخذ يتصرف في الامور ولم تكن الحرب  
 القائمة بين جيوش مصطفي كوبرلي صدر الدولة وبين جيوش النمسا قد انقضت إلى ذلك  
 الوقت فاهتم السلطان أحمد بأمرها وسير مصطفي باشا المشار اليه إلى بلاد النمسا لاختضاعها  
 واسترداد ما بقي تحت يدها من المدن والبلدان فسار مصطفي باشا وما زال يحارب حتى مات  
 في ساحة الحرب وانهزم جيشه شرهزيمة ومات منه زهاء العشرين ألفا وتشرد من بقي  
 منه فاضطرب السلطان من ذلك وصمم على الاخذ بالثار فجعل يعد المعدات ويجهز  
 الجيوش ويراقب الفرص ويتبين انتفاعها فينبما هو على هذا الحال اذ قام الحربي  
 بالقسطنطينية واشتد بها شدة بالغة جدا فاحترق نحو ربيع المدينة ومات كثير من  
 الشيوخ والاطفال وعم الخطب فتمعق تسمير الحلة على بلاد النمسا ولم تخرج الا في سنة  
 خمس ومائة وألف وكانت جيوش النمسا في هذا الحين تشدد الحصار على مدينة بلغراد فلما  
 جاء الخبر بمقدم العساكر العثمانية خاف قائد جيوش النمسا وفك الحصار عن بلغراد ورجع  
 عنها فنزلت العساكر العثمانية حول بلغراد ولبثت هناك من غير قتال ولم يقع الاتفاق بين  
 قائد الجيوش العثمانية وقائد جيوش الفرنجة على شيء من أسباب الصلح أو المهادنة ولم

تزل الخيال كذلك الى أن مات السلطان أحمد سنة ست ومائة وألف هجرية فكانت سلطنته ثلاث سنين وبضعة أشهر وقيل أربع سنين ومات في أيامه أحمد باشا والى مصر فدفن بالقرافة \* وجاء فرمان السلطان بتولية علي باشا قلعج بدله فدخل القاهرة في ربيع الثاني سنة اثنتين ومائة وألف هجرية فكانت مدة تصرف أحمد باشا سنة وبضعة أشهر وتصرف علي باشا قلعج فكان غير موفق في جميع أعماله ميالا للايذاء غير فنوع وقصر في أيامه النيل عن زيادته المعتادة فرسم للشيخ يوسف السادات بان يبيت في قاعة المقياس ويتلو حربه في كل ليلة حتى يحصل الوفاء وأقام بطرك المتأصلين كذلك الصلاة ودعاء الله سبحانه وتعالى قيل فزاد النيل ووفى في السابع والعشرين من مسرى القبطى وعم الاراضى ثم انحدر عنها فاخصبت وانتجت غلاتها وابت يتصرف حتى تولى السلطنة السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع وكان من أمره ما سيذكر في محله

مطلب  
ولاية علي باشا قلعج

## (الفصل الخامس عشر)

(في سلطنة السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع)

ثم قام بالأمر بعد السلطان أحمد ابن أخيه السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع بربيع بالملك سنة ست ومائة وألف هجرية اى سنة خمس وتسعين وستمائة وألف ميلادية وكان متادبا حسن السيرة محبا للعلوم والمعارف رزينا كريم الاخلاق فلما استقرت به السلطنة جيش على جزيرة ساقس ففتحها ثم سار الى قتال النمسا اذ الحرب لم تكن تجت نارها بين الفريقين فلما التقى الجمعان واقتتل انهمزمت جيوش السلطان شرهزيمة فقفل راجعا عن بقي معه ثم سار بجيش آخر لقتال الروس فلاقته جيوشهم وقاتله قتالا عنيفا فانتصرت عليه نصره عظيمة وأخذت منه مدينة ازوف ولما رأى السلطان من توالى نصره أعدائه وموت عساكره سلم خاتم الصدارة الى حسين باشا عموجه زاده من عائلة كوبريلى وفرح الناس بذلك وعدوا هذا الفعل من تدايير السلطان الحسنة وكانوا يودون لو أن الصلح يقع مع الدول الحاربة على يد حسين باشا الصدر المذكور ففتحق الدماء وتزول ويلات الحروب وكان الصدر الاعظم يرى وجوب التمسك بقول القائل اذا أردت الصلح والصلاح كن مستعدا للحرب والكفاح فسار من فوره بالعسكر السلطاني الى نواحي بلغراد يريد القتال فتداخلت عند ذلك دولتا الانجليز والفرنك في تقرير قاعدة للصلح فأذعن الصدر بذلك خوفا من ملل الجنود من توالى الحروب عليهم في اربع جهات مختلفة ونفاد الاموال فضلا عما طرأ على البلاد من الخراب فتم أمر الصلح مع الاحزاب ولكن لم يرق هذا العمل الخطير في عين فيض الله افندى شيخ الاسلام وحسد الصدر الاعظم على هذا الفوز ففسد في حقه الى السلطان وأكثر من التهمة

والوشاية به وأثار عليه الخواطر ورماه بالمروق ووسمه بالخيانة فلم يطق الصدر هذا الحال واعتزل المنصب وكتب الى السلطان بذلك فجاهه جواب السلطان بالقبول \* قال أصحاب التاريخ وقد ختمت بهذا الوزير سياسة محمد باشا الكوبريلى ولم تلبث الاحوال أن تغيرت وظهر الاغرار وقبضوا على زمام الاحكام وكان للسلطان ميل تام الى فيض الله افندي شيخ الاسلام لانه شيخه ومربيه فاركن اليه واعتمد في كل الامور عليه فتأقت نفس فيض الله الى الانفراد بالامر ففعل ما لم يفعله أحد قبله من سلفائه وأمضى ما لا يليق بشأن العلماء فولى أولاده ومن ينسب اليه المناصب العالمية وارفاقهم المراتب السامية وقبض على أزمة جميع الامور فنهى وأمر وفاز واشتهر وغاب وقهر وحصر المنافع فيه وفي أولاده واتباعه وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها فلم تبق كلمة فوق كلمته ولا يد فوق يده \* وتولى السلطان مصطفى والى على مصر على باشا قلي فأتى اليه فرمان الرضا فلبث يدبر الامر وكان على باشا هذا سبي الطالع قليل الرأى عديم التدبير متعجبا عن الناس الا عن بعض خواصه وكانت أيامه كلها شدائد وقع فيها غلاء شديد جدا فقل وروود الغلال يوما عن يوم حتى انقطع وعزت الاقوات وضافت أمور الفقراء واشتد بهم الجوع شدة بالغة فأكوا الجيف وجذور الاشجار ثم اجتمع منهم السواد الاعظم رجالا ونساء وصبيانا وصعد الى قلعة الجبل وذلك في منتصف المحرم من سنة سبع ووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع واستغاثوا ونادوا على الباشا فلم يجبهم أحد فرجوا بالاجار وأكثروا من العريضة فركب والى وطردهم فنزلوا الى الرميلة ونهبوا ما بها من حواصل الغلال وكذلك وكالة القمح وحواصل كتخدا الباشا وكانت ملائى بالشعير والبول وأصناف الحبوب الاخرى فلم يقدر أحد على ردهم واشتد الغلاء حتى بيع الورد القمح بستمانه نصف فضة والشعير بثلمائة والبول باربعمائة وخمسين والارز بثمانمائة نصف فضة أما العدس فكان لاوجود له بالكلية وحصلت شدة عظيمة بمصر والاقاليم كافة وجاء أهالى القرى والارياف الى القاهرة ومصر القديمة فامتلات منهم الازقة والحارات واشتد الكرب وعم الخطب ومات الكثير من الناس جوعا وخلت أكثر القرى من أهلها وخطف الاهالى الخبز من الاسواق ومن الافران والذى على رؤس الخبازين مع ندرته فكان يذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوه ويعودوا به واستمر الامر على ذلك الى أن عزل على باشا المذكور فى ثامن عشرى من المحرم افتتاح سنة سبع ومائة والف هجرية \* وخلفه فى الولاية مسلم باشا اسمعيل وهو من ولاية الشام فلما جاء الخبز بعزله فرح الناس فرحا لا يوصف واستبشروا بالفرج بعد الضيق وقام ابراهيم بك أبوشنب فى نيابة الغيبة حتى يقدم مسلم باشا اسمعيل المذكور الى مصر \* ونزل على باشا الخلوع الى بيت احمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل واستقر به فكانت مدة تصرفه اربع سنين وثلاثة أشهر وأياما وحضر اسمعيل باشا والى الحديد من البر

مطلب

ولاية مسلم باشا اسمعيل

وصعد الى قلعة الجبل بالموكب في يوم الخميس السابع والعشرين لصف من السنة فلما استقر به المنصب ورأى ما فيه الناس من الجوع والكرب والموت رسم بتوزيعهم على بيوت الامراء والأعيان كل انسان على قدر حاله وقدرته وأخذ لنفسه جانبا ولاعيان دولته جانبا وعين لهم ما يكفيهم من خبز وطعام في الصباح والمساء الى ان انقضى الغلاء ثم أعقب ذلك وباء عظيم للغاية فرسم الباشا لاصحاب بيت المال بأن يكفوا جميع الفقراء والغرباء كافة فكانوا يحملون الموتى من الطرقات عشرات عشرات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سبيل المؤمن وما زالوا على هذا الحال الى ان انقضى الوباء أيضا فكان عدد الموتى لا يكاد يحصر وكان انقضاء الوباء في آخر شوال من السنة فعمل الباشا أفراحا وختن ولدا له اسمه ابراهيم وختن معه ألفين وثلاثمائة وستة وثلاثين غلاما من أولاد الفقراء ورسم لكل غلام بكسوة كاملة ودينار \* وكان من ملتمى دار الضرب على عهد علي باشا الوالى المنفصل يهودى اسمه ياسف وكان طاغية داهية وقد طلب الى دار السلطنة وسئل عن أحوال مصر وما يتعلق بها فأملى على أمور والتزم بتحصيل أموال الخزينة زيادة عن القاعدة المقررة في كل عام وحسن احوال بعض احوال فأجازت له الدولة ذلك وأعطت له مرسوما فلما حضر مصر تلقته طائفة اليهود من بولاق وأصعدوه الى الديوان في كبكبة فقرئت الاوامر التى حضر بها ووافقها الباشا على اجرائها والعمل بها وأشهر النداء بذلك في شوارع مصر والقاهرة فأغتم الناس وتوجه التجار وأعيان البلد الى الامراء وراجعوهم في ذلك فركب الامراء والصناجق وطلعوا الى القلعة وكلوا الباشا فلم يقبل منهم فغضبوا وسألوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع فأغلظوا عليه وصمموه على أخذه فأمرهم بوضعه في العرانة وان لا يشوشوا عليه حتى يتظروا في أمره ففعلوا به ذلك فقام الجنيد على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى ليقبلوه فامتنع فحضوا الى السجن وأخرجوه وقتلوه عند بابه وجروه من رجله وألقوه فى الرميانة فقام العامة وجعوا خطبا وأحرقوه بمرأى من الناس كافة وذلك في يوم الجمعة بعد الصلاة ثم سكنت الفتنة وكأنها لم تكن \* ومن هذا الحين انحرف الجنيد على الوالى وتبوا عليه وصاروا ينكرون عليه كل فعل ولو لم يستحق الانكار حتى قاموا عليه فى الثانى والعشرين من ربيع الاول من السنة وعزلوه فكانت ولايته سنتين اثنتين \* وقام مصطفى بك بالامر الى ان حضر الوالى الجديد واسمه حسين باشا وكان واليا على صيدا من أعمال الشام فلما حضر الى القاهرة طلع الى قلعة الجبل فى موكب حافل فى منتصف رجب سنة تسع ومائة وألف فلما استقرت به الولاية أخذ يتظر فى أمور البلاد ومصالح الخلق فكان يرى نفسه مغلوبا على أمره لا كلمة له بين الجنيد والامراء والصناجق فعمل على تعزيز جانبه واعلاء كلمته فلم يتمكن لقصر أيامه \* واتفق فى ولايته ان خرج المغاربة من أهل تونس وفاس المقيمين بالقاهرة فى ربيع عشر شوال من السنة ليحملوا كسوة الكعبة التى تحمل فى كل عام للبيت الحرام وكانت عادتهم فى ذلك اليوم انهم يبرون بالكسوة فى وسط

مطلب  
ولاية حسين باشا

القاهرة مع غاية الاحتفاء والاحتفال ويضربون كل من وأوه يشرب الدخان في اثناء مرورهم  
 فرأوا رجلا من اتباع مصطفى كتحدا القازدغلي يدخن فكسروا أنبوتيه وضربوه وشجوا رأسه  
 وكان في مة دمتهم اناس منهم متسلمون فزاد التشاجر واشتد الامر فقام عليهم أهل السوق  
 وأوقعوا الضرب في بعضهم بعضا وكادت الفتنة تم القاهرة ومصر وخاف الناس العاقبة وحضر  
 أودة باشا البوابة فقبض على جماعة منهم وقيدهم بالحديد وصعد بهم الى حيث الباشا فأمر بهم  
 فحبسوا حتى سافر الحاج من مصر ومات منهم جماعة في السجن ثم أفرج عنهم بعد ذلك وورد  
 عقب هذا الحادث بقليل الخبر بعزل حسين وولاية قره محمد باشا فحضر مصر في منتصف ربيع  
 الآخر سنة احدى عشرة ومائة وألف فكانت ولاية حسين باشا سنة وسبعة أشهر وأياما ولم  
 يكن لقره محمد من حظ الولاية على البلاد الا ما كان لسلفه فانه كان مغلوبا على أمره وكانت  
 الكلمة للامرء والصناجق ولم يبق له الا صغائر الامور فوجه عنايته اليها وماهي الازالة بعض  
 السقائف والدكاكين لتوسعة الطرق والاسواق وقطع الارض وتعميدها ورسم بترميم جامع  
 الاربعين الذي بجوار باب قره ميدان وأنشأ في الميدان المذكور جامعاً بخطبة وتكية لفقراء  
 الخلوئية من الروم وأسكنهم بها وأنشأ تجاهها مطبخا ودار ضيافة للفقراء وفي علوها مكتبا  
 للاطفال ورتب لهم ما يكفيهم وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف ببستان الغوري جاما  
 فسيحا مقروشا بالرخام الملون وجدد بستان الغوري وغرس فيه الاشجار ورم قاعة الغوري  
 التي بالبستان وعمر بجوار المنزل سكن امير اخور وبنى مسطبة عظيمة برسم الباس القفاطين  
 وتسليم المحل لامير الحاج وأرباب المناصب \* قلت وهي موجودة الى يومنا هذا \* وعمر  
 مسطبة يرمي عليها بالنشاب وأنشأ الحمام العظيم بقره ميدان ونقل اليه من قلعة الجبل حوض  
 رخام ضمن قطعة واحدة وعلوا به فسقية في وسط المسلخ وعمر بالقرافة مقام سيدي عيسى بن  
 عبد القادر الجيلاني وجعل به فقراء مجاورين ورتب لهم ما يكفيهم وأنشأ صهريجا بداخل  
 القلعة بجوار نوبة الجاويشية ورتب فيها خمسة عشر نفرا يقرؤن القرآن كل يوم بعد الشمس  
 أما فيض الله افندي شيخ اسلام دار السلطنة فانه لما اتسعت كلمته وبسط يده على  
 جميع الامور وصار السلطان طوع يده أبغضه الناس وكثرت خصومه ونأواه جميع أعيان  
 الدولة وأركانها وظهرت الفتنة وعظمت واستتجعل أمرها فقامت الجنود على السلطان فخلعوه  
 وقبضوا على شيخ الاسلام وقطعوا عنقه بحد السيف وسجنوا السلطان مصطفى ووكوا به  
 طائفة منهم تجرسه وذلك سنة خمس عشرة ومائة وألف هجرية فكانت ملكته تسع سنين  
 وقيل ثمان سنين وما زال مسجوناً حتى مات في نحو سنة تسع عشرة وخلفه أخوه السلطان  
 أحمد ابن السلطان محمد

ومات في أيام السلطان مصطفى متاوس بطرك المتأصلين بعد ان أقام أربع عشرة سنة  
 وكان اسمه جرجس من رهبان دير البراموس ونقل في أيامه دار البطركية من حارة زويلة

الى حارة الروم بالقاهرة وسكن بها وكان تقيا عالما فأقيم بعده يوحنا وهو الثالث بعد المائة  
واسمه ابراهيم من رهبان دير انطونيوس وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

## (الفصل السادس عشر)

(في سلطنة السلطان احمد بن السلطان محمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى أخوه السلطان أحمد بن السلطان محمد بويج  
بالملك بعد خلع أخيه سنة خمس عشرة ومائة وألف هجرية أى سنة اثنتين وسبعمائة وألف  
ميلادية فلما استقر به الملك اشتد على العسكر وضيق عليهم وكان شديد البطش عظيم  
البأس سفاكا للدماء فهابها العسكر وخافته الرعية فأصلح بعض الامور التي فسدت على عهد  
السلف وأعاد للدولة بعض القوة والنظام وظهرت في أيامه وقعات الروس مع الاسوجيين  
وزحف بطرس الاكبر قيصر الروس بعسكر عظيم للغاية على قلعة اراق في بلاد القريم  
وحاصرها وضيق عليها حتى فتحها وطمحت آماله الى ضم بلاد اسوج الى مملكته فسار  
لقتالها وكان ملكها كرلوس الثاني عشر جليل القدر واسع المعرفة بأساليب السياسة وتدابير  
الممالك وكان يعرف عند أهل الاسلام باسم تيمور باش وقد أنذر الدولة العثمانية بالخطر  
الذي يلحق بها اذا تركت بطرس قيصر الروس وشأنه يغزوه ويدوخ الممالك المجاورة له فلم  
تلنفت يومئذ لقوله فلما نال بطرس الغلبة وكاد يأخذ ملك أسوج أسيرا هرب ملك أسوج  
الى دار السلطنة العثمانية فنال بطرس من بلاد أسوج وضم جانبها عظيمها منها الى مملكته من  
ناحية بحر البلطيق وتجاوزت العساكر الروسية بعض الحدود العثمانية فرسم السلطان  
الى بلطجي محمد باشا الصدر الاعظم بالمسير لقتال بطرس ورد غارات عسكره فسار في جيش  
عظيم وعبر الطونة وقطع ايلة بساراييا وكانت عساكر الروس قد عبرت قبل ذلك نهر بروت  
فتلوا على ساحل الطونة فلم ياتفت اليهم وظل سائرا بجيوشه حتى بلغ ممر فالجى وقصد عبور  
نهر بروت من هذا الممر فلما تحقق ذلك القيصر ظن الظنون البعيدة وسير فريقا من عساكره  
لنعهم من العبور فلم يقدروا وتمكنت العساكر العثمانية من العبور وقتلوا الروس فهزمهم  
وساقوا خلفهم حتى ألحقوهم بعسكرهم بعد الزوال ولم يطلبوا الراحة من التعب بل فاجؤا  
العدو وهجموا عليه هجمة رجل واحد فانهمزمته وتقهقرت فعارضه نهر بروت من جهة وسد  
عليه أيضا خان القريم الطريق من الجهة الثانية فنظر القيصر واذا به قد وقع بين منتطح  
عزيرين فسير رسله الى الوزير في طلب الأمان وتقرير قاعدة للصلح فأجابه الوزير الى ذلك وتقررت  
بين الفريقين القاعدة وتم الطلح على ما سيذكر وكتب به أيضا عقد مؤقت وهو  
الباعث لتحرير هذا الكتاب الصحيح النصاب هو انه بتوفيق الله الملك العلام انتهت حرب

عساكرنا المنصورة مع قيصر الروس وعسكره في طرف نهر بروت وبعد حصارهم والتنصيق عليهم فبلفظه تعالى الكريم وفضله العجم طلب القيصر المرقوم اجراء المصالحة وعند ذلك عقدت وربطت قيود وشروط الصلح والصلاح على الوجه الآتي بيانه \* وهو ان قلعة ازا مع اراضيها وسائر ملحقاتها يجرى تسليمها كالأول للدولة العلية \* والقلعة الحديدية الكائنة في أعالي طغيان وقنانكة وصمصار المختصة بالقيصر تهدم بالسكينة والمدافع والنجحانة الموجودة ضمن قنانكة يجرى تسليمها بتمامها للدولة العلية \* وفيما يأتي من الزمن لا ينشأ في المحل المذكور قلعة ولا تحصل مداخلة بعد الآن من طرف القيصر المرقوم مع الهويين والتابعين لهم وهم ربابش والبورتغال ولا الى القزاق التابعين لحضرة صاحب السعادة دولتسكراي خان القريم بل يرفع القيصر يده عن جميع تلك المواضع بحيث تعود كما كانت قبل الآن وبعد اليوم لا يحق للقيصر أن يقيم سفيرا في استانبول من طرفه \* وأما التجار الروسيون الذين يأتون برا للممالك المحروسة لاجل التجارة فانهم مأذونون في الإقامة بها \* والاسرى من المسلمين الذين أسروا من قبل ومن بعد يلزم ويجب على القيصر أن يسلمهم للدولة العلية مهما كان عددهم \* ومالك أسوج حيث انه التجأ ووقع تحت جناح عناية الدولة العلية فبعد الآن يتوجه الى مملكته بالامن والسلامة ولا يحصل له التعرض والممانعة من طرفهم قطعا واذا وجد بينهم عدم توفيق ورضا اتحاد فعليهم أن يجربوا المصالحة \* وأنا أرجو من كمال افضال مولانا وسلطاننا صاحب الشوكة والعناية والعظمة ومن فيض مكارمه الملوكية غرض النظر من طرف الدولة العلية عن الحركات الخارجية عن الادب التي سبق وقوعها في جانب رعايا الدولة وسائر المنسويين الى الممالك المحروسة وان لا يصير عليهم فيما يأتي من الزمان تعد كما تقرر ذلك في الشروط والعهد \* وبحسب الوكالة المطلقة حرر هذا الصك وأعطى لطرف القيصر الى ان يعقد العهد والميثاق ان شاء الله تعالى في دار السعادة بالوجه المشروح وتعطى صورته له \* وبعد أن يأخذ القيصر صك العهد فلا تكون حينئذ ممانعة ومداخلة في أمر ذهاب عساكره الى بلاده في الطرقات المستقيمة لامن طرف العساكر المنصورة ولا من فرد من أفراد طوائف التتار وجماعتهم \* وأما أمين أسرار القيصر فسدوة أعيان الملة المسيحية قبارون فالتجلب بترد شافروف والجنرال ميخائيل أولدبورس حفيد شرم \* ختمت عواقبهما بالخير \* حيث انه ما كانا حضرا من طرف القيصر للمعسكر المنصور ليكونا رهنا فن بعد تسليم المواد المذكورة واعطاء صك العهد من طرف القيصر وانما خدمتهما يعطى لهما الاذن والرخصة من طرف الدولة العلية بذهابهما الى بلادهما بلا تأخير وبيان ذلك حرر هذا في اليوم السادس من جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

بيورلدى صحراء \* التوقيع خدش كجدي

قال بعض كتاب الاخبار وكان الوزير المحكي عنه صاحب حيل ودهاء دقيق الفكر في أعماله وحركاته ولم ينل مسند الصدارة العظمى الا بما أجراه من الدسائس الكثيرة والحيل الغريبة

فلما علم السلطان أحمد بمحقيقة حاله وأنه من الطغاة أعرض عنه ثم عزله من منصب الصدارة وبقى معزولا حتى قامت الحرب بين الروس واسوج وكان من أمرها ما تقدم بيانه فاقضت المصلحة إعادته الى مقام الصدارة ثانية فأحسن فيها العمل وفاز بالظفر والغلبة على ذلك الرجل العظيم وهو بطرس الاكبر ولكن لم تطل أيامه حيث وشى به خصومه ورموه بالخيانة وقالوا انه انما عقد هذا الصلح بالرشاوى والبراطيل وقد كان في وسعه أن يقطع شأفة جميع الجيوش الروسية بعد أن تحقق له ان بطرس الاكبر لم يسلم بهذه الشروط مع ما فيها من الفضيحة والعار عليه وعلى بلاده الا بعد أن أكلت جيوشه جميع دواب الجمل حتى جذور الأشجار وبعد ان سدت عليهم جميع المسالك وما زالوا يحسمون للسلطان الانتقام منه الى أن أمر بعزله ونفيه قبل أن يصل الى دار السلطنة بعد نصرته في تلك الحرب الهائلة \* قال بعض الكتاب وهو وان كان بريئاً من هذه التهمة فقد ارتكب في صدارته الاولى من المعاصي والذنوب ضد الكثير من خيار الناس ما لا يكاد يعد فظهر به الا أن سر قولهم \* ان الجزاء من جنس العمل وكان الولى على ديار مصر عند تولى السلطان أحمد للسلطنة قره محمد باشا فأقره في منصبه وأتاه فرمان الرضا فلبث يتصرف بعد ذلك أشهراً ثم خلعه \* وولى مكانه راي محمد باشا وكان قد تولى مسند الصدارة على عهد السلطان مصطفى وعزل منها وتولى على جزيرة قبرص ثم حضر منها واليا على مصر فصعد الى قلعة الجبل يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست عشرة ومائة وألف هجرية وجعل يتصرف في الامر فكان مشؤم الطالع قليل الخظ توقف النيل عن الزيادة في سنته فضج الناس وعجوا وابتهلوا الى الله بالدعاء وطلب الاستسقاء واجتمعوا على المقطم وغيره فاستجاب الله لهم في حادى عشر توت وزاد النيل فكان من النوادر الغريبة وقد أرخه بعضهم بهذين البيتين

النيل في مصر وافي \* في توت حادى وعاشر

والناس قد أرخوه \* لله جبر الخواطر

فروى بعض البلاد وهبط سريعاً فشرقت البلاد الاخر وحصل الغلاء وبلغ سعر الارب القمح مائتين وأربعين نصف فضة والبقول كذلك والعنيس مائتى نصف فضة والشعير مائة نصف فضة والارز أربع مائة نصف فضة وبيع اللحم الضأن كل رطل بثلاثة أنصاف فضة والجاموسى والبقرى بنصفى فضة والسمن القنطار بستمائة نصف فضة والزيت بثلمائة وخمسين والدجاجة بثمانية أنصاف \* قال الراوى فكثرت الشحاذون في الازقة وعزت الاقوات وعم الكرب واشتد الخطب على الفقراء وخشى الناس العاقبة بظهور الوباء فلم يقع شئ من ذلك \* وجاء الخبر بعزل راي محمد باشا في رجب سنة ثمان عشرة ومائة وألف هجرية وشاع القول بولاية على باشا فنزل محمد باشا من قلعة الجبل في موكب عظيم وسكن في بيت أحمد كتحدا العزب المظل على بركة الفيض بالقرب من حمام السكران حتى قدم على باشا الولى الجديد من طريق البحر وذهب التماس ملاقاته فأرسي بساحل بولاق يوم

مطلب  
ولاية راي محمد باشا

مطلب  
ولاية على باشا



الاشين ناسع شعبان من السنة وهو في نحو ألف ومائة رجل خلاف الاتباع فلبث بيولاق الى  
 ثاني عشرى رمضان وركب في موكبه وصعد الى قلعة الجبل فأطلقوا المدافع لقدمه  
 وزينت القاهرة ومصر ثلاثة أيام ولم يكذب يستقر به المنصب حتى قامت الفتنة على ساق  
 بين وفاق العزب والمتفرقة \* وتحرير الخبران شخصا من وفاق العزب اسمه محمد افندى  
 من صغار الكتاب كان بعد عزله من منصبه تولى خليفته أى ثاني كاتب في ديوان المقابلة  
 وحصل له تهمة عزل بسببها من هذا الديوان أيضا فجعل يسعى ويجد حتى نال وظيفة  
 سردار على طائفة العزب التازلين بالاسكندرية ثم كخدا القبطان واتفق بعد ذلك أن  
 سافر في إحدى المراكب فشاع الخبر بموته غرقا فخلوا اسمه وماله من المعلقة في بابه ولكنه  
 لم يلبث ان عاد إلى مصر وصعد الى الديوان وصرح اسمه الذى في سجلات العزب وجرأياته  
 ومتعلقاته وبقي له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها ولم يساعده أهل بابه على ذلك وأهملوا  
 أمره فأعظم هذا الامر وأكبره وذهب من فوره الى تلك المتفرقة وطلب الانضمام اليهم  
 وسألهم أن يخرجوه من العزب فأجابوه الى ذلك فجعل يركب معهم كل يوم للديوان  
 ويعر على باب العزب \* ويبتما هو ذات يوم سائر الى الديوان اذ وقف له جماعة من العزب  
 وقبضوا عليه وأنزلوه وحبسوه في باهم فبلغ الخبر جماعة المتفرقة وهم في الديوان فحضر أمين  
 بيت المال الى باب العزب وكان يومئذ نائبا عن باشاويش لترضه فعاتبه جماعة المتفرقة  
 على ما فعله جماعة العزب فأغلظ عليهم في الكلام وخاطبهم بفحش القول فقبضوا عليه من  
 أطواقه وأرادوا ضربه فحال بينهم وبينه بعض المصلحين وخلصوه من أيديهم فنزل الى باب  
 العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على باهم فربهم اثنان من  
 جماعة المتفرقة ذاهبين الى منازلها فهجم عليهما جماعة العزب وضربوهما ضربا مبرحا  
 وأنزلوهما عن الخيل وشجوا رؤسهما ونهبوا ما على الخيل من العدد وأخذوا ما عليهما من  
 الملابس فلما جاء الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقيسة الوجافات وجلسوا على باب الانكشارية  
 ورفعوا أمرهم الى الاغوات والصناجق وأهل الحل والعقد وبقوا على هذا الحال ثلاثة أيام  
 الى ان وقع الاتفاق على إبعاد أربعة أشخاص عن الديار المصرية وهم سبب اشعال نار هذه  
 الفتنة فوافق الجميع على هذا الرأي وصمموا عليه وبعثوا بهم الى الصعيد الاعلى وانقسمت  
 هذه الفتنة وكفى الله الناس شرها

وأعقب هذه الفتنة ورود مرسوم السلطان بعزل على باشا الوالى فعزل في  
 أوائل رجب من السنة ثم حبس في قصر يوسف بك وبيعت جميع موجوداته لوفاء ما عليه  
 لبعض تجار القسطنطينية ثم أفرج عنه \* ووردت الاخبار بولاية حسين باشا فقدم الى  
 الاسكندرية وجاء منها الى القاهرة في ثالث عشرى شعبان سنة تسع عشرة ومائة وألن  
 هجرية فكانت ولاية على باشا سنة واحدة وأياما وكانت قبل قدوم حسين باشا المذكور

مطلب  
 حسين باشا

بأيام قد وقعت فتنه أخرى بباب الانكشارية لها وكادت تشتعل نارها ويعلاهميها فتسارع  
 الاغوات وأصحاب الخيل الى تسكينها خوفا من قدوم الوالي الجديد فيرى ماهي عليه البلاد  
 من الخلل وعدم طاعة العسكر وعزلوا أحمد أوده باشا المشهور بأفريج أحمد وحسين أوده  
 باشا وأبعدوهما الى الطينة بدمياط فسكنت الفتنه وخذت نارها فلبنا بالطينة أياما  
 ثم هربا وعادا الى القاهرة واختفيا عند أغوات الشرا كسة والتجا أحدهما حسين الى باب  
 النفكشية فلما علم الانكشارية بقدمهمما فارين اجتمعوا ببابهم وطلبوا رجوع أفريج أحمد  
 الى منفاه فلم تقبل طائفة الشرا كسة وامتنعوا من تسليمه وقالوا لا بد من نقله من وجافكم  
 وساعدهم على ذلك بقية الوجقات فصمم الانكشارية على طلبهم ووقفوا ببابهم يومين  
 وليلتين وكذلك فعل كل بلك ببابه فعم الخوف الناس وانقطعوا عن الخروج من بيوتهم  
 وأغلق أصحاب الحوانيت حوانيتهم وكاد ينقطع الوارد من المأكول والمشروب الى القاهرة  
 ومصر خوفا من عيب العساكر فاجتمع العلماء والمشايخ والتقوا بالصناجق والاعيان وخطبهم  
 في أمر العسكر وفيما كان عليه الناس من الخوف وما يمتدد راحتهم من هذه الفتن  
 المستراكة وسألهم في حسم الفتنه منعنا من نفاقم الخطب وانتشار العامة والحرافيش في  
 الاسواق للعريضة والنهب ثم كلموا الباشا في ذلك أيضا وألحوا في الطلب فوقع الاتفاق على  
 ان يولوا أفريج أحمد المذكور رئاسة طبخانة وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأصحاب  
 الدرك وأحضره الى مجلس الانا وقرأ عليه مرسوم الصنحية وانه ان خالف ولم يطع عوقب  
 بغير معاودة فأطاع وقبل وخرج بموكب عظيم الى بيته ونزل له الصنح السلطاني والطبخانة  
 فلتحسنت الفتنه وسكن الاضطراب واطمأنت قلوب الخلق \*

وكان الولى يرى انه غير مسموع الكلمة مقهور على جميع أعماله وأقواله ولا قدرة  
 له على دفع هذا الخلل الضارب على البلاد فكان كثير التوجع والشكوى قلقا مضطربا  
 لا يستقر له قرار حتى مال الى وفاق الانكشارية واستمال بكاره اليه واستخلصهم لنفسه  
 ليقوى بهم على قمع الفتن ومنع الدسائس \* فبينما هو يدبر هذا الامر اذ وقعت الفتنه  
 بين طوائف العسكر وكان من خبرها أن مملوكا لرجل من آحاد الناس وقف على دكان قصاب  
 بباب زويلة يشتري منه لحما فوقع بينه وبين حمار عثمان أوده باشى نزاع أدى الى المشاعة  
 ثم الى الملاكمة فوصل الخبر الى عثمان أوده باشى المذكور فأرسل أعوانه واتباعه فقبضوا  
 على ذلك المملوك وأحضره اليه فأمر بحبس في سجن الشرطة فلما بلغ سيده خبر حبسه  
 حضر هو وأولاده واتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص المملوك فتناول بعضهم على  
 بعض بفحش القول ووقعت بينه وبين صاحب الشرطة مشاجرة فقبض عثمان اوده باشى  
 على سيد ذلك المملوك ووضع في السجن واعلم باش اوده باشى وكتخدا مستخفظان بما فعله  
 فلم يرضيا بما وقع وأمراه باطلاق المملوك وسيده على الفور فرجع وأخرجهما من السجن  
 فاجتمع في ثاني يوم الحادثة طائفة الجاويشية مع طائفة المنفرقة والاسباهية والامراء

والصناجق والاعوات في الديوان وطلبوا ابعاد عثمان اوده باشى المذكور جزاء ما فعله من حبس ذلك المملوك وسيده فلم يوافق الانكشارية على ذلك ومانعوا في ابعاده فوقع بينهم جدال طويل ثم صعدوا جميعا الى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى فحضر واقامت الدعوى بحضور الباشا والقاضى فأمر القاضى بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش سيده ذلك المملوك فلم يرض الاخصام بذلك وقالوا لا بد من عزله وابعاده فلم يوافقهم الانكشارية فطلب العسكر من الباشا أن يرسم بنفسه فأبى عليهم ذلك فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاويشية وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كتخدا صالح اغا وأقاموا به ثلاثة أيام وامتنعوا من الذهاب الى الديوان ثم اجتمع أهل البلديات وتحالفوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد وصمموا على نفي عثمان اوده باشى المذكور ثم اجتمعوا على الصناجق وانفقوا على أن يكونوا معهم على طائفة الانكشارية وأرسل الاسباهية الرسائل الى أصحابهم المحافظين على الكشاف بالولايات يلزمونهم بالحضور فلما شاع الخبر بذلك رسم الباشا بعزل عثمان اوده باشى المذكور اخذوا النار الفتنة فلم يغن عزله شيئا ووردت الاخبار الى وفاق الانكشارية بان العسكر على أهبة القتال وانهم قد تجهزوا لذلك فبعثوا هم كذلك يطلبون أصحابهم من الجهات فاجتمعوا على الاثر ومروا بالاسواق فانزعج أهلها وأغلقت الحوانيت كافة واستمر أهل الوجقات الستة يجتمعون ويتشاورون في الامر وكذلك الانكشارية كانوا يجتمعون بالباشا ويتشاورون معه فيما يفعلونه مع العسكر وفي كيفية قتالهم وبالغ كل من الفريقين في التأهب والاستعداد \* وقدم في هذه الاثناء محمد بك حاكم الاقاليم القبلية في جند كشير واتباع وعدة وطلع الى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد الخلوعين ثم لبس الخلع السلطانية ونزل الى بيته بالصليبية فظن الناس أنه إنما اتى بعسكره لقتال العسكر أو وفاق الانكشارية فخافوا وانكشوا حتى كادت الاسواق كلها تتعطل وطال الحال بين أخذ ورد أياما فكانت الانكشارية لا تنفك عن مراقبة الحوادث والاخذ بصغائر الامور وقد شاع ان بعض الامراء يسعى للحصول على منصب امارة الحجاج بدلا من قيطاس بك المعتاد تقريه في كل عام لهذا المنصب فلما علم الانكشارية بذلك اجتمعوا بسلاحهم ووقفوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان كي لا يمكنوا أحدا من تولى امارة الحجاج بخلاف قيطاس بك وعلم الصناجق والامراء بذلك فخافوا شر العقاب واجتمعوا رأيهم مع أهل الوجقات الستة على نفي ستة أشخاص من الانكشارية وهم الذين بيدهم الحل والعقد واخراجهم من مصر الى بلد التزامهم تسكيننا للفتنة وعلم الانكشارية بما دبره هؤلاء فاجتمعوا في بابهم أيضا في عددهم وعددهم فلم يهزم الامراء والصناجق أمر اجتماعهم وقالوا لا بد من نفيهم أو محاربتهم واجتمعوا هم كذلك في أبوابهم واستعد الانكشارية في بابهم وشحنوه بالاسلحة والذخيرة والمدافع وأغلق أصحاب الحوانيت حوانيتهم وخلت الطرق من المارة ونقل جماعة الجاويشية مطبخهم من قلعة الجبل من النوبة

الى دار كتحدا الجاويشية وأقام الانكشارية منهم طوائف يحافظون على أبواب القلعة  
وباب الميدان والصحراء الذي بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفا من أن العسكر يستميلون الباشا  
وينزلون الى الميدان واجتمع الصناجق بعد ذلك وبار العسكر واستقر الرأي بينهم على أن  
يفتدبوا محمد بك الذي كان بالاقليم القبلى لحصار القلعة من جهة القرافة على المقطم بالمدافع  
والعسكر فقبل ذلك وأسرع في عمل الحصار فاته على أحسن ما يرام وخاف العسكر من وقوع  
النهب والفتنة بالمدينة اذا انتشب القتال بينهم وبرز الانكشارية فألزموا مصطفى أغا الشراكسة  
بالتطواف في الاسواق وفي شوارع البلد وطراتها وأقاموا أحمد بك المعروف بفرنج أحمد أغا  
التفكشمية لحصار طائفة الانكشارية من بابهم الموصل الى المنجرج وباب الوزير ومنعوا من  
يصل اليهم بالمدد

أما الانكشارية الذين كانوا بالقاهرة فانهم اجتمعوا بباب الشرطة واتفقوا على أن يدهموا  
العسكر المحافظين بالباب ويدخلوا الى باب الانكشارية فلما بلغ الصناجق والعسكر ذلك  
استدبوا ابراهيم الوالى ومصطفى أغا الجبجبة في طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة  
وعلم الانكشارية الذين اجتمعوا في باب الشرطة بنزولهم فتنفروا واختفوا بجلس مصطفى  
أغا محل جلوس اوده باش و ابراهيم بك في محل جلوس العسس وانتشرت طوائفهم في فواحي  
باب زويلة وباب الخرق واستمروا على هذا الحال ليلة الاحد وأصبحوا وقد خرج نقيب  
الاشراف والعلماء وقاضى القضاة وأرباب الاشائر واجتمعوا بالشيخونية في الصليبية وتكلموا في  
الامر طويلا ثم كتبوا فتوى بانه ان لم يذعن الانكشارية الى نبي المطوليين والاجاز  
محاربتهم بغير معاودة \* وأرسلوا الفتوى بحجة جوخدار قاضى القضاة الى باب الانكشارية  
فلما قرئت عليهم فترت عزائمهم وانفسلوا وأذعنوا الى ابعاد المطوليين بشرط ضمانهم  
من القتل فضمنهم الامراء والصناجق وكتبوا بذلك حجة وسلموها لهم ثم أنزلوهم الى أمير اللواء  
ايوازيك ورضوان أغا فساروا بهم في الحال الى بولاق ومن هناك سيروهم الى الريف فلبثوا  
حينما ثم عادوا ففرقوهم على الوجاقات بعد رضا الامراء والصناجق \* ولم تكن الفتنة قد  
سكنت تماما حتى جاء الخبر بعزل حسين باشا الوالى وولاية ابراهيم باشا القبودان وأن يكون  
حسين باشا المعزول نائبا عن ابراهيم باشا حتى يحضر خضر في منتصف الحجة سنة  
الثلثين وعشرين ومائة وألف هجرية وصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد ونزل حسين باشا  
من القلعة الى بيت الامير يوسف أغا دار السعادة بسويقة عصفور وامامه الصناجق  
والاغوات وكثير من أرباب المناصب فكانت مدة تصرفه ثلاث سنين واربعة أشهر وثلاثة  
عشر يوما \* ولم يستقر المنصب بابراهيم باشا الوالى المذكور حتى أتاه الامر بخلعه وتولية  
آخر اسمه خليل باشا وذلك في الخامس عشر من رجب سنة اثنيتين وعشرين فنزل ابراهيم  
باشا من القلعة الى بيت عباس أغا ببركة الفيل وأقام به أياما فكانت مدة تصرفه ثمانية

مطلب  
ولاية ابراهيم باشا وخلعه  
وولاية خليل باشا

أشهر لم يعمل فيها عملاً يذكر \* ووصل خليل باشا وكان بصيदा والياً فأقام بالبريوم الثلاثة  
 خامس شعبان سنة ١١٢٢ اثنين وعشرين ومائة وألف وصعد الى القلعة في الموكب  
 المعتاد فلم يرض على جلوسه الا شهران حتى قامت الفتنة ثالثة بين أصحاب الوجقات  
 واستفحل أمرها وعم ضررها \* وتحرير الخبر أنه في صفر من السنة أى سنة ثلاث وعشرين  
 اجتمع من يدعى حسن جاویش القازدغلى وآخر اسمه الامير سليمان جريجي وآخر  
 اسمه ابراهيم جوريجي وعقدوا النية على ترك خدمة باب مستحفظان والانتقال الى خدمة  
 أخرى فذهب اليهم اختيارية باهم واستعطفوهم وسألوهم الرجوع عن هذا العزم فلم  
 يقبلوا وصمموا على الخروج ثم طلب آخر اسمه موسى جوريجي الخروج كذلك فلم يرض  
 رؤسائه بذلك فذهب موسى الى ابراهيم بك واياوز بك وقيطاس بك فسألهم الوساطة في أمره  
 فلم يقبل رضوان أنما رئيسه اجابة طلبهم ومانع في ذلك وشدد في المنع فلما رأوا منه الشدة  
 وعدم الرضوخ لطلبهم من اخلاء سبيل موسى المذكور اتفقوا على اغراء الوالى على عزل  
 رضوان أنما وبولية على أغات الانكشارية سابقا بدله وان يعزل أيضاً سليمان كخدا  
 الجاويشية ويولى بدله اسمعيل أنما تابع ابراهيم بك فكلما الباشا في ذلك وألحوا عليه في  
 عزلهم فامتنع وقد كان اختيارية وجاه الجملة توافقوا مع الامراء والصنائج على عزل  
 رضوان أنما المذكور واجتمعوا بيت باشجاویش واجتمع أهل كل وجاه ببابهم واستمروا  
 على ذلك أياما والوالى لا يجيبهم الى ما يطلبون خوفاً من قيام العسكر عليه \* أما الانكشارية  
 الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا بباب العزب وقطعوا الطريق الموصلة الى القلعة  
 ومنعوا من يريد الصعود الى باب الانكشارية من العسكر والاتباع فلم يبق في الطريق  
 الموصلة الى القلعة الا باب المطبخ ثم قصدوا سد السواقى لمنع الماء عن القلعة فنعهم  
 العسكر من الوصول اليها فكسروا آلات السواقى التي بعرب اليسار وخرتوها وسار نفر من  
 الانكشارية من طريق الحجر يريدون الصعود الى قلعة الجبل فقبضوا عليهم وضربوهم  
 وشجوا بعضهم فمضى أحدهم من طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع باقرنج أحمد  
 وبقية الانكشارية وأخبره بحالهم وما جرى لهم فأخذ جماعة منهم ورفعوا أمره الى الوالى  
 وقاضى القضاة وبالغوا في الشكوى وعظموا البلوى فقال القاضى قد جاز قتال هؤلاء القوم  
 حيث منعونا الماء وخرجوا عن طاعتنا وأخافوا الناس وسلبوهم فحقت محاربتهم \* فلما  
 فاض الخبر بذلك تقدم أوده باشا الى الوالى في محاربة أصحاب باب العزب فاذن له بذلك  
 وتعوق القاضى عن النزول ولبث مع الوالى وخرج أحمد أوده باشا وشرع في القتال  
 وراسل الرمي بالمدافع على أصحاب باب العزب من بعد الزوال الى ما بعد العشاء واشتد عليهم  
 شدة بالغة فقتل من جماعة العزب كثيرين وعم الخوف أهالى مصر والقاهرة وباتوا ليلتهم تلك  
 وهم في خوف ما علمه من مزيد وأصبحوا وقد اجتمع الامير اياوز بيك أمير الحاج والامير ابراهيم

بك أبو شنب وقانصوه بك ومحمد بك ومحمد بك تابع قيطاس بك الدفتردار ومخادونا فيما أصاب  
 أصحاب باب العزب واتفقوا على أن يلبسوا آلة سلاحهم ويذهبوا الى الرميثة مددا للعزب  
 على الانكشارية وهموا بذلك فاخبروا ان أيوب بك قد وضع المدافع على طريق المارين  
 على منزله وعلى قلعة الكباش فامتنعوا من الركوب وجلسوا في بيوتهم بسلاحهم خوفا من  
 طارق واستمر افرنج أحمد يقذف نيران مدافعه على أصحاب باب العزب ثلاثة أيام بلياليها  
 واجتمع على رضوان أغا طائفة من نفره وتذاكروا فيمن كان السبب في إثارة هذه الفتنة  
 فعرفوهم وهم أربعة من الاختيارية نخلعوهم وكتبوا لهم مرسوما بان يخرجوا من بيوتهم  
 ثم ذهبوا الى بيت قيطاس بك وأرسلوا من كل بلد اثنين من الاختيارية الى منزل أيوب بك  
 يطلبون رضوان أغا فاركبوه في موكب حافل ثم عادوا الى منزل أيوب بك وتناجوا في أمر  
 الصلح وكتبوا الى أحمد أوده باشي الذي هو افرنج أحمد بالكف عن القتال فأبى فكتبوا  
 عرضا الى الباشا من جميع الصناجق وأغوات الوجاقات الخمسة بطلب الكف عن القتال  
 فأرسل الباشا الى الانكشارية بالكف فامتلوا وتركوا القتال وتكلم الصناجق والاغوات  
 المذكورون مع بعض الاختيارية من وجاق الانكشارية في أمر الصلح فتقررت  
 القاعدة بينهم على ارسال حسن كتيخا العزب وأحمد بن بقر رسلا الى المعسكر في طلب  
 ذلك فاجتمعوا بالمعسكر والصناجق في بيت اسمعيل بك وحضر معهم أيضا جميع أهل الحل  
 والعقد وتشاوروا في اخراج نار الفتنة بالتي هي أحسن وأرسلوا الى باب الانكشارية في  
 ذلك فقالوا لانا بي الصلح بشرط ان هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببا في إثارة هذه الفتنة  
 لا يكونون في باب العزب بل يذهبون الى وجاقهم وأن يسلم الامير حسن الاخيمي الى  
 الباشا يتصرف في أمره كيف يشاء فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه فأرسل الامراء الى  
 افرنج أحمد يشفعون عنده بأن الاشخاص المذكورين يرجعون الى وجاقاتهم فقط  
 ويعفون من النفي ومن القبض على الامير حسن الاخيمي فلم يوافق افرنج أحمد على  
 ذلك وقال ان لم يرضوا بشرطي والاحاطتهم ليلا ونهارا حتى أمحو أثرهم فتنفروا على غير صلح  
 وبقي الحال على ذلك أياما ثم اجتمع جميع الامراء بمنزل ابراهيم بك بقناطر السباع وتذاكروا  
 في أمر الصلح على كل حال وكتبوا حجة على ان من صدر منه بعد اليوم ما يخالف رضا الجماعة  
 يكون خصم الجماعة كلهم وكلهم أيوب بك في أن يرسل الى افرنج أحمد بصورة الحال وان  
 يكف عن القتال الى تمام الامر المشروع فيه فبطل القتال نحو الخمسة عشر يوما وأخذ  
 افرنج أحمد في خلال هذه الايام في تحصين جوانب القلعة وعمل المتاريس ونصب المدافع  
 وتعبية الذخيرة وقد ملاء الصهاريج بالماء وصار على تمام الأهبة والاستعداد واتفق أن  
 حضر في هذه الاثناء محمد بك حاكم الاقاليم القبلية ونزل بفضاء البساتين ولبث به ثلاثة أيام  
 ثم دخل القاهرة ومعه السواد الاعظم من العربان والمغاربة والهوارية فلم يكن بأسرع من أن  
 جعل يقاتل كذلك بمن معه من جامع السلطان حسن ومن بيت يوسف أغاة الجراكسة فلم

يفلح وقتل من أصحابه جماعة كثيرة وانتصر عليه محمد بك المعروف بالصغير مع من انضم  
 اليه من اتباع ابراهيم بك وابواز بك ومماليكه وكانوا قد تترسوا في سوق السلاح ووضعوا  
 المتاريس في شبابيك الجامع الذي هنالك فانقل محمد بك المذكور وسار الى طولون وتترس  
 بها وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمن فوقعت بينهم موقعة عظيمة مات فيها  
 خلق من الفريقين ولم يطق أهل العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب فعند  
 ذلك انكف محمد بك عن القتال وترك جماعة من أصحابه بالسبيل رباطا وسار بمن بقي الى غير  
 ذلك المكان \* ولما اشتد الحال وضافت أمور أهل البلد وكبر خوفهم سار جماعة من كبارهم  
 الى الشيخ الخليلي أحد كبار المشايخ وشكوا اليه ما يلاقيه الناس فسار الشيخ الخليلي الى افرنج  
 أحمد وتكلم معه ومع من كان معه من الاختيارية في أمر الصلح والكف عن القتال وشدد  
 في ذلك فرد عليه افرنج أحمد ببسدى الكلام وبفحش القول وأرسل في الحال الى أصحاب  
 المدافع أن يطلقوا مدافعهم على أصحاب باب العزب وأن يوالوا رعى القنابل فجعلوا يطلقونها  
 تباعا فانزعج الناس كافة وكبر خوفهم وقام سكان باب العزب وأخذوا ماخف من أمتعتهم  
 وتركوا بيوتهم ونزلوا بالمدينة وتفرقوا في الحارات بالقاهرة ومصر وأغلقت جميع الوكائل  
 والخانات والاسواق وخرج أكثر السكان القرييين من قلعة الجبل كالرميلة والحطابة والمحجر  
 هائمين على وجوههم وقد هدمت المدافع أكثر بيوتهم وأحرقتهم نارها وطاف الانكشارية  
 يحرقون ما بقي من تلك الدور ولم يصب باب العزب شئ من ذلك الا القليل من أماكنه ثم ان  
 افرنج أحمد وأيوب بك أقاما بعض أصحابهما بالمدرسة بقوصون وجامع مزداره بسويقة العزى  
 وجامع قجماس بالدرب الاحمر ليعطوا الطريق على العزب واختار افرنج أحمد جماعة من  
 الانكشارية وأعطى لكل واحد ديناراً وأرسلهم بعد الغروب الى تلك الأماكن ممددا  
 لمن بها وجعل هو يقاتل من كان مع الجانبكية \* واتفق أن مرّ في صباح ذلك اليوم رجل من  
 أهل العزب ممن كانوا مرابطين في جامع مزداره من ناحية السلطان حسن يريد منزله فقبض  
 عليه طائفة من الانكشارية وسلبوه ثيابه وتركوه عرياناً وبعثوا به الى افرنج أحمد فلما بلغ  
 أهل العزب ما حصل برجلهم أرسلوا طائفة منهم الى المتترسين بجامع مزداره فدخلوا من بيت  
 الشريف يحيى بن بركات ونقبوا منزل عمر كتحدا مستحفظان اذ ذلك وما يجاوره من الدور الى  
 أن وصلوا منزل مراد كتحدا فلما رأهم العسكر الذين كانوا بالجامع المذكور فروا هارين  
 وتركوا الجامع وما فيه من أسلحة وذخيرة \* أما عمر أعاة الشرا كسة ومن كانوا معه بجامع  
 قجماس فانهم بعد ان تترسوا وأحكوا متاريسهم بشبابيك الجامع فرقمهم عمر المذكور جهة  
 باب زويلة وجهة التبانة فوقع الخوف في قلوب سكان تلك الجهة ونزحوا منها الى حواري  
 القاهرة حتى ضافت بهم فأرسل أهل العزب صالح چوربجي الرزاز بجماعة من عسكر العزب  
 وآخرين ممن انضم اليهم من الانكشارية وغيرهم فقاتلوا من كان بجامع قجماس واستولوا  
 على الجامع والمتاريس وأخذوا كذلك جامع المرادى وقهروا من كانوا فيه وأقام به طائفة منهم

وأخرى بجماع أسلم وانتشرت طوائفهم بتلك الاخطا والاما كن فسكنت خواطر أهلها  
واطمأنت قلوبهم قليلا

وهجم طائفة من تلك المتفرقة والاصهبانية على بيت الامير قرا اسمعيل **ك**تخدا  
مستحفظان فدخلوا من بيت مصطفي بك ابن ايواز ونقبوا الحائط بينه وبين بيت قرا اسمعيل  
المذكور فلما جاء الخبر الى أهل العزب أرسلوا طائفة منهم ومعهم بريق ومقدمهم أحمد  
جويجي فلم يتمكن أحمد من الدخول من جهة الباب فخرق صدر دكان هناك وتوصل منه  
الى بيت أحمد افندي كاتب الشرا كسة ثم نقبوا منه محلا توصلوا منه الى حيث المتفرقة  
والاصهبانية فداهموهم وهم مشغولون بنهب الاثا والامتعة وهجموا عليهم هجمة واحدة  
فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقري الى المكان الذي دخلوا منه فتبعوهم واقتل  
الفريقان قتالا عنيفا الى ان دارت الدائرة على طائفة المتفرقة والاصهبانية وتمرقوا كل ممزق  
ونهب طائفة العزب بيت مصطفي بك المذكور حيث مكن المتفرقة والاصهبانية من  
الدخول الى بيته وانتقل أحمد بن معه من العسكر الى قوصون ودخل جامع الماس  
وتحصن به وكان محمد بك حاكم الاقاليم القبلية في هذا الحين يغدو ويروح ما بين جامع  
الماس والصلبية فكان له أحمد بطائفة من أصحابه بمنزل البيرقدار في محل فيه يشرف على  
الطريق فلما مر بهم في وسط قومه أطلقوا عليه البنادق فأصابوا أربعة من أصحابه فظن  
ان النيران أتت من بيت محمد كتخدا البيرقدار فوقف على بابه وأضرم فيه النار فاحترق  
أكثره ونهبوا ما فيه من أثا وأمتعة ولحقت النار بالبيوت الملاصقة والمواجهة له فعلقت  
بها وعلا لهيها وطار شررها الى جميع بيوت تلك الخطة فأحرقت أكثرها من الرباع  
والدكاكين التي هناك من ناحية جامع الماس الى تربة المطفر عينا وشمالا وأفسدت ما بها  
من أثا ومتاع ومالم يحترق نهبه النهاية والحرافيش الذين كانوا يتبعون الحريق ويريدونه  
ضراما فكان المنظر مخيفاً جدا وخرجت النساء حاسرات مكشفات الوجوه هائمات في  
الازقة والحارات يطلبن الملبأ وعم النهب والسلب في هذا اليوم الى حد لم يسبق له مثال  
ونعطلت الطرق من المارة والهارين من نيران الحريق وعلى الخصوص طريق بولاق القاهرة  
ومصر القديمة والقرافة فقد كانت ملأى بالاخلاط من طوائف الدجوية والهوارية وغيرهم  
الذين جاؤا مع محمد بيك حاكم الاقاليم القبلية كما تقدم القول وقد أحاطوا بأطراف البلد  
وصاروا يسلبون المارة واستاقوا جميع جمال السقائين وأخذوها فكان الخطب شديدا والكرب  
عظيما \* وانقسم العسكر في هذه الآونة الى فريقين فريق مؤلف من ايوازيك وقيطاس بك  
وابراهيم بك أمير الحاج سابقا ومحمد بك وقانصوه بك وعثمان بك بن سليمان بك ومحمد بك  
ومعهم بلوكت الاصهبانية الثلاثة والجاويشية والعزب والثاني من أيوب بك ومحمد بك  
الكبير وأغوات الاصهبانية ومحمد بك أغاة متفرقة باشي وأهل بلكة وسليمان أغا كتخدا  
الجاويشية وبلك الانكشارية المقيمين بقلعة الجبل مع افرنج أحمد والوالي وقاضي القضاة



ونقيب الاشراف وأغلقوا أبواب القلعة جميعها ما خلا باب الجبل فامتنع الناس من  
 النزول من القلعة أو الصعود اليها الا من الباب المذكور واستمر افرنج أجد ومن معه  
 يطلقون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا وبالسباب المسذ كور خلق كثير من منشرون  
 حوله وحول ماقاربه من الحارات ورتبوا لهم جوامك تصرف اليهم في كل يوم \* ولما طال  
 الامر على هذا الحال واشتد البلاء على الرعية اجتمع الامراء بجماع يشبك بدرب الجاميز  
 وأجمعوا على خلع الباشا وتعيين نائب من الامراء حتى يرد الامر من السلطان بما يراه  
 واتحدت كلمتهم على اقامة قانصوه بيك ثم ولوا أغوات البلوكات وأرباب الرتب والوظائف  
 وأحكوا الترتيب فبلغ الخبر أغوات الانكشارية فاعلموا خليل باشا الوالي به فكبر عليه  
 وأعظمه وكتب الى أغوات جميع البلكات الثلاثة يحضهم على قتال الصناجق ومن معهم  
 نخر وجههم على نائب السلطان ثم جمع جماعة للقتال ورتب لهم جوامك ومرتبات  
 واتفق محمد بك حاكم الصعيد مع افرنج أجد على ان أحدهما محمد بك يهجم بأصحابه على  
 طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب الموصل الى الميدان فوصل  
 خبر ذلك أيضا الى طائفة العزب فاستعدوا وكنوا على مقربة من بابهم فلما كان  
 بعد العشاء الاخيرة هجم محمد بيك وأصحابه على الباب وكان جماعة العزب قد أحضروا  
 شياً كثيراً من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت فلما تكامل عسكر  
 محمد بيك أوقد جماعة العزب النار في ذلك الحطب فاضاء لهم قراميدان وصار كالنهار  
 فاطلقوا على أصحاب محمد بك البنادق وأحكوا الرمي وتابوه ففر جماعة محمد بك  
 وتقهقروا وقد قتل منهم خلق كثير وأرسل خليل باشا الى ابراهيم بك واياوز بك وقيطاس بك  
 يطلبهم الى الديوان ليتفاوضوا في الامر فاعتذروا بما هم عليه من ترتيب أمور الدفاع وعدم  
 فتح الطريق فلما أيس منهم جمع اليه أيوب بك ومن انضم اليه من العسكر واستقرت  
 القاعدة بينهم على استمرار القتال حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وبرزوا جميعا الى ظاهر  
 القاهرة وأخذوا في التأهب للقتال \* فلما كان يوم الاحد ثالث ربيع الاول أرسلوا أيوب  
 بك ومحمد بك الى العربان لياؤوا بجميع جمال السقائين وجيرهم ويمنعوا الماء عن البلد ففعلوا  
 وأخذوا جميع ما وجدوه من الجمال والحير فعز الماء وبلغ عن القرية خمسة أنصاف فضة  
 فضج الناس وعجوا وابتلوا الى الله تعالى وكبر الامر على أصحاب العزب فسار طائفة منهم  
 الى القصر العيني ليستخلصوا تلك الدواب وجلسوا يراقبون من يمر بهم من المعصبين فلم يكن  
 بأسرع من ان دههم محمد بك بجماعة من طائفة الهوارة فدافعوا ساعة ثم هربوا وقد  
 قتل منهم جماعة كثيرة وأرسلت رؤسهم الى الباشا قيل فسره ذلك جدا ورجع المنهزمون  
 الى بيت قانصوه بك واياوز بك وأخبروا بما حل بهم فكبر الامر على قانصوه بك واياوز بك  
 وصمما على البراز فركبا في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الثاني وخرج الفريقان الى جهة  
 قصر العيني والروضة واقتتلا قتالا عنيفا قتل فيه من العسكر خاصة زهاء الاربعائة

من الفريقين خلاف العربان والهواره وغيرهم من الاخلاط وركب ابواز بك على محمد بك  
 حاكم الاقاليم القبلية فانهمز محمد بك الى جهة المجرى فساق خلفه وكان محمد المذكور  
 قد اجلس كميننا فوق المجرى فلما مر بهم ابواز بك أطلقوا عليه الرصاص وعلى من معه  
 فأصابوه في صدره فسقط عن جواده ميتا وتفرق من كان معه فقام عليه من الباكين  
 واحتزوا رأسه وجاء الخبر بقتله الى أصحابه ففترت عزائمهم وضعفت قلوبهم وذهبوا في طلبه  
 فوجدوه جثة بغير رأس فخلوه وذهبوا به وتفرقوا وتمزق جمعهم \* اما جماعة الانكشارية  
 فانهم طلوعوا بالرأس الى مقر الباشا وأعلموه بما جرى ففرح وظن تمام الامر وسكون الفتنة  
 بموت ابواز بك وأمر بالرأس فسلخ ثم طلبه أصحاب ابواز من أيوب بك فدفعه لهم  
 فدنفوه مع الجثة \* واشتد حزن أصحاب ابواز بك على فقده وكبر كيدهم مما حل به فاجتمعوا  
 ببقيّة الامراء وولوا ابنه بدله وتجهزوا للقتال فتجهز الفريق الثاني أيضا وخرجوا  
 في يوم السبت تاسع عشر ربيع الثاني والتقى الجمعان فوق وقع بينهما أمور يطول شرحها فلما رأى  
 جماعة العزب اشتداد الامر وعدم التمكن من الوصول الى قلعة الجبل وامتناع من بها وتولى  
 الرمي عليهم بالمدافع ليلا ونهارا اتحدت كلمتهم على أن يولوا كتحدا جديدا لطائفة الانكشارية  
 ويجلسوه بباب الوالى بطائفة من العسكر وينادوا فى الشوارع ان كل من له علوفة فى وفاق  
 مستحفظان يأتى تحت البيرق بالبوابة ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام نهب بيته من غير معاودة  
 ففعلوا ذلك وركب الكتحدا المذكور وألبسه قانسوه بك النائب قفطانا وسله البيرق فسار  
 العسكر امامه بالبيرق والمنادى ينادى بما ذكر الى أن وصل الى بيت الوالى \* وعادوا الى  
 القتال فبرزوا الى خارج القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بقرب قصر العينى بالمدافع  
 وآلات الحرب واقتتلوا من ضحوة النهار الى العصر فقتل من الفريقين خلق ثم افرقوا  
 وعاد بعضهم الى البلد وتخلف طائفة من العزب فأتى اليهم محمد بك حاكم الاقاليم القبلية  
 وأحاط بهم من كل جانب فلما بلغ الخبر قانسوه بك أرسل اليهم مددا فقاتلوا محمد بك وهزموه  
 شرهزيمة وتبعوه الى قنطرة السد وكان أيوب بك فى هذه الاثناء متترسا بداخل التكية المجاورة  
 لقصر العينى فلما شاهد احتدام الوطيس فر ونجا بنفسه فأحرق طائفة العزب القصر ونهبوا  
 ما فيه واستمر الحال على هذا المنوال أياما متتابعة

وأرسل قانسوه بك الى من بالقلعة من الوجقات يتهددهم بحرق بيوتهم ونهب ما فيها  
 ان لم يتركوا ما هم فيه من القتال والعمل باشارة افرنج أحمد فاختلفت عند ذلك كلمتهم وخارت  
 عزائمهم وأرسل قانسوه بك بعض الامراء والعسكر الى نهب بيت أيوب بك وغيره من بيوت  
 الامراء فاتصلوا بها من ربيع يجاورها وأطلقوا على من بها النيران فهرب أيوب بك  
 وأتباعه فدخلوا ونهبوا ما فى البيت وعم النهب فى ذلك اليوم جميع دور الامراء وأحرقوا  
 منها ما قدروا عليه ونهبوا ما جاورها من الدور والربوع والدكاكين وغيرها وتقوت بذلك  
 عزيمتهم فأرسلوا طائفة منهم الى الجيوشى ومعهم بعض المدافع فجعلوا يطلقونها تباعا على

بيت الباشا وعلى قلعة المستحفظان وأحاطوا بالقلعة من أسفل ورموا بالبنادق فرفع الباشا عند ذلك على يئسه بيرقا أبيض يطلب الامان وفر من كان داخل القلعة من العسكر فهجمت العساكر الخارجة على الباب واقتحموه عنوة ودخلوا الديوان فانزعج الباشا وأرسل القاضي ونقيب الاشراف يطلبان له الامان فتلقوهما بالتمكريم فقالا ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم إننا كنا اغترنا بجهول الشياطين وقد فروا والمراد أن تعلمونا مطلوبكم فلا نخالفكم فقالوا أعلما بأن الصناجق والأمرء والاعوات وسائر العسكر قد اتفقوا على خلعهم وان قانصوه بك يكون نائباً وأما الباشا فانه ينزل ويسكن في المدينة الى أن تعرض الأمرء على الدولة ويأتينا الجواب فأرسل القاضي نائبه الى الباشا يعرفه بذلك فأجابه بالطاعة واستأنمهم على نفسه وماله وأتباعه وركب من ساعته في خواصه يقدمه قانصوه بك وأعات مستحفظان على عينه وأعات المتفرقة على شماله واختيارية الوجافات من خلفه وامامه ونزل من باب الميدان الى الرميعة على الصليبية وقد اصطف العامة على جانبي الطريق وهم يسبونونه ويلعنونه ويخطبونونه بفحش القول الى أن وصل الى بيت على أغا الخزندار بجوار المنظر \* وهجم بعد ذلك أصحاب العزب على باب مستحفظان فلكوه ونهبوا ما وجدوه فيه من متاع وغيره وقتلوا من صادفوه بالباب وبطريق الحجر من أصحاب الفتنة وطلع الذين كانوا بباب العزب من الانكسارية الى بابهم فكانت عدتهم ستمائة ثم اجتمع الامرء جميعا ببيت قانصوه بك وكتبوا محضرا بصورة ما وقع وطلبوا من دار السلطنة ارسال وال آخر وانقضت الفتنة وسكنت الخواطر \* ولبت خليل باشا محجورا عليه بالقاهرة حتى جاء والى باشا من دار السلطنة وصرح له بالسفر فسافر في ثامن عشر جادى الأولى سنة أربع وعشرين ومائة وألف هجرية فكانت أيامه كلها فتنا وقتالا وهي سنة وتسعة أشهر وأيام وكانت أيام هذه الفتنة خمسة وسبعين يوما \* وطلع والى باشا الى مقره بقلعة الجبل في أواخر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف هجرية

مطلب  
ولاية والى باشا

واقفق ان جلس في مستهل شهر رمضان واعظ من الروم بجامع السلطان الملك المؤيد وأخذ يعظ الناس فكثير عليه الجمع وازدحم المسجد بالأتراك وصار يجلس كذلك في كل عام ثم انتقل من الوعظ الى ذكر ما يفعله أهل مصر بأضرحة الاولياء من ايقاد الشموع والقناديل في القبور وتقبيل أعتاب الأولياء وغير ذلك وصرح بأن فعل هذا كله منكر يجب على الناس الاقلاع عنه وعلى ولاة الأمر السعي في إبطاله وعرض بذكر ما قاله الشعرائى في طبقاته ان بعض الاولياء اطلع على اللوح المحفوظ وقال انه لا يجوز ذلك أبدا وان الاطلاع على اللوح المحفوظ لا ينجح حتى ولا للأنبياء فضلا عن الأولياء وندد ببناء القباب على أضرحة الاولياء والتسكيا وجزم بهدمها وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة في ليالى رمضان فكان لقوله وقع مهم في قلوب السامعين وما أتم كلامه حتى خرج الناس بعد الصلاة ووقفوا بالنبايت

والمساوق والاسلحة على مقربة من باب زويلة فهرب الذين يقفون هناك فقطعوا الجوخ والاكر  
 التي كانت معلقة وهم يقولون أين الاولياء فتأثر الناس من ذلك جدا وذهب بعض  
 العامة الى العلماء بالازهر وحدوثهم بما قاله الواعظ الرومي وما فعله الناس بباب زويلة فأفتى  
 الشيخ أحمد الغزوى والشيخ الخليلي بأن كرامات الاولياء لا تنتقطع بالموت وان انكار الواعظ  
 المذكور اطلاع الاولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز ويجب على الحكام كفه عن ذلك فأخذ  
 بعض الناس تلك الفتوى ودفعها للواعظ وهو في مجلس وعظه فلما قرأها غضب وقال أيها  
 الناس ان علماء بلدكم قد أفتوا بخلاف ما ذكرت لكم واني أريد أن أتكمم معهم وأباحثهم  
 في مجلس قاضى القضاة فهمل منكم من يساعدي على ذلك وينصر الحق فصاحوا جميعا  
 نحن معك لانفارقك فنزل عن كرسيه واجتمع عليه من العامة خلق كثير وصروهم من وسط  
 القاهرة الى أن دخل بيت قاضى القضاة فانزعج القاضى وحاف وسألهم عن السبب لحضورهم  
 فرفعوا له ورقة الفتوى وطلبوا منه احضار المفتين والبحث معهم بحضوره فقال القاضى  
 لا بأس عليكم اصرفوا أولا هؤلاء الموم ثم يحضر من أفتى بهذه الفتوى فقالوا وما تقول أنت  
 في هذه الفتوى فقال هي باطلة قالوا اكتب لنا حجة يبطلانها فقال ان الوقت قد فات  
 والشهود قد انصرفوا قال الراوى وكان الذى يخاطبهم ترجان القاضى فقبضوا على الترجان  
 وأوسعوه ضربا وطلبوا القاضى فهرب فقبضوا على النائب فكتب لهم حجة بما شاؤا فتفرقوا  
 وانصرفوا واجتمعوا بعد ذلك لسماع الواعظ على عادتهم فلم يحضر فأخذوا يسألون عنه فقال  
 بعضهم ربما منعه القاضى من الجلوس فقام فى الحال رجل منهم وقال أيها الناس من أراد  
 أن ينصر الحق فليتبعنى فتمعه الجهم الغفير فضى بهم الى مجلس القاضى فدخلوا عليه وقالوا  
 أين شيخنا قال لا أدري فقالوا قم واركب معنا الى الديوان لتكلمم الباشا فى هذا الامر  
 ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أفتوا بقتل شيخنا وتباحث معهم فان أثبتوا دعواهم  
 نجوا من أيدينا والا قتلناهم فركب القاضى مكرها وتبعوه الى أن طلوعوا الديوان  
 فسأله الباشا عن سبب حضوره فعرفه بقصة القوم الذين حضروا معه وما وقع منهم  
 بالامس واليوم وانهم ضربوا ترجانه وأخذوا الحجة قهرا وأتوا اليوم وأركبوه قهرا فأرسل  
 الباشا الى كتخدا الانكشارية والى كتخدا العزب وقال أسألا هؤلاء عن مرادهم فقالوا نريد  
 احضار الغزوى والخليلي ليجئنا مع شيخنا فيما أفتيا به فرسم الباشا باحضارهما واقترقوا  
 على ذلك فأرسل الباشا بعد افتراقهم الى ابراهيم بك وقيطاس بك يعلمهما بما حصل من  
 العامة ويقول ان لم يعاقب هؤلاء فلا بدنى من السفر أنا وقاضى القضاة ❀ أما العامة فانهم  
 نزلوا بمرسوم الباشا الى جامع الملك المؤيد وأتوا بالواعظ وأصعدوه الى كرسيه فصار يحضهم  
 على الاجتماع فى غد بالمؤيد كي يذهبوا بجملتهم الى القاضى ويحضهم أيضا على الانتصار للدين  
 وقع طائفة المفسدين ثم افترقوا على ذلك ❀ ولما وصل مرسوم الباشا بعاقبة العامة الى الامراء  
 اجتمعوا جميعا ببيت الدقترار وتناجوا فى الامر فانفقوا على ان تتركب الاغوات وتطوف

بالشوارع والحارات فمن وجدوه من أهل تلك العصبة قبضوا عليه وأن يطردوا كل من يجدونه في جامع المؤيد من طائفة الترك فلما كان اليوم الثاني صباحا ركب الانغا وأرسل الجاويشية الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا وجعل يفحص ويفتش على أفراد المعتصمين فمن ظفر به أرسله الى بابه فضرب بعضهم ونفى بعضهم وما زالوا كذلك حتى سكنت الفتنة وعادت الأمور الى ما كانت عليه

وما كادت تطمئن القلوب بسكون هذه الفتنة حتى ظهرت فتنة أخرى ومحنة كبرى وذلك ان رجلا من الاشراف تشاجر مع تركي في سوق البندقانيين فضرب التركي الشريف فقتله وفر ولم يعلم أين ذهب فقام الاشراف كافة ووضعوا المقتول في نعش وطاقوا به الاسواق حتى طلوعوا به الى الديوان وأبتموا القتل على القاتل فلم يقفوا له على أثر فنزل الاشراف وأصبحوا وقد قفلوا الاسواق التي بالقاهرة وصاروا يرجون أصحاب الخوانيت بالبحارة كي يقفلوا حوانيتهم ويضربون كل من عثروا عليه في الطريق من المارة ومكنوا على هذا الحال يومهم وأصبحوا كذلك وأرسلوا الى الاشراف القاطنين بقري مصر ليحضروا ثم اجتمعوا بالمشهد الحسيني وخرجوا وامامهم بريق وساروا الى بيت قيطاس بك الدفتردار فخرج عليهم أنباعه وطردهم وهزمهم بعد قتال فرجعوا وقد عاثوا بالطرق وفعلوا ما لاخير فيه فلما تفاقم أمرهم وكادت الفتنة تتسع تحرك عليهم العسكر وركب أغوات الاصهبانية الثلاثة وأغوات الانكشارية في عددهم وعددهم وطاقوا المدينة بخاف الاشراف وتفرقت جموعهم ثم نادوا بالامن والامن وفتح الخوانيت ففتحت وسكنت الفتنة بعد ان كاد يستفحل أمرها

وأعقب هذه للفتن المتراكمة والمحن المتوالية طاعون شديد أمات خلقا كثيرا جدا وبقي على شدة بالقاهرة ومصر من ربيع الاول من السنة الى أواخر جمادى الثانية ففتك فتكا ذريعا وعم وامتلات البيوت والطرق بالموتى والدفن مستمر ليلا ونهارا فكانت شدة عظيمة للغاية ثم ارتفع وزالت بزواله ولاية والى باشا وجاءت الاخبار بعزله وتولية عابدين باشا فقدم الى مدينة الاسكندرية ثم حضر الى القاهرة في صفر سنة خمس وعشرين ومائة وألف هجرية فنزل والى باشا وسافر الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه عشرة أشهر وأياما و أخذ عابدين باشا يتصرف في الامور فقدم له الامراء كافة التقدام والتعابى النفيسة وقدم له اسمعيل بك أيضا مقدمة نفيسة للغاية فاستعظمها عابدين باشا ومال اليه وأحبه واختص به ومال الى طائفة القاسمية ارضاء لاسمعيل بك المذكور فجعل يوليهم المناصب العالية حتى ظهوروا بمظهرهم القديم من الابهة والتكريم وزال عنهم البأس ولازمتهم النعمة فصارت أمور البلاد على أحسن ما يرام واستتب الامن وعم واطمأنت قلوب الرعية وكثرت الاقوات ودرت الارزاق وارتفع الغلاء وزال الوباء وراحت أسباب التجارة وسلكت الطرق وأخصبت الارض وأجادت فكانت أيام عابدين باشا المذكور كلها راحة وهناء فلما كانت أخريات سنة ثمان وعشرين ومائة وألف جاء الخبر بعزله وولاية آخر اسمه على باشا فأسف

مطلب  
ولاية علي باشا

الناس لذلك وحزقوا عليه ونزل عابدين باشا من قلعة الجبل عند ما وصل الخبر بوصول علي باشا الى الاسكندرية ثم سافر الى الديار الرومية قبل وصول علي باشا الى القاهرة فكانت مدة تصرفه ثلاث سنين الا شهرا وسافر الى الاسكندرية ارباب الخدم والعكاكيز و كبار الامراء للقاء علي باشا المذكور وحضروا معه الى القاهرة فصعد الى قلعة الجبل على الرسم المعتاد واستقر به المنصب والامور والفتن نائمة والقلوب مطمئنة فلم يبق الحال كذلك مستتية الا قليلا حتى قامت الفتنة بين أهل بولاق القاهرة من حارة الخوابر وبين بعض الجمالة اتباع أمير الحاج وذلك ان بعض سكان الحارة المذكورة تشاجروا مع نفر من الجمالة لاسباب طفيفة للغاية فأدت هذه المشاجرة الى الملاكمة والمضاربة بالايدي ثم بالهراوى والمساوق وعلا الصياح واجتمعت الغوغاء والحرافيش وكثرت الجلبة فخرج لمعاونة الجمالة أمير اخور الاضطبل ومعه نفر من الاتباع فقام عليهم أهل الحارة كافة وأوسعوهم ضربا بالمساوق فوصل خبر ذلك الى الامير اسمعيل بك أمير الحاج فأرسل اليهم أغات الانكشارية والوالى فقاموا عليهما كذلك وضربوهما وكانت النساء في هذه الاثناء يصوتن بأعلى أصواتهن والصغار يضجون ويسبون كل من يحضر اليهم ويرجون بالاحجار في الحارات ومن أعالي البيوت فعاد الوالى ورجع اليهم بطائفة من الجند وقصدوا الحارة فتمترس فيها أهلها وعلت الاصوات وصعدت النساء على أسطح البيوت وصرن يربحن بالاحجار فأطلق الجند البنادق فقتلوا عدة رجال ثم هرب من بقي فدخلوا البيوت وأخرجوا النساء والاولاد وحملت النساء متاعهن ثم قفلوا الابواب ودقوا فيها المسامير فسكنت الفتنة ولم يبلغ خبرها من بالقاهرة ومصر القديمة خافوا وظنوا انها من الفتن الكبرى فانكشوا ليلتهم تلك وتعطلت الاسواق حتى شاع الخبر بسكون الفتنة ورجوع الحال الى سابق مجراه

واتفق ان أرسل الوالى الخزينة السلطانية صبيحة محمد بك ابن ابراهيم بك أبى شنب وكان بين محمد بك المذكور وبين اسمعيل بك ابن ايواظ وعلي باشا الوالى نقور ووحشه فلما وصل محمد بك الى دار السلطنة واجتمع بصدر الدولة يومئذ وشى في حق اسمعيل بك وبالغ في الوقعة به وقال انه ان استمر على هذا الحال وطالت أيامه في مصر استقل بملكها وأزال عنها نواب الدولة فقد تمكن منها وبث في خدمتها أتباعه ومماليكه ومماليك أبية وأن لاحمة للوالى عنده ولا كلمة فوق كلمته وقد أبعد كل من كان ناصحا للدولة وصادقا في خدمتها وجعل للدولة أربعة آلاف كيس ان هى أزال اسمعيل بك المذكور وخلعت علي باشا الوالى وأنت بغيره قبل فأجابه الصدر الاعظم الى ذلك وبقي الامر مكتوما بينهما الى أن تعين أمير للحاج الشامى اسمه رجب باشا فرسم له الصدر بأنه اذا وصل مصر يعرج علي القاهرة ويقبض علي علي باشا وابيها ويقتله ثم يحتمل علي قتل اسمعيل بك ابن ايواظ مع جميع عشيرته ماعدا علي بك الهندى \* ورجع محمد بك أبو شنب ظافرا مطمئنا وجاء رسول رجب باشا ومعه مرسوم بجمس علي باشا الوالى واقامة أحمد بك الاعسر نائبا خلفه

في قصر يوسف بك ثم جاء رجب باشا الى القاهرة وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل فلما استقر به المقام أحضر على باشا بين يديه وكذلك خازناره وكاتب الخزينة والروزيانجي ورسوم بعل حساب على باشا ثم أمر به فذبحوه ذبح الشاة واحتزوا رأسه وسلخوها وبعث بها الى دار السلطنة قال بعض الكتاب مات على باشا شهيد الزور والافتراء ودفن بمقام أبي جعفر الطحاوي بالقرافة قال ويعرف قبره الى الآن بعلى باشا المظلوم ثم رسم بضبط جميع مخلقاته واستحضر اليه خفيه محمد شركس وشاوره في كيفية قتل ابواظ بك وجماعته فديروا له ولكن لم يتم له تدبير اذ اختفى ابن ابواظ مدة ثم ظهر ومعه فرمان السلطان بخلع رجب باشا فدفعه اليه وأنزله من قلعة الجبل الى بيت مصطفى كتنخدا عزبان ووكل به من يحرسه ولبث على هذا الحال أياما الى ان جاء للولاية من قبل الدولة محمد باشا البستانجي وذلك في أوائل سنة ثلاث وثلاثين فكانت مدة ولاية علي باشا المظلوم سنتين وبعض أشهر

مطلب  
ولاية محمد باشا البستانجي  
وخلع رجب باشا

ولما استقرت بمحمد باشا الولاية أبرز فرمانا سلطانيا بالعفو عن ابن ابواظ وسرح رجب باشا بالسفر فسافر مهانا مرذولا وقد كان استفحل أمر محمد بك شركس واعتز جانبه في أيام رجب باشا فظهر بمظهر الكبرياء والعظمة والاستخفاف بأقرانه من الامراء وكان حقه على الامير ذى الفقار وقومه يزداد يوما عن يوم فطلب من محمد باشا الوالى مرسوما بالخروج على ذى الفقار المذكور وقتله فأبى محمد باشا ذلك فألح عليه فلم يقبل فقام من عنده يوما مغضبا وانقطع من ذلك اليوم عن الصعود الى الديوان وأهمله فغضب لذلك الباشا وأبرز مرسوما بخلع محمد شركس المذكور من منصبه وكتب الى المشايخ وأرباب الوجاهات بذلك فلما علم محمد شركس بالخبر أسرع وجع اليه أصحابه ورتب أموره وقام معهم وأحاطوا بالرميلة وحوالى قلعة الجبل ونادوا بخلع محمد باشا البستانجي ثم أنزلوه من القلعة وسجنوه في بيت ابن الوالى وكان ذلك في أخريات سنة سبع وثلاثين فكانت مدة تصرفه في هذه المدة التى هى المرة الثانية أربع سنين وأرسل الى محمد بك أبى شنب نخلع عليه وولوه النيابة وأخذوا منه مرسوما بقتال ذى الفقار وأصحابه وأرسلوا من يقتله ويأتى برأسه فلم يظفروا به واختفى ذوالفقار فتهبوا داره وأخذوا مافيها وكتبوا بصورة الحال الى دار السلطنة وطلبوا أن ترسل لهم واليا آخر بدل محمد باشا البستانجي وكان محمد باشا المذكور قد كتب أيضا بصورة ما وقع فأرسلت الدولة آخر اسمه على باشا فدخل القاهرة في أوائل المحرم سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف هجرية فلم تستقر به الولاية حتى عمد الى العزل والتصيب فى الأمراء والحكام ونقض فيهم وأبرم والكلمة يومئذ لمحمد بك أبى شنب واسماعيل بك ابن ابواظ \* قال بعض الكتاب ولما كان هذا العزل والتغيير لم يتناول الا ذو الفقار وجماعته اجتمعوا وتشاوروا فى الامر وتكلموا فى كيفية خلاصهم من فعال على باشا المذكور وقد تحققوا ما وراء ذلك من الخيبة ان هم تراخوا وما زالوا حتى أحكوا تدبير أمورهم وعلى باشا وبقية الامراء فى شاغل عنهم بالمناصب وتفريق الوظائف والعزل والتولية ثم ظهر ذو الفقار من مخبئه

مطلب  
ولاية علي باشا

واجتمع بمحمد باشا البستانجي المعزول ولم يكن الى ذلك الحين قد سافر الى الديار الرومية  
 وكامه في أمر الخروج واضطرام نار الفتنة فاستقرت القاعدة بينهما على أعمال الحيلة على  
 قتل كتخدا العزب فاذا تم لهم قتله امتلكوا باب العزب وظفروا بمقصودهم ثم جمعوا لذلك  
 طائفة من الفقارية وأخرى من الشواربية وركب أبو دفيه أحد المقدمين عند فجر ذلك  
 اليوم ومعه بعض الامراء وقيطاس ذوالفقار وحوله عدة من الكبراء من قومه وربطوا  
 الاربطة بالطريق الموصل الى قلعة الجبل وساروا الى الرميطة ووقفوا هناك فلما مر بهم كتخدا  
 العزب المذكور تقدم اليه أحدهم ليسلم عليه وقبض على يده وتبعه آخر وضربه بسيفه  
 فسقط الى الأرض فتركوه وترا كضوا جميعا الى الباب وأجلوا من كانوا عليه وامتلكوه  
 ووصل الخبر الى محمد باشا البستانجي فركب في الحال وجاء الى جامع المحمودية وأتى الى  
 على باشا من أعلمه بالخبر فنزل الى باب العزب وهو في دهشة وحيرة واجتمع جميع الصناجق  
 ونشاوروا في الامر طويلا فلم يروا بدا من أن يعيدوا الوظائف الى ما كانت عليه تسكيناً  
 للفتنة وقسموها بين الفقارية \* وانفق ان قبطانا من قباطين دار السلطنة كان قدم الى القاهرة في  
 نفر من العسكر السلطاني ولبث بها فلما ظهرت هذه الفتنة ووصل اليه خبرها ركب في عسكره  
 وأتى الى جامع السلطان حسن واستقر به مع ذى الفقاريك وظهرت كلمة محمد باشا البستانجي  
 في الحال فجعل يقسم المناصب العالية ويتصرف في الولاية وخلع على الامراء أصحاب الفتنة  
 ولبث على هذا الحال بجامع المحمودية مع أصحابه أياماً \* فلما رأى محمد بك شركس ان قد  
 تمت الحيلة ودارت عليه وعلى أعوانه الدوائر كبر عليه هذا الامر جدا وجعل يتأهب للذب  
 والقتال وسير من فوره الى بيت قاسم بك عدة كبيرة من الجند والمدافع ورسم فأقاموا المتاريس  
 عند درب الحمام وجامع الحصرية وهجمت عساكره على من كانوا بسبيل المؤمن بالبنادق  
 حتى أجلوهم وهزموهم وهربوا الى جهة القلعة وسوق السلاح ولكنهم تمكنوا من عمل  
 متاريس عند مذبح الجبال ورموا على من كانوا بجامع المحمودية وتتابع الرمي من كل صوب  
 وحذب فهرب المجتمعون بالرميلة وبنى أصحاب شركس المذكور المتاريس أيضا عند وكالة  
 بالاشكينية وما زال في دفاع وقتال حتى كاد يتم له الظفر بالفقارية وبدأت شارات النصر  
 وعلائم الفوز والغلبة فيبرز يوسف الجرجي البركاوي وألقى بنفسه وتسلق على باب العزب  
 ونط الحائط تحت رمي البنادق واتصل بمحمد باشا البستانجي ومن معه بجامع المحمودية وطلب  
 أن يعطوه مرسوما الى كتخدا العزب كي يعطيه بيرقا ومائة مقاتل وضمن لهم اجلاء الذين  
 كمنوا بسبيل المؤمن ثم يتحول بعد اجلائهم بن معه الى بيت محمد شركس فيختره  
 تخريباً بشرط أن يولوه منصب كتخدائية العزب ان عاد اليهم ظافراً فأجابوه الى ما طلب فنزل  
 بن معه من باب الميدان وسار بهم من جانب تكية اسمعيل باشا ووقف بجانب باب كان  
 هناك يوصل الى الرميطة وطوى البيرق وهجم بن معه على سبيل المؤمن يطلق النيران المتتابعة  
 وهم يهللون ويكبرون فانزعج من كانوا بالسبيل وتخبروا في أمرهم وولوا جميعاً الادبار الى



درب الحصرية وأصحاب يوسف چوريجي في أقفيتهم يعملون فيهم الضرب والطنعن حتى  
جاوزوا جميع متاريسهم ودخل بيت قاسم بك فخلوا المدافع صوبه وصعدوا منارة جامع  
الحصرية ورموا بالبنادق على البيت فنزلت عند ذلك سائر البنادق من الابواب وساروا الى  
جهة الصليبية وطاع القبطان الى قصر يوسف بك ووضع مدفعا على بيت محمد بك شركس  
وأطلق عليه الكلل تباغا وقد كان قاسم بك أصيب برصاصة ممن كانوا بمنارة جامع الحصرية  
فمات فلما رأى محمد شركس ما حل بقومه وما يترصده من المنكاره خرج هاربا ففرج معه  
محمد بك الاعسر ومحمد شركس الصغير وأخذ جميع أمواله وذهب بأصحابه الى ناحية مصر  
القدية وعبروا النيل الى الجانب الغربي خفية وركب محمد باشا البستانجي وصعد الى قلعة  
الجلبل في أهبة وكبكية ثانية فنزل على باشا وسافر الى جزيرة جريد وقبض ذو الفقار بك  
على زمام الامور فارتفعت كلمته وظهرت بعد التحول والانتكاش عظمته وبعث بمن يقبض  
على محمد بك شركس فجد الرسل السير خلفه فلم يدركوه ورجعوا فأخبروا انه سار الى الجبل  
الاخضر ومنه الى أدنة وكان خروج محمد شركس المذكور في يوم السبت سابع جمادى  
الآخرة سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف فسكنت بعد خروجه الفتنة وزالت أسبابها ووقف  
كل عند حده قال بعض الرواة وهذه الفتنة كانت بإيعاز من دار السلطنة

واتفق بعد ذلك بقليل ان على بك المعروف بابي العزب ومصطفى بك ابن ايواظ  
ويوسف بك الخائن ويوسف بك ابن الشرابي وعبدالله آغا كتحدا الجاويشية وسليمان آغا آبادية  
وهم جميعا من طائفة القاسمية جلسوا على عادتهم في بيت أحدهم على بك أبي العزب  
يشربون الخمر فلما أخذ الشراب من عقولهم في تلك الليلة تأوه مصطفى بك ابن ايواظ وقال  
يموت أخي العزيز الصغير والكبير وبصير الهندي مملوكنا سلطانا على مصر وله الكلمة النافذة  
علينا والوالى في قبضة يده وكان النيل قريب الوفاء فقال على بك خفف عنك والله انى  
لقاتل الباشا يوم جبر البحر فقال أبودية وانى لقاتل ذو الفقار وقال مصطفى بك وانى قاتل  
الهندي مملوكنا ثم تحالفوا على ذلك وتعاهدوا على العمل وكان معهم في تلك الليلة مملوك من  
ممالك عبد الله بك وقد كان هرب عند قتل سيده ووطن بالهندي وأقام في خدمته أياما  
فلما ارتقى مصطفى بك المناصب العالية أخذته من الهندي وجعله في خدمته فلما سمع هذا  
المملوك ما تحالفوا عليه ذهب الى على بك الهندي وأعلمه بالخبر فبعث به الى ذى الفقار  
فأخبره أيضا فبعثه الى محمد باشا فأخبره \* فلما كان يوم الديوان وقد صعد على بك أبو عزب  
الى الخدمة بالديوان أمر به الباشا فقبضوا عليه وقتلوه من ساعتهم تحت ديوان السلطان  
قايت باى وأحاط بداره ونهب ما فيها وكان شيا كثيرا للغاية وأرسل في الحال مرسوما الى الاغا  
بالقبض على باقى أصحاب هذه المؤامرة فكان أول من قبض عليه منهم ابن ايواظ فاركبه  
جمارا وأتوا به الى الباشا فأمر به فقتل في الحال واختفى الباقيون فضعف بذلك جانب القاسمية

وانحط قدرهم وعلت كلمة الفقارية ولم يبق ظاهرا من القاسمية الاعلى بك الهندي فعمل  
 ذو الفقار على قتله أيضا فقتله وقتل معه آخرين  
 واتفق ان عاد في هذه الاثناء محمد بك شركس من فراره على ماتقدم بيانه فلما علم أصحابه  
 برجوعه جاؤا اليه وأقبلوا جميعا عليه فركب معهم ونزل الى البحيرة يريد الاسكندرية فلاقاه حسين  
 بك الخشاب في جنوده يريد منعه والظفر به فهزمه شركس وغنم خيامه وخيله وجاله ثم هبط  
 الى الفيوم ونزل على بنى سويف ثم الى القطيعة على مقربة من جرجا فاجتمع عليه من بقى منهم  
 من القاسمية المتشردين فقام لصدده حسين بك حاكم جرجا فركب عليه شركس المذكور وفاتله  
 فقتل حسين بك وجماعة كثيرة من أتباعه وغنم شركس آلاتهم وجميع معداتهم وجاءت الاخبار  
 بذلك الى القاهرة فجمع ذو الفقار الامراء وشاورهم في الامر فجهروا لذلك عسكرا عظيما  
 صحبة عثمان بك وآخر اسمه على بك قطامش فملاقوا مع شركس بوادي الهنسا واقتتلوا  
 فكانت الهزيمة على عسكر ذى الفقار ومن معهم واستولى شركس على ما كان معهم من آلات  
 الحرب والخيام والخيل وحال الليل بينهم فافترقوا ورجع المنهزمون الى القاهرة فشق أمرهم  
 على ذى الفقار وهاله جدا وجمع الامراء ثانية واتفقوا على ارسال جملة أخرى ولكنهم لم  
 يجدوا ما ينفقونه فطلبوا مرسوما من محمد باشا البستانجي بثلمائة كيس من مال الخزينة  
 نفقة وعليهم رده من أموال السنة القابلة فامتنع الباشا فألحوا عليه فصمم على الامتناع  
 فشكلوا فلم يسمع فركبوا عليه وأنزلوه من قلعة الجبل وأقاموا محمد بك قطامش نائبا وأخذوا  
 منه مرسوما بالنفقة وجهزوا العسكر واهتموا بأمرها اهتماما عظيما فسارت هذه الحملة  
 والتقت بشركس ومن معه فوقعت بين الفريقين حروب هائلة ووقائع متوالية انجلت عن  
 هزيمة شركس وتبديد شمل جماعته وتزيقهم كل ممزق \* أما محمد باشا البستانجي فإنه بعد ان  
 خلعه من قلعة الجبل وجرروا عليه أياما حتى ورد الخبر بولاية باكر باشا وذلك في سنة  
 اثنتين وأربعين ومائة وألف فكانت مدة تصرفه الثانية أربع سنين وأشهرها ووصل الى  
 مصر باكر باشا الوالى الجديد فيكان وصوله في خلال الفتن واشتداد الخطوب والحن فلم يعمل  
 عملا يذكر لان البلاد كانت في شدة وضنك بأسباب الحوادث المتراكمة بعضها فوق بعض ولم  
 يستقر به المقام الا أياما قلائل حتى ثار من في البلد من القاسمية المختفين وثار معهم  
 سليمان اغا أبو دفية فدخل منهم جماعة على ذى الفقار بك وقت العشاء في رمضان من السنة  
 وقتلوه وكان ذلك بتدبير من محمد بك شركس وهو مختلف جهة الشرقية ينظر موعدهم بعد  
 قتل ذى الفقار بك ففضى الله موت شركس قبل أن يعلم بخبر موت ذى الفقار وذلك انه لما  
 بعث ذوالفقار قومه في طلب محمد شركس المذكور شدوا في البحث عنه وتبعوا خطواته  
 فكان ينتقل من جهة الى أخرى حتى سار الى الشرق ومعه جماعة من عربان خويلد  
 فتبعه عثمان بك قطامش بعسكره وسالم بن حبيب البدوي وقومه فملاقوا معه واقتتل  
 الفريقان قتالا عنيفا جدا انجلى عن هزيمة شركس ومن معه ففروا وألقوا بأنفسهم الى

مطلب

عزل محمد باشا البستانجي  
 وولاية شاكر باشا

النيل ونزل حركس بفرسه يريد العبور الى الجانب الغربي من النيل فانغرز الفرس في روبة  
تحتها الماء غزير فترجل عنه ليخلصه فسقط ومات غربقا وكان على مقربة منه شادوف وعليه  
رجلان من الفلاحين ينقلان الماء الى مزرعة لهما فنزلا اليه فوجدوا الفرس وحركس ميتين  
ولم يعلما من هو فأخرجاه وأخذوا ما عليه من الملابس وسلاحه وزرخه وما في جيبه ودفناه  
بالجزيرة وصر بها قارب صيد فطلباه ووضعاه فيه وكان على بك جالسا بجانب النيل ومعه  
سالم بن حبيب فنظر سالم الى القارب وهو مقبل فقال ما هذا الا سمكة عظيمة مقبلة الينا  
فأوقفوا القارب فمقدم أحد الشدافين الى على بك وقبل يده فقال له ما خبرك قال وجدنا  
جنديا من المهزومين غربقا ومعه حصان فلعله من المطولين والا ألقيناه في الماء فقال لاحد  
أصحابه اذهب وانظر من هو فلعلك تعرفه فذهب وعاد فاخبر انه محمد حركس الكبير وقد  
أحضر معه خاتمه فأمر به فأخرج من القارب وقبض على بك على أحد الشدافين وألزم الآخر  
باستحضار ما أخذه من الثياب والسلاح فاحضرها ثم أمر فاحتروا رأس محمد بك حركس  
وغسلوا جثته ودفنوه ناحية شرونة وارتحلوا الى القاهرة وكان القاسمية الذين بالقاهرة قد  
دخلوا على ذى الفقار وقتلوه كما تقدم القول ولبثوا ينتظرون قدوم محمد حركس وكانت  
أبواب المدينة مغلقة وعلى كل باب منها صنجق والوجاقلية يطوفون في الشوارع وبأيديهم  
السيوف والقرايين المحشوة فلما وصل على بك قطامش الى الآثار النبوية المعروفة عند العامة  
(بأثر النبي) أرسل يخبر بما جرى فخرج اليه عثمان بك ودخل صحبته بعوكب حافل والرأس  
امامهم محمولة في صينية حتى طلعا بها الى قلعة الجبل ووضعوها بين يدي الباشا فخلع عليهم  
انطلع السمور ونزلوا الى بيوتهم فأنتمس التقدم أيضا من جميع الامراء قال أصحاب التاريخ  
وكان حركس المذكور من أظلم خلق الله وأشدهم طغيانا وكان أتباعه على شاكته  
فكانت أيامه شر الايام وكانت الحروب في عهده لا تقع لها قائمة فاستدت على الرعية  
الخطوب وتوالت المحن والكروب وتعاقب الغلاء وعم الويل والوباء واشتد البلاء وقتل  
البنون والآباء وكان موت محمد حركس المذكور في أواخر سنة اثنيتين وأربعين \* أما الامير  
ذوالفقار بك فقالوا انه كان أميرا جليل القدر شجاعا بطلا كريم الاخلاق مع قلة ثروته  
وعدم ظلمه وكان كثير الحسنات يرسل في كل شهر رمضان من السنة لجميع الامراء  
والاعيان والوجاقلية الملكات والكساوي والعلماء بالازهر ستمين كسوة ودراهم تفرق على  
الفسقراء والمجاورين فكان محبوبا محترما مهيبا نافذ الكلمة بكاه الناس كافة وحزنوا على  
فقدته هذا ما كان من أمر الفتن بديار مصر

❦ أما ما كان من أمرها في دار السلطنة فانه لما تم لخصوم محمد باشا البلطه جري  
الصدر الاعظم النكابة به وعزله وتبعيده كما تقدم القول تولى الصدارة بعده عدة من الوزراء  
فلم تطل أيامهم ولم يفعلوا الى أن تولاها على باشا داماد فأحسن التدبير وأصلح ما أفسده  
السلف وساق الجيوش الى اخضاع أهل الجبل الاسود لتردهم وخر وجههم عن طاعة السلطان

ثم سار لتدويع البلاد التابعة لجمهورية البندقانيين وضمها الى أملاك الدولة ومحو أثر  
الجمهورية المذكورة حيث كانت الدولة قد ملت من حروبها المتتابعة ففتح كثيرا من البقاع  
والفلاع كاستنديل وكورودوس وأتابولي وقمل وسبي وخر ثم عاد الى دار السلطنة  
ظافرا غانما ولبث الى أن زال الشتاء وكرر راجعا في جيش عظيم لاخذ ما بقى من جمهورية  
البندقانية فلما علمت دولة النمسا بما وراء ذلك من استيلاء العثمانيين على خليج البندقانيين  
وان هذا مما يفتح للعثمانيين بابا واسعا لنقل مهماتهم وذخائر حربهم ويسهل لهم الهجوم  
على بلادها ويغنيهم عن المجيء اليها عن طريق بلغراد وطمشوار فأقامت من غفلتها وراست  
الدولة العثمانية في مجانبة الحرب مع جمهورية البندقانيين وأندرتها بانها اذا أتت ذلك  
أشهرت الحرب عليها فاستعظم الصدر هذا الامر جدا وحول وجهه عن محاربة البندقانيين  
الى قتال النمسا فسار بجيوشه وشن الغارة على أملاكها فسيرت لقتاله جيشا عظيما للغاية  
ومقدمه البرنس أوجين دى سافوا وهو من أكبر قواد ذلك العصر وأعظمهم خبرة  
بفنون الحرب والقتال فاشتبكت الحرب بين الفريقين واشتد القتال فانصر النمساويون  
نصرة مؤزره في موقعة بتر واردين وقتلوا الصدر الاعظم في ساحة الحرب ثم سار قائد  
الجيوش النمساوية الى مدينة طمشوار فافتتحها بعد حصار أربعة وأربعين يوما ثم نزل على  
مدينة بلغراد وحاصرها وشدد في حصارها وكان قد تولى مسند الصدارة العظمى خليل  
باشا فحضر في عسكر عظيم لاستخلاص المدينة ورفع الحصار عنها فلم يفلح وتغلب عليه العدو  
ودخل المدينة عنوة وأعمل فيمن بها من عساكر المسلمين السيف ووصلت الاخبار بذلك  
الى القسطنطينية فعمدوا الى طلب الصلح وأرسلوا الى النمسا في ذلك وكان الذي قد تولى  
هذا الامر ابراهيم باشا نائب الركب الهمايوني فاستكبر الجند هذا الامر جدا وقالوا لانترك  
طمشوار الجميلة في أيدي الأعداء فأخذ الناس بقولهم ووافة وهم على استدامة القتال وتبعهم  
في ذلك أيضا طلبة العلم فسقط ابراهيم باشا في يده وانفرد برأيه وبقى الكلام في الصلح نسيا  
منسيا وأعيدت الحرب ثانية فانهمز العسكر الهمايوني هزيمة أشد من الاولى وانفسلوا وركبهم  
النمساويون بمجد السيف فعادوا الى طلب الصلح وكان الى هذا حين قد تولى ابراهيم باشا  
مسند الصدارة فعقد النمساويون الصلح بعد أخذ ورد فكانت شروطه شديدة على الدولة  
اذ تركت للنمسا ولاية طمشوار ومدينة بلغراد مع جزء عظيم من بلاد الصرب وآخر من  
بلاد الفلاح وتركتم لجمهورية البندقية ثغور شاطي دلسايا واسترجعت هي بلاد المورة ليس  
الا \* قال بعض الكتاب ولو أظهرت الدولة بومئذ للعدو علامات القوة مع عزة النفس لتم  
عقد الصلح على وجه أليق بشرفها \* فلما تمت شروط الصلح على هذه الصورة طمع الاعادي  
فيها واستخفوا بقدرها فتحركت دولة الروس الى نسكت العهود وسيرت سفيرها الى دار السلطنة  
في طلب الغاء بعض الشروط المأخوذة على الروس في معاهدة الصلح الأخيرة والتقى السفير  
بالصدر وكلمه في الامر وشدد عليه في الطلب وقال ان لم تجلوا بتعديل الشروط والا  
نقضناها بسيوفنا وكان الصدر الاعظم يكره الحرب ميالا الى الترف والراحة فخاف سوء العاقبة

وأجابه الى جميع ما طلب فلم يبق للدولة بعد ذلك شئ من الامتيازات والحقوق التي أريقت بسببها الدماء الكثيرة وقالت الاشهر والاعوام الطوال \* قال بعض الكتاب ومع ان المأثرة بين الدولة وخصومها كانت لاجل ان تتمكن الدولة من لم شعث جنودها لتقوى بهم على قمع الاعداء وايقاف كل عند حده فقد كانت سببا في ادخال عوائد جديدة على الناس مالت بظبايعهم الى السفاهة وما شاكلها من نتائج الطيش فأصبح السواد الاعظم أسيرا للملاهي وعبيدا للملاذ ففسدت الآداب وانحلّت الرابطة الطبيعية القائمة بين الأزواج وزوجاتهم وبالغ الناس في السرف والترف واندفعوا الى تشييد المباني الفاخرة والقصور العظيمة وأنشؤا القاعات الفسيحة المزينة بأنواع النقوش والرخام وغرسوا في أطرافها الازهار وأوقدوا فيها المصابيح وجعلوا ظهور السلاحف منائر لها فكانت تلك السلاحف تتجول في طرق القاعات والجنائن والانوار تسطع على ظهورها وتنبث مرتبة على أحسن نظام فكانوا لذلك يطلقون عليها اسم جرانان ومعناها الشموع \* قال وقد بنى ابراهيم باشا الصدر الاعظم قصرا جميلا بجوار بشكطاش سماه بقصر جرانان فكان يأدب فيه في كل سنة مأدبة حافلة للسلطان وأولاده فيأتي اليها للتفرج على تلك السلاحف الحاملة للانوار فكان يقيم على هذه الحال أياما وكان هذا الدور في دار السلطنة محسوبا من أحسن الادوار صفاء وذوقا الا انه قد أورث الدولة خلاا والامور خطلا والناس كسلا وذهب بكثير من حقوقها وامتيازاتها العظمى وانتبه الصدر الاعظم من رقدة ذلك الترف وسكرة تلك الملاذ فرأى ان دولة فارس قد انحلت أو كادت وان الافغانيين قد تغلبوا عليها واستولوا على أصفهان تخاف شر العقابية واستعد لارجاع ما كان في حوزة الدولة العثمانية قديما من البلاد والايالات ودخلت في يد فارس قبل ان يبتزها غيرها وسير لذلك جيشا عظيما فراققه النصر وتغلب على عدة إيالات كهمدان وكنجه وروان وشروان وكورجستان وقام كذلك الروس واحتلوا ضاغستان وكافة سواحل بحر الخزر فلم تلبث تلك الايالات تابعة للدولة حتى قام نادرشاه وتولى ملك فارس واستردها جميعها واسترد كذلك ما كان بيد الروس بعد حروب هائلة جدا كادت تخرب بسببها الاناطولى وغيرها وجعل نادرشاه من هذا الحين يشن الغارة على الحدود العثمانية ولا ينكف عن السلب وارقاة الدماء فكبر أمره على أصحاب الحبل والعقد وأنكر وا هذه الاحوال على ابراهيم باشا الصدر الاعظم ورموه بالمروق عن جادة العمل وتبعهم العامة في ذلك فطعنوا في الصدر وقالوا انه ترك ما كان عليه أسلافه من الاعتناء بتدريب الجنود وتنظيم أحوال المقاتلين وانه منغمس في الملاذ واللعب وقد عود السلطان على اللهو والخلاعة وجعل مراتب الدولة ورتبة الوزارة في أيدي الندامى بعد ان كانت لاتعطي الا لاهل الخبرة والدراية بجميع الامور والمستعدين للقيام بها من المجاهدين وانه ترك لنادرشاه ما كان قد استولى عليه بالخراب والجهاد فلما أنس ابراهيم باشا منهم ذلك أخذ يستعمل الحيلة فضرب السمراذقات الهمايونية في اسكدار لارهاب نادرشاه المذكور وأذاع السفر الى بلاد

فارس للانتقام منه ولبث على هذه الحال عدّة أيام فأشأرت من ذلك النفوس وتكدرت  
خواطر الناس وظهرت الفتنة في القسطنطينية وتأججت نارها وارتفع لهيها وكان بعض محبي  
الصدر الاعظم قد حذروه أمر الفتنة فلم يلتفت لقولهم وكذلك تقدم بعضهم الى كتحدا بك  
وحذره وقال ان الخطيب شديد والفتنة قائمة فأنكر عليه ذلك وأنبه \* واجتمع جماعة من  
أركان الدولة وأبلغوا السلطان ما كان عليه الناس عليه من الهياج والفتنة ان طال بقاء  
الصدر في منصب الصدارة فلم يلتفت لقولهم نظرا لعل مكانة الصدر عنده فأنكس أهل النصيح  
ولبثوا ينتظرون ما يظهره القضاء وقد اتسع الخرق واشتدت نار الفتنة فرسم الصدر عند ذلك  
بإخراج البيروق الشريف \* وهو يبرق صاحب الشريعة المحمدية \* ونادى بالاجتماع حوله  
فلم يلتفت أحد للنداء وطاف العامة يفسدون وينهبون كل ما وصلت اليه أيديهم وكان زعيم  
هذه الفتنة رجلا اسمه بطرونا خليل

فلما كان خامس عشر ربيع الاول من السنة أي سنة ثلاث وأربعين ومائة و ألف  
هجريه سير بطرونا المذكور الى السراي السلطانية جماعة يطلبون قتل الصدر الاعظم  
والمفتي وقبطان باشا السفن الحربية فامتنع السلطان من اجابة الطلب فشدوا وهددوا  
وتوعدوا بما لاخريفه تخاف السلطان شرهم ورسم لهم بقتل الصدر وأمير سفن الحرب  
ومانع عن المفتي فقتلوهما وألقوا جثثهما في البحر على مشهد من جميع الناس \* ولم تغرب  
شمس ذلك اليوم حتى عاد أهل الثورة الى الهياج والجلبة والتطواف في شوارع  
القسطنطينية وهم ينادون بخلع السلطان وتنزيله عن منصب الخلافة وتولية ابن أخيه  
السلطان محمود الاول بدله ثم ساروا الى السراي السلطانية وأبلغوه ذلك فأسرع الى اجابتهم  
وخلع نفسه وبايع ابن أخيه بالملك وذلك في ليلة التاسع عشر من ربيع الاول سنة ثلاث  
وأربعين ومائة وألف هجريه وبقى معزولا الى ان توفي في أول المحرم افتتاح سنة اثنين  
وخسين ومائة وألف هجريه فكانت سلطنته زهاء سبع وعشرين سنة

## ( الفصل السابع عشر )

( في سلطنة السلطان محمود خان الاول )

ثم قام بالامر بعد السلطان أحمد ابن أخيه السلطان محمود خان الاول ابن السلطان مصطفى  
بويغ بالملك في الليلة التي خلع فيها عمه ليلة التاسع عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين  
ومائة وألف هجريه أي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وألف ميلادية وقد تولى والامور في  
اضطراب والاحوال في اختلال ولا كلمة فوق كلمة البطرونا خليل فانه منذ خلعه للسلطان

أحمد وقتله للصدر الاعظم وأمير سفن حرب الدولة بسط يده على جميع الامور وصار يتصرف في اعمال الدولة كيف شاء فأكثر من العزل والتولية وسام الناس الخسوف ولم يفرق بين الجليل والحقير فأمر ونهى وجر وظلم وكان اذا رأى من طوائف الانكشارية تدمرا بالغ في التضيق عليهم وشدد وأوقع بكارهم فيخافون ويخلدون الى السكون صاغرين فلما ضاق بهم الخناق ونفذ منهم الصبر اجتمع بكارهم حول السلطان وحببوا اليه قتل البطر ونا خليل المذكور وكان السلطان يتنى حصول ذلك فوافقهم فقاموا وركبوا عليه فقتلوه وتأهبوا لقتال أصحابه ان هم قاموا للاخذ بثاره فلم يقو أصحابه على الخروج وأوقعت بهم طوائف الانكشارية وأعملوا في بكارهم السيف فعادت الامور الى سابق مجراها من الهدو والسكينة وأمن الناس على أرواحهم وأمورهم وانطلقت كلمة السلطان فتصرف ودانت له الامور فسير الجيوش لقتال ملك فارس واسترجاع ما أخذته من الايلات على أيام عهد السلطان أحمد فوفقت بينه وبين العسكر السلطاني عدة حروب كان النصر فيها لعسكر السلطان ثم أقام عثمان باشا الاعرج أحد مقدمي العسكر الموصوفين في المعامع والحروب سر عسكر الجيوش الشرق فقاتل ملك فارس وظفر به في صحراء كركوك وهزق شمل عساكره ففر ملك فارس مجروحا ثم عاد في جيش جرار للقتال ثانية فكانت الحرب بين الفريقين سجالا وطالت أيامها فمات في خلالها السر عسكر عثمان باشا وأرسلت الدولة الى ملك فارس في طلب الصلح فأجابها اليه بشرط رد جميع ما أخذته الدولة من مملكته وارجاع حدود الدولتين الى ما هو منذ كور في معاهدة ابراهيم باشا فتم الصلح على هذا الوجه وبطلت الحرب وارتفعت أوزارها

ورأت النمسا ان الدولة بعد عقد الصلح مع فارس تفرغت أو كادت ولا بد من ان تنوخوا الشرور تخافت ولم تهملها وحشدت في سنة ثمان وأربعين ومائة وألف جيشا عظيما واتفقت معها أيضا حنة قيصرة الروس على هذه الحرب فسأقت عسكرها على عسكر الدولة تحت قيادة الجنرال موننج فجعل القائد المذكور يذيع الخبر بأنه سيحجى بهذه الغزوة دولة الروم القديمة ويعيد لها مجدها الاول ففرح بذلك الروم واشترأبت نفوسهم الى هذا المأمول وتلقى أهالي البغدان عساكر الروس عند دخولهم الى بلادهم بالفرح والقبول وسهلوا امامهم السبل والعقبات فاشتبك القتال بين الروس والعثمانيين وتمزق جمع العثمانيين وأبلى فيهم الروس بلا حسنا وأخذوا اقليم البغدان واحتلوا مدينة ياسي عاصمة الاقليم المذكور وانتصرت عساكر النمسا أيضا وأغارت على بلاد البوسنة والصر ب والفلاخ فكبر كيد الدولة وكادت تسقط في يدها \* واتفق انه تولى في هذه الاثناء مسند الصدارة الحاج محمد باشا وهو من نخبة السياسيين المشهورين بالكياسة وحسن التدبير فرأى من تقهقر عساكر الدولة وانتصار الاعداء عليهم ما أد هشه فأسرع في حشد الجيوش واعداد المعدات وسار لفتح تقدم العساكر الروسية وايقضهم عند حدهم وسير فريقا آخر لقتال عساكر النمسا فظفروا بهم وانتصروا عليهم وانهزموا شمر هزيمة وتقهقروا

وتقهقر وا الى ماوراء نهر الدانوب ثم ساق الحاج محمد باشا بعسكره فرافقه النصر وقبض  
الله له الظفر فركنت النمسا عند ذلك الى طلب الصلح ووافقها أيضا على طلبه حنة قيصرة  
الروس وخابروا الحاج محمد باشا في أمره وسعت الرسل بين الفريقين ويعد أخذ وردت  
شروطه على تنازل النمسا للدولة العثمانية عن مدينة بلغراد وجميع ما أعطى لها من بلاد  
الصرب والفلاح بمقتضى المعاهدات السابقة لهذه الحرب وتعهدت كذلك قيصرة الروس  
بهدم قلاع وحصون مينا أزاق وعدم عاقتها مرة ثانية وبعدم انشاء سفن حربية أو تجارية  
بالبحر الاسود أو ببحر أزاق وبأن ترد للدولة العثمانية جميع ما أخذته من الاقاليم والبلدان  
قال أحد الكتاب وسهيت هذه المعاهدة بمعاهدة بلغراد ولما تم الصلح على ما ذكر بطلت الحرب  
وسكنت القلاقل أياما كثيرة

وما كانت هذه الحروب المتتابعة والخطوب المتواصلة لتشغل رجال الدولة عن كثرة العزل  
والتولية في ولاية مصر فانه لما تولى السلطنة السلطان محمود خان كان الولى على مصر من  
قبل السلطان أحمد باكير باشا فجاءه الامر بالعزل وتولاها عبد الله باشا التكفوريلى فدخل  
القاهرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف هجرية \* قال أصحاب التاريخ وكان من أرباب  
الفضائل وأصحاب المعارف العالية والعلم والشعر وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم  
ومدحه شعراء مصر لفضله وميله الى أهل العلم والادب فقال بعضهم

ولما جاء مصرا أرخوه \* لقد سعدت بعبد الله مصر

١٣٤ ٥٣٤ ٧٨ ٦٦ ٣٣٠

سنة ١١٤٢

وكان خيرا صالحا متقادا للشريعة أبطل المنكرات وحانات الخمارين وموافق المواسمات  
والبوظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة وجعل للولى والمقدمين عوضا عما كان  
مرتبنا لهم على تلك المحال في كل شهر كدسا من كشوفيات الباشوات وكتب بذلك حجة  
شرعية ولعن فيها من تسبب في اعادة تلك المحال ولم يحدث في أيامه شئ يذكر اذ كانت قصيرة  
جدا حيث عزل في أواخر سنة أربع وأربعين ومائة وألف هجرية

وتولى بعده محمد باشا السلحدار والى البصرة فدخل القاهرة في أوائل سنة خمس وأربعين  
ولبث يتصرف الى سنة ست وأربعين ولم يعمل في أيامه عملا يذكر وجاء الخبر بعزله وتولية  
عثمان باشا الحلبي فحضر الى مصر عن طريق العرش ونزل بالعادلية ولاقتنه أرباب  
العكاكيز وأصحاب الوظائف فصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل ونزل منها محمد باشا  
المعزول وسافر الى الديار الرومية فأخذ عثمان باشا يتصرف وجاءه فرمان السلطان بأحصاء  
اليهود والنصارى وجمع ما عليهم من الجزية في كل بلد العال أربعمائة نصف وعشرون  
نصفا والوسط مائتان وسبعون و الدون مائة نصف فاهتم عثمان باشا بالامر وقيد بذلك عمالا  
فطافوا البلاد كافة وأحصوا أهلها وفعلوا من الجور والعسف بأهل البلاد مالا يكيف فضج

مطلب

عزل أحمد باكير باشا  
وولاية عبد الله باشا  
التكفوريلى

يظهر ان المؤرخ احتسب  
ألف الله الخذوفة رسما  
المنبته لفظا بواحد ليكون  
تاريخ حضوره مصر سنة  
١١٤٣ كالحقيقة اه  
مؤلف

مطلب

عزل عبد الله باشا وولاية  
محمد باشا السلحدار

مطلب

عزل محمد باشا السلحدار  
وولاية عثمان باشا الحلبي



الناس وشكوا فلم يلتفت اليهم وظل الحال على ذلك حتى دخل شهر رمضان واشتغلوا بظهور  
 رجل تكرر بالجامع الازهر يدعى النبوة وقد ذاع خبره وكادت تم شهرته فأحضره بين  
 يدي الشيخ أحمد العماد فسأله عن حاله فأخبره انه كان في شربين فنزل عليه جبريل وعرج  
 به الى السماء ليلة سابع عشر رجب فصلى بالملائكة ركعتين وأذن له جبريل فلما فرغ  
 من الصلاة أعطاه ورقة وقال له أنت نبي مرسل فانزل وبلغ الرسالة وأظهر المعجزات فلما  
 سمع الشيخ كلامه قال له أنت مجنون فقال لست بمجنون وإنما أنا نبي مرسل فأمر به  
 فضر به وأخرجوه من الجامع فجعل يطوف الازقة والحارات ويكثر من الجلبة والصياح  
 فسمع عثمان كتحدا بجبره فأحضره وسأله فقال مثل ما قاله للشيخ فبعث به الى دار المجانين  
 فاجتمع الناس وكثرت حوله العامة رجالا ونساء وكادوا يصدقونه ويدفعون عنه الايذاء فخاف  
 الوالي شر العقوبة وأمر فأخفوه عن أعين الناس لتسكن الفتنة ثم طلبه الباشا وأمر بحبس  
 فخسوه ومنعوا من دخول أحد اليه أياما \* فلما كان النصف من رمضان اجتمع العلماء  
 وأحضره بين أيديهم فسألوه فلم يتكلم عن كلامه فعالجوه فشدد فأمر به بالتوبة فاستمع  
 وصمم على ما هو عليه فأمر الباشا بقتله فقتلوه في حوش الديوان وهو يقول \* فاصبر كما صبر  
 أولو العزم من الرسل \* ثم أنزلوه وألقوه بالرميلة ثلاثة أيام فكاد الناس يفتنون ولم تهدأ  
 الخواطر حتى شاع بين الناس بالقاهرة ومصر القديمة ان القيامة قائمة يوم الجمعة سادس  
 عشرى ذى الحجة من السنة أى سنة سبع وأربعين وفشاهذا الكلام في الناس قاطبة حتى  
 في القرى والارياف وودع الناس بعضهم بعضا وهم بين راغب في التوبة وداع بطلب المغفرة  
 وبالذ على ما فات من أيامه ومنهم من كان يقول لرفيقه بقى من عمرنا يومان فقد كانت هذه  
 الاشاعة في يوم الاربعاء رابع عشرى الحجة \* وانتشر أهل الخلاعة في الجنائن والمنترهات  
 ليودعوا الدنيا كما كان يقول بعضهم لبعض وخرج أهل الجيزة نساء ورجالا وصاروا يغتسلون  
 في النيل ومن الناس من علاه الحزن والوهم واعتقدوا صحة الاشاعة ووقع صدقها في  
 نفوسهم موقعا عظيما وكثر فيهم الهرج واشتد بهم الخوف فتعطلت الاعمال وكادت تقفل  
 الاسواق وما زالوا على هذا الحال الى يوم الجمعة فلم يقع شئ مما كانوا يتوقعون ومضى  
 يوم الجمعة وأصبح يوم السبت فلم يقع كذلك شئ \* قال صاحب عجائب الآثار فانتقلوا يقولون  
 فلان العالم قال ان سيدي أحمد البدوي والدسوقي والشافعي تشفعوا في ذلك وقبل  
 الله شفاعتهم فيقول الآخر اللهم نفعنا بهم فاننا يا أخى لم نشبع من الدنيا وشارعون في  
 عمل حظ ونحو ذلك من الهذيانات اه

مطلب

عزل عثمان باشا وولاية  
 باكير باشا الولاية الثانية

وأقام عثمان باشا يتصرف في الولاية الى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف هجرية ثم  
 عزل وتولى بعده باكير باشا وهي ولايته الثانية فكانت مدة تصرف عثمان باشا سنة وخمسة  
 أشهر وحضر باكير باشا من جندة الى السويس اذ كان واليا بجندة بعد عزله من ولايته  
 الاولى على مصر وكان دخوله القاهرة في يوم السبت رابع عشرى شوال سنة سبع وأربعين

ومائة وألف وصعد الى القلعة في موكب حافل للغاية وخلفه من الحشم والاتباع زهاء  
 الثلاثين على ظهور الخيل الملبسة بالزروخ المذهبة وله من الاولاد خمسة ذكور ركبوا أيضا  
 امامه فلما مر من وسط المدينة صاح الناس في وجهه وعلا صراخ العامة من ثقل المغارم  
 والكلف وفساد العملة فلم يلتفت لصراخهم وسار حتى صعد القلعة ولم يلبث حتى جعل  
 يدس الدسائس بين الامراء وصار يعمل على فساد أمورهم وتفريق كلمتهم وما زال  
 حتى كاد يتم له ما أراد ولكن ظهر في غضون ذلك الطاعون وفسا في المدينة وانتشر في  
 البلاد فاطمة وفتك بالناس فتكا ذريعا لم يسبق له منال فسماه العامة طاعون كوسموه  
 أيضا الفصل العائق يأخذ على الرائق ومات به خلق كثير للغاية وكان فعلة كثيرا في  
 الاعيان فكانت الناس تدفن الموتى في ضوء المشاعل حتى كاد لا يوجد من يدفن الموتى التي  
 كانت تقع في الشوارع والخارات واشتد شدة بالغة جدا وطالت أيامه \* وبينما الناس على  
 هذا الحال من الشدة وهم يضحون ويعجبون الى الله من كثرة الموات اذ اضطربت نار الفتنة  
 بين الامراء وعلا لهيبها واشتد سعيها \* وتحرير الخبر \* ان كاشفا اسمه صالح زوج ابنة ابواظ  
 بك كان ملتجئا الى عثمان بك ذى الفقار وكان صالح هذا من القاسمية فرضته زوجته  
 على طلب امارة القاسمية فطلب من عثمان بك أن يساعده على ذلك فوعده وخطب محمد بك  
 قيطاس المعروف بقطامش وهو اذ ذلك كبير القوم في ذلك فلم يجبه خوفا من أن يعود  
 القاسمية الى مظهرهم القديم فيظفروا بالفقارية ويستأصلوا شأفتهم بعد الذي وقع بين الفريقين  
 فبعث عثمان بك بصالح المذكور الى البحيرة كاشفا نائبا عنه حيث كانت له فلما كملت السنة  
 رجع الى القاهرة وتحركت همته الى طلب الامارة وأخت عليه زوجته في ذلك فعاد عثمان  
 بك في الخطاب وهو تكلم مع محمد بك فصمم محمد بك على الامتناع ووافقه على ذلك على بك  
 تابعه وآخر اسمه خليل أفندى فذهب صالح المذكور الى عثمان كتحدا القرذغلي وشكا  
 اليه حاله وما يلاقيه من قيطاس ثم بكى واستمال عثمان كتحدا المذكور تابعه و خليل أفندى  
 على أن يكونوا معه على قيطاس فقام القرذغلي من ساعته واجتمع برضوان بك أمير الحاج  
 سابقا وسليمان بك الفراش وتكلم معهما في أمر قتل المذكورين فوافقاه على أن يكون  
 قتلهم في بيت محمد بك الدفتردار على علم من با كبير باشا الولى وأخبروا محمد بك بذلك فرضى  
 وكتب يطلب اجتماع الامراء كافة في بيت الدفتردار للداوله في أمور الخزينة فركبوا جميعا  
 الى بيت قيطاس بعد العصر ومن هناك توجهوا معه الى بيت الدفتردار فلما تكاملوا ولم يبق  
 منهم أحد أمر محمد بك قيطاس بتحرير عريضة وأملى الكتاب بصورة ما يكتب نخرج الكتاب  
 وكان قد دخل الغروب فأراد القوم الانصراف فوقف الدفتردار وقال مهلا ها تولى لنا شربات  
 وكان هذا القول هو الاشارة مع صالح المذكور وعثمان كاشف وآخر من مماليك سليمان بك  
 ففتحوا باب خزانة كانت بالمكان الجالسين فيه نخرج منها جماعة على رؤسهم طرابيش  
 وبأيديهم الاسلحة فوقف عند ذلك محمد بك قيطاس على أقدامه مدعورا فأطلق عليه

أحدهم طينجة في صدره ووقع الضرب وهاج من كان في المكان وامتلأ المكان بدخان البارود وظلام الليل فلم يعلم القاتل من المقتول وألقى على الترحمان بنفسه من شبالك مطل على الجنيحة وأصاب عثمان بك ذا الفقار ضربة سيف قطعت شاشه وقاوقه فأخذ يده صالح صاحب هذه الفتنة وأنزله فنجبا بنفسه وركب حصان أحد الطوائف وخرج من باب البركة وأصيب مستحفظان البري بجراح عظيمة فملوه الى بيته ثم أوقدوا الشموع ونظروا الى الاموات واذا هم محمد بك قيطاس وعلي بك تابعه وصالح بك وعثمان بك كتحدا القازدغلي وأحمد كتحدا الخربطلي ويوسف كتحدا البركاري وخلميل أفندي وأغات الجليلة وعلي صالح جرججي والاسباهي فكانت عدتهم عشرة غير مستحفظان البري الذي مات بجراحه بعد ثلاثة أيام فعروا المقتولين من ثيابهم واحتزوا رؤسهم وأتوا بهم الى جامع السلطان حسن فوجدوه مغلقا فأحرقوا الباب الذي جهة سوق السلاح ووضعوا الرؤس العشرة على الدرج ووضعوا عند كل رأس شيئا من التبن ولما شاع الخبر بما جرى سار صالح كاشف رأس هذه الفتنة الى باكير باشا ليلا من باب الميدان وأعلمه بما جرى فخلع عليه رتبة الامارة فطلب منه مالا يفرقه على العسكر المجتمعين اليه فوعده بأن يرسل اليه ما طلب فنزل صالح الى جامع السلطان حسن فوجد محمد كتحدا الداودية وأتباعه وجماعة آخرين فلبت معهم ينتظر المال وصعد عمر جلبي ابن علي بك قيطاس بطائفة من قومه الى باكير باشا يطلب بثرا أبيه وكان وصوله بعد نزول صالح كاشف فخلع عليه الباشا اماره أبيه قيطاس ورسم له بقتال قاتلي أبيه ومن معهم وكان يود لو أنهم يقطعون بعضهم بعضا فنزل ابن قيطاس وأصحابه وامامهم بيري من الحجر خلف جامع الحمودية وبيت الحصري وزاوية الرفاعي وعملوا متاريس على باب الدرب قبالة باب جامع السلطان حسن وجعلوا يطلقون بنادقهم تباعا على كل من يمر بهم من الخصوم وعلي من هم بجامع السلطان حسن وكذلك من باب العزب وبيت الانا \* اما صالح كاشف رأس هذه الفتنة فانه لبث ينتظر حصول المال للنفقة على الجند فلم يرسل له الباشا شيئا فخاف وخشى العاقبة ونزل الى خان الخليلي ومعه رضوان بك وعثمان كاشف ومملوك من مماليك سليمان بك واختفوا وظل ابن قيطاس وأصحابه يوالون الرمي على الجامع حتى انقطعت أصوات بنادق من كانوا به فاقتحم هو وأصحابه باب الجامع فلم يجدوا به أحدا فرجعوا وابتوا ليلتهم خلف المتاريس فلما أصبحوا ذهبوا الى بيت الدفتردار ونهبوه ونهبوا بيت رضوان بك ودخلوا على سليمان بك فقتلوه واحترقوا رأسه ونهبوا ما في بيته فلما رأى كبار الوجاهات ما بلغت اليه هذه الفتنة وانما هي يايعاز من باكير باشا قاموا على قدم رجل واحد وأحاطوا بالقلعة وأنزلوا باكير باشا ذليلا مقهورا وسجنوه وكتبوا الى دار السلطنة بما وقع وطلبوا ارسال وال آخر فأرسل السلطان الامير مصطفى باشا أمير اخور لضبط أموال من قتلوا في هذه الفتنة فلبث شهرين ثم ورد الامر بولايته فتولاها فكانت مدة تصرف باكير باشا سنة وبضعة أشهر

مطلب  
عزل باكير باشا وولاية  
مصطفى باشا أمير اخور

وجعل مصطفي باشا المذكور يتصرف الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف هجرية ثم عزل ولم يقع في أيامه شيء يذكر وتولاها سليمان باشا الشامي المعروف بابن العظم فلما استقر به المنصب عمد الى ايقاد نار الفتنة ثانية بين أمراء الوقت وجعل يدبر لذلك فاستمال اليه عمر بك ابن علي بك قطاش واختصه لنفسه ثم كاشفه بما في ضميره وانفق معه على قتل عثمان بك ذي الفقار وابراهيم بك قطاش وعبد الله كتحدا القزدي على كتحدا الجلفي وهم اذ ذلك أصحاب الرئاسة ووعده اماره مصر والحاج ان هو أنفذ ذلك فجمع عمر بك أربعة من اخصائه وأطلعهم على ما وقع الاتفاق عليه مع الباشا فتعهد كل واحد بقتل واحد منهم فكان أول من قتل منهم على كتحدا قتله رجل اسمه لاط ابراهيم عند بيت اقبري وهو صاعد الى الديوان وشاع خبر قتله ففرح الباشا بذلك ظنانه أن قد قضى الامر فهم بضبط باب العزب وسير ذلك مائتي جندي ففتحهم جنود الباب من العبور وطلب متمولى الباب اثنين من كبارهم يسألهم عن مرادهم فقالا اننا آتينا لتشفع لنا عند الباشا فانه لم يعطنا علائقنا فأرسل معهم من يشفع لهم فلم يفلحوا في هذه المرة ثم انكشف أمر الباشا وانفضح سره فقام حسين بك الخشاب وصعد الى باب العزب وما زال بمتوليه حتى أنزله وتولى هو أشغال الباب وجمع اليه جميع أصحابه بالمكان الذي كان فيه الباشا وأرسلوا يقولون له انزل الى قصر يوسف بك فركب من ساعته وأراد العبور من باب الانكشارية فوجهت أصحاب الباب أفواء البنادق نحو فعداد ودخل قصر يوسف بك ثم نزل بعد أيام الى بيت البيرقدار وما زال به حتى سافر الى الديار الرومية فكانت مدة تصرفه الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف هجرية وكانت أيامه كلها قلائل واضطرابات \* وتولى بعده الوزير علي باشا حلیم اوغلي وهي الولاية الاولى على مصر فدخل القاهرة في جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين وأقام الى عاشر جمادى الاولى سنة أربع وخمسين فكانت أيامه كلها هدا واطمئنانا والفتن فيها راقدة ثم جاء الامر بخلاعه فنزل من قلعة الجبل وأقام في بيت القازدي على ولبت ينظر الوالى الجديد \* فجاء الى القاهرة يحيى باشا وصعد الى قلعة الجبل في الموكب المعتاد وصعد اليه علي باشا الخلوع فلاقاه وأكرمه ثم نزل هو كذلك فسلم عليه وسرحه فسافر الى الديار الرومية وأخذ يحيى باشا يتصرف في الامور الى أن جاءه الامر بالعزل مستهل رجب سنة ست وخمسين ولم يقع في أيامه شيء يذكر \* وتولى بعده محمد باشا اليدكشى فلما استقرت به الولاية لم يأت عملا ماسوى النهى عن تعاطى الدخان في الشوارع والدكاكين والجلوس على أبواب البيوت وشدت في ذلك جدا فكان يطوف الاغا والوالى وهما في التبديل كل يوم ثلاثاء مرات وشددا في الانكار والنكال بن يفعل ذلك وكان الولى اذا رأى في يد أحد انبوبة الدخان عاقبه وربما أطعمه حجر الانبوبة الذى يوضع فيه الدخان بالنار وكذلك كان يفعل الاغا ولم يات من أعماله شيئا غير ما ذكر حتى جاءه الامر بالعزل سنة ثمان وخمسين فكانت مدة تصرفه نحو سنتين ففرح الناس بخلاعه فرحا لا يوصف \* وتولى بعده محمد راغب باشا

مطلب

عزل مصطفي باشا وولاية  
سليمان باشا الشامي  
المعروف بابن العظم

مطلب

عزل سليمان باشا وولاية  
علي باشا حلیم اوغلي

مطلب

عزل علي باشا وولاية يحيى  
باشا

مطلب

عزل يحيى باشا وولاية محمد  
باشا اليدكشى

مطلب

عزل محمد باشا اليدكشى  
وولاية محمد راغب باشا

وحضر الى الاسكندرية فذهب لملاقاة أصحاب العكا كيز وأرباب الرتب العالية فلما استقرت  
 به الولاية أخذ يدبر الحيلة لقتل من بقي من الامراء أصحاب الوقت واستمال اليه حسين بك  
 الخشاب واستخلصه ثم كاشفه بما في نفسه ثم اقسما الايمان على أن لا يخوناهما وأعلمه  
 أن السلطان محمود انما يريد قطع دابر بيت القطامشة والدمايطة وهم أصحاب الكلمة يومئذ  
 فأجاباه الى مرغوبه وهون عليه الامر وأخذ من يومه يدبر الحيلة ويتبين أنفع الوسائل  
 وأحسن الطرق حتى اجتمع بن يعتمد عليه من أصحابه وأخبرهم بما علمه من الباشا فاتفقوا  
 على قتل كبارهم بالديوان عند صعودهم اليه وتحالفوا على ذلك وأغلظوا في الايمان فلما كان  
 يوم الديوان أخذ الامراء في الحضور جماعة بعد جماعة وحضر بينهم خليل بك وعلى بك  
 الدمياطى ومحمد بك وجلسوا في أماكتهم فبرز شخص اسمه عثمان أعا اغات المتفرقة وجلس  
 بجانب خليل بك وقال له لماذا لم تدخل على الباشا وقد مضى عليك أيام ولم تفعل ذلك فقال  
 خليل بك دعنا فانا لسنا بمن يهتم بأمره وقد تركناه لك فأظهر عند ذلك عثمان أعا المذكور  
 الغيظ وصاح في وجه خليل بك وكانك تهزأ بي وجرد خنجره في الحال وطعن خليل بك  
 فسقط ميتا لاجراكه به وكان بقية المتوأمين محتفين فلما سمعوا الصياح خرجوا جميعا  
 والسيوف بأيديهم مسلولة فضربوا عمر بك بلاط واحتزوا رأسه ورأس خليل بك فهرب من  
 كان بالمجلس ودخلوا بالرأسين على الباشا وهرب على بك الدمياطى ومحمد بك ونزلا الى قبة  
 الجاويشية واختفيا فيها فأرسل الباشا يطلبهما وقال ان السلطان رسم بذلك فأتوا بهما اليه  
 فأمر بهما فقطعت أعناقهما أيضا وعم خبر ماجرى الا فاق نخاف من بقي من الامراء وتجرد  
 ابراهيم بك وعمر بك وسليمان بك الا لقي للقاومة فرسم الباشا بقتالهم وأمر العسكر بالتأهب  
 لذلك فاجتمعوا وأخذوا مالزمهم من آلات الحرب والمدافع والمكاحل وساروا الى القاهرة ونصبوا  
 بعض مدافعهم على قنطرة سنقر وكان بها بعض أولئك المشاغبين فلم يقووا على القتال مع  
 العسكر وتفرقوا الى الاقاليم القبلية فدخلت العساكر بيت ابراهيم بك ونهبوه وكذلك نهبوا  
 بيت خليل بك وذهبوا الى بيت على بك فوجدوا فيه صنجقا قد احتله وامتنكه بما فيه فلم  
 يتعرضوا له وكذلك لم يتعرضوا ليوسف بك ناظر الجامع الازهر بسوء

ولم تكذب دماء الذين قتلوا بالديوان حتى طلب الباشا من حسين بك الخشاب أن  
 يعمل على قتل ابراهيم جاويش القازدغلى ورضوان كتندا الجلقى وأطمعه في ولاية الامر  
 والانفراد بالكلمة فتهمد له بذلك وقام لساعته يدبر أمره مع أصحابه الذين عليهم معتمده فأنضم  
 أمره وانكشف سره وعلم ابراهيم جاويش ورضوان كتندا بالمكيدة فقاما وقامت معهما الجند  
 والعسكر وامتسلا باب الانكشارية وباب العزب بطوائف الجند واجتمع أمراء العسكر  
 كافة بسبيل المؤمن والاسباهية بالرماية وأرسلوا يطلبون من الباشا مرشوما بالركوب على  
 بيت حسين بك الخشاب وقتله فلم يرض وامتنع فبعثوا له طائفة من كبار العسكر يطلبون  
 ذلك فان أبى أنزلوه من القلعة فامتنع فأنزلوه هو وجميع عياله وأتباعه من قراميدان الى أن

صار بالميلة فاراد أن ينزل على شيخون إلى بيت حسين بك الخشاب وإذا بالعزب المرابطين في جامع السلطان حسن أطلقوا عليه البنادق لرده فقتل أحد أتباعه فنزل على بيت آق بردى إلى بيت ذى عرجان تجاه المظفر فارسوا إليه إبراهيم بك بلقية صحبة كخدا الجاوشية فلم يردا من أن يوليه النيابة وعاد إبراهيم بك إلى بيته فأخذوا منه مرسوما بجر المدافع إلى ناحية الصليبية وسار أمراء الجند يتقدمهم عمر بك أمير الحاج وآخرون أمثاله واحتاطوا ببيت حسين بك الخشاب وبيت محمد بك أباطه من الجهات الأربع فخاربهم من داخل البيت من الصباح إلى الظهر وكان في أثناء المناوشة يخرج أمتعته وأمواله وأثقاله وهم لا يشعرون فلما لم يبق في البيت شيء خرج بن معه من أصحابه وأتباعه إلى ناحية زين العابدين وسار إلى الاقليم القبلي وكذلك هرب عمر بك ابن علي بك في طائفة من أصحابه إلى أرض الحجاز ودخل العسكر بيت حسين بك الخشاب بعد انقطاع أصوات البنادق والمدافع فلم يجدوا فيه شيئا وكان ذلك في أواخر سنة احدى وستين ومائة وألف فعاد كل إلى مقره وسكنت الفتنة قليلا وجعل إبراهيم بك بلقيه يتصرف ومحمد راغب باشا محجور عليه إلى أن سافر إلى الديار الرومية فكانت مدة ولايته سنتين ونصفا وجاء الخبر بولاية الوزير أحمد باشا المشهور بكور وزير ووصل إلى الاسكندرية فنزل إليه الملاقون وأرباب العكا كيز وأصحاب الخدم فدخل القاهرة وصعد إلى قلعة الجبل في الموكب المعتاد في غرة المحرم افتتح سنة اثنتين وستين ومائة وألف وعمل الديوان وخلع الخلع على الأمراء والاعيان والمشايع ولكنه لم يتمكن من التصرف إذ كان مغلوبا على أمره والكلمة يومئذ لابراهيم بك جاويش ورضوان كخدا وهما صاحبا العقد والحل فأقام في المنصب إلى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف وجاء الخبر بعزله وولاية عبد الله باشا فكانت مدة تصرفه سنة وعشرة أشهر وكان عالما مدققا فضلا كريما محبا للعلم والعلماء مقربا اليهم وكانت أيامه هادئة مطمئنة لم يقع فيها شيء من الحوادث والفتن \* قال بعض الكتاب وكان مولعا بالرياضيات وعمل عدة منحرفات على الواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرا وعمل له تاريخا منظوما نقشه عليها وهو

مزولة متقنة \* نظيرها لا يوجد

راسمها حاسبها \* هذا الوزير الامجد

تاريخها أفقنها \* وزير مصر أحمد

٥٥٧ ٢٢٣ ٣٣٠ ٥٣

سنة ١١٦٣

ونصب من هذه المنحرفات واحدة بالجامع الازهر في ركن الصحن على يسار الداخل بالركن فوق رواق ممر وهي لفضل دائر العصر وأخرى بسطح جامع الامام الشافعي وفيها خيطة مسطرة وفضل دائر وقسي عصر وفضل دائر الغروب وأخرى بمشهد السادات الوفاية وهي بشاخص للظهر والعصر ٥٥

مطلب

ولاية أحمد باشا كوروزير

مطلب

عزل أحمد باشا وولاية

عبد الله باشا

مطلب

عزل عبد الله باشا وولاية  
محمد أمين باشا

وحضر الشريف عبد الله الى الاسكندرية ونزل أجدد باشا من قلعة الجبل الى بيت  
البيرقدار وسافر الملاقون الى عبد الله باشا فدخل القاهرة في رمضان سنة أربع وستين فأقام  
الى سنة ست وستين \* ثم عزل عنها ولم يقع في أيامه شئ من الحوادث والفتن وولى حلب  
فنزل الى القصر بقبعة العزب وهاداه الامراء وسار الى حلب فتولى بعده محمد أمين باشا  
فكانت ولايته سنة وبضعة أشهر لاشئ فيها من الحوادث أو الاحن ودخل محمد باشا المذكور  
القاهرة وصعد الى قلعة الجبل وهو مريض فلبث شهرين على فراش الالوجاع ومات في  
خامس شهر شوال سنة ست وستين ومائة وألف ودفن بجوار قبعة الامام الشافعي فبقيت  
مصر بلا وال سنة وخمسة أشهر والكلمة يومئذ لابراهيم بك ورضوان بك \* وفي خلال هذه  
الحوادث حضر الى القاهرة من دار السلطنة بطرك الروم ومعه مرسوم سلطاني بمنع نصارى  
الشوام من الدخول الى كائس الفرنجة فاذا دخلها أحدهم عوقبوا جميعا بدفع غرامة قدرها  
ألف كيس خزينة السلطنة واستفاض الخبر بذلك بين الشوام ثم أعقب ذلك ان سير ابراهيم  
كتخدا في طلب أربعة من قسيسى الفرنجة فجاءوا بهم فحبسهم وأخذ منهم مالا كثيرا ومع  
ذلك لم تنكشف الشوام عن الدخول الى كائس الفرنجة فانكشف الغطاء وبرح الخفاء عن  
أنها حيلة من بنات أفكار ابراهيم بك لحصوله على المال من قسيسى الفرنجة \* واتفق  
عقب هذا الحادث بقليل ان قصد القبط بمصر الحج الى بيت المقدس وكان عظيمهم يومئذ  
المعلم نيروز كاتب رضوان كتخدا فكلم الشيخ عبد الله الشبراوى في ذلك وقدم له هدية سنوية  
وألف دينار فكاتب له فتوى وجوابا يرضى ان أهل الذمة لا يمنعون من القيام بشعائرهم  
الدينية وزياراتهم فشرعوا في قضاء أشغالهم ثم خرجوا في هيئة وأجال ومواهي وتختروانات  
فيها النساء والاولاد ونصبوا خيامهم عند قبة العزب وأحضروا العربان ليسيروا في خفارتهم  
وشاع أمر خروجهم بعد أيام فاستعظم المسلمون ذلك وأنكروه واتفق ذهاب الشيخ عبد الله  
الشبراوى الى حيث الشيخ البكرى لزيارة أخى البكرى حيث كان مريضا فلما استقر به المكان  
قال له البكرى متسكيا ما هذا الحال يا شيخ الاسلام كيف ترضى وتفتى النصارى وتأذن لهم  
بهذه الفعالة هل كان ذلك لانهم أرشوك وهاذك فقال ان ذلك لم يكن قال بل أرشوك بالف  
دينار وهدية وعلى ذلك تصير لهم سنة ويخرجون في العام القابل بأزيد من هذا ويصنعون  
لهم سجلا ويقال حج النصارى وحج المسلمين وتصير سنة عليك وزرها الى يوم القيامة قال  
صاحب عجائب الآثار فقام الشيخ الشبراوى وخرج من عند البكرى وهو مغتاض وأذن  
للعامه في الخروج عليهم ونهب مامعهم وخرج عليهم كذلك طائفة من مجاورى الازهر  
فاجتمعوا عليهم ورجوهم وضربوهم بالعصى والمساق ونهبوا مامعهم ونهبوا أيضا الكنيسة  
القريبة من دمرداش \* قلت وهى كنيسة رويس \* قال وانعكس النصارى في هذه الحادثة  
عكسة بليغة وراحت عليهم وذهب ماصرفوه وأنفقوه في الهباء انتهى قوله \* وتولى بعد محمد  
باشا أمين الذى مات كما تقدم القول مصطفى باشا فدخل القاهرة وصعد الى قلعة الجبل ثالث

مطلب

ولاية مصطفى باشا

عشر ربيع الاول سنة سبع وستين ومائة وألف هجرية واستقر على الولاية الى أن جاء الامر بال عزل كما سيذكر في محله

ورأى السلطان محمود بعد تقرير الصلح مع خصومه شرقا وغربا أن لابد من قيام الروس يوما على دولة السويد وابتلاعها مضغة لينة ثم لا يمنعها بعيد ذلك مانع من شن الغارة على بلاده وأخذ كل ما يمكن أخذه منها فجعل يتدبر الامر فحسن له سفير الفرنسيس بدار السلطنة يومئذ تعضيد دولة السويد وعقد محالفة دفاع وهجوم معها ضد الروس وكشف له عما في ذلك من الفائدة للدولة وكبح جماح الروس ورد كيدهم فوافق السلطان على ذلك وعقد محالفة مع السويد فكانت حدا فاصلا بين الروس وبين مطامعهم السياسية وهدأت الاحوال وسكنت الخواطر وتفرغ رجال الدولة للاصلاح داخلا وخارجا ودبر الصلح الاكبر أمور الدولة فأحسن التدبير وأمضى الاحكام وأزال بعض الخلل وما زال الحال في هدوء وسكون حتى مات السلطان في يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف هجرية أي سنة أربع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت سلطنته نحو خمس وعشرين سنة قال بعض أصحاب التاريخ وهو آخر ملوك بني عثمان في حسن السيرة والشهامة والحرمة واستقامة الامور والمآثر الحسنة وله كثير من المزايا التي خللت في بطون التواريخ \* وخلفه على سرير الملك السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان

ومات في سلطنته يوحنا بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتين وأربعين سنة وكان ورعا تقيا عالما فاضلا مسموع الكلمة وهو من بلدة طوخ وكانت أكثر أيامه شداثد وخطوبا متراكمة بعضها فوق بعض كادت بسببها تعطل شعائر الدين لولا لطف الله فأقيم بعد موته بطرس وهو الرابع بعد المائة واسمه مرجان من رهبان دير انبا بولا فأقام سبع سنين ومات ولم يقع في أيامه من الحوادث شيء يذكر فأقيم بعده يوحنا وهو الخامس بعد المائة واسمه عبد السيد من رهبان انبا بولا ووقع في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

## (الفصل الثامن عشر)

(في سلطنة السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان)

ثم قام بالامر بعد السلطان محمود السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد وقيل ابن مصطفى بويج بالملك في اليوم الذي مات فيه السلطان محمود في السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وستين ومائة وألف هجرية أي سنة أربع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية وجاءت بذلك الاخبار الى مصر فدقت البشائر ودخل الامراء والعلماء والمشايخ على مصطفى باشا الوالى يهنئونه ثم ورد بعد أيام الى مصطفى باشا فرمان التثبيت فبقى يتصرف في



مطلب

عزل مصطفى باشا وولاية  
على باشا حكيم أو على

الامور الى أن جاءه الامر بالعزل في أوائل ربيع الاول سنة تسع وستين ومائة وألف  
فكانت مدة تصرفه سنتين الاياما ولم يقع فيها من الحوادث شئ يذكر وتولى بعده على باشا  
حكيم أو على الولاية الثانية وقدم الى الاسكندرية فنزل اليه الملاقون وأرباب المناصب ثم  
دخل القاهرة في يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة وجعل يتصرف فسار في الرعية  
سيرة حسنة ودبر أمورهم أحسن تدبير وأسكن الفتن وطمئن القلوب فلم يقع في أيامه شئ  
من الخطوب والمحن واستمر على الولاية معززاً محبوباً من الرعية وكان قريب الاعتقاد  
بانحرافات ميال الى الزايرجات وأصحابها وكان له تعلق بالشيخ علي بن تاج الدين محمد بن الحسن  
ابن محمد بن سالم القلبي الحنفي المكي لغزارة معرفته بهذه العلوم وكان أول اجتماعه به في  
الديار الرومية قيل انه أخبر على باشا بأمر فوقعت كما قال فازداد عنده مهابة وأنزله في منزل  
بالقرب من جامع أزبك بخط الصليبية وصار يركب في موكب حافل مثل موكب الوزير  
وكان فيه الكرم المفرط والمروءة وسعة الصدر في اجازة الوافدين مالا وشعرا ومدحه شعراء  
عصره بمدائح جليلة جدا وكان على باشا لا يفارقه قيل ولا يعمل عملا الا بإشارة منه فله كثير  
من المزايا ومع ذلك فقد كان حسن التدبير موقفا محبوبا من الرعية

وسار السلطان عثمان في الرعية سيرة رديئة للغاية وكثر تحججه عن الناس وتجبسه  
على أحوال الرعية فكان كثير الاخذ بالشبهات ظلوما غشوما عسوفاً فظا غليظاً سفاكاً  
للدماء قيل انه قتل في أيام سلطنته ستة وزراء فمقلت أيامه على الرعية وأبغضوه بغضا كبيرا  
وابتهلوا الى الله تعالى وعجوا اليه وظل على هذا الحال من الجور والعسف الى أن مرض  
واشدت به علته فمات وجاء الخبر الى القاهرة خامس عشرى صفر سنة احدى وسبعين ومائة  
وألف هجرية أى نحو سنة سبع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت مدة سلطنته أربع  
سنوات غير كوامل فخلفه في الملك السلطان مصطفى الثالث

## (الفصل التاسع عشر)

(في سلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان عثمان السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد بويغ  
بالملك يوم موت السلطان عثمان خامس عشرى صفر سنة احدى وسبعين ومائة وألف  
هجرية أى سنة سبع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية فاستقرت به الخلافة وكان المتولى الصدارة  
العظمى الوزير محمد راغب باشا فأقره على منصبه وسلم اليه مقاليد جميع الامور واعتمد عليه  
في تدبير مهام الدولة فأحسن التدبير وأحكم السياسة وكان عالماً عاقلاً رزيناً كيساً حازماً  
محباً لنجاح الامة فبالغ في إصلاح الاحوال الداخلية وأحدث كثيراً من النظامات المألوفة

ورتب الامور على ما فيه المصلحة فزهت أيامه وسعدت ثم مات فتبدلت بعد موته الاحوال وتغير مجرى الحوادث وتحركت دولة الروس الى نكث العهود وتجردت الى الشر وطلبت كاترينة الثانية قيصر روسيا يومئذ التداخل في شؤون مملكة بولونيا فأقامت سستاناسلاس بونياتوسكي ملكا على بولونيا بدل ملكها الذي مات خلافا للعهد المتفق عليه بين الروسية والعثمانية \* قال أصحاب التاريخ وقد قصدت كاترينة بذلك العمل بما أوصى به بطرس الاكبر من ازالة الموانع الثلاثة الحائلة بين أملاك الروس وأوروبا الغربية وهذه الموانع هي مملكة السويد ومملكة بولونيا والمملكة العثمانية قالوا وقد تمت ازالة المانع الاول منها بوضع يد الروس على جميع الايالات السويدية وكاد يتم لها زوال الثاني بتولية ستاناسلاس عشيق كاترينة ملكا على بولونيا فلم يبق منها سوى الدولة العثمانية فتنهت الدولة لذلك وحضت خان القرم على قتال الروس فزحف بجياله ورجله وقتلهم وانتصر عليهم عدة نصرات وخرب الكثير من أملاكهم وسار البرنس جالتسين بعساكر الروس الى مدينة شوكريم فحاصرها وضيق عليها فسير السلطان الصدر الاعظم محمد باشا البرشنجي لتجديتها في عسكر عظيم فلم يفلح فاستعظم السلطان هذا الامر وأكبره وسير الى الصدر المذكور من قتله وأتى برأسه الى القسطنطينية وانهزمت العساكر السلطانية مرة ثانية عند نهر دينستر بسبب فيضان النهر المذكور عند عبور العساكر السلطانية له فأعمل فيهم الروس القتل والتغريق وتمكن البرنس جالتسين من الدخول الى شوكريم واحتل إيالاتي الفلاخ والبغدان

وكانت المراكب السلطانية في هذه الاثناء تجول في عرض البحار فلاقتهامراكب الروس في المضيق الواقع ما بين جزيرة ساقص وساحل آسية فاقتتلوا قتالا عنيفا للغاية ثم اقتربوا ودخلت المراكب السلطانية مينابجشمه فتبعهم حراقتان من مراكب الروس والتحما بالمراكب السلطانية وألقيا عليها النيران فاشتعل ما بها من البارود واحترقت جميعها فكان المنظر مرعبا للغاية وانحطب عظيم جدا وطال الاخذ والرد بين الدولتين وطالت أيام الحرب والقتال برا وبحرا ثم تخابر الفريقان في أمر الصلح فسطت الروسية في الطلب واشترطت على الدولة شروطا مهينة مزرية فأبت الدولة إيجابتها الى ذلك وعاد الفريقان الى ما كانا عليه من الحرب والقتال فخرجت من يد الدولة مدينة بندر وعدة من جزائر الارخبيل ودست الروس الى اليونان والارنؤد فنارا وأشهرها الحرب وخرجا عن طاعة السلطان ونهض أيضا على بك الكبير أحد أصحاب الكلمة بديار مصر يريد الاستقلال بملك مصر والخروج عن طاعة السلطان وقام أيضا أحد مشايخ عربان الشام المسمى ظاهر العمر وتلك بعض مسدن الشام وأخذ يتصرف في أمورها تصرف المالك المطلق حتى اختل نظام المملكة وسقطت كلمة السلطان وذهبت هيئته أو كادت واستخف به على بك واستصغر شأنه وهمم بالخروج وشق عصا الطاعة وجعل يتأهب لذلك \* وبينما هو على هذا الحال من التأهب والاستعداد اذ ظهر الطاعون بمصر والقاهرة وكان ظهوره عقب أن أمطرت السماء مطرا

غزيرا جدا سالت منه السيول وامتلأت الأودية واشتد الطاعون شدة بالغة فكثرت الموات وصارت الموتى تلقى في الطرق والحارات لكثرتها وعدم وجود من يدفنها وكثرت الجيف واجتمعت حولها الكلاب تنهشها وطالت أيام الوباء فسمته العامة (قارب شيخة الذي يأخذ الملح والملححة) واهتم الامراء عند ذلك بدفن الموتى وأعملوا الجهد حتى خف الموت في أواخر رمضان من السنة ولكنه لم يرتفع تماما إلا في أوائل سنة اثنتين وسبعين وجاءت الاخبار عقب ذلك بعزل علي باشا حكيم أوغلي ونوايسة محمد باشا سعيد فدخل القاهرة في أواخر رجب سنة إحدى وسبعين وصعد إلى قلعة الجبل في المركب المعتاد فلم يكن لقدمه رونق ولا بهجة بأسباب الطاعون واشتغال الناس بدفن موتاهم ولم يكن لولايته أثر يذكر عند علي بك الكبير إذ كانت الكلمة والرياسة يومئذ له لاسيما بعد موت حسين بك القرذاغلي على ما تقدم لك بيانه وكان لما ان بسط يده على جميع الامور وقبض على زمام الاحكام ودانت له الرغائب استقدم أصحابه الذين كانوا مبعدين وولاهم المناصب العالية فانتفعت من ذلك الحين كلمته وبعدت شهرته ولكنه كان في شاغل من جانب عبد الرحمن بك كتحدا المتولى مشيخة البلد فكان لا ينكف عن أعمال الحيلة في قتله ولا تقتله همة حتى اتفق مع بعض أعوانه على أن يقتلوه بعد قيامه هو بركب الحاج إلى المدينة وأن يولوا بعد قتله على مشيخة البلاد خليل بك الدقردار وبقي الامر مكتوما بينهم حتى قام بركب الحاج فجعل أصحابه يعملون على قتل عبد الرحمن بك فأحس عبد الرحمن بك بالمكيدة واستكشف السر وعلم بخفي أمرهم فأسرع هو إلى عمل الحيلة والتدبير في تبعيدهم وأغرى بهم على بك بلاط فتمكن من تبعيد خليل چاويش المعروف بحميضان مصلى وأحمد چاويش إلى الاقطار الجزائرية وحسن كتحدا الشعراوى وسليمان بك الشاويش إلى فارسكور فتمزق جمعهم وتفرقت كلهم \* فلما نزل علي بك بالعقبة وهو راجع بالحاج علم بما جرى لأصحابه فكتمه وأمر الجند بعمل بعض الاشكال الحربية ليوهم الناس أن الذي جاءه من القاهرة أخيره بخبر يسره ثم سار بركب الحاج إلى قلعة نخل فانحاز إلى القلعة وسلم الحاج والمحمل إلى بعض أمرائه وركب في خاصته وسار إلى غزرة ولبث بها زهاء ثلاثة أشهر وكان دار السلطنة ووشى لها في حق الكثير من الامراء بالديار المصرية وبالغ في الوقعة بهم فجعل رجال الدولة يوعدونهم ويعلون منه الآمال بنيل اغراضه وما زالوا حتى استصفوا ما معه من مال ومتاع ولم يتم له أمر فعاد إلى القاهرة بوساطة صهره فلما دخل القاهرة لم يبق بها سوى ثمانية أيام ومات كندا وقيل بل أطعمه بعض أصحابه سما فاطمأنت القلوب بموته فقد كان داهية قرما عنيدا كثير الصبر عظيم الجلد

مطلب

عزل علي باشا حكيم أوغلي  
وولاية محمد باشا سعيد

مطلب

عزل محمد باشا وولاية مصطفى  
باشا الصدر الاعظم وعزله  
أيضا وولاية أحمد باشا

سليمان

وحضر بده أحمد باشا كامل المعروف بسيلان ودخل القاهرة في أواخر سنة أربع وسبعين فلما استقرت به الولاية صار يشدد في الاحكام وينزل في كل يوم لمعرفة أخبار الناس وأحوالهم ويكشف على أرزاق الامراء ومصادر أموال الخزينة السلطانية وغير ذلك وكان شهما شديد العناد يخافه الامراء وخشوا عاقبة أعماله فاجتمعوا وتشاوروا في أمره فاتفحت كلتهم على خلعهم وصاروا يراقبون الفرص حتى دبروا أمرهم وركبوا عليه يوما فخلعوه وكان مصطفى باشا الوالى المعزول لم يزل بالقاهرة يتأهب للسفر الى جدة فساروا اليه وأصعدوه الى قلعة الجبل وسلموه زمام الامور وشكوا الى دار السلطنة ما وقع وسيروا بشكواهم الشيخ عبد الباسط السنديونى فلما وصلت شكواهم الى صدر الدولة وهو يومئذ محمد راغب باشا سير أحمد باشا المذكور الى ولاية كندية وسير مصطفى باشا الى ولاية حلب ووجه بكير باشا الى حلب واليا على مصر فحضر الى القاهرة وصعد الى قلعة الجبل فلم يتصرف الا زهاء شهرين ومات مبطونا سنة خمس وسبعين ومائة وألف ودفن بالقرافة بغات الاخبار بولاية حسن باشا وقدم الى القاهرة في أواخر سنة ست وسبعين فكان محجورا عليه لا كلمة له والأمر يومئذ لعلى بيك بلاط فانه بعد موت على بيك الكبير وتشريد كبار عصابته كما سبق ظهر شأن على بيك بلاط وارتفعت كلمته فجمع أصحابه وأعطاهم المناصب العالية وسلمهم زمام الأمور كغيره من الأمراء الذين تقبل عليهم الرياسة مسرعة وشاع ذكره ونما صيته فلما رأى عبد الرحمن بيك كتحدا الذى هو ابن أستاذ على بيك بلاط ماناله على بيك من الشهرة ورفعة القدر انطوى على مما لآئنه ومال الى مصادقته ليقوى به على أرباب الرياسة وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه وجعل على بيك من هذا الحين يهد الأمور ويدلل العقبات ثم استكثر من شراء الممالك وبدأ فى مصادرة الناس وأعمل الخيلة على أخذ الأموال من أصحاب البيوتات والأعيان لأقل سبب \* وكان يخشى جانب بعض من بيدهم الرياسة مثل عبد الرحمن كتحدا ابن أستاذه وعلى كتحدا الخربطلى وعمر چاويش الداورية ورضوان چربجى الرزاز وغيرهم فلما استتب قدمه فى المنصب وتمكن وقوى جأشه ركب يوما فى مماليكه وأتباعه وهجم بهم على أبواب القلعة وأجلاوا عنها من كانوا بها من أصحاب وأتباع من ذكروا فامتلكوها واحتل قومه بها فخاف الأمراء عند ذلك وانكشوا فلم يمكنهم من عمل شئ وقبض فى الحال على عبد الرحمن كتحدا وأبعده الى الأقطار الحجازية وأبعد باقيهم جميعا الى الأقاليم البحرية فأخاف الناس خروج عبد الرحمن بيك كتحدا الى منفاه فانه كان ذا هيبة ووقار وحرمة كبيرة وقد ارتفعت به كلمة الانكشارية وظهر واعلى طائفة العزب وكان له عز وأبهة وماليك وأتباع وجند وغير ذلك من الاخلاط حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة فى ذلك اليوم فلم يحصل شئ من ذلك سوى ما نزل بالناس من الدهشة والتعجب وأبعد بعد ذلك صالح بيك الى مدينة غزة فلم يقم بها الا أياما حتى أرسل اليه بعض الجنود فحمله من غزة الى رشيد فبقى فيها ثم رتب له ما يتفق به بحسب

مطلب

عزل أحمد باشا كامل وولاية

بكير باشا وموته وولاية

حسن باشا

الحاجة فلبث برشيد مدة فلما جاء الخبر بعزل حسن باشا الوالي وتعيين حمزة باشا بدله أرسل على بيك جماعة من أتباعه ليحملوا صالح بيك المذكور من رشيد الى دمياط كي لا يجتمع بجمزة باشا اذا حضر الى رشيد فوصلت الى صالح بيك الاخبار بقيام أولئك الاتباع فأسرع وركب في نفر قليل وأسرى ليلا الى جهة البحيرة فأقام بها ماشاء الله ثم ذهب من خلف جبل الفيوم الى الاقاليم القبلية فوصل الى منية ابن خصيب فأقام بها واجتمع عليه خلق كثير ممن شردهم على بيك بلاط فابتنى له أبنية وعمل مناريس ومحال للدفاع وكان له معرفة وصدافة مع شيخ عربان تلك النواحي وطوائف الهوارة وسكان أكثر البلاد الجارية في اقطاعه فاجتمع عليه الكثير منهم وقدموا اليه التقدام والذخيرة وما يحتاج اليه وتترس في منية ابن خصيب وهو آمن مما يخشى فلم يجسر على بيك على قتاله ولم يناوشه الحرب خوفا من اتساع الخرق واستفحال الخطب

مطلب

عزل حسن باشا وولايه  
جمزة باشا

ودخل حمزة باشا الوالي الجديد القاهرة في أخريات سنة تسع وسبعين ومائة وألف هجرية وصعد الى قلعة الجبل فنزل حسين باشا قاصدا السفر فبكانت ولاية حسين باشا المذكور نحو ثلاث سنين \* ولما استقر بجمزة باشا المنصب وأخذ يتصرف في الامور بقدر الاستطاعة شكوا اليه امر صالح بيك وتترسه في منية ابن خصيب واضراره بالناس ومنعه لورود الغلال وأموال الخزينة السلطانية وبالغوا في الشكوى وعظموا في البلوى فرسم بقتاله فبعثوا له طائفة من الجنود مع أحد الأمراء المدعو حسين بيك كشكش وولوه أيضا الامارة على اقليم جرجا وسافر معه عدة أمراء آخر فلما اتقى الجمعان اقتتلا قتالا شديدا فانهمز صالح بك وهرب الى شرقى أولاد يحيى فأقام حسين بيك كشكش بالمنية أياما يتأهب للمسير الى جرجا مركز امارته فيبينما هو على أهبة الرحيل اذ ورد عليه مرسوم من على بيك بلاط بالتبعيد الى جهة قد عينها له فكاد حسين بيك يتم غيظا وركب من فوره في ممالكة وأتباعه وأمرائه وحضر الى القاهرة فوصلها ليلا فوجد الباب الموصل الى قناطر السباع مغلقا فطرقه فلم يفتحواله فكسره ودخل عن معه وذهب الى بيته وبقي الأمر بينه وبين على بيك بلاط على المسالمة أياما \* واتفق لحظ على بيك بلاط أن حسين بيك المذكور طلب في غضون هذه الايام من عبد الله الحكيم طبيب الأمراء أن يصنع له مجموعا صالحا للباه فأخبر الطبيب بذلك على بيك بلاط فأمره بأن يدس له فيه سما ففعل وذهب به الى حسين بيك وبالغ له في فوائده فقال له لا بأس به ولكني أحب أن تأكل أنت منه أولا فتلجج الطبيب واضطرب فأمر به حسين بك فقتلوه بين يديه وعلم أنها من عزيمة على بيك بلاط فتمت كدته بينهما الوحشة وأضر كل منهما لصاحبه السوء وبوافق على بيك مع أصحابه على الغدر بحسين بيك أو اخراجه فوافقوه ظاهرا واشتمل حسين بيك أيضا باخراج على بيك أو الغدر به وجمع الى كلمته كثيرا من قومه فلما كان ذات يوم ركب وركبوا ومعهم المدافع والبنادق وساروا الى بيت على بيك فصوبوا أفواه المدافع نحوه فأرسل على بيك لأصحابه يستجدهم فلم يأنه أحد وخذلوه

فشق عليه الأمر واستعظمه جدا وأرسل الى أصحاب حسين بيك يسألهم عن مرادهم فخصر  
اليه منهم من يأمره بالركوب والخروج من الديار حالا فقام لساعته وركب وخرج من بيته  
فسلوه الى من يوصله الى منفاه بالديار الشامية ومعه مماليكه وأتباعه وكان ذلك في أواخر  
رمضان سنة تسع وسبعين فأنزله بالعادية ثلاثة أيام حتى حاسبوه وحاسبوا أتباعه على ما هو  
عليهم وهم محاطون بالجند والسلاح والمدافع حتى فرغوا واستخلصوا مابقي وسافروا الى غزة  
وكانت العادة فيمن يتنى من الامراء بديار مصر أنه اذا خرج من الديار لم يخلوا سبيله  
حتى يستصفوا ما عليه وسار صحبة على بيك المذكور جميع أصحابه وبكار قومه وعزلوا من لم  
يسافر منهم من منصبه \* وما كادت تستقر الامور وتسكن الفتنة حتى جاء الخبر برجوع صالح  
بيك من شرق اولاد يحيى الى منية ابن خصيب واستقراره فيها وتحصينها جيشوا لقتاله جيشا  
عظيما فبرز بعضه الى جهة المساتين وبيناهم على هذا الحال من تجهيش الجيوش وإعداد  
آلات الحرب والاشتغال بأمر القتال مع صالح بيك اذ رجع على بيك بلاط وأصحابه من غزة  
فلم يشعروا بحد رجوعهم ودخلوا القاهرة ليلا ونزل على بيك بيت حسين بيك كشكش  
ونزل باقي من كانوا معه في بيوت آخر فلما علم حسين بيك بقدمه على هذه الصورة جمع  
اليه أصحابه بجهة الآثار المعروفة بأثر النبي وشاورهم في الامر فاختلفت كلمتهم وتباينت  
أغراضهم فمنهم من أشار بتبعيده الى جدة ومن أشار بقتله ومن أشار بغير ذلك ثم عادوا  
فالتحدوا على أن يرسلوه الى جدة وأرسلوا اليه من يلزمه بالخروج والسفر فقال لا أخرج أبدا  
من بيت سيدي الا اذا كان الى الجهة البحرية فرضوا بذلك وانفقوا على أن يعطوه النوسات  
اقطاعا وأن يذهب اليها فرضى وذهب الى النوسات وأقام بها وأرسلوا أصحابه والذين كانوا معه  
الى أسبوط وجهاتها وكان بها خليل بيك الاسميوطي فتعرفوا به وتقرّبوا اليه وصادقوه  
فأعانهم ومدّ لهم يد المساعدة فتيسرت أمورهم وراجت أحوالهم ولبنوا هناك ماشاء الله

وعاد حسين بيك بعد تبعيد على بيك وأصحابه الى تدبير أمر الجيش وارساله لقتال صالح بيك  
كما تقدم القول فسار الى منية ابن خصيب والتقى الجمعان واقتتلا فانهمزمت العساكر وانفصلت  
فأرسلوا له جيشا آخر وأميره حسن بيك جوجو وكان حسن بيك المذكور ميالا في الباطن الى  
خيلة حسين بيك وأصحابه فلم يقا تل الا بالأمر الخفيف ورجع بالعسكر كانه مهزوم مذعور  
فأرسلوا جيشا آخر فكانت الحرب بينهم سجالا ثم رجعوا فلم يروا بدا من مصالحة صالح بيك  
فخبروه في الصلح واستقرت القاعدة بينهم على أنه يذهب بمن معه الى جرجا فتكون له التزاما  
ويقيم بها بشرط أن يدفع الاموال ويرسل الغلال في حينها ويقوم بجميع المطالب وكان ذلك  
في شهر جادى الاولى سنة ثمانين ومائة وألف \* أما على بيك بلاط فانه لم يعرض عليه بالنوسات  
الا القليل من الايام حتى تخيلوا أن حسن بيك الازبكواى يرسله ويطلعه على عورتهم فقاموا  
عليه في ثاني شعبان من السنة وقتلوه بقصر العيني ورسموا بنى أصحابه الى الاقاليم البحرية  
وخشوا عاقبة بقاء على بيك بلاط بالنوسات فأرسلوا اليه خليل بيك المعروف بالسكران فخله

الى مدينة السويس ليسيره الى جدة من القلزم وأنزله باحدى السفن وسله الى ربانها فكانت  
الريح غير صالحة فبقيت السفينة تنتظر اعتدال الريح فرجع خليل بيك الى القاهرة  
وجاءت أيام عيد الافطار فركب الامراء في ثاني يوم شوال الى قراميدان ليهنؤا حزة  
باشا بالعيد وكان معتاد الرسوم في مثل هذه الاعياد والمواسم أن يبار الامراء يركبون بعد  
الفجر من يوم العيد وكذلك أرباب العكا كيز فيصعدون الى قلعة الجبل ويسرون أمام  
الباشا على الاقدام من باب السراي الى جامع الناصر بن قلاوون فيصلون صلاة العيد  
ويرجعون كذلك ثم يقبلون طرف ثيابه وينزلون الى بيوتهم فيهنى بعضهم بعضا على رسمهم  
واصطلاحهم وينزل الباشا ثاني يوم الى كسك بقراميدان وقد هيئت مجالسه بالفرش  
والمساند والستور والظنافس واستعد قزاشو الباشا بالقهوة وأطباق الحلوى والتماقم والمباخر  
ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل واصطفت الخدم والجاويشية والسعاة والملازمون  
وجلس الباشا بذلك الكسك وحضرت أرباب العكا كيز والخدم قبل كل أحد ثم يأتي المقتر دار  
وأمر الحاج والامراء والصناجق والاختيارية وكتخدا الانكشارية والعزب أصحاب الوقت  
والمقادم والاودة باشية والخر بجمية ويعيدون عليه بالترتيب على قدر مراتبهم ثم ينصرفون \*  
فلما حضروا في ذلك اليوم وهنؤا الباشا وخرجوا الى دهليز القصر يريدون الانصراف الى  
بيوتهم برز لهم طائفة من الخند وسيوفهم بأيديهم مسلولة وآخرون يحملون البنادق واندفعوا  
عليهم وأطلقوا البنادق وأعملوا فيهم السيوف فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بضربة سيف  
في وجهه وأصيب حسين بيك كسكش بطلق نارى في خاصرته وجرح كثيرون جراحا بليغة  
فعند ذلك ارتفعت الاصوات وعلت الجليلة وصاح الامراء بما ليكهم وأتباعهم لئجدهم  
فاقتحموا الدهليز والسيوف بأيديهم وحالوا بينهم وبين المتؤامرين حتى تسلقوا من حائط  
البيستان وركبوا خيولهم وهم لا يصدقون بالنجاة وأركبوا عثمان بيك وهو يصيح الى باب  
العزب وقد قطع السيف وجهه وغمه فذهبوا به الى باب العزب وأنزلوه فلم يلبث الاهنية  
ومات خملوه الى بيته وجهزوه ودفنوه ولم يمض من جرحوا أحد غيره وبالوا على ذلك وأصبوا  
فاجتمعوا وصعدوا الى الابواب وأرسلوا الى حزة باشا يأمره بالتزول من القلعة على عجل  
فنزل من ساعته الى بيت أحمد بيك كسك بقوصون ومر بباب العزب فوقف له حسين بيك  
كسكش وسبه سبا فاحشا وخاطبه بيذى القول وخش الكلام فلم يجبه بشئ ثم رتبوا أمورهم  
وسلموا بعض الوظائف المهمة لمن يعتمدون عليه واستكشفوا حتى هذه الحادثة فقبضوا أنهم  
كانت باغراء من حزة باشا وقيل بل هى خليفة على بيك بلاط فانه ما برح منذ تبعيده الى  
النوسات يرسل حسن بيك جو جو ويكاتبه سرا ومازالا على هذا الحال حتى تم التدبير لحسن  
بيك واستحضر طائفة من الخلفية وأطلعهم على ما فى نفسه فوافقوه فأخضاهم فى بيته أياما  
كثيرة وقد دبروا أن يكون ابقاعهم بالامراء فى أول يوم العيد وذهبوا الى الكسك بقراميدان  
فى ذلك اليوم وكانوا نحو الاربعين فاختلفت عندئذ كلمتهم وانتقضوا ثم عادوا فاتفقوا على

أن يتموا الأمر في ثاني يوم بدهلزي بيت القاضي وتفرقوا على ذلك وقد انحلت رابطتهم الأربعة فانهم ثبتوا على هذا الاتفاق وساروا في ثاني يوم الى الدهليز وضربوا من صادفوه بالسيوف والبنادق وبطل من هذا اليوم أمر العيد من قراميدان وتمدم القصر وخرب وكذلك البستان وذهبت نضارته وبعد وقوع هذا الحادث سيروا من يستكشف خبر على بيك بلاط وهـل أفلعت به السفينة الى جدّة فوجدوه بالسويس فردّوه وأركبوه مع اتباعه ومما ليكه الى القاهرة ومروا به من طريق الجبل وذهبوا الى جهة شرق اطفح ثم الى أسيوط \* فلما استقر به المقام اجتمع عليه المبعدون كافة وطوائف الهوارة وأخلط آخر كثيرة فراسل صالح بيك بنمية ابن خصيب يريد الانضمام اليه بمن معه من هؤلاء الاخلاط فلم يرض صالح بيك ونفر منه فجعل يخادعه ويسايره وأرسل اليه خليل بيك الخربطلى أحد المبعدين يكلمه في ذلك وما زال به حتى جنح لطلبه واجتمع به بكفالة شيخ العرب همام وتحالفا وتعاقدا وتماهدا على الكتاب والسيوف وكتبت بذلك حجة وكان العهد بينهما أنه اذا تم لهما الامر أخذ صالح بيك الاقاليم القبلية بتمامها قيد حياته وأرسلوا بما وقع الاتفاق عليه الى شيخ العرب همام قيل فسر بذلك ورضى به ارضاء لصالح بيك وأمدّهما بالعطايا والمال والرجال واجتمع عليهم جميع المتشردين من الغز والاحناد والهوارة والابطال فصار لهم جيش عظيم فساروا الى منية ابن خصيب وكان بها خليل بيك السكران عاملا فلما علم بقدمهم رحل عنها وجاء القاهرة هاربا فاستقر على بيك بلاط وصالح بيك ومن معهما بالمنية وبنوا حولها الاسوار والابراج وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطرق على المسافرين برا وبحرا وأرسل على بيك بلاط الى ذى الفقار بيك وكان مبعدا بالمنصورة ومعه جماعة من الكشاف يستقدمه الى المنية بمن معه فارتحل من المنصورة ليلا الى المنية فلما وردت الاخبار الى القاهرة بما فعله على بيك وصالح بيك وانهما في عدة عظيمة جدا خافوا شرهما وخشوا عاقبة فعلهما فاجتمعوا جميعا وبينهم الشيخ الحفناوى شيخ الوقت يومئذ وتشاوروا في الامر وطال بينهم الاخذ والرد ثم اتفقوا على أن يرسلوا لهما عسكريا لقتالهما فقام الشيخ الحفناوى وخطأ رأيهم واستنقصه وأطال الكلام على ما أصبحت فيه البلاد من الضنك والاضمحلال بأسباب توالى الفتن وتعاقب الحروب والمحن وقال ماذا عليكم لو أرجعتم على بيك وصالحتموه فيأق و يقيم في بيته آمنا مطمئنا فقالوا ان لم نذهب لقتاله أتى هو لقتالنا بجيحه ورجله قال لا تأتوا شيأ حتى أ كاتبه ويأتى منه الجواب وقام وكتب له يوبخه ويذجره تارة وينصحه أخرى وينهاه عن فعل ما لا تحمد عاقبته وبعث اليه بالخطاب فلم يلبث الشيخ بعد ذلك الا أياما ومريض ورعى بالدم ومات فشاع يومئذ أنهم أعطوه سمالينالوا أغراضهم من قتال على بيك وصالح بيك ووردت في هذه الاثناء الاخبار بعزل حمزة باشا وهو في سجنه لا كلمة له كما تقدم القول وتولية محمد باشا راقم فقام اليه الملاقون ودخل القاهرة في غرة ربيع الثاني سنة احدى وعثمانين ومائة وألف هجرية فسافر حمزة باشا الى بلاد الروم فكان لبته بمصر سنتين وشهرا

مطلب

عزل حمزة باشا ولاية محمد  
باشا راقم



وعاد الامراء بعد دخول محمد راقم باشا الى جمع الجوع وتجهيز معدات القتال للحمل  
 على على بيك بلاط وصالح بيك وكلوا محمد باشا في أمرهما وأعلموه بأسباب خروجهما وموهوا  
 عليه الحال وأخذوا منه مرسوما بالقتال وسيروا حسين بيك كشكش ومعه عسكر جوار  
 فطلب حسين بيك النفقة فلم يجدوا في الخزينة شيئا من الاموال فعملوا يصادرون التجار  
 ويستصفون أموالهم وطلبوا أمراء البهار المعروفين بالتواخيد وألزموهم بدفع مال البهار  
 مجالا فآذعوا الاعسار فهددوهم وأخذوا جميع ما عندهم من مال ومتاع ثم سار حسين بيك  
 بعسكره والتقى الفريقان بناحية بياضة تجاه بني سويف فاقتتلا قتالا عنيفا فانهزمت  
 عساكر حسين بيك شرهزيمة وانفسلوا وقتل كثير من أمراء العسكر ورجع المنهزمون الى القاهرة  
 يوم السبت سابع عشر الشهر وهم في أسوأ حال \* وأصبح يوم الأحد فطلعوا الى أبواب  
 القلعة وطلبوا من الباشا مرسوما باعادة القتال وبأخذ مائتي كيس من مال الخزينة  
 السلطانية نفقة للجند فامتنع الباشا من ذلك فراجعوه فلم يرض وبيناهم تنازعه في ذلك اذ  
 جاء يوم الاثنين الخبر بوصول على بيك وصالح بيك ومن معهما الى ناحية نجمازة وكان حسن  
 بيك جوجو ومن معه من الامراء نازلين بخيامهم جهة البساتين فارتحلوا ليلا وهربوا وانزعج  
 خليل بيك وحسين بيك ومن معهما من الجند والعسكر وتحققوا أن لا قبل لهم بقتال على  
 بيك بلاط وأن لا بد من زوال دولتهم \* وأرسل الباشا الى أصحاب الوجقات بملازمة كل وجاق  
 لبايه فوصل على بيك وأصحابه الى البساتين فلم يروا فيها أحدا وتسلل خليل بيك وحسين بيك  
 وأصحابهما وطلعوا الى الابواب فوجدوها مقفلة فرجعوا الى قراמידان وأقاموا بها ساعة ثم  
 رجعوا على أعقابهم وقد خرج الكثير في تلك الليلة من الامراء هارين الى حيث على بيك  
 وصالح بيك وفي مقدمتهم حسن بيك جوجو ومن انضم اليه من الامراء والاجناد وهرب  
 خليل بيك شيخ البلد يومئذ وجميع أتباعه وأعوانه ومماليكه وحسين بيك كشكش وأتباعه  
 وأعوانه وكانوا عدة كبيرة \* وأصبح يوم الخميس نخرج الاعيان وغيرهم للملاقة على بيك  
 وصالح بيك ومن جاء معهم من الامراء فدخلوا القاهرة في ذلك اليوم ومعهما جميع الذين  
 كانوا مبعدين ولبنا الى يوم الأحد ثم طلعا ومعهما باقي الامراء المبعدين والذين تخلفوا عن  
 الذهابين الى الديوان بقلعة الجبل فخلع الباشا على على بيك خلع الرضا وقرره شيخا للبلد وخلع  
 على صناجقه خلع الاستمرار أيضا في اماراتهم واستقر المنصب بهلى بيك في اماره مصر ورياستها  
 وظهر نبلة وعلت كلمته حتى ساعدته الاقدار وملكت الديار المصرية والاقطار الحجازية والبلاد  
 الشامية كما سيأتي بيان هذا كله في محله ان شاء الله تعالى

وتاقت نفسه « وان النفس لأماره بالسوء » الى الانتقام من بعض الامراء وأعيان البلد  
 وتبعيدهم فرأى أن لا قبل له بذلك خوفا من حسن بيك جوجو وأنه مادام حيا لا يصفوه  
 الحال فأخذ من هذا الحين يدبر على قتله وأطلع بعض خواصه على ماني سره فهتووا له الأمر  
 وتعدوا له بالعمل فلما كانت ليلة الثلاثاء ثامن رجب سنة احدى وثمانين ومائة وألف حضر

حسن بيك جو جو ومعه آخر اسمه على بيك جن وآخر اسمه محمد بيك أبو الذهب وأيوب  
 بيك الى بيت على بيك بلاط لزيارته فلبثوا عنده برهة من الليل يتحدثون ثم قام حسن بيك  
 ومعه على بيك جن وربكا ومعهما الامراء المذكورون ونقر من أصحاب على بيك يساير ونهزم  
 وهم المتكفلون بالقتل فلما صاروا في الطريق التي عند بيت الشاويري خلف جامع قوصون  
 جردوا سيوفهم وطعنوا حسن بيك فقتلوه وقتلوا معه على جن وتركوهما ورجعوا فاخبروا  
 على بيك بلاط بما جرى فسر سرورا عظيما وبات وأصبح على بيك المذكور مالكا لجميع  
 الابواب لاراد لكلمته ولا يد فوق يده فلما صفاله الوقت ودانت له الامور أبعده كثيرا من  
 الامراء والاعيان والوجهاء وشردهم في الاقاليم القبلية والبحرية وضيقت على كل من كان  
 يتوسم فيه سمة الانتكار فخافه الناس وهابه الامراء وعمت شهرته واتسعت صولته وجعل  
 يتصرف في الامور كما يشاء \* وبينما هو على هذا الحال من تتبع الخصوم وقطع دابر  
 المخالفين اذ جاءه الخبر برجوع حسين بيك كشكش وخليص بيك من جهة غزة وهما في  
 جوع كثيرة للغاية وأخيلاط من الجند والعسكر يريدون القتال والزحف على الديار المصرية  
 فأكبر هذا الامر جدا وجيش لقتالهم جيشا ضخما للغاية في البر والبحر واجتمع الفريقان  
 عند الدير والجراح من بلاد المنصورة وكان حسين بيك كشكش وأصحابه قد عرجوا  
 أولا الى دمياط فنهبوا وسلبوا شيئا كثيرا ثم حضروا الى المنصورة ففعلوا كذلك فلما التقى  
 الجيشان واقتتلا انهزم أصحاب على بيك بلاط وانفشلوا وولوا راجعين وقتل منهم عدة كبيرة  
 من الامراء والخواصيشية ولم يزالوا في هزيمتهم الى أن وصلوا دجوة فلما جاء الخبر بذلك  
 اهتم له على بيك ونزل الباشا من قلعة الجبل وخرج الى قبة باب النصر خارج القاهرة  
 وجمع أمراء العسكر كافة والعلماء وأرباب السجاجيد ورسم أن كل من كان من الجند  
 وأصحاب الوجاقات يبادر بالتأهب للخروج أو يخرج بدلا عنه واحدا واهتم كذلك على بيك  
 بجمع العسكر وإعداد معدّات الحرب لجمع جيشا عظيما وسلم لواءه الى محمد بيك أبي الذهب  
 فسار أبو الذهب من فوره والتقى بمن بقي من العساكر المتشردين فضههم الى عسكره وسار  
 بهم في طلب حسين بيك وخليص بيك وكانا قد نزلا باقليم الغربية وساروا سيرا حينما يريدون  
 القاهرة ليدخلوها فلاقتهم جيوش أبي الذهب بمدينة طنطا وهم معسكرون فيها فأحاط أبو  
 الذهب وعسكره بالمدينة من كل جانب فوقع الحرب بين الفريقين ولم يزل القتال قائما حتى  
 فرغ ما عندهم من الذخيرة وقلت الازواد فأرسلوا الى أبي الذهب يطلبون الامان فأمنهم  
 وبطل القتال وكانهم أبو الذهب وخادعهم وتعهد لهم باسترضاء على بيك فالتفتوا واتحلت  
 عزائمهم وتفرقت كلمتهم وبنوا ليلتهم تلك على بساط الطمان \* فلما كان ثاني يوم أرسل أبو  
 الذهب الى حسين بيك كشكش يستدعيه الى معسكره ليتكلم معه في أمر الصلح فسار اليه  
 وليس معه سوى خليل بيك السكران أحد أتباعه فلما وصلا ودخلا مجلسه لم يجدها مجلسا  
 برهة لطيفة ينتظرانه واذا بجماعة من العسكر قد دخلت عليهما وضربتهما بالسيف حتى

ماتا وجاء في أثرهما حسن بيك شبكة ولم يعلم بما جرى لأستاذة حسين بيك فلما اقترب من العسكر داخله الخوف وشعر برجفة فأراد الرجوع فعاقه رجل سائس اسمه مرزوق وضربه بنوت فوق الى الارض فلحقه أحد الجند واحتز رأسه \* وجاء الخبر الى خليل بيك الكبير ومن معه بما جرى على حسين بيك وأتباعه فخافوا خوفا عظيما وذهبوا الى ضريح السيد أحمد البدوي والتجؤا الى قبره وأيقنوا أنهم للاحقون باخوانهم وأرسل أبوالذهب الى علي بيك بلاط يستشير في أمر خليل بيك ومن معه فرسم بتبعيده الى الاسكندرية فقبض عليه وبعث به اليها فلم يلبث بها الا أياما وقتلوه خنقا ورجع أبوالذهب ومن معه ودخلوا المدينة من باب النصر في موكب عظيم وأمامهم رؤس القتلى محمولة في صوان من الفضة والخدم أمامها يقولون « صلوا على محمد » وكانت عدة تلك الرؤس ستا وهي رأس حسين بيك وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة وحمزة بيك واسماعيل بيك أبومدفع وسليمان أنعا الوالي وكان دخولهم على هذه الصورة في يوم الجمعة سابع عشر المحرم سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف هجرية

واشتمد على بيك بلاط على من بقي من الامراء المخالفين وأبعد منهم عدة كثيرة الى الصعيد الاعلى وأخرى الى الاقطار المجازية وقبض على أولاد سعد خادم ضريح السيد أحمد البدوي وصادرهم وأخذ أموالهم وكانت كثيرة وأبعدهم عن طنطا وأرسل آخر بدلهم اسمه الحاج حسن عبد المعطى وشرع في بناء الجامع والقبعة والسبيل والقيسارية العظيمة وأبطل عنها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرامية والصيداين وضمن المومسات وغير ذلك من أنواع المغارم التي كانت مفروضة عليها وبلغ على بيك شهرة عظيمة وكبر اسمه في دار السلطنة العثمانية فأرسل اليه السلطان هدية قفطانا وسيفا صعبة رسول مخصوص بمرسوم سلطاني فتقاطر الامراء لتهنئته ونزل الباشا الى بيته وتراجت على بابه أقدام المهنيين فداخل صالح بيك من ذلك بعض الحسد وأنس منه على بيك بعض الوحشة فأصر له على بيك السوء وعزم أن يجبل به قبل أن تستفعل الوحشة فيجبل هو به وكاشف بعض رجاله على ما يريد بصالح بيك فهون عليه الامر وتعهد له بالعمل فلما جاء صالح بيك الى بيت علي بيك ليهنئه بهدية السلطان وقفل واجعا الى بيته ركب معه محمد بيك تابع علي بيك وآخرون من الامراء أتباع علي بيك وساروا في ركابه وخلفهم بعض الجند والاتباع فلما صاروا في مضيق الطريق عند المفارق بسويقة عصفور تأخر محمد بيك ومن معه قليلا عن صالح بيك وصاح محمد بيك بخادمه ونهره وسبه وجرده سيفه بسرعة غريبة كأنه يريد قتله وطعن به صالح بيك فاخترط ببقية من كانوا معه سيوفهم وضربوه فسقط عن جواده الى الارض ميتا وتركوه وصعدوا من فورهم الى قلعة الجبل فلما استقر بهم المقام أخذتهم نشوة الظفر بصالح بيك فجعلوا يتحدثون في أمر قتله وما فعله كل منهم وعابوا أحدهم أحمد بيك بشناق حيث لم يسرع في اخراج سيفه وأججم

عن الطعن والضرب كما فعلوا هم فقال انى ضربته كما فعلتم فكذبوه وقالوا ارننا سيفك ان كنت صادقا فلم يفعل وخاف أن يخبروا على بيك بلاط بما وقع منه فيقتله ثم انصرفوا وبات هو ليلىته يدبر أمرا لخلاصه فلم ير له سبيلا غير الفرار الى أرض الله الواسعة وأصبح فأخبر زوجته بما عزم عليه وشدت عليها أن لا تخبر بخبره أحدا حتى يصل الى الاسكندرية ثم قام وتزيا بزى المغاربة وسار من ساعته وجد في السير من ناحية شلقان فأنت الساعة وأخبرت على بيك بخبره فرسم لحاكم الاسكندرية بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك حيث كان قد نزل بأحدى السفن القاصدة بلاد الروم وكان من أمره بعد ذلك ما كان مما سيد ذكر في حينه وأجد بيك هذا هو أحمد باشا الجزار الشهير الذى ملك عكا وتولى الشام وامارة الحاج الشافى وطار صيته فى الممالك شرقا وغربا فساء على بيك فراره وخشى عاقبة أمره

واتسعت كلمة على بيك وكبرت هيئته فسقطت حرمة محمد باشا الوالى فى جانب حرمة والده وذهب اعتباره وصار مغلوبا على أمره ليس له من الولاية سوى الاسم فخاف على نفسه وأخذ يدبر على قتل على بيك وأعمل فى ذلك جهده وكشف كتحدها عبد الله بيك بما فى خاطره فلم يكتم سره بل أعلم على بيك به وكشف عما ينويه له محمد باشا فلما علم على بيك بذلك أصبح فلك الابواب والرميلة وحوالى قلعة الجبل والمحجر وأرسل الى الباشا يلزمه بالنزول من القلعة فنزل من باب الميدان الى بيت أحمد بيك كسك ولبت فيه محجورا عليه تخفزه العسكر وتولى على بيك النيابة وجعل يتصرف فكثرت مصادرتة للناس فى أموالهم ومتاعهم بلا فرق ولا تمييز فكانت هذه السنة السيئة من مبتكراته من يوم نشأته ثم صارت سنة لمن أتى بعده \* وتاقت نفسه بعيده ذلك الى الولاية على الشام أيضا فعمل على ذلك وهيا هدية نفيسة للغاية وخيولا مصرية جيادا وبعث بها الى السلطان وبعض رجال الدولة وكتب يشتكى من عثمان بيك ابن العظم والى الشام ويطلب من دار السلطنة عزله لقبوله المنفيين من أمراء مصر وانضمامهم اليه والاخذ بقولهم فى جميع أعماله وبالغ فى الشكوى واستفاض الخبر بذلك فى القاهرة ومصر وعلم محمد باشا الوالى به فكان يتحزن ويتوجع ولا يقبل له على عمل شئ وما زال على هذا الحال من الحزن والضيق حتى مات فى المحرم افتتاح سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية بقصر عبد الرحمن كتحدا بشاطئ النيل حيث كان مسجوننا لم يخرج منه منذ أنزل من قلعة الجبل وقيل كان موته مسموما فدفن بالقرافة الصغرى عند مدفن الباشاوات بالقرب من الامام الشافى ولم يحتفلوا بجزائه

واجتمع الامراء المبعدون الى الاقاليم القبليسة على اختلاف درجاتهم بشيخ العرب همام لعله يعاونهم على العود الى ديارهم فأشار عليهم بالترفع الى أسيوط وأخذها عنوة وأن يقيموا بها ولم يسمح لهم بالمقام عنده خوفا من على بيك بلاط ووفاء بما بينهما من العهد فارتحلوا جميعا من عنده وترفعوا نحو أسيوط وكانوا عدة كبيرة واجتمع عليهم أيضا طوائف الهوارة وأخلاق من الناس ممن لاشاغل لهم وكان بمدينة أسيوط فى هذا الحين من قبل على

بيك بلاط عبد الرحمن كاشف وذو الفقار كاشف وقد رموا أسوار البلد وحصونها تحصينا عظيما فلما وصلوا اليها ووجدوها على هذه الحال من المنعة والتحصين جعلوا يتلصصون الى أن اتصل قوم منهم في جنح الليل بمقابلة البلد ومعهم خرق ملوثة بالفار والكبريت والزيت وأوقدوا فيها النيران فاشتعل الباب فهجموا على المدينة هجمة رجل واحد فلم يكن لهم بهم طاقة لكثرتهم وملكوا أسيموط وتحصنوا بها وهرب من كان فيها من العساكر والكشاف وجاءت الاخبار بذلك الى علي بيك فهاله الامر واستعظمه وجيش لهم جيشا عظيما وسيره مع ابراهيم بيك بليقيه ومحمد بيك أبو شنب وعلي بيك الطنطاوي وبالغ في ارسال الذخيرة والميرة وغيرها فلما صاروا على مقربة من أسيموط خيموا عند جزيرة منقبطا وعلم من بأسيموط بحضورهم تخافوا ونشاوروا في الامر فانفتحت كلمتهم على أن يركبوا ليلا ويدهموا عسكر علي بيك فركبوا في ساعة معلومة بينهم وسار بهم الدليل في طوق الجبل فضل بهم وأسرى واياهم حتى تجاوزوا المكان المقصود بنحو الساعتين تخافوا وعللوا فوات الوقت وأن القوم متى علموا بتجربهم ملكوا المدينة من غير ممانع قبل رجوعهم فما وسعهم الا الذهاب الى المعسكر ومصادمتهم على أي حال كان فلم يصلوهم الا بعد طلوع الشمس وتيقظ القوم واستعدوا لهم والتطموا معهم وهم قليلون فوقع القتال واشتد الجلال وبنلوا جهدهم في الطعن والضرب وبرز رجل منهم يريد محمد بيك أبو شنب فبرز له محمد بيك وهو يقول لبيك هاأنا هاأنا فقصده جماعة منهم وقتلوه وقتلهم حتى قتل وحى الوطيس وكثر الصياح وارتفع الغبار وانكشف عن هزيمة أهل الثورة ونصرة أصحاب علي بيك وكانت هذه الواقعة الهائلة عند جبانة مدينة أسيموط فتمزقوا وتمزقوا أيدي سبأ ثم عاد من بقى وانضم الى كبار الهوارة وملك أصحاب علي بيك مدينة أسيموط واحتلوها ولبسوا بها أياما ثم ترفعوا لقتال شيخ العرب همام وكبار الهوارة ومن انضم اليهم من المهزومين فاتحد كبار الهوارة مع الامراء المهزومين واستعدوا للقاء عسكر علي بيك فراسل محمد بك اسماعيل أبو عبد الله ابن عم همام واستماله ومناه ووعده برياسة الصعيد عوضا عن عمه همام ان هو ختل قومه وتخلي عن القتال معهم وما زال به حتى ركن لقوله وصدق غمهاته وتناقل عن القتال وخذل قومه ومن كان معهم من الامراء فانفشلوا وتمزقوا كل ممزق وخاف شيخ العرب همام شر العقابسة فارتحل عن فرشوط وانحدر على بعد ثلاثة أيام منها ثم مرض أياما قلائل ثم مات كذا وخزنا على ماجرى وسار محمد بيك بالجند الى فرشوط فدخلها من غير ممانع ونهب ما فيها وأخذوا جميع ما كان بدور همام وأقاربه وأتباعه من نحاتر وأموال وغلال فزال دولة همام المذكور من الاقاليم القبلية من ذلك الحين ثم سار محمد بيك بعد ذلك من فرشوط يريد القاهرة فحضر اليه درويش ولد همام بعد موت أبيه مستجيرا فأحضره معه الى القاهرة فلبث بها أياما حتى رضى عنه علي بيك وأعادته الى فرشوط تحت عهود عاهدها له قبل السفر \* أما محمد بيك أبو الذهب فانه لم يلبث بالقاهرة الا أياما قلائل بعد عودته ظافرا منصورا حتى وقعت بينه وبين

أستاذة على بيك وحشة فخرج منها مغضبا الى الاقاليم القبلية ولحق بدرويش بن همام وأقام  
عنده نخلت البلاد شرقا وغربا لعلى بيك وبماليكه واستتبت كلمته وعمت الافاق شهرته  
وتفرغ لقطع شأفة المنفيين في الثغور كدمياط ورشيد والاسكندرية والمنصورة وغيرها  
وكل جماعة من قومه بذلك فكانوا يذهبون الى تلك الجهات واحدة فواحدة فيقيمون بها  
أياما ويقتلون من بها من أولئك المبعدين خنقا ثم ينتقلون لغيرها حتى أفنوهم ولم يبقوا  
منهم أحدا وخاف الناس على بيك خوفا عظيما فاتفق أنه دخل يصرى يوما بجماع الداودية  
فصعد خطيب الجامع وخطب ثم دعا للسلطان ولعل بيك بالنصر والتأييد فلما انقضت  
الصلاة وقام على بيك يريد الانصراف استدعى الخطيب وقال له من أمرك بالدعاء باسمي على  
المنبر أقبل لك انى سلطان وكان الخطيب يغلب عليه البهه فقال نعم أنت سلطان وأنا أدعو  
لك فأظهر على بيك الغيظ وأمر به فضر به بالعصى وتركوه فركب حمارا لشدة ما أصابه  
من الضرب وسار الى بيته وهو يصيح في الطريق « بدأ الاسلام غربا وسيعود كما بدأ »  
وأكثر من الصياح على هذا الحال فتبعه العامة الى أن دخل بيته فلما علم على بيك بذلك  
خاف العقاب فأرسل الى الشيخ كسوة سنية وبعض دنائير واستعطفه لما وقع منه \* وبعد  
أيام جاء الخبر بولاية الوزير محمد باشا الاورفلى بدلا من محمد باشا راقم الذي مات كما تقدم  
القول فحضر على البر في أهبة وكبكرة عظيمة وقصد الى قلعة الجبل وذلك في أواخر سنة  
اثنين وثمانين ومائة وألف هجرية وجعل يتصرف بقدر الاستطاعة الى سنة ثلاث وثمانين  
ثم عزل وتولى بعده الوزير أحمد باشا فأتى من الاقطار الخجازية الى السويس بالقارنم ودخل  
القاهرة في موكب حافل وهو متوعك ولم يصعد قلعة الجبل وسكن بدرب الحجر أشهر ثم اشتد  
به مرضه فمات في السنة المذكورة

مطلب

ولاية محمد باشا الاورفلى  
ثم عزله وولاية الوزير أحمد  
باشا

واشتدت رغبة على بيك بلاط في الغزو وفتح المدن والامصار لاسيما الديار الشامية  
والخجاز وقد تقدم القول انه كتب الى دار السلطنة يشتكى من ابن العظم ويرميه بالسوء  
فكانت رساله لا تنكشف عن استطلاع اخبار الشام والخجاز وكان يتنى لو أن الله ييسر له فتحهما  
فبينما هو على هذا الحال بين الرجاء والتنى واستطلاع أخبار تلك الاصقاع اذ قدم الى القاهرة  
في المحرم افتاح سنة أربع وثمانين ومائة وألف هجرية الشريف عبد الله من أشرف مكة  
وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد أخى الشريف مساعد منازعة  
في اماره مكة بعد وفاة الشريف مساعد فغلب على الشريف أحمد واستقل بالامارة وخرج  
الشريف عبد الله هاربا الى دار السلطنة مستنجدا فرسم السلطان الى على بيك بلاط بمساعدته  
واعادة الامارة اليه كما كانت فأثرته على بيك منزلا رحبا وأكرم وفادته وفرح فرحا عظيما ورتب  
له المرتبات من ما كول ومشروب وأمر بتجهيز الذخائر ومعدات الحرب وملاء بيوت الأمراء  
الذين قتلوا بالذخيرة وآلات القتال والمؤن واستعرض أصناف العسكر من ترك ومغاربة وشوام  
ومتاوله ودرروز وحضارمة ويمانية وسودان وحباشان ودلاة وغير ذلك وأرسل معهم طوائف

في المقدمات وأنزل المشاة منهم الى القلزم في السفن وسار بقية الجند في صفر من السنة بعد دخول الحاج في تجمل زائد وكبكمة عظيمة ومعهم محمد بيك أبو الذهب وبعض كبار الامراء وسار معهم الشريف عبدالله وقد ودعه على بيك وطيب نفسه فلما التقى الجمعان اقتتلا قتالا عنيفا على الينبع فانتصر المصريون على العرب نصرة مؤزره وهزموهم شرهايمة وقتلوا خلقا كثيرا من الاشراف وقتلوا وزير الينبع العامل عليها من قبل الشريف ثم سار محمد بيك بعسكره حتى اقتربوا من سواد مكة فخرج عليهم قوم الشريف آجد وأصحابه فقاتلهم وانتصر عليهم ودخل مكة عنوة فخرج الشريف منها هاربا فأباحها ثلاثة أيام فنهبوا ما فيها ونهبوا بيت الشريف وبيوت أصحابه وأخذوا شيا كثيرا للغاية من متاع وأموال وجواهر وحلى ونفائس وغير ذلك وأجلس الشريف عبدالله في منصب إمارة مكة وولى حسين بيك أحد الامراء المصريين على ولاية جدة عوضا عن واليها من قبل الدولة وأقام أبو الذهب أياما بمكة حتى استتب قدم الشريف عبدالله ثم سار بعسكره يريد القاهرة ووصلت الاخبار بذلك فخرج للملاقاة الملاقون بالعقبة فلما جاء الخبر بوصوله إليها خرج الأمراء الى بركة الحاج والدار الحجاز لا تنتظاره فدخل في أوائل شهر رجب من السنة وقدم القاهرة في ثمانه في موكب عظيم للغاية وأتى اليه العلماء وأعيان البلاد وقصده الشعراء بالقصائد والتهاني فعلت شهرة على بيك بالاقطار الحجازية وطار صيته في الآفاق \* ولما تكامل ورود عسكره من غزوة الحجاز عزم على أن يوجه بهم لغزو الشام فبدأ بأن أرسل يهد الطرق أمامهم وكان بغزة شيخ لعربانها اسمه طيط طانغية شديد المراس وكان يكره على بيك ويتمنى خذلانه وزوال دولته فسير اليه على بيك رجلا من أعوانه اسمه عبد الرحمن أنما ورسم له بقتله فسار الى غزة في نفر من الجند ولم يزل يتحيل حتى ظفر به وقتله هو واخوته وأولاده وقد كان عقبة كبرى في طريق الشام ثم استكثر على بيك من جمع طوائف الجند واعداد معدات القتال والمؤن والذخائر وجيش جيشا ضخما وسلمه الى اسمعيل بيك ومعه عدة من الامراء فبرزوا الى العادلية بالآلات والاحمال والخيام وأقاموا بها أياما ثم ارتحلوا الى الشام وسار خلفهم جيش آخر بجرا ومقدمه سليمان بيك والتقى الجمعان فقامت الحرب على ساقها بين الطرفين واشتدت وجي وطيسها فتابع على بيك ارسال المدد من جند وسلاح ومؤن وذخيرة في البر والبحر حتى نفذ ما عنده والطلب متواصل فعمد الى مصادرة الناس وأخذ أموالهم بأرذل الطرق وأخس الوسائل وفرض على القرى أموالا وقرر على كل طائفة مائة ريال وثلاثة ريال حق الطريق فضج الناس وتعطلت أسباب الرزق وهاجر البعض وطلب من قبط مصر مائة ألف ريال ومن يهودها أربعين ألفا وضيق وشدد وهدد وبالغ في الوعيد فأخذها جميعها

وسير بعد ذلك جيشا آخر كامل العدد والعدد الى يافا فحاصرها وضيق عليها وما زال منع الواصل اليها متتابعا حتى فحمت وأخذت عنوة ثم ركبوا على باقي المدن والقرى وقتلوا من بها من النواب والولاة وهزموهم ففروا من وجوههم واستولى المصريون على جميع الديار

الشامية الى حلب وطار صيت على بيك وملا الآفاق فداخله الغرور وناقت نفسه الى الغزو  
 والفتوح فأرسل الى محمد بيك أبي الذهب بأمره بتولية الامراء الذين معه المناصب والولايات  
 على البلاد التي ملكوها وأن يستمر على الغزو والفتوح ويتجاوز الحدود ويستولى على كل  
 ما يصادفه من الممالك والبلدان الى حيث شاء الله وهو يتابع ارسال المدد اليه من مال  
 ورجال فجمع أبو الذهب من معه من الامراء والافران وبنار الجند وشاورهم في الامر  
 وأخبرهم بما يريد على بيك فاختلفت كلمتهم وتفرقت أغراضهم وطال الجدل بينهم ثم اتفقوا  
 على الرجوع بجميع العسكر الى مصر وتحالفوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد  
 وساروا من يومهم جأوا القاهرة في رجب من السنة ودخلوها على خلاف مارسم به على بيك  
 فسأه فعلهم واستعظمه جدا وبقي الأمر على السكوت أياما ثم تكلم على بيك مع أبي الذهب  
 في أمر رجوعه الى الديار الشامية لفتح كل ما تبسر له فتمحه من مدنها وأنصارها وشد عليه  
 في ذلك فأظهر محمد بيك عين السخط وعدم الرضا وعارض في الأمر كثيرا فصمم على بيك وقال  
 لابد من السفر فبدأت بينهما الوحشة باطنا من هذا الحين وأخذت في الازدياد يوما عن يوم  
 وجعل كل يراقب الفرص ويتبين وجه الانتفاع بها \* فلما كانت ليلة الرابع من شوال من  
 السنة دس على بيك بلاط الى على بيك الظنطاوي وآخرين معه أن يغتالوا محمد بيك أبو  
 الذهب ويقتلوه على كل حال فركبوا عليه في تلك الليلة وأحاطوا بداره ووقفت العساكر بأسلحتها  
 في الطريق فلما أحس محمد بيك بحضورهم ركب من فوره وخرج من بينهم رابكا والسيف  
 بيده وخلفه خواصه وبعض الاتباع وذهب الى البساتين ثم ارتحل منها الى الصعيد وعلم من  
 بالأقاليم القبلية من الامراء المبعدين بحضوره على هذا الحال فساروا اليه وقدموا له  
 ما عندهم من مال ورجال وقدم له أيوب بيك أحد رفاقه هدايا من خيل وأقشة وخيام وغيرها  
 وقد وضع محمد بيك المذكور بالطريق عيونا وأرصادا لتأتي له باخبار القادمين عليه من مصر  
 فأحضروا له يوما رجلا يحمل مكتابة من على بيك بلاط الى أيوب بيك بأمره بها ويستخفه  
 على سرعة قتل أبي الذهب على أي حال كان ويعده بامارته وبلاده وغير ذلك فلما قرأ  
 المكتابة أكرم الرجل وناولها اياها وقال له اذهب وائتني بجوابه ولك عندي غاية الاكرام فذهب  
 الرجل وغاب ثم عاد بالجواب وناوله الى محمد بيك فقراه فاذا هو يذكريه أنه باذل ما في  
 الوسع وهو يراقب الفرص لينتهزها فتمحق محمد بيك خبث طوية أيوب بيك فجمع اليه  
 خاصته وأمره وأعلمهم بالخبر وأمرهم بالاستعداد والتأهب وأنه اذا حضر أيوب بيك اليه  
 أخذ الامراء نظراءهم من قوم أيوب بيك وتحفظوا عليهم \* فلما حضر اليه أيوب بيك جلس  
 معه في خلوة فقال له أبو الذهب بنا لي أن أسألك هل نحن مقيمون على الاخاء والمصافاة  
 والصداقة والعهد الذي تعاهدنا عليه بالشام قال نعم وزيادة قال ومن نكث وحن اليمين  
 ونقض العهد قال يقطع لسانه الذي حلف به وعينه التي وضعها على المعصوف فقال له  
 بلغني أنه أنك كتاب من عند أسماذنا على بيك فقال لا فقال لعل ذلك صحيح وقد كتبت له



الجواب أيضا قال لم يكن ذلك أبدا ولو أتاني منه خطاب لأطلعته عليه ولا يصح أن أكتبه  
عنه أو أرد له جوابا فأخرج له الجواب واستحضر له ذلك الرسول فسقط في يده وأخذ يتنصل  
بيارد العذر فقال له أبو الذهب لا يصح أن تكون من رفاقي فقم واذهب الى أستاذك واهنا  
به فلما خرج قبضوا عليه وأنزلوه الى مركب وأحاطوا بوطاقه وأسبابه فتفرقت عنه جموعه  
ثم أمر محمد بيك أحد رجاله فذهبوا وقطعوا يده ثم وضعوا صنارة في لسانه وجذبوه ليقطعوه  
كما حكم هو بذلك فأفلت منهم ورعى بنفسه الى الماء فغرق ومات فأخرجوه وغسلوه ودفنوه  
ولما فاض الخبر بما وقع لا يوب بك تحقق الناس استفحال الوحشة بين أبي الذهب  
وأستاذه على بيك وأقبل الامراء والاجناد المنفيون اليه ودخلوا تحت لوائه واجتمع اليه جميع  
اتباع القاسمية والهواره الذين سردهم على بك وسلب نعمتهم فأكرمهم وأنعم عليهم وواساهم  
وقلدهم الخدم والمناصب فتقدموا بخدمته وبنلوا جهدهم في طاعته وأخلصوا له النية فلما  
وردت الاخبار بذلك الى القاهرة نزل بعلي بيك بلاط من القهر والغيط المكظوم مالا يوصف  
وجعل يجيش الجيوش ويعد المعدات وسير اسمعيل بيك أحد اتباعه بجيش عظيم في البر  
والبحر وذلك في أواخر ذى القعدة من السنة فلما التقى الجمعان لم يقع بينهما من القتال  
الا شئ خفيف جدا ثم انضم اسمعيل بيك باكثر جنده الى جند محمد بيك وصاروا جميعا  
على قلب رجل واحد فاشتمد الامر بعلي بيك ولاحت عليه لوائح الغم وكاد يموت قهرا ونحما  
وعاد الى جمع العساكر والاكثر من السلاح ومعدات الحرب وسير سبعة من الصناجق قال  
أحد الكتاب وكلمهم من لقون أي مترفهون متمنعون وضم الى كل منهم عساكر وطوائف  
ومماليك واتباعا وبرز بنفسه الى جهة البساتين ورسم بعمل المتاريس من النيل الى طريق  
الجبل ووضع عليها المدافع وسارت العساكر ومعها على بيك الطنطاوى وبقية الامراء في  
منتصف المحرم افتتح سنة ست وثمانين ومائة وألف فالتقى الجمعان في الطريق حيث كان أبو  
الذهب وقومه متحدرين الى القاهرة واقتتلا عند بياضة أمام بنى سويف ووقعت بينهما مقتلة  
عظيمة انجلت عن هزيمة عسكر على بيك فساق أبو الذهب خلفهم بأصحابه وهم يمانعون عن  
أنفسهم حتى عبروا النيل ووصلوا الى دير الطين وكان على بيك بلاط مقيما به فلما رأى أصحابه  
مقبلين على هذا الحال من الهزيمة والفشل اشتد قهره وتخيير في أمره ولكنه أظهر التجاد  
وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع وأقام الى الغروب على هذا الحال وقد تفرقت عنه  
عساكره من المغاربة وغيرهم ووصل محمد بيك الى شاطئ النيل المقابل لدير الطين ونصب  
صيوانه وخيامه تجاه صيوان وخيام على بيك فنظر اليها على بيك وقلبه يحترق بنار الغيظ ثم  
ركب عند الغروب ودخل من باب القرافة وطلع الى باب العزب فلبث برهة من الليل ثم  
نزل الى بيته وقد عقد النية على الفرار فحمل أجماله وأمواله وعياله وخرج سائرا الى الشام  
وذلك في ليلة خامس عشرى المحرم افتتح سنة ست وثمانين وسار معه على بيك الطنطاوى

وجميع صناعاته وممالكه وأتباعه وطوائفه \* وأصبح يوم الخميس سادس عشر ينة فعلم  
 محمد بيك ابو الذهب بخروج على بيك ومن معه فعب محمد بيك النيل الى الجانب الشرقى وأمر  
 فأوقدوا النار في دير الطين ودمروه تدميرا بعد نهبه ثم دخل المدينة بلا ممانع ونادى أصحاب  
 الشرطة على أتباع على بيك بلاط بان لا يؤوئهم أحد فكانت مدة غيبة محمد بك عن مصر  
 سبعين يوما \* فلما استقر به المنصب أرسل فقتل عبد الله كتحدا الباشا ونادى بإبطال السكة  
 التي كان ضربها على بيك باسمه وكانت قروشا وأنصاف قروش وكلها من النحاس قد صنعها  
 العلم رزق أحد قبط مصر وجعل يتصرف في الامور ويتظر في مصالح البلاد ويعطى المناصب  
 ويفرق الوظائف وغير ذلك \* وبينما هو على هذا الحال من التقص والابرام اذ جاءه الخبر  
 بخروج على بيك بلاط من الشام في جيش عظيم يريد قتال محمد بيك فتهيا محمد بيك للقائه  
 وبرز بخيامه جهة العادلية ونصب صميوانه فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر وجاء  
 الخبر بوصول على بيك بجنوده الى الصالحية فارتحل محمد بيك في خامس صفر سنة سبع  
 وثمانين ومائة وألف هجرية في جيش عظيم للغاية فالتقيا بالصالحية واقتتلا قتالا غنيا جدا  
 فكانت الدائرة على على بيك وأصحابه واصابته جراحة في وجهه فسقط عن جواده فاحتاطوا  
 به وحملوه الى مخيم محمد بيك فخرج اليه محمد بيك وتلقاه بأحسن لقاء وقبل يده وأخذ بيده  
 حتى أجلسه بصميوانه وجلس بين يديه وكان القتلى في هذه الموقعة كثيرين للغاية وقد قتل  
 بينهم على بيك الطنطاوى وسليمان كتحدا وعمر جاويز وغيرهم من كبار جنود على بيك بلاط  
 وكانت هذه الموقعة في يوم الجمعة ثامن شهر صفر من السنة ثم قتل محمد بيك راجعا بعسكره  
 الى القاهرة ومعه أسناده على بيك بلاط وأنزله في بيته الكائن بالازبكية بدرب عبد الحق  
 وحضر الاطباء لعلاجه فلم يلبث الا سبعة أيام ومات قبل انه سم في جراحته ودفن عند  
 أسلافه بالقرافة وزال وزالت دولته العظيمة \* قال أصحاب الاخبار وكان شهما شجاعا مقداما  
 في الحروب داهية طاغية شديد البطش صعب المراس ثابت الجنان سريع الخطاير والانتقام  
 فخلا الجو لمحمد بيك أبي الذهب واتسعت من هذا الحين شهرته وعلت كلمته واستتمت قدمه في  
 منصب الرياسة أو كادت \* وجاء الخبر بعد هذا الحادث بقليل بولاية الوزير خليل باشا  
 على ديار مصر فدخل القاهرة في تاسع عشر وبيع من سنة سبع وثمانين (١) وصعد الى  
 قلعة الجبل في موكب حافل للغاية وكان وصوله من طريق دمياط فجلس في ثاني يوم للناس  
 فدخل عليه أرباب الديوان وأصحاب الوظائف فخلع عليهم الخلع المعتادة وجعل يتصرف في  
 الامور كما سيذكر مفصلا في محله

مطلب

ولاية الوزير خليل باشا

(١) لم أجد فيما راجعته من مذكرات أصحاب التاريخ التي جمعت منها هذا المؤلف اسما لمن تولى مصر من  
 الباشاوات بعد الوزير أحمد باشا الذي قدم من الجزائر في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية الى ولاية  
 خليل باشا هذا التي هي سنة سبع وثمانين فصارت المدة الخالية زهاء خمس سنين والله أعلم اه مؤلفه

قال بعض أهل التاريخ واشتدت رغبة السلطان مصطفى في رده ما أخذه المحاربون من المدن والامصار وجيش لذلك جيشا عظيما وعزم على الخروج به الى الدانوب فلم يتمكن لمرض أصابه ولازم الفراش فاشتدت به علته فلما أحس بقرب أجله استدعى اليه أخاه عبيد الحميد وأوصاه بولده سليم وكان قاصرا ثم مات في سنة سبع وثمانين ومائة وألف هجرية أى سنة أربع وسبعين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وكانت له عناية ومعرفة تامة بالعلوم الرياضية محبا لاهل العلم وله مؤلفات في الرياضة تعرف باسمه وكان شهرا حازما مهيبا أعماله مشهورة للغاية

ومات في أيامه يوحنا بطرك الاسكندرية بعد ان أقام ثمان عشرة سنة واشتد في أيامه على بيك بلاط على النصارى شدة عظيمة وضيق عليهم جدا وصادر الكثير منهم ثم ضرب عليهم غرامة قدرها مائة ألف ريال كما تقدم القول فانبت أعوانه لجمعها وقد عاثوا وأفسدوا وفعلوا مالا خيرا فيه وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر والاحجار الكريمة بأبخس الاثمان وبعثه أقيم بعده مرقس السادس بعد المائة وهو من رهبان دير انبا بولا واسمه سمعان من بلدة قلوصنا وكان في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

ولما مات السلطان مصطفى تولى الملك بعده أخوه السلطان عبيد الحميد بن السلطان أحمد

## (الفصل العشرون)

(في سلطنة السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد)

ثم قام بالامر بعد السلطان مصطفى أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد بويج له بالملك يوم موت أخيه سنة ثمان وثمانين ومائة وألف هجرية أى سنة أربع وسبعين وسبعمائة وألف ميلادية وله من العمر يومئذ خمسون سنة أمضى منها أربعين وأربعين في السجن محجورا عليه لا يجتمع عليه الا بعض الغلمان والاتباع ولا يدري من أحوال الدنيا شيئا فلم تكن فيه الاهلية لسياسة البلاد ولا القدرة على تدبير أمور المملكة في ذلك الحين وقد كانت الاخطار تتمدد لها من كل جانب بسبب الحروب القائمة عليها من الداخل والخارج وكان السلطان مصطفى قبل موته قد جيش جيشا عظيما للزحف به على الروس واسترداد ما أخذ من أملاكه فاخترته المنية قبل ذلك كما تقدم فلما تولى السلطنة السلطان عبد الحميد أمر بانفاذ جيش السلطان مصطفى وبالغ جدا في تنظيمه وأعد له كل ما يحتاجه من ذخيرة وميرة وأسلحة وكراع وكان زهاء أربعمائة ألف وسلم لواءه الى الصدر الاعظم فساروا والتقوا بجيوش الروس واقتتلوا فذبّ الفشل في العساكر العثمانية وانحصروا في مدينة شوملطة لسوء تدبير الصدر

الاعظم وفساد رأيه فحاصرهم الروس وضيّقوا عليهم جدا وكادوا يقتلونهم عن بكرة أبيهم فرأى  
الصدر أن يرسل قائد العساكر الروسية في طلب الصلح فوافقته القائد على ذلك اذ كان كل  
من الطرفين يرى ان لا قبل له على اطالة زمن الحرب فعقدوا مجلسا في مدينة بكرش وحرر  
المرخض العثماني عهدا وأرسل صورته الى دار السلطنة وكان محصل ما في العهد المذكور  
اعطاء الحرية التامة للتتار وبقاء قلعة بكرش ويكي قلعة في يد الروس وحرية سير السفن  
الروسية التجارية في البحرين الابيض والاسود فرضيت دولة الروس بشروط هذا العهد  
وتمسكت بها لاسيما ما جاء فيها من اعطاء التتار حرية فقد كان ذلك ما تمناه وتسعى في الحصول عليه  
وبناء على ذلك تساهلت هي أيضا للدولة العثمانية في كثير من الامور ولكنها كانت طفيفة  
في جانب ما نالته هي \* ولما شاع خبر هذا الصلح في دار السلطنة هاج الناس وماجوا وخشى  
أكابر الدولة شر العاقبة وأنكروا قبول منح الحرية للقريم وسير السفن في البحرين وقالوا الحرب  
والنار ولا هذا العار \* قال بعض كتاب الاخبار وكان قصد الروس من منح الحرية للتتار انما هو ايقاد  
نار الفتنة في القريم وبث روح التعصب والفساد كما فعلوا في لهستان من قبل فاذا تم لهم ذلك  
سهل عليهم الاستيلاء عليها كما استولوا على ايبالتى قزان وازدرهان قال ولم يمنعهم من العمل  
للمستقبل ما هو واقع من الخلل والارتباك الداخلي وعدم استقامة الاحوال فانه لما أخذت  
قيصرتهم كاترينة في ادخال اولاد الناس في صفوف الجنود وأكثرت من المغارم والمكوس  
لنفقة الحروب أبغض الناس الحرب ونفرت قلوبهم منه وولّى الخراب على الكثير من  
مدنها وبلدانها وضح الناس وابتهلوا الى الله بزوال ملكها وأخذت من هذا الحين تدبّل  
نضارة دولة آل عثمان وكادت تزول سلطتها من وراء الدانوب زوالا تاما فاشتمد الامر على  
السلطان عبد الحميد وأعظمه جدا وكان منه ما سيذكر في محله

مطلب  
عزل الوزير خليل باشا  
وولاية مصطفى باشا  
النايلسي

وجاء الامر عقب ولاية السلطان عبد الحميد بقليل بعزل الوزير خليل باشا من ولاية مصر  
وتوليته على جده وقيام الوزير مصطفى باشا النايلسي من دار السلطنة ليتولى على مصر  
فخض مصطفى باشا الى القاهرة في أواخر جمادى الثانية من السنة وطلع الى قلعة الجبل  
وقيل انه سكن بركة القميل \* والثاني أصح \* وجعل يتصرف في الامور فلم يقو على  
ذلك حيث كانت الكلمة والتصرف للامير الكبير محمد بيك أبي الذهب وأصحابه وكان وصول  
مصطفى باشا الى القاهرة والوقت في هدوء والحال في سكون والقلوب مطمئنة والاقوات كثيرة  
والاسعار رخيصة ولكن كما قال الشاعر

وما الدهر في حال السكون بساكن \* ولا يمكنه مستجمع لوثوب

ولما اطمان قلب الامير محمد بيك بسكون الحال بعد موت استاذة على بيك بلاط تاقبت  
نفسه الى غزو الشام واستخلاص ما بيد الظاهر عرو من المدن والبلدان فجيش لذلك عسكرا عظيما  
وبرز بجيماه الى العادلية وفرق الاموال على الامراء والعسكر وسيرهم في البر والبحر وأنزل  
الذخيرة والميرة وأكثر من المدافع والقبائل الكبيرة وسار بنفسه مع هذا الجيش في أوائل

الحرم افتتاح سنة تسع وثمانين ومائة وألف هجرية وسلم الامارة ونيابة الغيبة بمصر الى ابراهيم بيك أحد كبار مماليكه ثم ترك بقية الامراء ولم يصحبه منهم الا القليل فلما وصل مدينة غزة وشاع خبر وصوله خاف أهل البلاد ولم يظهر وا امامه وتحصن أهل يافا وتحصن كذلك الظاهر عمرو بعكا فلما وصل محمد بيك الى يافا حاصرها وضيق عليها وشدد فامتنعوا عليه وحاربوه من وراء السور فخاربهم ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل وواصل الرمي عدة أيام ولما لم يفلحوا يصعدون على الاسوار ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا فلم يزل المصريون يوالون الرمي بالقنابل حتى نقبوا أسوارها وهجموا عليها من كل صوب وحذب وملكوها ونهبوها وقبضوا على أهلها وقيدوهم بالحبال والحديد وسبوا النساء والصبيان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم جعوا الاسرى خارج البلد وذبحوهم ذبح الغنم ولم يميزوا بين صنوف الناس وبنوا من رؤس القتلى عدة صوامع وجوهها بارزة والرياح تنسف عليها التراب ثم ارتحل عنها طالبا عكا فلما بلغ الظاهر عمرا ما وقع لاهل يافا اشتد خوفه وخرج من عكا هاربا وتركها وحصونها فوصل اليها محمد بك ودخلها من غير ممانع وأذعنت له باقى البلاد وأطاعته وهى صاغرة \* فلما دانت له مصر والشام أرسل اسمعيل آغا الى دار الخلافة بهدايا وأموال عظيمة جدا ملتصا امارة مصر والشام وكان السلطان يخشى استقلال محمد بيك بملك البلاد والخروج عن طاعته فأجابه على الفور الى ما طلب وأرسل اليه مع رسوله تقاليد الولاية وانخلع والبندق والداقم وجاءت له الاخبار بذلك ووردت عليه البشائر بتمام الامر فوافاه ذلك يوم دخوله عكا فامتلا فرحا ختم بدنه في الحال فأقام مجوما ثلاثة أيام ومات ليلة الاربعاء ثامن ربيع الثانى من السنة ووافى خبر موته دار السلطنة قبل قيام الرسول الذى كان يحمل التقاليد فانتقض الامر وردت التقاليد وفرح السلطان بموته \* وكان قد جمع اليه قبل موته الامراء ومقدمى الاجناد وأعلمهم بعزمه على السير الى الامام وفتح ما يفتح الله به عليه من المدن والبلدان فشق الامر عليهم جدا اذ كانوا قد سئموا الحرب والابتعاد عن الاوطان فلم يجاوبوه بشئ خوفا منه \* قال ناقل هذه الرواية وأقنا على ما نحن عليه من الغم والكمد الثلاثة الايام التى تعرض فيها وأكثرنا لا يعلم بمرضه ولا يدخل اليه الا بعض خواصه ولم يذكره مرضه الا فى اليوم الثالث قالوا انه منحرف المزاج فلما كان فى صبح الليلة التى مات فيها نظرنا الى صيوانه وقد انهدم ركنه وأولاد الخزنة فى حركة ثم زاد الحال وجرى السيوف بعضهم على بعضهم بسبب المال وظهر أمر موته وارتبك العسكر وحضر مراد بيك فكفهم عما هم عليه وجمع كبراءهم فى الحال وشاورهم فانفق رأيهم على الرحيل الى مصر فقاموا وقد غسلوا جثته وكفنوها ولفوها فى أقشنة مخيطة وجعلوها على عربة وساروا طالبين الديار المصرية فدخلناها بعد ستة عشر يوما وكان دخولنا فى ليلة الاربعاء الرابع والعشرين من ربيع الثانى فأرادوا دفن الجثة بالقرافة فحضر الشيخ الصعيدي وأشار بدفنه فى مدرسته تجاه الازهر فحفروا له قبرا بالليون الصغير الشرقى وبنوه ليلة فلما

أصبحوا خرجوا بجنازته من يتيه الذي بقوصون ومشي امامه المشايخ والعلماء والامراء  
وجميع الاحزاب وأولاد المكاتب وامام نعشه مجامر العنبر والعود لاختفاء رائحة نتنه حتى  
واروه التراب اه واستقر أتباعه أمراء البلاد المشار اليهم في الحل والعقد ومقدمهم ابراهيم  
بيك ومراد بيك وكانت عدتهم ستة عشر أميراً

مطلب

عزل مصطفى باشا وولاية  
الوزير ابراهيم باشا عرب  
كرلى وموته وولاية محمد باشا  
المعروف بالعزتلى الكبير

ووردت الاخبار بعزل مصطفى باشا النابلسي و ولاية الوزير ابراهيم باشا عرب كرى  
فدخل القاهرة وسافر مصطفى باشا في أواخر جمادى الثانية سنة تسع وثمانين ومائة وألف  
هجرية الى جدة ومات بالمدينة وكان وصول ابراهيم باشا المذكور الى القاهرة رابع شعبان  
سنة تسع وثمانين فنزل بامبابه وأقام بها ولم يكن له من الولاية سوى الاسم فقط والتصرف  
لابراهيم بيك ومراد بيك وما زال بامبابه حتى مرض ومات فدفن بالامام الشافعي وتولى بعده  
الوزير محمد باشا المعروف بالعزتلى الكبير فدخل القاهرة في يوم الخميس سابع عشر ربيع  
الاول سنة تسعين فكان كمن سبقه محجورا عليه في جميع أعماله ليس له من الولاية الا الاسم  
فقط والتوقيع على القصص والجلوس في صدر الديوان \* ولم تكن لتسكن الفتن يموت على  
بيك بلاط واسماعيل بيك الكبير حتى ظهرت فتنة أخرى بالجامع الازهر واشتدت نارها وارتفع  
لهيها وكان سبب ذلك ان طائفة من المغاربة المجاورين بالازهر آل اليهم مكان موقوف فطلبوا  
استلامه واستغلاله فمانع واضع اليد وطعن في الدعوى واستعان بالامير يوسف بيك من  
الامراء المقدمين ودافع عن المكان المذكور فرفع المغاربة أمره الى القاضى وترافعوا امامه  
فظهر الامر على خلاف ما يشاء يوسف بيك فحق لذلك ووسمهم بالغش وارتكاب الباطل  
وأرسل جماعة من أصحابه ليقبضوا على الشيخ عباس أحد المغاربة العاملين في هذه القضية  
فطردهم المجاورون وسبوهم ولم يمكنوهم منه وأخبروا الشيخ الدردير بما جرى فكتب الشيخ  
الى يوسف بيك ينعه من التعرض لاهل العلم ومعاندة الحكم الشرعى وأرسل المكاتبه صحيفة  
اثنين من المشايخ فلما قرأ الرسالة غضب وأمر بالاثنين فقبضوا عليهما وأودعوها ما السجن  
فوصل الخبر الى الشيخ الدردير وأهل الجامع فاجتمعوا في صبح ثانى يوم وأبطلوا الدروس  
والاذان والصلوات وقفوا أبواب الجامع وجلس المشايخ بالقبلة القديمة وصعد الصغار على  
المنارات يكثرون من الصياح والدعاء على الامراء وأصحابهم وأغلق أهل الاسواق القريبة  
الخوانيت وبلغ الامراء الخبر فأرسلوا الى يوسف بيك فأطلق المسجونين وأرسل ابراهيم  
بيك الى المشايخ بملازمة الهدوء والسكون فلم يلتفتوا لقوله وسبوا رسوله فحضر الانا الى  
الغورية ونادى بالامان وفتح الخوانيت فبلغ مجاورى المغاربة ذلك فذهب اليه جماعة منهم  
وتبعهم العامة والغوغاء وبأيديهم العصى والمساق وضربوا أتباع الانا ورجوا بالبخارة فركب  
الانا عليهم وركبت مماليكه والسيوف بأيديهم فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة وجرح منهم  
ومن العامة كذلك وبقى الهرج الى ثانى يوم فحضر اسماعيل بيك والشيخ السادات وعلى كتحدا  
الجاويشية وحسن أنما أعاء المتفرقان وغيرهم ونزلوا بالاشرفية وأرسلوا الى الجامع بانفضاض

الجمع وتمام المطلوب وكان ذلك عند الغروب فلم يرضوا وطلبوا الجماكي والمرتببات المتأخرة  
 فرجعوا وأصبحوا والهرج في ازدياد فعاد اسمعيل بيك ومعه الشيخ السادات وجلسا بالجامع  
 المؤيد وأرسل إلى المشايخ على يدي الشيخ ابراهيم السنديوي بان اسمعيل بيك المشار اليه قد تكفل  
 بقضاء أشغال المشايخ وقضاء جميع حوائجهم وقبول فتواهم واعتبارها معمولا بها على كل حال  
 مع صرف جساكهم وجميع مرتباتهم المتأخرة وان الضامن له في ذلك الشيخ السادات فلما  
 وصل الشيخ السنديوي ومعه الكتاب قرأه الشيخ عبد الرحمن العريشي على رؤس الملا وهو  
 قائم على الاقدام فلما سمعوه أكثروا الهرج والجلبة وعلت أصواتهم وقالوا لا تقبل بذلك  
 وترددت الرسل بين الفريقين بطول النهار ثم وقع الصلح وفتحت أبواب الجامع وعادت أمور  
 إلى ما كانت عليه وبعثوا لهم في ثاني يوم مبلغا برسم الجماكي وقد اشترطوا عدم مرور  
 الاغا والوالي والمحاسب من حارة الازهر وغير ذلك من الاشرطيات التي لم يتم منها شيء البتة  
 \* ولما سكنت الفتنة اتبع الاغا كل من كان له يد فيها من أولاد البلد فجعل يقبض عليهم  
 واحدا فواحدا ويقتلهم خنقا وتعريقا ودفنا تحت التراب

ووقعت الوحشة بعد هذا الحادث بقليل بين اسمعيل بيك وبين مراد بيك الكبير  
 لاسباب يطول شرحها فخرج اسمعيل بك مغضبا يريد العادلية مرتحلا عن مصر فخرج  
 خلفه ابراهيم بيك الكبير وطيب خاطره وأرجعه فعاد وهو في غيظ ولبث أياما والوحشة  
 ضاربة أطناجها بينه وبين مراد بيك فعمد مراد بيك إلى قتله واتفق مع جماعة من قومه على  
 ان يركبوا عليه ويقتلوه في بيته وعينوا لذلك يوما معلوما فعلم اسمعيل بيك بخفي سرهم وخاف  
 على نفسه فحمل أثقاله وجمع متاعه وركب في الصباح إلى العادلية وجلس بالازبكية  
 وركب مراد بيك ومر بنزل اسمعيل بيك ليخبره فوجدته قد خرج إلى الازبكية وكان  
 ابراهيم بيك الكبير قد ذهب في هذا اليوم إلى قصر العيني فبلغه خبر خروج اسمعيل بيك  
 فخشى عاقبة خروجه وشاع الخبر بذلك فخرج خلفه كثير من الامراء الناقين على مراد بيك  
 وابراهيم بيك وكانت عدتهم خمسة أمراء وطلقوا به بالعادلية وعلم ابراهيم بيك ومراد بيك بذلك  
 فركبا لساعتهما وركب معهما بعض الامراء من خواصهما وصعدوا إلى قلعة الجبل وملسكوا  
 الابواب واستنفاض الخبر فكثرت الهرج وتوارد الامراء إلى الرملة واضطربت المدينة وأغلق  
 الناس الدكاكين وأقفلت أبواب البيوت وانقطع الناس عن الخروج واستمروا على ذلك  
 أربعة أيام بلياليها وخرج الكثير من أهل القلعة سرا وطلقوا بالامير اسمعيل بيك ويوسف  
 بيك ومن معهما فأرسل لذلك أهل القلعة ابراهيم أغا الوالي فجلس بباب النصر لمنع خروج من  
 يريد الالتحاق بأصحاب اسمعيل بيك وأغلق الباب ونزل الباشا إلى باب العزب فحضر قاسم  
 كتحدا أمين البحرين وعبد الرحمن أغا وهما من أصحاب الامير اسمعيل بيك ومعهما آخرون  
 إلى باب النصر وفتحوا الباب عنوة وطرردوا الوالي ومن كان معه وملسكوا الباب فأرسلوا لهما  
 جماعة من العسكر المغاربة فاقتتل الفريقان وتفرق أصحاب اسمعيل بيك وجرح كثير من

المغاربة وانتشر أصحاب اسمعيل بيك حوالى القاهرة ومصر وسارت طائفة منهم الى بولاق  
القاهرة فصادفوا فريقا من العسكر يحمل علوفة الخيل التى بالمعسكر فهجموا عليهم وفرقوهم  
وأخذوا ما كان معهم من قول وتين وتوجه فريق منهم أيضا الى المقطم فاشتد الحال وعظمت  
الفتنة وحاف الباشا شر العقاب فسمى فى تدارك الامر قبل استفحال الخطب وأرسل الى  
اسمعيل بيك فى طلب الصلح فلم يقبل فراجعه وأرسل ولده اليه وكتناه مرارا فلم يقبل

ودخل فى ثانى يوم عبد الرحمن أغا من باب النصر وممن وسط المدينة وامامه المنادى  
ينادى على أصحاب الخوانيت برفع بضائعهم والتخذر فرفع الناس ما بقى منها ولم يزل سائرا  
حتى وصل الى باب زويلة ونزل بجوامع المؤيد ورتب عسكرا هناك على السقائف والاسبله  
ثم سار من هناك فى جند كثير الى باب زويلة ومنه الى درب الاجر الى جامع المرادى  
وزحفوا الى التبانة وعملوا متاريس بالقرب من الحجر ووضعوا بها عسكرا وكذلك فعلوا  
بناحية سويقة العزى فنزل اليهم بعض الجند الذين بالقلعة وأطلقوا عليهم النيران  
فدفعوهم برى البنادق وقطعوا الطرق على من كانوا بالقلعة الى ما بعد عصر اليوم فنزل  
اليهم بعض الفرسان المدرعة فحملوا عليهم وهزموهم أيضا وقتلوا منهم جماعة ورجع من  
بقي منهم الى القلعة على أعقابهم وما دخل غروب اليوم حتى انفصل عن القلعة جميع  
العسكر المغاربة وحملوا سلاحهم وانحدروا وانضموا الى من كانوا بالحجر من أصحاب اسمعيل  
بيك ولاحت على أصحاب ابراهيم بيك ومراد بيك لوائح الخذلان وأصبحوا وقد دخل جماعة  
كثيرة من أصحاب اسمعيل بيك الى المدينة ورابطوا فى جميع الجهات حتى انحصر من بقلعة  
الجبل ولم يبق خلاصهم سبيل وأخذوا يتقنون الاسوار فلما أحسوا بذلك وأيقنوا بالهزيمة  
انحدر ابراهيم بيك ومراد بيك وجماعة من الامراء ليللا من باب الميدان ونهبوا جهة  
البساتين الى الاقاليم القبلية وتخلف منهم جماعة فخرجوا الى اسمعيل بيك وخليل بيك وطلبوا  
الامان فلما شاع خبر هروب ابراهيم بيك ومراد بيك هجم المرابطون بالحجر وسوق السلاح  
على الرميثة ونهبوا جميع خيامهم التى كانت بها بالميدان ولم يستر كوا شيئا حتى  
ولاجمال الباشا ودخل اسمعيل بيك ويوسف بيك بعد العصر من ذلك اليوم من باب  
النصر فى عسدة من الجند والمماليك والاتباع وسارا الى بيوتهما وأصبح ثاى يوم فسار  
عبد الرحمن أغا فى الشوارع ونادى بالامان والبيع والشراء فزال عن الناس بعض الخوف  
\* ولما كان يوم الأحد ثاى عشرى جمادى الثانية من السنة أى سنة احدى وتسعين صعد  
اسمعيل بيك ويوسف بيك الى الديوان فى كبكبة وزينة فخلع عليهما الباشا خلعتى سمور وولى اسمعيل  
بيك مشيخة البلد بدل ابراهيم بيك فتصرف وجعل يفرق المناصب العالية بين أصحابه وأصحاب  
يوسف بيك واتباعهما وقبضوا على الكثير من الامراء وأصحاب الوظائف على عهد ابراهيم بيك  
وأبعدوهم الى أقاصى البلاد ولم يلبث اسمعيل بيك ويوسف بيك طويلا على الاخاء والمودة حتى



قامت بينهما الشكناة وتبدل ودهما جفاء فجعل اسمعيل بيك يتدبر في قتل يوسف بيك وما زال على هذا العزم حتى أرسل اليه جماعة من اتباعه الاخضاء ليقنوه في بيته فدخلوا عليه فوجدوه جالسا بالمقعد المطل على البركة جلس أحدهم أمامه وجلس آخرون على شماله وجماعة بقوا واقفين يحادثونه ساعة لطيفة في أمر من الامور وتناقشوا مع بعض بحدة فتأخر عنهم الواقفون من المماليك والجناد فسحب أحدهم وهو عبد الرحمن بيك خنجرا وطعن به يوسف بيك فهم يوسف بيك ليدفع عن نفسه فداس على قروة من كان جالسا بجانبه فسقط على ظهره فقاموا عليه جميعا وضربوه بسيوفهم وأطلق أحدهم طنبجة على الواقفين من الخدم والاتباع ففروا من امامهم فنزلوا مسرعين من القميطون الموصل الى البركة وركبوا وذهبوا الى اسمعيل بيك وأخبروه بالخبر فركب في الحال وصعد الى قلعة الجبل وأرسل الى الباشا وكان بقصر العيني يمتز به فركب من هناك وصعد الى القلعة وجلس بباب العزب مع اسمعيل بيك فلما بلغ أصحاب خليل بيك واتباعه خبر موت أستاذهم تلك الليلة ركبوا وخرجوا من المدينة يريدون الصعيد فاركب اسمعيل بيك خلفهم جماعة فلم يدركوهم فأرسل الى من تخلف منهم فاختفوا ثم خرجوا ولحقوا بمن فر \* وجاءت الاخبار في هذه الاثناء بعزل محمد باشا العزتي وولاية الوزير اسمعيل باشا فدخل القاهرة في يوم الاثنين سادس ذى القعدة من السنة وصعد الى قلعة الجبل في موكب حافل ودخل عليه اسمعيل بيك الكبير وباقى الامراء فخلع على اسمعيل بيك خلعة سمور وأقره على مشيخة البلاد وتبدير الدولة والتصرف في الامور فرسم اسمعيل بيك بعد ذلك بجمع العسكر والجنود لقتال من هرب من أصحاب يوسف بيك ومن انضم اليهم من الامراء الهاريين بالاقليم القبلية واهتم بذلك وسلم قيادة هذه الحملة الى اسمعيل بيك الصغير وبرز العسكر الى البساتين ونصبوا خيامهم أياما ثم ساروا في البر والبحر فالتقى الجمعان عند بياضة تجاه بني سويف واقتتلا قتالا عنيفا انكشف عن هزيمة أصحاب اسمعيل بيك وتزيق جمعهم فرجعوا الى القاهرة على الاعقاب ودخلوها في أسوأ حال وأخذت جميع خيامهم وأسلحتهم ومراكبهم وكانت نيفا وخسمائة وكان مقدم عسكر اسمعيل بيك في حراقة صغيرة فلما انهزم العسكر انحدروا الى القاهرة وكذلك بقيت الامراء انحدروا فيما لحقوه من المراكب وكان اسمعيل بيك بالقساط فلما علم بخبر حضورهم على هذا الحال من الهزيمة حزن حزنا كبيرا وأحس بزوال دولته ونزل الباشا من قلعة الجبل وخرج الى الآثار ونادوا في الناس بالنفسير العام فخرج القاضي والمسايخ والتجار وأرباب الصنائع والمغاربة وأهل الحارات كافة وأغلقت الاسواق حتى ملؤا الفضاء فلما عين ذلك اسمعيل بيك وعلم انهم يحتاجون الى المال والميرة فضلا عن الذخيرة اختار منهم طائفة المغاربة والترك وصرف من بقي من العامة وأرباب الحرف والمسايخ وأصحاب الاشار والفقراء ووصل الامراء من الصعيد الى حلوان وتعلقت آمالهم بالاستيلاء على مصر والقاهرة بعد تلك النضرة العظيمة التي اتصروها فأرسل اليهم اسمعيل بيك جيشا عظيما من الترك والمغاربة

مطلب

عزل محمد باشا العزتي  
وولاية الوزير اسمعيل باشا

ومعهم المدافع الكبيرة فنصبوا مترايسهم ما بين التبين وحلوان تجاه العدو وركب في ليلتها اسمعيل بيك وأمرؤه وأجناده وكان الباشا قد استخضر من ثغر دمياط مركبا حربيا يحمل خساوعشرين مدفعا وكان ربانه ذا خبرة تامة بالحرب وفنونه اسمه حسن الغاوى فأفلق به ليلا تجاه المعسكر وارتفع حتى تجاوز مراكب العدو وأطلق المدافع على معسكرهم برا وعلى مراكبهم بجرا وساق جميع المراكب بما فيها واشتد الجلال بين الفريقين فكانت موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الامراء أعداء اسمعيل بيك وانهمزوا شرهازية وهرب ابراهيم بيك الكبير ولم يظهر مراد بيك الكبير بسبب جراحته وهم أصحاب اسمعيل بيك على خيامهم ومعسكرهم فنهبوه جميعه وفر من بقي منهم الى الاقاليم القبلية فساقوا خلفهم فلم يدر كوههم ودخل اسمعيل بيك بعساكره القاهرة منصورا مؤيدا ولم تكن لهم هذه النصرة في حساب فكان رجوعهم في يوم الاربعاء غرة شعبان من السنة

واستوحش اسمعيل بيك الكبير من اسمعيل بيك الصغير بعد ذلك حيث ظهر عليه في أحكامه وأوامره فكان كلما أصدر أمرا عارضه فيه وردته عنه بل عمل على خلافه حتى ظهرت كلمته وعلت وتراحم الناس على بابه وأقبل اليه أصحاب النظلمات والدعاوى وانضم اليه الكثير من الكشاف والامراء وحدته نفسه بالانفراد والاستقلال بحكم البلاد فأسس ذلك منه اسمعيل بيك الكبير فتركه شأنه وأظهر انه رمد بعينيه وانقطع عن الخروج من أول شهر رمضان ثم خرج في أواخره الى زيارة السيد أحمد البدوي ثم رجع وجمع اليه خواصه وشاورهم في أمر قتل اسمعيل بيك الصغير وكشفهم بما في نفسه فانفقوا على قتله ودبروا لذلك تدبيرا \* فلما كان ليلة التاسع والعشرين من رمضان ركبوا في آخر الليل ومعهم طائفة من العساكر والاجناد وأحاطوا ببيت اسمعيل بيك المذكور فأحس بهم وركب في مماليكه وخرج فوجد الطرق كلها مزدجة بالجند فدخل من عطفة القرن يريد الفرار وخرج الى قنطرة عمر شاه فوجد الجند امامه وخلفه فصار يقاتلهم ويدفع عن نفسه من عطفة الى عطفة حتى وصل الى عطفة البيدق وقد أصيب بضربة سيف على كتفه وسقطت عمامته وصار حاسر الرأس والدم يسيل منه الى أن وصل تجاه درب عبد الحق بالازبكية فلقمه عثمان بيك أحد خواص اسمعيل بيك الكبير فرده وسقط عن فرسه فاحتاطوا به ونزل على دكان أحد السوقة وهو في أسوأ حال فعصموا رأسه بعمامة رجل جمال كان في الطريق ووجه عثمان بيك الى بيته وتركه وذهب الى اسمعيل بيك فأخبره بخبره فخلع عليه فروة سمور وأعطاه فرسا مرخنا وأمر الوالى فذهب اليه وقتله خنقا ثم وضعوه في تابوت وأرسلوه الى بيت صغير كان له فبقى به الى الصباح فأخرجوه ودفنوه بغير احتفال بجنازته \* ورسم اسمعيل بيك بالقبض على أشياخ اسمعيل بيك المقتول وأنصاره وإبعادهم الى أقاصى البلاد فأبعدوا منهم جماعة كثيرة وصادرهم وقتلوا منهم آخرين بعضهم ببولاق القاهرة وبعضهم بغيرها \* ولم يطمئن قلب اسمعيل بيك الكبير بموت اسمعيل بيك الصغير وتشريد أنصاره حتى جاءه الخبر باشتداد أذرى

الامراء الهاربين في الاقليم القبلي واستفحال أمرهم وانهم تملكوا جميع البلاد التي  
من جرجا الى فوق وقبضوا الخراج ومنعوا ارسال الغلال فأخذ اسمعيل بيك في تحميش  
الجيش وإعداد المعدات وضرب لذلك المغارم على القرى فجعل على كل قرية منها ثلثمائة  
ريال وأمر جميع الامراء بالتأهب والاستعداد للخروج وخرج هو الى دير الطين يريد  
السفر وكذلك رسم الباشا لجميع الامراء وأرباب المناصب العسكرية فخرجوا جميعا  
ونصبوا خيامهم عند معادى الخبيري ونزل الباشا من قلعة الجبل وجلس بقصر العيني  
وساروا وسار معهم اسمعيل بيك وقد ترك بالقاهرة جماعة من الامراء من خواصه الذين  
يعتمد عليهم ورسم لمقادم الابواب بأن يطوفوا فكانوا يطوفون بالاجناد في الحارات ليلا ونهارا \*  
فلما وصل اسمعيل بيك بعسكره الى منية ابن خصيب لم يجد للعدو بها أثرا وعلم انهم  
ساروا الى مدينة أسيوط ومعهم اسمعيل أبو علي أحمد بكار الهوارية فسار لقتالهم وبينما هو  
يجد السير الى أسيوط جاءه الخبر من القاهرة باتحاد جماعة من الامراء الذين تركهم بها لتدبير  
أمورها على الانضمام الى ابراهيم بيك ومراد بيك وكان زعيم هذه العصبة حسن بيك الحداوي  
ومعه جميع أصحابه ووافقهم على ذلك أيضا حسن بيك سوق السلاح وأجد بيك شنن وأصحاب  
القلاع بأسرهم فلما تحقق ما وراء ذلك هاله الامر جدا وركب من ساعته بمن معه وانحدر  
يريد القاهرة وجد حتى دخلها فلم يشعروا الا وهو في وسطهم وبات ليلته وأصبح فأمر بمنع  
المعادى من التعدي وصعد في ثلثي يوم الى قلعة الجبل وعقد الديوان بمحضرة الباشا فاجتمع  
جميع الامراء وأرباب الوجقات والمشايخ وتكلموا في أمر قتال المحاربين وفيما ظهر من  
القننة بالقاهرة وطال الكلام بينهم فلم يتفقوا على أمر ما وتفرقوا وأخذوا في توزيع متاعهم  
وقد اضطربت أحوالهم وأصبح اسمعيل بيك وقد جمع تجار البهار والمباشرين من الاقباط  
وطلب منهم مالا قرضه لنفقة الحرب وشدد في الطلب وأرهب وتوعد \* وبينما هو على  
هذا الحال اذ جاءه الخبر بوصول طلائع أصحاب ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك الى البساتين  
وأن قد وصل بعضهم الى الجيزة فلما تحقق ذلك وقد كان على أهبة الفرار أمر اتباعه بحمل  
متاعه والخروج به خملوه وخرجوا تباعا من بعد العصر الى الساعة الرابعة من ليلة الثلاثاء  
رابع عشر المحرم من السنة أى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف هجرية ونزلوا بالعادية  
وخرج معه جميع خواصه من الامراء والمماليك والاتباع وبات الناس تلك الليلة في  
وجل ماعليه من مزيد وأصبحوا فعلوا بخروجهم فاندفعت عند ذلك العامة على بيوتهم  
ونهبوا ما وجدوه فيها أما هم فانهم ساروا في صبح اليوم قاصدين الديار الشامية وزالت  
دولة اسمعيل بيك المذكور فكانت مدة تصرفه في الامارة على مصر في هذه المرة ستة أشهر  
وأيا ما لا غير

وعلم ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك بخبر خروج اسمعيل بيك من القاهرة فغير مراد بيك  
ومصطفى بيك وآخرون النيل في ذلك اليوم الى مصر القديمة ومروا من وسط المدينة ونودي

بالامان وأرسل ابراهيم بيك يطلب من الباشا الامر بدخولهم القاهرة فأرسله اليه صعبه واده  
 وكتخذاه فدخل ابراهيم بيك وبات ليلته تلك بقصر العيني وكذلك بقيت الامراء ثم ركب  
 ابراهيم بيك الى بيته ومعه اسمعيل أبو علي أحد بكار الهواره وأصبحا وقد صعدا الى قلعة  
 الجبل فقابلهما الباشا وخلع عليهما خلع القدوم ثم استدعى الباشا ابراهيم بيك ثانية وخلع  
 عليه وأقامه في منصب مشيخة البلد كما كان من قبل فلما استقرت بها سلم الوظائف العالية  
 الى أصحابه وخواصه فانقسم من هذا اليوم الامراء بمصر الى قسمين الاول أصحاب حسن  
 بيك الجداوى ومن كان معه من الامراء الذين نكثوا العهد مع اسمعيل بيك الكبير وانضموا  
 الى عصابة ابراهيم بيك ومراد بيك كما تقدم وسمى هذا القسم بالعلوية والثاني أصحاب ابراهيم  
 بيك ومراد بيك الاولين وسمى بالمحمدية فكان فريق العلوية شامخ الانف على الحمدية  
 يرى المنة لنفسه والفضيلة لانه لولا ما بدا منه من الانحراف وخذله اسمعيل بيك ما دخل  
 الحمدية قط الى مصر ولعادت اليهم الامور فكان الحمدية لا يتصرفون في امر من الامور  
 الا باذن من العلوية وبرأيهم فكانوا مغلوبين على أمرهم محجورا على تصرفهم \* واتفق  
 ان حضر بعد قليل من الايام ابراهيم بيك أوده باشى وهو ممن كانوا هربوا الى غرقة مع اسمعيل  
 بيك الكبير وكان قد طلب الاجازة بالرجوع فأذنوا له فدخل بيته واعتزل عن الناس ولبث  
 منكسرا أياما ثم لبث بعدها الا قليلا حتى اتهمه رضوان بيك بالموالسة وانه انما هو  
 جاسوس من قبل اسمعيل بيك وعمل على تبعده فاستجار أوده باشى المذكور بمراد بيك والتجأ  
 اليه فظمن خاطره وخفف عنه وهون عليه فترك ذلك ساكنا في قلوب العلوية وفتت الوحشة  
 بينهم وبين الحمدية وأخذت تزداد يوما عن يوم الى أن خرج مراد بيك يوما ومعه بعض  
 خواصه الى ضرب النشاب فجعل يكلمهم في أمر العلوية وتصديهم لسائر الامور وتعليمهم عليها  
 وغير ذلك ويظهر الغيظ والكيد فبينما هو على هذا الحال اذ أقبل عليه عبد الرحمن بيك وعلى  
 بيك الحبشى وهما من العلوية وجلسا عنده برهة فلما أرادوا الانصراف أشار مراد بيك الى بعض  
 أتباعه بأن اقتلها فوثب عليهما وطعن عبد الرحمن بيك فقتله وهرب الحبشى واخفق  
 في بعض الأشجار فسروا به ولم ينظروه فركب مسرعا ودخل على حسن بيك الجداوى  
 وأخبره بما جرى فجمع حسن بيك أصحابه وخواصه وجميع الامراء المنكثين معه  
 وشاورهم في الامر فاتفقت كلمتهم على القتال والتترس في بيت الجداوى فترسوا به وعملوا  
 متاريس أيضا بباب زويلة وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة وجاء الخبر الى  
 مراد بيك بما هم عليه من التأهب للقتال فجمع أصحابه وخواصه وكانوا عدة كبيرة وركب  
 ابراهيم بيك الكبير من قبة العزب وصعد الى قلعة الجبل وملك الابواب وصوب المدافع نحو  
 بيت الجداوى بالداودية وانتشبت الحرب بينهم طول النهار فأغلقت الاسواق وأقفلت كافة  
 الدكاكين وبنوا على ذلك ليلة الاحد وأصبحوا واطلاق المدافع والبنادق متتابع وهم  
 ينحفون على بعضهم تارة ويتهقرون أخرى ويتقبون البيوت على من يكون داخلها منهم

فسقطت بسبب ذلك عدة دور وتمهدت بأصحابها فبات خلق كثير تحت الردم وكثر النهب والحريق والقتل واختل النظام فتناولت أيدي العامة الى أصحاب البيوت وقام الخصم على خصمه فقتله من غير مراقب ولا ممانع وتسلق جماعة من الحمديّة من الخليج وسعدوا الى جامع الحين من بين المناريس وفتحوا بيت عبد الرحمن أتما من خلف وملكوه ووضعوا عليه المدافع ورموا بها على بيت الجداوى تباعا فأيقن العالوية بالغبسة وأحسوا بالهزيمة فركبوا وخرجوا من باب زويلة الى باب النصر فركب خلفهم الحمديّة وأعلموا في أقيمتهم السيف فقتلوا منهم خلقا ومات أغلب بكارهم وهرب حسن بيك الجداوى ورضوان بيك وكان ذلك وقت القائلة من يوم الاحد وكان يوما شديدا الحر ولم يمّت أحد من الحمديّة بجراحة سوى مصطفى بيك الكبير بعد أيام فلائيل

وسار حسن بيك ورضوان بك في طائفة قليلة على وجوههم هاءين فخرج عليهم جماعة من العربان وقتلوهم قتالا شديدا وهزقوهم فتخلص رضوان بيك وذهب بمخاصته الى شبين الكوم وتبع العربان اثر حسن بيك الجداوى وضيقوا عليه المسالك حتى قبضوا عليه وأخذوا ما معه وجرده وشدوا وثاقه ثم قادوه بينهم ماشيا على أقدامه وهو حاف وأرسلوا الى الامراء بمصر من يخبرهم بخبره فبعث اليه ابراهيم بيك بمن يستحضره فسار معه حتى دخل القاهرة ثم أفلت منه وسار الى بولاق ودخل الى بيت الشيخ أحمد الدمنهورى فرجع الرسول وأخبر بذلك فركبت طائفة من الحمديّة وذهبوا الى دار الشيخ الدمنهورى وطلبوه فامتنع من تسليمه فلم يجسروا على أخذه قهرا واشتد به الخوف فصعد الى سطح البيت وتسلق الى سطح آخر ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكنان فصادف بعض المماليك فضربه وأخذ حصانه وركبه وذهب مسرعا يريد النجاة فشاع خبره فركبت الجند خلفه وستدوا عليه المسالك وهو يدافع ولم ير للوصول الى الفضاء سبيلا فعاد الى المدينة ثانيا وذهب الى بيت ابراهيم بيك وكان جالسا مع مراد بيك فاستجار براهيم بيك فأجاره وأمنه ولبث في بيته خمسة أيام وهو مفقود الشعور فلما أفاق وحسنت حاله رسموا له بالذهاب الى جدة وبعثوا به الى السويس في محفنة فلما نزل بالمركب وأقلعت به طلب من ربانها أن يذهب به الى القصير فامتنع الربان من ذلك فتهدهه بالقتل فسار به وأنزله هناك فترفع الى الصعيد واختفى خبره ثم أمر ابراهيم بيك ومراد بيك بتبعيد من يق من العالوية فأبعدهم الى رشيد ودمياط وشبين وغيرها ثم سيروا جماعة فقتلوهم جميعا ولم يبقوا على أحد منهم \* ولم تكذب تسكن الفتنة حتى أحس ابراهيم بيك الكبير بانحراف من الباشا وتدلّس مع اسمعيل بيك الكبير فاجتمع بمراد بيك وكله في ذلك فاتفقت كلمتهما على تنزيله من قلعة الجبل والجر عليه فأرسلوا له أرباب الوجاقات يأمرونه بذلك وان يسكن في بيت حسن بيك الجداوى بالداودية فامتنع فأمر ابراهيم بيك الجند بالركوب عليه فطلعوا الى حوش القلعة فلما علم الباشا بحضورهم خاف ونزل من ساعتها الى الداودية فأنزلوا خلفه خدمه ومتاعه في ذلك اليوم وهو

وهو يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الثانية من السنة أى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف هجرية فكانت ولايته سنين وثلاثة أشهر

مطلب

خلع الوزير اسمعيل باشا  
وولاية اسمعيل باشا الثاني

وجاء الخبر بولاية اسمعيل باشا (لعله اسمعيل باشا الثاني) فذهب اليه الملاقون وأرباب العكاكيز وأصحاب المناصب فحضر في يوم السبت خامس المحرم افتتاح سنة ثلاث وتسعين وبات بامبابه ليلته تلك ثم أقام بالعادية الى يوم الثلاثاء ودخل بالموكب من باب النصر ومر بالقاهرة وصعد الى القلعة في الكبكبة المعتادة ولم تكن الاحوال على مايرام من الهدوء والطمأنينة فلم يبرم أمرا ولم يأت عملا اذ كان مغلوبا على أمره والكلمة يومئذ لابراهيم بيك الكبير ومراد بيك ولم يستقر بالباشا المقام حتى جاء الخبر باستفحال أمر حسن بيك ورضوان بيك بالاقليم القبلى وانهما جمعا جموعا كبيرة وانحدروا الى جرجا وانضم لهم من العربان أولاد همام والجعافرة واسمعيل أبو على وانهم سينحدرون الى مصر فكلّم الباشا ابراهيم بيك ومراد بيك في ذلك فأعلماه بالخبر وجهلوا من هذا الحين يجيشون الجيوش ويعدون المعدات وسيروها مع أيوب بيك الصغير وسار خلفهم كذلك مراد بيك فلما وصلوا جرجا رجع حسن بيك بمن معه الى الورا فأقام مراد بيك بالعسكر في جرجا الى أوائل رجب من السنة وأخذ يعمل الحيلة حتى قبض على اسمعيل أبو على أحد مشايخ العرب وقتله ونهب ماله وعبيده ثم رجع الى القاهرة واحتفى خبر حسن بيك وأصحابه بعد ذلك ولم يعلم لهم مستقر ووافق وصول مراد بيك الى القاهرة من هذه الغزوة الصغيرة أوان خروج الحاج فتولى الامارة عليه وأخذ يتأهب فكثرت الطلبات وجمع الاموال والاحتياج للجمال والبغال والحير فكانوا يأخذون بغال الناس ومن وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها بلائمن وان كان من أصحاب المظهر دفعوا له ثمنا زهيدا فضج الناس وأخفوا دوابهم حتى سافر ركب الحاج وخرج مراد بيك في كبكبة وزينة وخرج معه عدة كبيرة من الامراء والصنماجق ومشوا في ركابه وبعد خروج الحاج بأيام قليلة جاء رسول من دار السلطنة ومعه مرسوم سلطاني بخلع اسمعيل باشا عن ولاية مصر وقيامه الى جدة وتولية ابراهيم باشا والى جدة واليا على مصر فنزل اسمعيل باشا من يومه من قلعة الجبل وسكن بمصر القديمة شهرا ثم تحول الى العادية ليسيير منها الى السويس ويذهب الى جدة فقدر الله بموت ابراهيم باشا في جدة فجاء الى اسمعيل باشا مرسوم السلطان ببقائه على ولاية مصر ففرح بذلك وقد كان لا يود الخروج منها وركب في موكبه وطلع الى القلعة في كبكبة وابتهزائة ودخل اليها من باب الجبل فلما استقر به المنصب تأقت نفسه الى التصرف والانفراد بالامر فهناك ابراهيم بيك عن ذلك فأظهر الطاعة ولكنه كان يعمل على خلاف ذلك جهد الاستطاعة فهناك ابراهيم بيك ثانية وثالثة فلم يرعو فأرسل بأمره بالنزول من قلعة الجبل فلم يريد من الطاعة ونزل الى مصر القديمة ولبث بها وتولى ابراهيم بيك النيابة فكانت مدة ولايته الثانية ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام وهو من أصحاب القلم وبكار الكتاب في دار السلطنة قال بعض أهل التاريخ وكان مراد بيك الكبير من مماليك

مطلب

ورود الامر السلطاني  
بعزل اسمعيل باشا ثم  
رجوعه الى الولاية ثاني

فباعه لبعض التجار معاوضة وحضر الى مصر ورافقته العناية والعناية صدف حتى صار أمير البلاد وكبيرها وحضر سعيده هذا في أيام امارته فلم يراع له حرمة وعزله من الولاية لاسباب لم تعلم ولكنه كان يتأدب معه كثيرا ويهابه ويذكر سيادته عليه وكان اسمعيل باشا هذا رئيسا عاقلا ذارأي وتديبر \* وجاء عقب ذلك بأيام مراد بيك ودخل بالحاج وهم في أسوأ حال مما قاسوه بالطريق من العربان فقد فعلوا معهم مالا خير فيه وسدوا عليهم الطرق وأخذوا منهم كل ما وصلت اليه أيديهم من الدواب والمتاع وأعقب دخولهم ورود الاخبار بظهور حسن بيك ورضوان بيك ثانية واستفحال أمرهما وانضمام الكثير من الجند والعسكر والعرب وغيرهم من اتباع اسمعيل بيك الكبير الى جوعهم نخاف ابراهيم بيك ومراد بيك شر العاقبة وجمع جيشا ضخما وسار به مراد بيك ومعه بعض الامراء من خواصه وطلبوا الاموال وصادروا الكثير من التجار وأصحاب المظاهر ووجهوا المراكب وبرزوا بخيامهم الى جهة البساتين فجاءهم الخبر بحضور اسمعيل بيك الكبير من الديار الرومية خفية الى الاقاليم القبلية فانزعج مراد بيك من هذا الخبر وأكبره وسار مسرعا بعسكره الى الصعيد فكان كلما اقترب من مقام لهم رحلوا الى آخر واذا حل بعسكره في محلة حلواهم كذلك قبالة ولبشوا على هذا الحال أشهر ولم يقع بين الفريقين حرب ولا قتال ثم خابروه في الصلح فرضى به وتقررت القاعدة بينهم على اعطاء اخيم لاسمعيل بيك الكبير مع جميع أعمالها وقناوقوص وأعمالها الى حسن بيك واسنا الى رضوان بيك فلما تم الصلح على هذه القاعدة أرسل اليهم الهدايا والتقاد ورجع بعسكره الى القاهرة ومعه ابراهيم بيك قشطة صهر اسمعيل بيك الكبير وسليم بيك أحد صنابقه رهنا على عدم التظاهر والخروج فكانت مدة غيبة اسمعيل بيك ثمانية أشهر وأياما

مطلب

عزل اسمعيل باشا وولاية محمد باشا

وبقي اسمعيل باشا الولى معتقلا في دار بصر القديمة حتى جاء الخبر بولاية محمد باشا ملك فدخل محمد باشا القاهرة أواخر صفر سنة خمس وتسعين ومائة وألف وصعد الى قلعة الجبل وخرج اسمعيل باشا من حبسه وسار الى الديار الرومية فلم يكن لمحمد باشا من حظ الولاية أكثر مما لغيره اذ كان كلما هم بالنظر في الامور والتصرف في الولاية وأحوال الدولة رأى من ابراهيم بك خصما عنيدا ومانعا لا يتحول فلأزم الانكماش واتبع سنة أسلافه واقتصر على ما بيده من التوقيع على المراسيم الديوانية بدون بحث ولا تنقيب \* وأعلمه مراد بك بعزمه على الخروج الى بلاد الشرقية وقراها فأجاز له ذلك كارها فسار الى بلاد الشرقية وطافها وضرب على أهلها المغارم الثقيلة والاموال الكثيرة والكلف الباهظة وصادر الموسرين منهم وحول عليهم أصحاب الجباية وأعوان المغارم حتى ضج الناس واستغاثوا ورفعوا أصواتهم باللعن والسب ثم نزل الى الغربية وفعل بها كذلك ثم الى المنوفية ثم الى غيرها فكان تطوافه بالبلاد على هذا الحال أشد هولاً من هول الطاعون وأصعب على أهل البلاد \* وتمكن سليم بيك وابراهيم بيك قشطة صهر اسمعيل بيك الكبير في غيبة

مرادبيك هذه من الاتفاق مع جماعة من الامراء الذين ضاقت بهم الاسباب واشتدت عليهم  
الخطوب على الفرار والهروب فخرجوا ليلا على الهجن وجر الخيل وهم نحو الثمانين  
وساروا الى الصعيد وأصبح الخبر شائعا بذلك فارتبك ابراهيم بيك ونادى الانا والوالى فى  
الناس بترك المشى بعد العشاء وملازمة الناس لبيوتها فخاف الناس وكثر اللغط وتنوعت  
الاقوال وكادت تعطل أسباب الرزق وتتوقف المعاملات واشتد الخوف بالناس حتى انهم  
أغلقوا حوانيتهم نهارا ولم تسكن الخواطر حتى شاع خبر طلب محمد باشا ملك الى دار  
السلطنة ليشولى صدارة الدولة وكأنه هو الباعث على هذا الخوف والاضطراب فنزل محمد باشا  
من قلعة الجبل فى موكب عظيم فى منتصف شعبان من السنة وأقام بقصر العيى  
بقية شعبان وسافر الى الاسكندرية فى غرة رمضان فكانت مدة ولايته ثلاثة عشر شهرا  
ونصفا وهاداه جميع الامراء بالهدايا النفيسة وكان من أفاضل العلماء متضلعا من الفنون  
والآداب وكان شيخا جليلا متواضعا لا بأس به \* وقدم على باشا القصاب واليا ودخل القاهرة  
فى أواسط رمضان أو فى عاشر شوال وصعد الى قلعة الجبل مارا من الصليبية خلافا لعادة أسلافه  
فلما استقر به المقام تحجب عن الناس الا القليل ولم يتعرض لشيء من أمور الدولة وقد زاده  
تحجبا وامتناعا اللغط المستمر والاقوال الشائعة برجوع اسمعيل بيك الكبير ومن معه الى  
شق عصا الطاعة وتطواف الوالى كل قليل من الايام يكرر المناداة على الناس ويشدد بملازمة  
بيوتهم ليلا \* وانحرفت خواطر الامراء والصناجق الذين بمصر على ابراهيم بيك ومراد بيك  
من فعالهما ولا سيما فعال مراد بيك وبدت منهم أمارات الوحشة فخرج منهم أيضا جماعة  
كبيرة ولحقوا باسمعيل بيك بالصعيد ولم يبالوا بوعيد مراد بيك ولا بتهديده فكبر خوفه مع  
ابراهيم بيك وأخذوا فى جمع العساكر واعداد آلات الحرب وعزم مراد بيك على الخروج  
بهذه الحملة فطلب الاموال وقبض على مسائير الناس والتجار وجبسهم وصادرهم فى أموالهم  
وأخذ مبادئهم فجمع من المال ما جاوز الحد وكانت مغارم القبضة فى هذه المرة شيا كثيرا  
جدا ثم برز بخيامه فى منتصف ربيع الآخر من السنة أى سنة سبع وتسعين الى جهة  
البيسيتين وخرج معه جماعة من الامراء وساروا الى الصعيد فلما صاروا على مقربة من  
العدوة فشل أصحاب اسمعيل بيك وانصرفت خزمتهم وتركهم رضوان بيك وجاء الى مراد  
بيك طائعا فقبله وأبقاه عنده وقد تشتت بانفصاله عنهم عصابتهم وتفرق شملها وساروا الى  
الجهات القبيلية فرجع مراد بيك الى القاهرة وسلم قيادة العسكر الى ثلاثة من الامراء وهم  
مصطفى بيك وعثمان بيك الشرفاوى وعثمان بيك الاشقر فلم يستقر به المقام بالقاهرة حتى  
وقف على سر مؤامرة أخرى من بعض أمراءه وأمرائه ابراهيم بيك ومماليكه ومماليك  
ابراهيم بيك فعاجلهم بالننى والتشريد بعضهم الى المنصورة والحملة وبعضهم الى السرو ورأس  
الخليج والبحيرة وغيرها وكان بينهم ابراهيم آغا الوالى  
وجاء فى غضون هذا الحادث الخبر يخلع على باشا القصاب وولاية محمد باشا

مطلب  
عزل محمد باشا ملك وولاية  
على باشا القصاب

مطلب  
عزل على باشا القصاب  
وحضور محمد باشا  
السلهدار وقيل الصابونجى  
واليا



السلحدار وقيل محمد باشا الصابونجي فنزل على باشا من قلعة الجبل الى قصر العيني وأقام به  
 ينتظر حضور محمد باشا فحضر كتحدهاء ومعه مرسوم بالنيابة الى ابراهيم بيك وخلعه فقولى  
 ابراهيم بيك النيابة وجعل يتصرف في جميع الامور ويوقع على القصاص وغير ذلك ووصل الخبر  
 بذلك الى جميع الامراء المدففين بالمنصورة والحلة ورأس الخليج وغيرها فاجتمعوا وساروا معاً الى الاقليم  
 القبلي يريدون اللحاق باسماعيل بيك ومن معه فأرسل عند ذلك ابراهيم بيك فرمانا الى عثمان بيك  
 الشرفاوى باستقراره كما على جرجا وقد كان تركه مراد بيك مع العسكر على ماتقدم بيانه  
 وشدد عليه بمراقبته الاحوال ومنع تظاهر الامراء المذكورين فتكفل عثمان بيك بذلك  
 وجعل يتصرف في الامور اياما كانت فيها رسل اسماعيل بيك ومن معه لا يتكفون عن  
 الاجتماع به والتكلم معه في أمر انضمامه الى عصابتهن وما زالوا به حتى انضم اليهم فتقوى  
 جانبهم واجتمعت به كآمتهم فلما علم ابراهيم بيك بذلك هاله الامر واستعظمه للغاية وأرسل الى  
 بكارهم يؤمنهم وعينهم بالاماني الكبيرة ويستميلهم الى عقد الصلح فامتنعوا فطلب ابراهيم  
 بيك حضور عثمان بيك الشرفاوى ومصطفى بك فامتنعوا أيضاً وقالوا لا نخضر الا اذا عاد اخواننا  
 الى مناصبهم وعادت اليهم اقطاعاتهم وأرزاقهم والا دافعنا عنهم حتى يقضى الله بيننا فخشى  
 ابراهيم بيك ومراد بيك العقاب وجهزوا لذلك عسكرا عظيما وجعلوا يفتشون بيوت جميع الامراء  
 المبعدين ويأخذون كل ما فيها فكان شياً كثيراً من غلال ومناخ ثم برز ابراهيم بيك بخيامه مع  
 العسكر يريد المسير لقتال الخوارج وجعوا سائر مرآكب النقل وأوقفوها وجعوا جميع  
 الملتزمين وأصحاب المزارع وأخذوا منهم أموالاً جزيلة وسار ابراهيم بيك بالعسكر في كبكة  
 وتجمل فلما اقترب من الاعداء راسلهم وطلبهم الى الصلح فأجابوه اليه وتقررت القاعدة بينهم  
 على رجوعهم الى القاهرة واعادة اقطاعاتهم اليهم فحضروا جميعاً في سادس عشر ذى القعدة  
 من السنة فساء هذا الصلح مراد بيك ولم يرض عنه ولكنه كظم غيظه وسار الى زيارة ابراهيم بيك  
 ولم يزر أحدا منهم فسمى ابراهيم بيك في اصلاح ذات البين فلم ينجح وكبر الامر على مراد  
 بيك فأخذ في جمع أرزاقه ومناخه وأثقال بيته حتى تم له ذلك ثم خرج الى جزيرة الذهب  
 فتمعه كشافه وأتباعه وعماله وأرسل الى بولاق القاهرة وأخذ منها أرزاقاً وغلالاً وشعباً  
 وبقصماتاً وغير ذلك فسار اليه ابراهيم بيك بعض أخصائه ليمنعوه عن الرحيل فلم يقبل وعبر  
 النيل الى الشرق وسار الى الصعيد وتبعه أصحابه وأتباعه وعماله وأجماله في البر والبحر  
 فنزل في في منية ابن خصيب واتخذها له مقراً واتفق أن حضر في هذه الاثناء محمد باشا  
 الوالى الجديد فأنزله في قصر عبد الرحمن كتحدا على النيل فأقام به يومين ثم صعد الى قلعة  
 الجبل في موكب وسافر على باشا القصاب الى دار السلطنة فلما استقر بالوالى المقام وعلم  
 بما جرى ما بين ابراهيم بيك ومراد بيك تكلم مع ابراهيم بيك في شأن ذلك وحنه على ارجاع  
 مراد بيك فنزل ابراهيم بيك من ساعته وجمع اليه الامراء فانفقوا على أن يرسلوا اليه محمد  
 أفندي البكرى والشيخ أبا الانوار والشيخ السادات والشيخ أحمد العروسي شيخ الجامع الازهر

يومئذ ليرجعوه عن عزمه ويهونوا عليه أمر الصلح فساروا اليه واجتمعوا به وكلموه  
 فأعذر وقال انه لم يخرج من القاهرة الا هاربا خوفا على حياته فان ضمنوا له عدم مسه  
 بضرر عاد معهم بشرط أن يحلفوا له الأيمان فلم يجيبوه الى اليمين وقالوا نضمن الراحة لك  
 ولهم عسى ان ترتاح العباد فصرههم على ذلك فرجعوا وأخبروا بما جرى ولم يمض على  
 رجوعهم الا أيام حتى ان محمد مراد بيك الى الجيزة في جوع كثيرة جدا من الغز والاجناد  
 والعربان والغوغاء فهال ابراهيم بيك أمر حضوره وجمع أصحابه وجميع الامراء وحضر بهم  
 الى ناحية معادى الخبيري قبالة مراد بيك وأصحابه وأرسل اليه بعض الامراء في حراقة ليكلموه  
 في الصلح ويسألوه عن جميع طلباته فلم يأذن لهم بالدخول عليه فرجعوا وكان الباشا  
 قد أرسل كتبه له ايضا مع اسمعيل أفندي الخالقي في حراقة أخرى ليحلقا عن ذهبوا  
 الى مراد بيك ويهونوا عليه الامر فلم تصل بهما الحراقة الى منتصف النهر حتى صادفتهم  
 الحراقة الاولى راجعة عن فيها فتبعها فاطلق عليهما أصحاب مراد بيك مدفعا فخطأهما  
 فأسرعا بالرجوع وهما لا يصدقان بالنجاة ورأى ذلك ابراهيم بيك فغضب جدا وأمر بالمدافع  
 فأطلقت على معسكر مراد بيك فأطلق كذلك مراد بيك مدافعه واستمر الطلق متتابعين  
 الفريقين ولم يعبر فريق الى الآخر وحجزت المعادى جميعها في الجانبين واستمر الحال  
 على ذلك عشرين يوما واشتد الخطب وضج الناس وتعطلت الاسباب وقفلت الاسواق  
 وتعطلت الطرق برا وبحرا وكثر تعدى الاشقياء والمفسدين وتطاوت أيدى اللصوص وغلت  
 الاسعار وقل وجود الغلال وأفسح قوم مراد بيك في النهب والسلب من بلاد الجيزة وأكلوا  
 المزروعات فلم يتركوا على وجه الارض عودا أخضر وعين مراد بيك بعض الكشاف  
 والاتباع يطوفون البلاد ويجمعون الخراج ويقضون الكلف والغرامات من أصحاب  
 المزارع واعتقد الناس تمام الظفر لمراد بيك وأصحابه واشتد خوف الامراء بمصر منه وتحدث  
 الناس بعزم ابراهيم بيك على الهروب فكبر خوف أهل مصر والقاهرة وكادوا يتفرقون  
 أستتاقا فلما كان يوم الخميس أمر ابراهيم بيك برمي المدافع تباعا فلبثوا اليوم بطوله يوالون  
 الرمي بلا انقطاع فلما خيم الظلام أمر بالكف عن ذلك وعبر خمسة من أمراءه ليلا الى  
 الجانب الثاني من النيل وساروا تحت جنح الظلام فقابلهم طائفة من معسكر مراد بيك فأطلق  
 الامراء عليهم بنادقهم فولوا منهزمين فملكوا مكانهم واحتلوه وكان على مقربة من بولاق  
 التكرور وعبر آخرون ومعهم مدفعان وجعلوا يزحفون قليلا قليلا حتى صاروا على مقربة  
 من معسكر مراد بيك وأطلقوا عليه المدافع ووالوا اطلاقها فلم يجيبهم أحد فباتوا على ذلك  
 وهم في تحذر وتتابع بهم معسكرهم وخيولهم فلما ظهر نور الصباح نظروا فلم يروا أحدا في  
 معسكر مراد بيك وقد رحلوا وتركوا جميع أنقالهم ومدافعهم فساروا اليه واحتلوه وعبر  
 رجال ابراهيم بيك وساقوا خلف مراد بيك وأصحابه الى حد الشيمي فلم يدركوهم فأقاموا  
 بأرض الجيزة أربعة أيام ثم رجعوا وجازوا بالقاهرة

ورأى ابراهيم بيك ان بقاء الحال على هذا الوصف مجلبة للدمار ووسيلة للبوار فأراد  
مصالحة مراد بيك فأرسل لذلك اثنين من كبار أصحابه قال بعض الكتاب وكان الحامل له  
على طلب الصلح واستمالة مراد بيك اليه ما رآه من تحزب عثمان بيك الشرفاوى وعدة من  
الامراء ضده وعقدتهم النية على الانتفاض عليه وقد استخفوا به وقعدوا له بالمرصاد  
فأخذوا الحذر منهم ثم حضر بعد أيام كتخدا مراد بيك واجتمع بابراهيم بيك ثم عاد فأرسل ابراهيم  
بيك معه ولده مرزوق بيك وهو طفل صغير قد حملته مرضعته فلما وصل الطفل الى مراد بيك  
جنح للصلح ومال اليه وقدم للطفل هدية سنية وتقادم جليسة منها بقرة ولا بنتها رأسان وعاد  
مرزوق بيك مع مرضعته ومعه كتخدا مراد بيك ثم عاد الكتخدا وشاع الخبر بقرب قدوم  
مراد بيك فاجتمع الامراء عند ابراهيم بيك وخوفوه من حضور مراد بيك وعدم سكونه فالفهم  
وعاهدتهم أنهم ان لم يعتدل يكون الجميع يدا واحدة عليه \* فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بيك  
الى غمزة فركب ابراهيم بيك وقت القائلة في جماعة وخرج الى ناحية البساتين ثم رجع من  
الليل وصعد الى قلعة الجبل وملأ الابواب ومدرسة السلطان حسن والرماية والصلبية والتبانة  
وأرسل الى عثمان الشرفاوى وأيوب بيك ومصطفى بيك وسليمان بيك وابراهيم أنما الوالى بأن  
يخرجوا على الفور من مصر وعين لهم دمياط والمنصورة وفارسكور لينهبوا اليها فامتنعوا  
وأظهروا العصيان وأخذوا الى التترس والقتال فلم يروا لذلك سبيلا حيث ملك ابراهيم بيك  
القلعة وجميع المواقع الحصينة وقد بدأت جوع مراد بيك بالدخول الى القاهرة فلم يروا بدا من  
الخروج وساروا الى القليوبية ودخل مراد بيك في كبكبة وسار الى زيارة الامام الشافعي  
فبلغه هناك خبر تبعيد الشرفاوى ومن معه وقد كان يبغضه بغضا ماعليه من مزيد فأسرع  
وسار من فورهِ خلف قلعة الجبل ونزل الى الصحراء وحث السير حتى أدرك قناطر أبي المنجا  
ونزل عليها وأرسل خلف الشرفاوى ومن معه طائفة من العسكر فأدركوهم عند شبرا شهاب  
وناوشوهم القتال وأدركهم مراد بيك فالتطموا فكبا بمراد بيك فرسه وكاد يهلك فأدركه أصحابه  
ووقعت بين الفريقين مقاتلة خفيفة ثم رجع مراد بيك ومن معه الى القاهرة وسار الامراء  
الخمسة المذكورون وعبروا الى وردان وكان معهم رجل من كبار العرب اسمه طرهوتة يدلهم  
على الطريق الموصلة الى الصعيد فسار بهم في طريق مقفرة وعرة ليس فيها ماء ولا نبات  
يوما وليلة حتى كادوا يهلكون من العطش وانقطع عنهم جماعة ممن تبعهم وكانوا يتقطعون  
عنهم كلما اشتد بهم الظمأ حتى اقتربوا من سقاره ورأوا أنفسهم على مقربة من الاهرام  
فضاق خناقهم وأيقنوا بالوقوع في مخالب العطب فطلبوا هجنا ليركبوها وتركوا أثقالهم  
ومن معهم فقام عليهم الاتباع ونهبوا الاثقال والاجال وتفرقوا عنهم فتعطلوا وأناخوا مطاياهم  
وأسرع مملوك من مماليك الشرفاوى على فرس وحضر الى مراد بيك وكان بالروضة فأعلمه  
بخبيرهم فأرسل لهم طائفة من الجنود فلم تجدهم وقد كانوا رحلوا الى جهة أخرى خوفا من  
وقوعهم في أيدي مراد بك واغتم الناس غما شديدا عند ماشاع خبر هروبهم الى الاقليم

القبلى لما ينجم عن ذلك من تعطيل ورود الاقوات مع القحط والغلاء المستحوز على البلد  
وبان الناس تلك الليلة وأصبحوا يوم الاربعاء حادى عشرى رجب سنة ثمان وتسعين وقد  
شاع الخبر بالقبض عليهم وكان من أمرهم أنهم لما وصلوا الى ناحية الاهرام ووجدوا أنفسهم  
على مقربة من مصر تواروا قليلا وطلبوا من الدليل أن يتظر لهم طريقا يسلكون منها  
فركب الدليل وانطلق الى مراد بيك وأعلمه بمكانهم فأرسل لهم جماعة ليقبضوا عليهم فأحسوا  
بهم فركبوا هجنا وتركوا أثقالهم وولوا هارين وكان أصحاب مراد بيك قد أكتنوا لهم  
كينا فلما مروا بالكين خرج عليهم ومسك بزمام هجنتهم من غير ضرب ولا قتال وحضروا  
بهم الى مراد بيك بجزيرة الذهب فباتوا عنده ليلتهم وأصبحوا فأزولهم بالمراب كل بفردة  
تخفروهم المماليك والاحناد وأبعدوهم الى الاقاليم البحرية فلبثوا بها زمانا يسيرا ثم راسل  
بعضهم بعضا واتفقوا على الهروب الى الصعيد فهرب بعضهم وقبض على بعضهم فشدوا  
في تسكيلهم

واتفق بعد ذلك بقليل خروج الحاج الى الافطار الحجازية فامروا عليه الامير  
مصطفى بيك الكبير فخرج في موكب حافل للغاية وبرز بجيادته الى بركة الحاج ينتظر مايق  
من مال الصرة فطال عليه الانتظار فذهب الى ابراهيم بيك وطالبه بالمال فأحاله على مراد بيك  
فامتنع مراد بيك وأكثر أمير الحاج من الاحاح على مراد بيك فلم يسع مراد بيك الا الدفع  
وعلم أنها مكيدة من ابراهيم بيك فخرج الى قصره بالروضة مغضبا وأرسل فى الحال الى  
الامراء المنفيين والهاريين بالصعيد أن يتأهبوا فلما علم ابراهيم بيك بذلك أرسل يستعطفه  
وترددت الرسل بينهما ونظر ابراهيم بيك فلم يجد حوله أحدا من قومه ورفاقه وقد تركوه  
وذهبوا الى مراد بيك فسأه ذلك جدا وركب الى الرملة ووقف بها ساعة حتى سارت  
أحماله وأثقاله صحبة عثمان بيك الاشقر وعلى بيك أباطه يريد الصعيد وسار هو بعد ذلك من  
خلف الجبل وليس له من الاتباع سوى على أنما كتحذا الجاويشمية وعلى أنما مستحفظان  
المحتسب وصناجقه الاربعة فلما بلغ مراد بيك خبر ركوبه على هذه الصورة ركب خلفه  
برهة من الليل ثم رجع وأصبح وهو منفرد بحكم البلاد فسر بذلك كثيرا وجعل يولى المناصب  
العالية لمن شاء من قومه واستقدم بعض الامراء المنفيين وقلدهم بعض المناصب ونادى  
مناديه بالامان وأخرج الغلال المخزونة لتباع على الناس وقد كان اشتد بهم الجوع وعظم  
أمر مراد بيك وعلت كلمته فلم يترك للوالى شيئا يتصرف فيه بل زاد فى الحجر عليه اذ كان  
يبغضه ليله الى ابراهيم بيك عليه وانفق أن قدم فى هذه الاثناء رسول من دار السلطنة ومعه  
مرسوم سلطانى بتقرير محمد باشا الوالى المذكور على ولاية مصر سنة أخرى فظن الباشا  
بلوغ الامل فطلب جميع الامراء الى الديوان ليقرأ عليهم ذلك المرسوم كالعادة فلم يجبه أحد  
منهم وأهمل ذلك مراد بيك ولم يلتفت اليه فكرر الباشا الطلب فلم يسمعوا قوله فسأه ذلك  
وأغضبه وأرسل الى مراد بيك يعاتبه ويسفه رأيه فأرسل اليه مراد بيك فى الحال بأمره

بالنزول من القلعة فامتنع فأرسل جماعة من أتباعه فأزلوه فهرا الى قصر العيني محجورا عليه وتولى مراد بيك النيابة وعلق الاستار فكانت ولاية محمد باشا المذكور أحد عشر شهرا سوى الخمسة أشهر التي أقامها بنعشر الاسكندرية وكانت أيامه كلها شداثد ومحنا وخطوبا وإحنا وجوعا وغلاء وزيادة ونقصا في النيل وغير ذلك

ولما استقر المنصب بمراد بيك وتم له الامر أكثر من طلب الاموال وتفريد المغارم على البلاد فلما لم يبق فيها شئ حوّل الطلب على الملتزمين وبعث لهم المعينين في البيوت فاحتاج الكثير منهم الى بيع متاعه ودوره ومواشيه بسبب ذلك ثم تطاوت أيدي عمال مراد بيك الى المواريث فكان اذا مات أحد أحاطوا بمتروكاته سواء كان له وارث أولا قال بعض كتاب الاخبار وصار بيت مال المسلمين من هذا الحين منصبا من المناصب الديوانية التي يتولاها الناس بجملة من المال في كل شهر ولا يعارض فيما يفعل فخل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلبايا وانقطعت الطرق وكثرت عريضة الاشقياء والغوغاء ومنعت السبل الا بالخفازة ورحل الفلاحون من بلادهم لقصور النيل وشرق الارض والمظالم المتراكم بعضها فوق بعض وانتشروا في جوف المدينة بأولادهم ونسائهم يضحجون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره ثم اشتد بهم الحال فأكلوا الميتات من الخيل والحير والجمال قال فكان إذا خرج من المدينة حمار ميت تراجوا عليه وتضاربوا وقطعوه وأخذوه بل منهم من كان يأكل منه ينشا من شدة الجوع ومات كثير من فقراء المدينة أيضا جوعا وعز الدرهم والدينار في أيدي الناس وقل التعامل فيما يؤكل اه ثم وردت الغلال من الديار الشامية والرومية فانفجرت الازمة بعد الشدة وبيع الارب منها بألف وثلثمائة نصف فضة وأرسل شريف مكة الى المشايخ والعلماء يتشكى من انقطاع ورود غلال الحرمين فلم يلتفتوا اليه ولا ردوا عليه جوابا فكانت جميع هذه البلبايا والحزن ضربة شديدة على هامة مراد بيك وسببا في عجزه عن القيام بتدبير البلاد وسياستها لاسيما وقد كان ابراهيم بيك الكبير له بالمرصاد فلما أحس بعجزه وأيقن أن لا قبل له على تولى أمور البلاد أرسل الى ابراهيم بيك الشيخ الدردير وآخرين معه ليكلموه في أمر الصلح ورجوعه الى القاهرة على ما يجب فساروا اليه وكلموه وبعد جدال قبل الصلح والعود الى القاهرة بشرط رجوعه الى مشيخة البلد ورجوعه على أنأا كتحدا الجاويشمية الى منصبه فلما رجع الرسل وأخبروا بما يسأله ابراهيم بيك جمع مراد بيك الامراء وأصحاب المناصب العالية وقرأ عليهم شروط ابراهيم بيك فأذعنوا لها وأحلوها محل القبول وأعادوا الرسل بالاجابة فلما وصلوا اليه عاد فانتقض وطلب طلبات أخرى جديدة فعاد الشيخ الدردير ومن معه وأخبروا بانتقاض ابراهيم بيك فلم ير مراد بيك بدا من معاودته وأرسل اليه ثانيا أياوب بيك الكبير وأياوب بيك الصغير ليهوئا عليه فلما وصلوا الى بنى سويف أرسلوا فاستقدا اليهما سليمان بيك الانغا وعثمان بيك الاشقر ثم ساروا جميعا الى ابراهيم بيك وتكلموا معه في الصلح فأجابهم وساروا جميعا الى

منية ابن خصيب ثم انحدروا منها الى مصر فدخلوها في يوم الاثنين رابع ربيع الثاني سنة  
تسع وتسعين ومائة وألف وحظوا رجالهم عند معادى الخبيري فعبر اليهم مراد بيك في عدة  
كبيرة من الامراء والوجاقلية والمشايخ وعانق مراد بيك ابراهيم بيك وبكى ثم عبروا جميعا  
النيل الى مصر ودخل ابراهيم بيك بيته ودخل معه مراد بيك ولبثا معا حصة طويلة  
فأقام ثلاثة أيام ثم جاءه مرسوم الباشا بالاستقرار على مشيخة البلد ومع المرسوم خلعة  
الولاية فلبسها بحضرة مراد بيك والمشايخ فقام عند ذلك مراد بيك وقبل يده وكذلك بقية  
الامراء وردت الوظائف الى أصحابها وأخذ ابراهيم بيك من يومه يتصرف في الامور ويتظر في  
مصالح الرعية فتزاحم أرباب الخصومات على بابه ورفعت اليه القصص فأمر ونهى وأعطى  
ومنع وقسم المناصب بين ذويها

وأعقب رجوع ابراهيم بيك الى القاهرة حصول طاعون شديد فأخذ في الاشتداد يوما  
عن يوم وكثر بسببه الموات فخرج الناس من مصر والقاهرة الى الضواحي والقرى فرارا منه  
فلحق بهم واشتد وسقط الناس في الشوارع والطرق واهتم ابراهيم بيك بدفن الموتى فشد  
على الولى وأعوانه فكانوا يطوفون في النهار والليل ويحملون الموتى من الطرق على ظهور  
الدواب ويدفنونهم بغير غسل ولا كفن عشرات عشرات وطالت مدته فكانت تقيده للغاية  
حتى قدر الله فارتفع وعاد الناس الى القاهرة وتناسوا أمره وكان عدد من مات لا يكاد يدخل  
تحت الحصر وأعقب زوال الطاعون\* ورود الخبر من دار السلطنة بخلع محمد باشا وولاية  
آخر اسمه محمد يكن باشا فلما وصل الى الاسكندرية ومر بشوارعها يريد التفرج وقف له  
العامه بالطريق وصاحوا في وجهه وسبوا حاكم الاسكندرية وقبحوا أعماله ونادوا عليه  
بالويل وكان قد وقع بينهم وبينه فتنة كبرى وذلك ان أحد أتباعه وقع بينه وبين أحد  
العامه مشاجرة أدت الى الملاكمة فتطاول تابع الحاكم وضرب الرجل فقتله فاجتمعت  
عند ذلك العامه وعلت الضوضاء وكثرت الغوغاء وحلوا المقتول على نعش الى مقر الحاكم  
وشكوا له ما وقع من تابعه فقول وجهه عنهم ولم يلتفت الى شكواهم فألحوا عليه فأمر  
أعوانه بطردهم فثاروا وقبضوا عليه وأنزلوه من ديوانه وأركبوه على حمار بالا كف عرضا  
وهو حاسر الرأس وعلا الصياح وطاقوا به جميع شوارع المدينة على هذا الحال وهم يضربونه  
ويصفعونه بالنعال ويلطخون وجهه بالطين فكان يوما عبوسا أقفلت فيه جميع الدكاكين  
وسدت الابواب وانكس الناس في بيوتهم وتطاوت أيدي الحرافيش الى الخطف والسرقة  
وفعل مالا خيرا فيه وما زالوا على هذا الحال اليوم كله حتى سقط الحاكم بين أيديهم  
فتركوه وتفرقوا جفا أتباعه وحلوه فلبث أياما كثيرة حتى تراجع اليه صحته فلما كثر  
صياحهم في وجه الباشا سأل عن السبب فحدثوه بخبر ماجرى للحاكم فانبض وهوّن عليهم  
ووعدهم خيرا ثم نزل من يومه على إحدى السفن يريد القاهرة ووصل الى أمبابة فبات ليلته  
وأصبح فذهب إليه الامراء وأصحاب الوظائف وعبروا معه النيل الى قصر العيني فلبث به

مطلب

عزل محمد باشا وولاية  
محمد يكن باشا

ثلاثة أيام ثم ركب في موكبه وصعد الى قلعة الجبل فلما استقر به المنصب سأل مراد بيك عن مال الخزينة السلطانية وطلب منه سرعة ارساله فأظهر العناية بذلك وسار في جماعة من كشافه ومماليكه وأتباعه الى الغريبة وجعل يطالب أهلها بالاموال وقد فرض عليهم منها شياً كثيراً فضلا عن الكلف الخارجية وغير ذلك فكان المعينون للطلب اذا استوفوا شياً من ذلك طلبوا حق الطريق فان تأخرت قرية أو بلدة في أداء شئ من ذلك قاموا عليها ونهبوها وربما قتلوا منها الناس ولم يزل مراد بيك وأصحابه على هذا الحال حتى وصلوا الى رشيد فقررروا على أهلها جملة من المال وكذلك على التجار واشتد الطلب وعين على الاسكندرية أحد كشافه وضرب عليها كذلك مائة ألف ريال نقرة وقيده معه بعض الجباة فعاثوا وشدوا وضيقوا وأمرهم بهدم جميع كنائس الاسكندرية فهدموا منها عدة كنائس وهرب التجار وسافروا الى الديار الشامية والرومية وغيرهما فرارا من الطلبات المتتابعة ثم أقفل راجعا بن معه الى الدقهية ففعلوا بهما ما فعلوا برشيد والاسكندرية ثم إلى الشرقية وغيرها \* وقد أخش كشافه بصر والقاهرة في تعقب الناس وسلب أموالهم ومصادرة أصحاب البيوت \* وهجموا يوما على بيت شخص اسمه أحمد سالم الجزائر متولى رئاسة دراويش الشيخ البيومي فنهبوه ولم يبقوا به شياً البتة فثار لذلك أهل الحسينية وحضروا الى الجامع الأزهر وهم في ضجة وامامهم طبول ودفوف فاجتمع عليهم جماعة كثيرة من العامة والسوقة وبأيديهم المساق والعصى وذهبوا الى الشيخ الدردير وشكوا إليه فشجعهم وحرضهم على التظاهر والخروج فساروا من الجامع وقد أفتلوا أبوابه وصعد منهم جماعة على المنارات وجعلوا يضجون ويضربون بالطبول ثم انتشروا في الاسواق وهم في صياح وجلبة وأغلقوا الحوانيت قال بعض كتاب الاخبار ومناهم الشيخ الدردير بالركوب معهم في غد ومعه أهل الاطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة لنهب البيوت أو أن يموتوا شهداء فلما كان بعد المغرب جاء سليم أغا مستحفظان ومحمد كتحدا ابراهيم بيك وجلسوا في الغورية ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وكلموه في الامر وقد خافوا من تضاعف الخطب واستعمال الفتنة ووعدهم برد جميع ما أخذ من بيوت الحسينية واجراء ما فيه المصلحة للعيان والمجاورين بالأزهر وبعد جدال تقررت القاعدة بينهم على ما ذكر وسكنت الفتنة وعادت الامور الى سابق مجراها

ولما لم يرسلوا الى الخزينة السلطانية مالها من الاموال رغباعن كثرة الطلب أمر السلطان بتسيير بعض عمراكب الحرب الى الاسكندرية ورسولا مخصوصا معه مرسوم سلطاني خطابا الى الامراء في شأن ذلك فدخّل الرسول القاهرة وسلم المرسوم الى ابراهيم بيك فجمع اليه مراد بيك وبقية الامراء وتكلموا في الامر طويلا فلم يتفقوا على شئ وطال اجتماعهم أياما على غير جدوى فبينما هم على هذا الحال اذ جاءهم الخبر بحضور عمراكب أخرى الى ثغر دمياط وعلى إحدى تلك المراكب أحمد بكار البحر المدعو حسن باشا تخاف الامراء وارتبكوا في أمرهم وشاع الخبر فتحدث الناس به وكثر اللغط فركب سليم أغا مستحفظان

ونادى في الاسواق على الروم والغليونجية والترك المقيمين بمصر بأن يرحلوا الى بلادهم بلا  
 مهل ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل بلا معاودة فأثر هذا النداء في الناس وتزايد خوفهم  
 وأرسل ابراهيم بيك اثنين من كبار امرائه الى رشيد لخفارتها ولكي يتخالفوا مع عرب الهنادى  
 على أن يكونوا عوناً لهم عند ميسس الحاجة ثم كتبوا قصة ليرفعوها الى دار السلطنة تتضمن  
 أنه لم يكن من مانع يمنع ارسال أموال الخزينة السلطانية سوى كساد الحال وتعطيل  
 أسباب التجارة والزراعة وانهم سيبذلون جهد الاستطاعة في ارسالها في العاجل القريب  
 \* فلما كانت ليلة الخميس عاشر رمضان سنة مائتين وألف هجرية ركب ابراهيم بيك ومعه  
 مراد بيك وجاعة من الامراء ومشايخ الوقت ودخلوا على الباشا بقره فأعلموه بصورة ماوقع  
 الاتفاق عليه وطلبوا وساطته بينهم وبين الباب العالي وانهم من الآن يقومون بترتيب  
 الامور وتنظيم الاحوال على ما تشاؤه الدولة فكان طورا بينهم وأخرى يقبح فعالهم ثم بعد  
 أخذ ورد وافقهم على ارسال قصتهم وسيورها كتحذاه وانصرف الامراء وهم لا يدرون ما ستكون  
 عاقبة حضور تلك السفن \* وجاءهم الخبر بعد أيام قلائل من حاكم رشيد بأن قد نزل فريقي  
 من العساكر العثمانية المنظمة بالاسلحة وآلات الحرب الى البر ومعهم قائد من كبار القواد  
 وانه لم يعرف شيئاً من عزمهم فكبر خوف ابراهيم بيك ومراد بيك وهالهما حضور العساكر  
 فشددا في جمع غلال الحرمين وغلل الانبار وجمع أموال الخزينة السلطانية وبالغيا في  
 التشديد وألزموا المعلم ابراهيم الجوهري عظيم القبط بمصر يومئذ بجمع ذلك وبعثوا سفراء الى  
 حسن باشا أمير سفن الحرب من المشايخ والعلماء والوجاهة ومعهم هدية مائة فرق من البن  
 اليبني ومائة قنطار سكر وعشر بقرج ثياب هندية وتفصيل كثيرة وعودا وعنبرا وغير ذلك فسافروا  
 في يوم الجمعة ثامن عشر رمضان من السنة فلم يكادوا يبلغون الاسكندرية حتى قدم الى  
 القاهرة رسول من قبل تلك السفن واجتمع بابراهيم بيك قيل وعاتبه وقال كيف تبعثون  
 بسفارة الى الامير في طلب الصفع عما وقع والعفو عما فات وقد أخذتم أهبتكم للحرب  
 والقتال وأكثرتم من جمع الاسلحة والكرع فقال ابراهيم بيك معاذ الله أن نحارب رجال  
 دولتنا وأمناء سلطاننا على عساكره وجنوده وهب أنا فعلنا فقد تبنا وندمنا ورجعنا الى الحق  
 فقال وكيف ذلك وقد بعثتم منذ أيام يقوم قد طافوا البلاد فضربوا على أهلها المغارم الثقيلة  
 والمكوس الفادحة وجمعوا الغلال وضربوا على كل بلد ارديين من بن القوة وهذا الصنف  
 غريب عن زراعة البلاد حتى ضج الناس وهربوا وتركوا البلاد خاوية على عروشها وهامهم  
 يموتون جوعاً وبردا على الجسور وسواحل الترع وقد أقلق القبطان صوت صراخهم فقال  
 مراد بيك قد كان حاضراً ليس في الامر شيء من ذلك وماهى الاوشاية من الاعداء يقصدون  
 بها ابعادنا عن رحمة سلطاننا ورضائه وها أنت قد رأيت أن لامدافع عندنا ولابنادق ولاأثر  
 للاستعداد والله الحمد \* قال بعض الكتاب ولم يكن القول من رسول أمير السفن بتطواف  
 الامراء في البلاد وأخذ الكلف والمغارم جزافاً فانه لما سافر الامراء الاثنان اللذان بعث بهما



ابراهيم بيك خلفارة رشيد وسافر معهم اُتباعهما وبعض الخند والمماليك مروا بالبلاد وطلبوا هذه الكف والمغارم وحرقوا وردان لعدم اذعان أهلها للطلب فضج الناس وذهبوا الى المعسكر العثماني وشكوا الى مقدم العسكر ما ألم بهم فهون عليهم وكتب لهم فرمانا برفع الخراج عنهم سنتين ثم سار مقدم العسكر المشار اليه من الاسكندرية الى رشيد في أجهة وجلالة وكتب عدة فرامين بالعربية الى مشايخ البلاد وأعيانها ومشايخ العربان وأصحاب الكلمة من أهالي المدن يقول فيها مانصه

صدر هذا الفرمان الشريف الواجب القبول والتشريف من ديوان حضرة الوزير المعظم والدستور المكرم عالي الهمم وناصر المظلوم على الظالم مولانا العزيز غازي حسن باشا سر عسكر السفر البحري المنصور حالا ودونامة همايون أيدت سيادته السنية وزادت رتبته العلية الى المشايخ وعمد البلاد ومشايخ العرب المقيمين بديار مصر وفقهم الله تعالى \* نفهمكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان نصره الله ما هو واقع بالقطر المصري من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس وان سبب هذا خائنوا الدين ابراهيم بيك ومراد بيك وأتباعهما فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا السلطان أيده الله بعساكره المنصورة بجرا لرفع الظلم ولايقاع الانتقام من المذكورين وتعين عليهم عساكر منصورة برا بساري عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره الله وقد وصلنا الى ثغر الاسكندرية ثم الى رشيد في سادس عشر رمضان سنة مائتين وألف فررنا لكم هذا الفرمان لتحضروا وتقابلوا ثم ترجعوا الى أوطانكم مجبورين مسرورين ان شاء الله تعالى فحين وصوله اليكم تعملوا به وتعمدوه والحذر ثم الحذر من المخالفة وقد عرفناكم اه

فما علم ابراهيم بيك ومراد بيك بما جاء في ذلك الفرمان من الوعيد والتهديد كبر خوفهما وكادا يسقطان في أيديهما واجتمعوا بأصحابهما وتشاوروا فرأوا ان الخرق قد اتسع والوحشة قد استفجلت والقتال لا بد منه فاستقر رأيهم على العصيان والخروج عن طاعة السلطان وكان النيل قد أخذ في الزيادة فباتوا ليلتهم وأصبحوا وقد بدؤا في جمع العساكر وتجنيد الخند واعداد معدات الحرب وانفقوا على أن يسيروا هذا الجيش مع مراد بيك الى مدينة قوة فيمنعوا الطريق ثم رسوا الى حسن باشا المشار اليه خطابا يعلمونه بانهم شارعون في عمل الحساب والقيام بغلاق المطالب للدولة ويسألونه الرجوع الى دار السلطنة فان امتثل فيها والا فالحرب \* وجعوا السفن وعبوا الذخيرة ونقلوا متاعهم وأثاثهم ورباشهم الى بيوت أخرى صغيرة بجهة المشهد الحسيني والشمواني والازهر وأمروا بغلق الاسواق ليلا والكف عن الختمات والقراآت في ليالي رمضان فكثر عند ذلك اللغط وتزايد الهرج وخاف الناس سوء العاقبة وظهرت على مراد بيك وابراهيم بيك وأصحابهما لوائح الخذلان وبرز مراد بيك بعسكره الى ناحية بولاق وعبروا النيل ليلا الى انبابه ونصبوا معسكرهم وخرج مع مراد بيك مصطفى بيك الداودية ومحمد بيك الانفي وحسين بيك الشفت ويحيى بيك وعثمان بيك الأغا وعثمان بيك

الشرفاوى وعثمان بيك الاشقر فسارهم ابراهيم بيك الكبير مودعا وعانق كلا منهم وعاد الى  
 القاهرة وسار مراد بيك قاصدا قوّة وأصبح ابراهيم بيك وقد عاد رساله الذين ساروا الى أمير  
 سفن الحرب العثمانية وقالوا انهم اجتمعوا عليه ثلاث مرات الاولى عند وصولهم فقابلهم  
 بالاعزاز وأكرم وفادتهم وأنزلهم بكان ورتب لهم المأكل والمشرب في الافطار والسجور ثم دعاهم  
 في ثاني يوم وكلهم قليلا في أمر البلاد وما يبكيه أهلها من جور الحكام وظلم الولاة والحروب  
 المستمرة وانه قدم ليعاقب الظالم قال راوى هذه الحكاية فقال الشيخ العروسي يامولانا رعية  
 مصر ضعفاء وبيوت الامراء مختلطة ببيوت الالهالي وهذه طامة كبرى فقال لا تخشوا من شيء  
 فان أول ما أوصاني مولانا أوصاني بالرعية وقال ان الرعية وديعة الله عندي وأنا استودعك  
 ما أودعني الله تعالى ثم قال كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران وترضونهم حكاما  
 عليكم يسومونكم العذاب والظلم ولماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم فأجاب  
 اسمعيل افندى الخلوقى وقال هؤلاء يامولاي عصابة شديدة البأس وكلهم يد واحدة فغضب  
 الامير من قوله ونهره وقال ويحك أترهبني بآسهم وشدتهم فاستدرك وقال أعنى بذلك  
 يامولاي أنفسنا لانهم أضعفوا الرعية فحول وجهه عنهم ساعة ثم صرفهم قالوا والثالثة كانت  
 في يوم جمعة بعد الصلاة فاستأذنوه في الانصراف فقال في غد أكتب لكم مرسوما للرعية  
 فتقرؤنه جهارا في الجامع الازهر فاعتذر الشيخ العروسي وقال تشتد الفتنة يامولاي فقبل  
 عذره وقال يكفي الاستفاضة ثم عوقفهم يومين آخرين ثم كتب لهم مكاتبات وسلمها الى  
 أحدهم سليمان بيك الشاورى وسرحهم فودعوه ورجعوا وحدثوا بما جرى \* أما رسول  
 ابراهيم بيك الذي سار بالهدية الى مقدم العسكر الشاهاني والمكاتبة كما تقدم فانه  
 لما وصل الى الاسكندرية قبض عليه مقدم العسكر المشار اليه وعوقفه عن السفر الى  
 دار السلطنة وأخذ منه المكاتبة ثم سرحه فعاد الى القاهرة وأخبر بما جرى له  
 \* ووزع مقدم العسكر المذكور عدة مراسيم على مشايخ البلاد و كبار القرى وقد كانت  
 هذه المراسيم وردت اليه من دار السلطنة خطابا الى المشايخ والاعيان فشاع خبرها وتحدث  
 الناس بها وبالغوا وهولوا وأرجفوا وقالوا لم يبق الا الحرب والقتال فركب ابراهيم بيك عندئذ  
 واجتمع بالشيخ العروسي والشيخ الدردير والشيخ البكري وكلهم في أمر العامة وأراجيفهم  
 وحثهم على مراقبة أحوالهم ولزوم حضمهم على ملازمة الهدوء والسكينة وأبلغهم خبر انتصار  
 عسكر مراد بيك على بعض العساكر العثمانية بعد قتال عسى أن تهدأ الخواطر وتطمئن  
 القلوب مع أنه لم يحصل شيء من ذلك الى يومها \* وجعل ابراهيم بيك يوالى ارسال المدد  
 والمؤن والاسلحة الى مراد بيك فكانوا يعرون بها من وسط المدينة ليراهم الناس ويحجبوا بها  
 وينتاهم على هذا الحال من المواربة واخفاء الحقائق اذ رست بمولانا مصر سفينة  
 من السفن التي كانت تتبع عسكر مراد بيك في النيل وفيها كثير من المرضى والجرحى من  
 العسكر والمماليك والوجاقلية فتسابق الناس لاستطلاع أحوالهم ومعرفة حقيقة أخبارهم

فأخبروا بهزيمة مراد بيك وعساكره وتزريق شملهم \* وذلك انه لما وصل مراد بيك الى  
الرحمانية عبر سليمان بيك الانغا وعثمان بيك الشرقاوى والاقلى النيل الى البر الشرقى وساروا  
فوقع بينهم نزاع أدى الى الخلف فراجع بعضهم بعضا فكان ذلك أول الفشل ثم تقدموا الى  
محلة العلوين وكان بها فريق من العساكر الشاهانية فاخلوا عنها فدخلوا اليها وملكوها  
وأرسلوا الى مراد بيك في طلب المدد فرسم الى بعض الامراء أن يعبروا النيل لامدادهم  
فامتنعوا فأكبر مراد بيك ذلك وأعظمه وسير بدلهم جماعة من العربان ثم أمر بالركوب  
فركب من ركب وتأخر من تأخر وسار العسكر جميعه يريدون قوة فصادفهم في طريقهم  
فريق من العساكر الشاهانية وراء المتاريس خافوا من التقدم الى الامام ولعر الطريق  
وضيقه وكثرة المساقى والمزارع وكان في مقدمة العساكر المصرية سليمان بيك أحد كبار  
الجند فلما صاروا على مقربة من متاريس عسكر السلطان وجهت العساكر السلطانية  
أفواه بنادقهم نحو سليمان بيك المذكور ومن معه فاندعروا ورجعوا مسرعا الى الوراء فكبوا به  
فرسه وسقطت في جوعه ضجة وظنوها هزيمة فرجعوا جميعا القهقرى فقتلهم العربان  
الذين كانوا معهم وأخذوا منهم ما قدروا على أخذه من متاع وسلاح فعبروا النيل وكان مراد  
بيك محتلا بمن معه في مكان ضيق وعر المسالك فأشاروا عليه بتركه والارتحال الى غيره  
واجتمعوا وهم على يقين من الهزيمة فكافوا يتخيرون ان العساكر السلطانية سائرة  
خلفهم ومن أمامهم لتذيقهم مر العطب وما زالوا على هذا الحال من الخوف والظيرة حتى  
خيم الليل فساروا تحت جنح الظلام ورجعوا القهقرى وطارت الاخبار بذلك في مصر  
والقاهرة فعم الخوف جميع الاهالى وصاروا يضطربون من كل شئ ويتطيرون من كل شئ  
فكان اذا صاح صبي بأمامه ظنوا صياحه مقتلة واذا نادى مناد على شئ قالوا هي عريضة  
\* واتفق أن يملوكا أراد الركوب على جمار أحد المكارية فازدحم عليه الجمارة على  
عادتهم وتراكضوا خلقه ناحية الصاغة فظن الناس أنها وقعت وان العدو على أبواب الصاغة  
فتراكضوا جماعة خلف جماعة وصاحت الصغار فاضطرب أصحاب الحوانيت وأسرعوا في غلق  
حوانيتهم بالاشراقية والغورية والعقادين الى باب زويلة وغيره من الجهات القريبة ثم ظهر بعد  
ذلك أن لاشئ البتة فعاد الناس الى أشغالهم \* ووصل في غروب ذلك اليوم كثير من الجرحى  
 والمرضى من عسكر مراد بيك وماليكه وطوائفه فزاد الارجاج واشتد القلق ونزل الباشا من  
القلعة الى باب العزب واستقر به وهم ابراهيم بيك بأخذ أبواب القلعة فلم يفلح وأرسل الباشا  
بطلب قاضى القضاة والمشايخ في تلك الليلة فصعد اليه بعضهم وتأخر البعض الى الصباح  
فصعدوا جميعا وصعدت كذلك طوائف الوجاقلية ورفع الباشا البيرق على باب العزب ونزل  
چاويش مستحفظان وچاويش العزب وأمامهما المناداة على العساكر والاجناد والطائعين  
كافة لله تعالى وللسلطان أن يأتوا تحت البيرق فخرج جميع العساكر والاجناد والتجار وأهل  
خان الخليلي وعامة الناس على اختلافهم حتى امتلأت الرميطة وقراميدان من الخلائق

وأرسل الباشا يستحث أمير السفن العثمانية في القدوم وكان في عزمه التبرص الى خروج الحاج فيأتى الى القاهرة ومعه العساكر البرية أيضا فأخذ يتأهب للحضور ووردت الاخبار بذلك الى ابراهيم بيك

ولما رأى ابراهيم بيك تسابق الناس الى الطاعة واجتماعهم بقرايميدان والرميلة وغيرهما أخذ في نقل أمتعته من ثقيل وخفيف الى دوره الصغيرة واحتجب عن الناس الا القليل وتركه الامراء كافة وطلعوا الى الباشا يطلبون الامان فكان الرجل منهم يأتى الى باب العزب فيطرقه وينادى فلان يطلب الامان ويكرر النداء وينتظر واقفا على أقدامه برهة طويلة حتى يأتيه فرمان بالامان فيدخل بغير سلاح خاضعا ويبقى مع من بالقلعة أما الصغير منهم فانه بعد ان كان يعطى له الامان ينحدر الى الرميطة أو قرايميدان ويبقى مع من هم بها وكان الذين طلبوا الامان من كبار الامراء جماعة كثيرة وكذلك من الغز والاجناد ولما تكامل حضور من حضر من المشايخ والعلماء الطائمين أبرز الباشا خطا سلطانيا وقرأه عليهم وهو يتضمن الحث على سرعة ارسال ابراهيم بيك ومراد بيك الى دار السلطنة وتأمين كل من يطلب الامان أو غير ذلك وبعده تلاوة ذلك المرسوم أقرب بعض أصحاب الوظائف العالمية في مناصبهم وفرق بقية الوظائف بينهم ونزلوا الى المدينة ونادوا بالامان والبيع والشراء ونادوا كذلك في الناس بالانصراف الى بيوتهم بشرط الاجابة عند الطلب ولم يبق الا المحافظون على الابواب وأصحاب الرتب \* أما مراد بيك فانه حضر في ثاني يوم هذا الحادث الى جهة انبابة وبات ليلته تلك وقام غلسا الى جزيرة الذهب وركب ابراهيم بيك في تلك الليلة وذهب أيضا الى الآثار ونادى المنادى في ثاني يوم بصعود الناس الى قرايميدان والرميلة فصعدوا أفواجا أفواجا وكثر زحامهم فنودى فيهم بالامان وملازمة الهدوء والسكون \* وتخييل الباشا من ابراهيم بيك أمير الحاج وقد كان ممن طلب الامان فرسم له عند ذلك بالنزول الى بيته فنزل من القلعة الى جامع السلطان حسن وأقام به فأرسل اليه الباشا بالذهاب الى بيته فذهب واجتمع ببعض الامراء في تلك الليلة سرا وأصبحوا يخرج سليمان بيك وأيوب بيك الكبير والصغير وهم ممن طلبوا الامان أيضا فأجيبوا اليه وساروا الى مضرب النشاب وركب ابراهيم بيك أمير الحاج وذهب الى بولاق ليأخذ جمال المنشاخ المعدة لخدمة الحاج فمعه من أخذها عسكر المغاربة فرجع الى مضرب النشاب فلما جاء الخبر بذلك الى الباشا بعث اليهم رسولا ومعه مرسوم خطاب لهم بأن يرجعوا الى بيوتهم وأن لا يجتمعوا أبدا على هذه الصورة فزقوا المرسوم وضربوا الرسول وأقاموا على هذا الحال أياما بالمصاطب فاجتمعت عليهم عند ذلك طوائفهم وركبوا ولحقوا بمن خرج قبلهم فاضطربت البلد وظن الناس صعودهم الى المقطم بالدفاع ليطلقوها على المدينة والقلعة وأغلق الناس حوانيتهم فركب الباشا بعد صلاة الجمعة وركب كذلك قائدًا ومعهما كثير من المماليك والعسكر يحملون البنادق والقرايين ووصلوا الى الرميطة ورموا بالبندق على جماعة الامراء وأطلقوا

عليهم المدافع فالتحدر المتحزون الى الصليبية ثم الى باب زويلة ومروا بالغورية والاشرفية  
 وبين القصرين وطلعوا من باب النصر وامامهم المنادى ينادى امان واطمئنان حكم مارسم  
 ابراهيم بيك ومراد بيك وحكم الباشا بطل فلما سمع الناس ذلك ورأوا اجتماع الامراء على  
 هذه الصورة انزعجوا وأغلقوا الدكاكين وهاجوا وماجوا وعلم الباشا بخروجهم على هذه  
 الصورة فأمر خصنوا القلعة والمحمودية والسلطان حسن ونادى الاتا في الجند والعسكر بالصعود  
 الى قلعة الجبل فصعدوا وجعل كل فريق يتأهب للحرب والقتال وعم الخبر مصر والقاهرة فانتشر  
 عند ذلك الاشقياء في الطرق والحارات ينهبون المارة وتطاوت أيديهم الى القتل في رابعة النهار  
 وانقطعت الطرق حتى الى بولاق القاهرة ومصر القديمة وركب ابراهيم بيك وحسين بيك في نفر  
 وأتوا الى مناخ الجبال ليأخذوا جبال الحاج فدفعهم المغاربة فعربدووا في ذلك الصقع عربدة  
 لا توصف وطلعوا بعد العشاء وبالوا في السبيل الذي على رأس الرميثة وشدد الباشا في طلب  
 العسكر وأنفق عليهم نفقة عظيمة فكثرت نواديرهم الى قلعة الجبل وفي مواقع المتاريس  
 والحصون واشتد الكرب بالناس وضاق خناقهم وكان الصباح لا ينقطع في كل يوم في أطراف  
 الحارات من قحة اللصوص وتسلط النشالين ودخولهم البيوت ليلا وقتالهم مع أصحابها نهارا  
 وشاع في هذه الاثناء خبر وصول بعض مراكب حرب الدولة الى شلقان ومحجى حسن باشا  
 مقدم العسكر السلطاني ففرح الناس وصعدوا الى المنارات وأعلى الاسطحة يتطرون  
 الى النيل فلم يروا شيئا في ذلك اليوم فاشتد الانتظار وزاغت الابصار فلما كان بعد عصر اليوم  
 سمع صوت مدافع على بعد فأجابتها مدافع القلعة ففرحوا واستبشروا وحصل بعض  
 الاطمئنان وصعدوا الى المنارات فرأوا عدة مراكب ونقاير رست على بولاق القاهرة فسروا  
 سرورا ما عليه من مزيد وضجوا ضجيج الفرح فارتجت الارض من ضجيجهم وكان مراد بيك  
 وجماعة من أمراءه قد ذهبوا الى بولاق وشرعوا في عمل المتاريس جهة السبئية وأحضروا  
 عدة مدافع وجعوا أخشابا وشيا كثيرا من حطب الذرة وزنايل وغير ذلك فيبيناهم يستغلون  
 في إحكام تلك المتاريس اذ دهمتهم مراكب حسن باشا تجاه المتاريس فتركوها وولوا الادبار  
 فضج الناس وصاح الصبيان صياح الهزه والفرح وخرجت النساء يزغردن واحتطن بمدافع  
 مراد بيك وكسرن أخشابها وأخذنها للحريق

واجتمع ابراهيم بيك ومراد بيك وجميع الخوارج وكتبوا الى قاضي القضاة والمشايخ  
 يظهرن التوبة والرجوع الى الطاعة فقرئت كتابتهم بحضور محمد باشا يكن قال الراوى  
 فقال سبحان الله كم يتوبون وكم يعودون فاكتبوا لهم جوابا معلقا على قدوم قبطان باشا  
 فكتبوا لهم بذلك ووصل حسن باشا في عشاء ليلة الاثنين ثلثي عشر شوال سنة مائتين  
 وألف فأطلقوا تقدمه المدافع من بولاق القاهرة وبات ليلته وأصبح فركب ودخل القاهرة  
 من ناحية باب الخرق ونزل بيت ابراهيم بيك الكبير أتباعه وحاشيته وعسكره ووصل بعده  
 الشيخ الاترم المغربي في طائفة من المغاربة فنزل بهم ببيت يحيى بيك فسكن الحال واطمأنت

قلوب الرعية وفتحت أبواب قلعة الجبل ونزل من بها وشاع الخبر بذهاب ابراهيم بيك ورفاقه  
 الى الاقليم القبلي من خلف الجبل فسارت خلفهم طوائف العسكر على ظهور السفن لقتالهم  
 فقبضوا على عدة مراكب مشحونة بالذخيرة والمؤن وأنفذ حسن باشا أمير السفن رسلا الى  
 اسمعيل بيك الكبير وحسن بيك الجداوى يطلبهما الى مصر وكانا مبعدين بالاقليم القبلي  
 كما تقدم وجمع محمد باشا يكن من بقي من أهل الخير من الامراء وقلدهم المناصب  
 العالية وسلمهم الوظائف ورتب أمور البلاد ترتيبا محكما وأباح على ما قيل للعساكر الشاهانية  
 نهب بيوت الامراء الفارين فدخلوا بعضها وأخذوا ما وجدوه من أمتعة واثاث وتبعهم  
 العامة والحرافيش فبلغ ذلك مقدم العسكر فركب بنفسه وطاف المدينة وقبض على من  
 صادفه من العسكر وعلى من وجدته في تلك البيوت فقتل جماعة منهم ممن كانوا يحمون بعض  
 المنهوبات فانكفوا عن النهب ثم نزل من باب زويلة ومر بالغورية ودخل من عطفة الخياطين  
 على باب الازهر وذهب الى المشهد الحسيني فزاره وكان قد زاد إعجاب به بنفسه أو وشى اليه  
 بعض الوشاة فأمر فنودى على النصارى بان لا يركبوا الدواب المظهمة وأن لا يستخدموا  
 المسلمين ولا يشتروا الجوارى ولا العبيد ومن كان منهم عنده شئ من ذلك باعه أو اعتقه  
 وأن يلزموا زعيم الاصلى من شد الزناوير والزنوط فتسلط العامة عليهم وتبعوهم بالايذاء ومن  
 وجدوه بغير زناير رجوه بالحجارة وحثوا التراب في وجهه فانكشوا وانكفوا عن الخروج أباما  
 وأرسل يطلب من قاضي القضاة احصاء ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهري عظيم القبط بمصر  
 يومئذ على الكنائس والديارات من أطيان ورزق وأملاك وغير ذلك ثم أحس بما وراء ذلك  
 من الفشل وظهور الفتنة فخاف واستدعى اليه المعلم ابراهيم وكله في الامر فصالحه المعلم  
 ابراهيم على مبلغ عظيم من المال فأمر فنودى فيهم بالامان وعدم التعرض لهم بمكره فعادوا  
 الى ما كانوا عليه وكان ما فعله بالقبط مشجعا للعساكر السلطانية على العود الى الخطف من  
 السوقه وأصحاب الحوانيت وكثر تعديهم على أهل الحرف مثل القهوجية والحامية والمزينين  
 والخياطين وغيرهم فكان يأتي الرجل منهم الى الجماعى أو القهوجى أو الخياط ويخطف عنه  
 سلاحه ويعلقه على باب الحمام أو القهوة أو حانوت الخياط ويرسم رنكه في ورقة أو على باب  
 دكان آخر وكأنه صار شريكه وفي جماعته ثم يذهب حيث شاء أو يجلس متى شاء ثم يأتي  
 في آخر اليوم ويحاسبه ويقاسمه في ربح يومه ذلك قيل وهذه عادتهم اذا ملكوا بلدا ذهب  
 كل ذى حرفة الى حرفته التي كان يحترفها في بلده ويشارك ابن تلك البلد فيها فمقل على  
 أهل مصر هذا الفعل وشكوا للباشا واستغاثوا فنودى بإبطال هذه المحنة ومن أتاه عسكري  
 يشاركه أو يأخذ منه شئاً بغير حق قبض عليه وضرب وأتى به الى الحكام ثم طاف الولى وقبض  
 على كل من وجدته منهم بالجمامات والقهاوى وطردهم ونهرهم فلم ينكفوا الا بعد حين  
 ورسم حسن باشا أمير السفن جمعت ودائع جميع الامراء وأموالهم المحفوظة عند  
 الناس واستحضرت زوجات ابراهيم بيك الكبير وأخذ ما كان عندهن من مال وحلى وغيره

وكذلك زوجات مراد بيك وقبضوا على خفراء الحارات ليدلوا على البيوت التي فيها تلك  
الودائع فلم يتركوا محلا الا فتشوه وأخذوا ما فيه ونودي في الاسواق بان من كان عنده ودیعة  
أوشىء من متاع الامراء الخارجين ولم يظهره في ثلاثة أيام أهدر دمه من غير معاودة وجرروا  
على زوجات ابراهيم بيك ومراد بيك بيت كتحدا أياما كثيرة فشفع فيهن العلماء والمشايخ فلم  
يفرج عنهن واستحضر النخاسين والدلائين وأخرجوا جوارى ابراهيم بيك وباقي الامراء بيضا  
وسودا وأحباشا ونودي عليهن بالمبيع والشراء في حوش البيت فبيعوا بانحس الاثمان اشتراهن  
طوائف الضباط والعساكر السلطانية واشتد أمير السفن في الغلظة وبالغ في التهديد فأمر ببيع  
ولدى ابراهيم بيك الكبير وهما مرزوق بيك وعديله هانم وضيق على زوجاته تضييقا عظيما  
فاجتمع للمشايخ وصعدوا الى قلعة الجبل وكلموا الوالى في ذلك وقالوا هذا أمر لا ترضاه  
الشريعة ولا يجوز قطعا بيع الاحرار وطلبوا منه أن يراجع أمير السفن في ذلك فقال لا قدرة  
لى على رد كلمته فاذهبوا أنتم اليه وكاموه قالوا ولا بد من ان تذهب معنا فذهبوا جميعا وكله الشيخ  
السادات وقال يامولانا قد بعثك السلطان لتذب عن الشريعة المطهرة وتقيم الحدود وتقطع  
عرق الفساد وتمنع الظالم عن المظلوم لان تهم مدم معالم الدين وتبيع الاحرار فلما سمع كلام  
الشيخ السادات اغتماظ وأشار الى أحد الكتاب ان اكتب أسماء هؤلاء المشايخ كي ابعث بها  
الى السلطان واعلمه بحالهم وتوقفهم في سبيل أعمالى ثم التفت اليهم وقال لا أجد الآن للاقامة  
بين ظهرانيكم سميلا وقد عزمت على الرجوع فليرسل اليكم مولانا السلطان آخر فتروا ماذا  
يفعل بكم أو ما كفاكم انى في كل يوم أقتل من عسكرى طائفة على أيسر شىء دفعا لآذاهم عن  
البلاد وأهلها وارهبا لمن لم يعرف الحدود ولو كان قائد هذه الجوع غیری لمنظر تم كيف كانت  
تفعل بالبيوت والاسواق والناس تخاف المشايخ وسقطوا في أيديهم وتجلج فصيحهم وقالوا انما  
نحن يامولانا شفيعون والواجب علينا قول الحق ثم انصرفوا وهم على أشد ما يكون من الخجل  
ولما كان يوم السبت غرة القعدة من السنة قدمت الى القاهرة الجيوش البرية ومعهم  
أمير اسمه عابدى باشا وآخر اسمه درويش باشا وهما مقدما الجيش المذكور فلاقاهم حسن  
باشا بالعادية وسار معهم حتى دخلوا المدينة في أبهة وجلالة وعسكروا بها فلم يحصل منهم  
ليذاء ولا عريضة بل كانوا اذا اشترى أحدهم شىء فقد صاحبه ثمنه حالا وباتوا تلك الليلة بخيامهم  
عند سبيل قاز وأصبحوا وقد ركب عابدى باشا ودرويش باشا وسارا امام العسكر الى البساتين  
فروا بالحصراء وباب الوزير وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والارز وكأنه لما استقر بهم  
المقام تاقت نفوسهم الى استخدام الجوارى كما فعل عسكر حسن باشا بجوارى الامراء المصريين  
وجوارى قبطة مصر فقد نودي بعد أيام على المسيحيين من أهل البلاد كافة باحضار ما عندهم  
من الجوارى ثم نزل العساكر بعد النداء وهجموا على بيوت المسيحيين واستخرجوا ما فيها من  
الجوارى والعبيد فكان شىء كثيرا وأحضر وهم الى حسن باشا فباعهم الى العسكر بانحس  
الاثمان ثم صاروا يبيعونهم بالمرايحة فاذا أراد أحد أن يشتري جارية ذهب الى بيت الباشا وطلب

ذلك فيعرض عليه الجوارى من مكان عند بيت النساء فإذا أعجبتته جارية أو أكثر حضر صاحبها  
الذى اشتراها فيخبره برأس ماله ويقول له وأنا أخذ مكسبي كذا فلا يزيد ولا ينقص فان  
أعجبه الثمن دفعه والآخرتها وذهب ثم وقع التشديد على ذلك وأحضروا الدلائل والنحاسين  
واستدلوا منهم على من عنده واحدة من الجوارى فكأنوا يفتشون بيوتهم دفعات متوالية حتى  
اشتمد الكرب وعم الخطب ولم يقف حسن باشا المذكور عند هذا الحد من الجور والعسف  
بل أمر بجمعوا المهندسين والبنائين ليدلوا على الخبايا والمطامير التي ربما يكونون قد أنشئوها  
للأمراء والناس كافة في بيوتهم فكان لا يشعر صاحب البيت وهو بجانب عياله الا وقد هجم  
عليه جماعة من العسكر ودخلوا البيت وأخذوا ينقبون الحيطان وينبشون الارض ويدخلون  
المحال بلا حياء فيأخذون ما يجردونه من فراش أو نحاس أو غير ذلك ويخرجون وصاحب  
البيت في دهشة وجود لا يدري ما سبب حضورهم ولما أخذوه وهكذا حتى ضج الناس وعم  
الخوف وراحت السعاية وظهر شأن أصحاب الدسائس والفتن وعمت الشدة جميع النصارى  
فضربت عليهم المغارم وطولبوا بخمسة وسبعين ألف ريال نقرة وأمر باحصاء جميع دورهم  
وملكهم فاحصيت فقرر عليها أجرة تدفع الى خزينة السلطان ثم ضرب عليهم غرامة أخرى  
قدرها خمسة آلاف كيس فضافت عليهم الدنيا برحبها وباع الكثير منهم جميع ما عنده حتى  
ملا بسه وملابس عياله وقرر على كل شخص منهم جزية جديدة قدرها دينار بلافق وذلك  
خلاف الجزية الديوانية المقررة على كل واحد منهم وتتبع الديارات وأخذ كل ما وجده فيها من  
ودائع وقبض على المعلم واصف أحد عظماء القبط يومئذ ورئيس حسابات الديار المصرية  
وعليه جميع الإيرادات والمصرفات فجلبه وحسبه وطلبه بالاموال وكان المعلم واصف المشار  
اليه كاتباً حاسباً عاقلاً حاد الذهن وقاد الذكرة وكان يعرف التركية حق المعرفة وقبض أيضاً  
على نساء المعلم ابراهيم الجوهري وكن في بيت حسن أغا كخدا على بيك أمين الحساب وضيق  
عليهن فاعترفن ببعض الخبايا فأخرجوا منها أمتعة وأواني ذهب وفضة وسروجا وغير ذلك  
فأخذها ولم يترك سراح النساء بل بقين تحت الحجر أياماً كثيرة

وجاء الخبر بوصول ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك ومن معهما الى أسسيوط وان السفن  
الحاملة للعساكر السلطانية سائرة خلفهم فبعث حسن باشا بسفن أخرى وعليها بعض طوائف  
الجند فسارت ولحقت بالاولى فلما صاروا امام أسسيوط أطلقوا عليها المدافع تباعاً فأجابتهم  
مدافع ابراهيم بيك ثم رفع ابراهيم بيك ومن معه الى الجبابة فلم تتمكن السفن من اطلاق  
المدافع عليهم وبنهوا الى حسن باشا بذلك فعقد الديوان وجمع الأمراء وقلد قاسم بيك أبو  
سيف ولاية جرجا وقيادة الاجناد والعساكر التي تقرر ارسالها مع عابدى باشا ودرويش باشا  
وعين معهم عدة كثيرة من الأمراء ورسم بسرعة التجهيز والرحيل وصرف النفقة فأنتفق هو  
على قومه فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال والوجاقلية سبعة عشر ألف ريال وأنفق  
عابدى باشا في عسكره فأعطى لكل نفر خمسة عشر قرشاً فغضبت من ذلك طائفة الدلاة



واجتمعوا بأسرهم وخرجوا الى ناحية العادلية مغضبين يريدون الرجوع الى اوطانهم فانزعج  
 الناس ولم يعرفوا ما الخبر فلما بلغ حسن باشا ما وقع ركب في عسكره وسار الى العادلية يريد  
 قتلهم فخرج معه بعض العساكر المصرية وركب كذلك عابدى باشا ولحق به عند قصر قايماز  
 وكان هناك أحمد باشا الجداوى فنزل اليه أيضا وأخذوا يستعطفونه ويسكنون غضبه وأرسلوا  
 الى الدلاة فاسترضوهم وزادوا أعطيهم وجعلوا لكل نفر أربعين قرشا فاذعنوا وأطاعوا وعادوا  
 جميعا الى القاهرة \* وخرج عابدى باشا ودرويش باشا بعسكرهمما ونزلوا بالبساتين يومين ثم  
 ارتحلوا الى الاقاليم القبليّة فخرجت طوائف الوجدانية أيضا ونزلوا بجيامهم في البساتين  
 ولبثوا أياما فلائيل حتى جاء أحد كبار العساكر السلطانية من الشام ومعه طائفة من العسكر  
 فنزلوا بالعادلية يوما ثم ساروا الى البساتين وقاموا منها الى الاقاليم القبليّة فقامت معهم  
 طوائف الوجدانية ونودي بان لا يتخلف أحد من العسكر ومن تناقل قتل من غير معاودة  
 ولم يكن تسيير الجنود وإعداد معدات الحرب ليشغل حسن باشا أمير السفن عن كشف  
 عورات الناس ومصادرهم في متاعهم وأموالهم وأخذ كل ما وصلت اليه يده وتفتيش مساكن  
 أصحاب البيوتات العالية واخراج ما فيها وقد دلوه على مكان بيوت المعلم ابراهيم الجوهري مرتفع  
 مهدوم الدرج وكان هذا المكان لولد له مات في عنفوان شبابه من نحو الستين سنة فلما  
 مات هدمت والدته الدرج الذى يوصل اليه حزنا على ولدها وترك بما فيه فصعدوا اليه وأخرجوا  
 منه شيئا كثيرا من فرش وأمتعة مزركشة وأواني ذهبية وفضية وصينية وغير ذلك فاحضرت  
 جميعها الى حسن باشا فباعها بالمزاد بين يديه في عدة أيام وبالغ في تفتيش البيوت والاصفاء  
 لاهل السعاية والوشاة واشتمت رغبته في قطع دابر ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهما  
 ومحو آثارهم فاجهد النفس وبالغ في اتخاذ الطرق والوسائل وأكثر من المدد لعساكره الذين  
 ذهبوا لقتالهم وكان في كل يوم يبعث بالرسائل لتأني له بالاخبار فلما كان يوم الاربعاء عاشر ذى الحجة  
 من السنة الذى هو يوم عيد النحر وردت اليه الاخبار بوقوع موقعة عنيفة بين ابراهيم بيك  
 والعساكر السلطانية لم يتم فيها الظفر لاحد من الطرفين فاغتاز من ذلك جدا اذ كان يجرى  
 انقضاء الامر قبل دخول فصل الشتاء وهبوط النيل وتعدرا انحدار سفن الحرب فأمر عند ذلك  
 بعدم فتح الترع التى كانت تفتح عادة بعد عيد الصليب كبحر أبى المنجا وبحر موديس والقرنين  
 خوفا من نقص الماء وأرسل الى عابدى باشا ودرويش باشا ومن معهما من كبار العسكر  
 يستحثهم ويستنهض همهم الى القنك بابراهيم بيك ومراد بيك فرد عليه عابدى باشا ردا  
 حسنا وأرسل اليه أيضا بمكاتبة كانت وردت اليه من ابراهيم بيك ردا على خطاب كان يعث  
 به عابدى باشا يقول فيه بعد كلام مانصه \* كم تخاطبوننا بالكفرة والمشركين والظلمة والعصاة  
 مع اننا بحمد الله تعالى موحدون واسلامنا صحيح وحججنا بيت الله الحرام وتكفير المؤمنين  
 كفر ولسنا عصاة ولا مخالفين وما خرجنا من مصر عجزا ولا جبنا عن الحرب الاطاعة للسلطان  
 ولنائبه فانه أمرنا بالخروج تسكيننا للفتنة وحققنا للدماء وقد وعدنا انه يسعى في تقرير

قاعدة للصالح فخرجنا على هذا الشرط ولم نرض بأشهار السلاح في وجوهكم وتركنا بيوتنا  
 وعيالنا في عرض السلطان ففعلتم بهم ما فعلتم ونهبت أموالنا وهتمتكم اعراضنا وبعتم أولادنا  
 وأحرارنا وأمهات أولادنا وهذا الفعل ماسمعنا به حتى ولا في بلاد الكفر وما كفاكم ذلك حتى  
 أخرجتم خلفنا العساكر ليخرجونا من بلاد الله الواسعة ويهدونا بكثرتهم وكم من فتنة قليلة  
 غلبت فتنة كثيرة بأذن الله وأما عساكر مصر فأمرها في الحرب والشجاعة مشهور في سائر  
 الأقاليم والايام بيننا وكان الاولى لكم الاجتهاد والهمة في استخلاص البلاد التي أخذها الكفار  
 واستولوا عليها مثل القرم والورن واسماعيل لان تأتوا هنا على هذه الصورة المنكرة وكتب غير  
 ذلك من اقوال اخرى ركيكة المبني قد أضربنا عن ارادها \* فأجابهم عابدي باشا ونقض عليهم  
 وزحف بعسكره فاشتبك بينهم القتال عند المنشية والتحم الفريقان فقتل منهم جملة كبيرة  
 وابلى المصريون بلاء حسنا للغاية فتحت عنهم العساكر السلطانية ناحية وهجم ابراهيم بيك  
 وأصحابه وألقوا بأنفسهم في نيران الحرب وطلب كل غريمه ثم اندفع العثمانيون وظهر من شجاعة  
 عابدي باشا ما شهدت به الاعداء وأصاب اسمعيل بيك الكبير رصاصة في فمه فخرجت من  
 صدغه فولى منهزما وألقى بنفسه الى النيل وركب في حراقة صغيرة وانحدر الى مصر وكان حسن  
 باشا أكثر من استدعائه وهو بعده ويرجوه كتمان خبر طلبه فلما دخل القاهرة اجتمع بحسن  
 باشا برهة ثم ذهب الى بيت مملوكه على بيك حر كس وقد خلع عليه حسن باشا خلع سمور  
 وأصبح وقد شاع خبر حضوره على هذه الصورة فتحدث الناس في أمره وكثر اللغط وأعقب  
 ذلك أيضا الاشاعة بهزيمة العساكر السلطانية وأرسل حسن باشا في طلب طوائف العسكر الذين  
 بمدينة الاسكندرية وأرسل أيضا الى دار السلطنة يطلب المدد وحضر حسن بيك الجداوى ومعه  
 بعض الجنود وقد أصيب بجراحة عظيمة فثبت بحضوره خبر هزيمة العساكر السلطانية وكذلك  
 حضر بقية الامراء وأكثرهم مصاب بجروح ثم وصل عابدي باشا أيضا ونزل بقصر العيني  
 أياما وهو محتجب عن الناس الا القليل من قومه ولم يظهر الاملاقة الرسول الذي حضر من  
 دار السلطنة بمرسوم ولايته على مصر وخلع محمد باشا يكن وتسميره الى ديار بكر بدلا من  
 عابدي باشا وانتشر الخبر بذلك في مصر والقاهرة وعم الآفاق وجعل عابدي باشا ينقل  
 أمتعته الى بولاق القاهرة ويتأهب للصعود الى قلعة الجبل وذلك في المحرم افتتاح سنة احدى  
 ومائتين وألف هجرية وسافر محمد باشا يكن الى مركز ولايته الجديدة فكانت مدة تصرفه  
 سنتين وبضعة أشهر وكان كريم الاخلاق عاقلا رزين يكره الظلم ويبغض أهله فلذلك لم يكن  
 ليرضى عن أعمال حسن باشا أمير السفن بل كان ناقما عليه كثير التوجع مما أصاب الرعية  
 من عسفه وجوره \* وصعد عابدي باشا الى قلعة الجبل وأخذ يتصرف في الامور ويدبر مع  
 حسن باشا أمر الحرب مع الامراء المصريين فأكثر من ارسال المدد الى درويش باشا وبث  
 العيون والارصاد حول ابراهيم بيك ومن معه فجاء الخبر يوما بانحدار ابراهيم بيك وجوعه  
 الى مصر واقتراب طلائعهم من بني سويف وانه مات منهم عدة كبيرة من الامراء والكشاف

مطلب

عزل محمد باشا يكن وولاية

عابدي باشا

ولكن ما زالت نفوسهم قوية على الحرب وقد أحبوا الموت فأزعمه هذا الخبر واستعظمه ثم جاءه بعد قليل رسول من قبل مراد بيك ومعه مكاتبة تتضمن طلب الصلح والالحاق بالكف عن القتال حقنا للدماء وانهم قد تابوا ورجعوا عما كانوا عليه ثم قالوا \* فان لم تجنحوا الى الصلح فليس بيننا وبينكم غير الحرب والقتال فلما وقف أمير السفن على ما في خطاب مراد بيك أسرع في تسيير ما بقي عنده من مراكب الحرب الى ناحية التين فاصطفت هنالك وأمر فعملوا متاريس وحفروا خنادقاً ووضعوا من المدافع عدة كثيرة وخرج رضوان بيك بليفيًا وسليمان بيك الشاوري وعبد الرحمن بيك عثمان وبرزوا بخيامهم ناحية البساتين ليسيروا منها الى الصعيد وأتت الجواسيس فأخبروا بترص ابراهيم بيك وجوعه بناحية بنى سويف ومراقبتهم للفرض فانفق حسن باشا في العسكر ثلث نفقة وطلب من التجار قرضة لينفقها فشكروا من كساد الحال فشدد في الطلب فأغلقوا حوانيتهم فهجم الجنود على بيوتهم ونهبوا ما وجدوه فيها وفرض على الاهالي مبلغا عظيما من المال فجمعوه بشق الانفس وطلب الخيول والبغال والحمير والجمال فأخذوا دواب الناس بلا تمن وجمال السقائين كافة والمكارية فضج الناس وعجوا الى الله تعالى ووقع الصياح في العامة والبكاء من نساء السقائين والمكارية وغيرهن وكثرت ولولتهن وطفن حاسرات يندبن فلم يلتفت اليهن ولا رد شياً مما أخذ ووردت مكاتبة أخرى من ابراهيم بيك بطلب الصلح وحقن دماء المسلمين فجمع حسن باشا الامراء كافة وقرأها عليهم فأبوا جميعا الا القتال وبعد كلام أشار حسن بيك الجداوى بصرف طائفة الحمديّة من العساكر تخوفاً وتخيلاً منهم اذ هم ميالون الى ابراهيم بيك وأصحابه فأجابه حسن باشا الى ذلك وأمر فجمعت منهم خيولهم وسروجهم فكان لذلك أثر مهم وكادت جيوشه لذلك تفشل فهاله الامر ووقف في وسط الجند وقال مخاطباً لكبار العسكر قد أمنتكم فلا تكونوا من الخائنين واياكم والخذلة والاختذ بالوجوه فتجازون الى الاعداء بغضا فينا أو ترفا اليهم وحرصا على الجنسية فافقهوا واعلموا انكم ان فعلتم شياً من ذلك خربت البلاد سبع سنين عقابا وجعلت الدماء فيها الى لبب الخليل \* ثم نادى المنادي بالتأهب وعدم تخلف أحد وطاف الأغا على العساكر والاجناد يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل عن بها منهم ويحتمهم على سرعة الخروج والاتحاق بالعسكر \* وعادت رسل ابراهيم بيك الى معاودة حسن باشا في أمر الصلح وأحضروا معهم ابن أخ عابدى باشا وكان قد أسرم مع بعض العساكر السلطانية في الواقعة الاخيرة وأرسلوا معه منهبوات عابدى باشا وجميع المجاريح وقد أنفقوا على كل واحد منهم دينارا فلم يجهم حسن باشا الى الصلح الا بشرط خروجهم من الديار المصرية بعيا لهم ونسأهم الى بلد يختارونها والا فالحرب والقتال فلما عادت الرسل بهذا البلاغ اتفقوا جميعا على الاتحذار الى مصر واصلاء نار الحرب حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا فالتحدروا ووصلت طلائعهم الى أرض الجيزة وصاروا بين الرق والجيزة وفرضوا الكف

والمغارم ومؤتة العساكر على أهالي الجزيرة فبرز عند ذلك اسمعيل بيك الكبير وحسن  
 بيك الجداوى بخيامهما الى ناحية طرا ومنعوا السفن والمعادى كافة وأرسلوهم بالجانب  
 الشرقى من النيل كى لا يتمكن جوع ابراهيم بيك من العبور الى مصر ونودى على جميع  
 طوائف المدينة بالخروج والاجتماع تحت لواء اسمعيل بيك ومن تأخر عوقب وقبضوا  
 على عدة كبيرة منهم ونهبوا بيوتهم وسجنوهم بقلعة الجبل فخرجوا جميعا من عساكر  
 وماليك واتباع وطلب اسمعيل بيك من تجار المدينة قرضا للنفقة فاعتذروا فادعى على  
 تجار البن مبلغ من المال قال هو باقى حساب له يوم كان قابضا على زمام مشيخة البلد  
 فصالحوه على مبلغ أربعة آلاف ريال وجاء رسول من قبل ابراهيم بيك الى حسن باشا  
 ينذره بالحرب والقتال ويعلمه بخروج جوع ابراهيم بيك واتخاذهم الى مصر فتعجب حسن  
 باشا من ذلك ولم يعوّق الرسول بل سرحه ونادى فى عسكره بالتأهب وخرج هو واسمعيل  
 بيك وحسن بيك الجداوى وجميع الامراء وساروا الى نواحي البساتين ثم اجناز بعض  
 العساكر البحرية النيل الى انبابة وعملوا هناك متاريس وخنادق وانجاز ابراهيم بيك ومراد  
 بيك وجوعهما الى ناحية الاهرام باجمالهم وجعلوا يتربصون الفرص ويتبينون انتفاعها  
 وقد سئمت نفوسهم الحياة على هذا الحال وانفق انه دخل المحمل والحاج القاهرة فى هذه  
 الايام بعد أمور وقعت للحجاج فى الطريق يطول شرحها فسار حسن باشا وبعض الامراء  
 لقائه وتحقق ماجرى على الحجاج فلما علم ابراهيم بيك بتغيب حسن باشا عن القاهرة زحف  
 ليلا بجموعه على المتاريس التى بانبابة وهجموا عليها هجمة رجل واحد فصددهم أصحاب  
 المتاريس وأطلقوا عليهم المدافع من البحر والبر وتابعدوا الرمي من الفجر الى طلوع الشمس  
 فرجع ابراهيم بيك وأصحابه الى مواقعهم من غير طائل ثم عادوا بعد ظهر اليوم فردوا على  
 أعقابهم وارتحلوا الى دهشور وأقاموا بها أياما فسأت جوعهم وداخلهم الفشل وانسلخ منهم  
 جماعة كثيرة وانجازوا الى العساكر البحرية فخاف ابراهيم بيك شر العاقبة وجنح الى إعادة  
 الكلام فى أمر الصلح وكتب يطلب ان تعطى لهم بعض الجهات بالصعيد ليقموا بها ويتعيشوا  
 منها وينكفوا عن القتال فأجابه حسن باشا الى ذلك بشرط ان لا يسمع بذلك الجماعة  
 قليلة منهم ويحضر باقى الامراء والعسكر الى القاهرة ويقموا بها فلم يرض ابراهيم بيك بذلك  
 وترفعوا الى ناحية بنى سويف واستقروا بها فرجعت عنهم عند ذلك عرب الهنادى  
 الذين كانوا معهم وفارقوهم وأخذت أحوالهم فى التأخر وشدد حسن باشا فى تسيير العساكر  
 الى الصعيد فساروا فى خيل ومدافع وكثير من المعدات وسار خلفهم عابدى باشا ومعه لفيق  
 الامراء وجاء الى حسن باشا المدد من عساكر السلطان من قبرس والقمران وغيرهما  
 فعسكروا فى البساتين ورسم حسن باشا فصنعوا ابراجا نقالة ومتاريس على اشكال مختلفة  
 وسيرها خلف العساكر ثم وردت الاخبار بعد أيام بانحال ابراهيم بيك ومن معه من بنى  
 سويف الى أسسيوط وان قد تخلف عنهم كثير من المماليك والاتباع فى نواحي منية ابن

خصيب وغيرها وجاء منهم جماعة الى القاهرة وحدثوا بأخبارهم وقد انضم جماعة من الامراء  
 الى معسكر عابدى باشا طائعين فأنهم واستبقاهم ولما وصلت العساكر السلطانية الى  
 أسيوط ترفع ابراهيم بيك وجوعه الى طحطا وتترسوا بها وتأهبوا للقتال فسارت العساكر  
 خلفهم ثم انقطعت بعد ذلك الاخبار حينما فخاف حسن باشا وتابع ارسال الرسل لاستطلاع  
 الاخبار ومعرفة ما حل بالعسكر فلم يرجع منهم من يخبر بالخبر وبقي الحال هكذا أياما ثم قدم  
 رسول ومعه مكتوب من عابدى باشا يخبر بوقوع الحرب في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع  
 الآخر سنة احدى ومائتين ناحية الامير ضرار فكانت الهزيمة على ابراهيم بيك وجوعه  
 بعد ان أبلاوا بلاء حسنا جدا وهزموا العساكر السلطانية هزيمتين وهجموا على الحصون  
 والمتاريس والابراج النقالة هجوم الاسود الضواري فقتل منهم عدة كبيرة من الامراء  
 والاجناد والمماليك قال الراوى وكانت الحرب بيننا نحو ست ساعات مات فيها من العساكر  
 السلطانية عدة وافرة فلما علم حسن باشا بما ذكر سكن روعه وأمر فأطلقت المدافع من  
 قلعة الجبل نهارا والحراقات والالعاب النارية ليلا وطاف المبشرون على بيوت المشايخ  
 والاعيان يبشرونهم بنصر العساكر السلطانية فأثروا وهنؤا حسن باشا بهذا النصر وترفع  
 ابراهيم بيك ومن بقي من جوعه الى عقبه الهو ثم ساروا منها الى ابريم والعساكر في اثرهم  
 تخطفهم من خلف ثم عادت العساكر الى اسنا ونزلت بها وكتب عابدى باشا يسأل البقاء عن  
 معه من العسكر والامراء اسنا أو الانحدار الى مصر فكتب له حسن باشا بالانحدار ومعه  
 اسمعيل بيك الكبير وباقي الامراء وترك حسن بيك ومحمد بيك المبدول ويحيى بيك  
 باسنا مع سائر العسكر فانحدر عابدى باشا والامراء المذكورون الى مصر فدخلوها في يوم  
 الاحد حادى عشر رجب وصعد عابدى باشا الى قلعة الجبل من غير ابهة ولا كبكبة فلم  
 يستقر به المقام حتى جاءت الاخبار منبئة بزحف ابراهيم بيك وجوعه الى أسوان وانهم  
 عبروا النيل الى اسنا فأجلوا عنها من كان بها من العساكر واحتلوها وانحدروا الى جرجا  
 فارتحل عنها من بها من العساكر أيضا ورجعوا القهقرى فادهش حسن باشا بهذا الخبر  
 وجمع اليه الامراء وأرباب المناصب وشاورهم في الامر فاختلفت كلمتهم وتباينت أهواؤهم ثم  
 استقر رأيهم على ان يخبروهم في الصلح بشرط انهم يقيمون في البلاد التي كانت بيد اسمعيل  
 بيك الكبير وحسن بيك الجداوى وأن يرسلوا الى مصر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير  
 وعثمان بيك الاشقر وعثمان بيك المرادى ليقبوا بها رهائن وكتبوا بذلك مكاتبات وأرسلوها  
 صحبة الشيخ سليمان الفيومى وبعض الامراء فقبل ابراهيم بيك ومراد بيك هذا الصلح  
 وحنخوا لشروطه فأرسلوا أيوب بيك الكبير رهينة عن المماليك الحمديّة وعثمان بيك الطنبرجى  
 عن مراد بيك وعبد الرحمن بيك عن ابراهيم بيك الكبير فلما تمثل هؤلاء بين يدي حسن باشا  
 سأل الامراء في أمرهم فقالوا لم يحضر من طلب سوى أيوب بيك الكبير ولا سيبل للصلح  
 الا بتنفيذ شروطه فكتب حسن باشا بذلك ثانيا الى ابراهيم بيك ومراد بيك وأرسل اليهما

كخداه فقبلا بشرط اعطائهم بلادا زيادة حيث ان ما أعطى اليهما لم يكفهما فزادهم حسن  
 باشا خمسة بلاد آخر فلما استقرت القاعدة بينهم على ما ذكر جاء الطلب الى حسن باشا  
 بسرعة الرجوع الى دار السلطنة حيث انتشب القتال بين الدولة العلية والروس وقامت الحرب  
 على ساقتها فجمع المشايخ وسائر الامراء وعابدى باشا في مقره وقرأ عليهم مرسوم السلطان  
 بالطلب وطرف من أخبار الحرب مع الروس وتولى الروس على ما سبق من بلاد القرم  
 وشبههم الغارة على كثير من أملاك السلطنة ثم ابرز مرسوما آخر يتضمن العفو عن ابراهيم  
 بيك ومراد بيك من القتل وبقاء ابراهيم بيك بقنا ومراد بيك باسنا وعدم التصريح لهما  
 بالعود الى مصر أبدا ثم أظهر عزمه على الركوب والسفر في يوم الجمعة بعد صلاة الظهر  
 ثاني عشر ذي الحجة من السنة

فلما كان اليوم المذكور ركب جميع الامراء وسار ارباب المناصب لوداعه فلما  
 تكامل حضورهم في مقره أمر فقبضوا على جميع الامراء الرهائن وسلمهم الى اسمعيل بيك  
 وأمر فسلموا له أيضا عدة مدافع وكثيرا من آلات الحرب وقلبونا صغيرا ورتب له جماعة من  
 العساكر السلطانية عددهم ألف وخمسمائة يقيمون بمصر ثم رحل الى الديار الرومية وأخذ  
 معه الامراء الرهائن ففرح الناس بارتحاله اذ لم يروا على يديه خيرا وقد ضاقت نفوسهم مما  
 ذاقوه من جوره وعسفه فانفرد اسمعيل بيك بامارة البلاد وعلت كلمته ونفذت اشارته وهابه  
 الامراء فوزع المناصب العلية بين قومه وأتباعه ومماليكه واستوزر محمد آغا البارودي  
 فأعانه على فعل ما في نفسه فتعقب زلات الناس وأخذ على صغار الامور وكبارها وشدد وهدد  
 في طلب المغارم وفرضها على الناس على اختلاف أجناسهم فضجوا واستغاثوا واجتمعوا  
 وذهبوا الى الازهر وصاحوا من جور هذا النازل وحضر الشيخ العروسي فقاموا في وجهه  
 وهموا بقفل أبواب الجامع فنعهم من ذلك فصاحوا عليه وسبوه وسحبوه بينهم الى جهة  
 رواق الشوام فنع عنه المجاورون وأدخلوه في الرواق ودفعوا عنه الناس وأغلقوا عليه  
 الباب ومعهم طائفة المتعمين وكتبوا كتابة بذلك الى اسمعيل بيك وأرسلوها اليه صحيفة  
 الشيخ الفيومي فبعث جوابا بالعفو والامان وعدم المطالبة بتلك النوازل وانما هي قرض  
 من القادرين على دفعه فلما قرأ عليهم الجواب صاحوا هذه خدعة لا ترضى بها أبدا فركب  
 الشيخ العروسي وحوله هذا الجع العظيم والغوغاء والمجاورون ولا سيما العميد منهم وطائفة  
 من المجاورين تدفع الناس عن العروسي والعامسة يصيحون عليه ويسبونونه ويخاطبونه بفحش  
 القول الى أن وصل الى باب زويلة فنزل بجامع المؤيد وأرسل الى اسمعيل بيك يخبره بهذا  
 الحال فحنق اسمعيل بيك وظن انها مكيدة من الشيخ وانهم انما فعلوا ذلك باغراء منه  
 فأجابه الرسول وحلف له ان الشيخ بريء من ذلك ولا قصد له سوى الخلاص فأرسل لهم  
 بالامان ومعافاتهم من تلك المطالب فبلغهم الشيخ ذلك وأشار عليهم بالانصراف فأطاعوا  
 وانصرفوا ومضى على ذلك يومان ثم أمر اسمعيل بيك فانطلق المطالبون الى أهل الصاغة

والجواهر جيمة والنحاسين وطالبوهم بالمقرر عليهم فقاموا بوفائه صاغرين ثم طالبوا وكلاء  
الخلافة وتطرقوا الى مطالبة بقية الاهالي وأرباب الحرف كافة فكانت اثنتين وسبعين حرفه  
ولم تكن لتستقر الراحة باسمعيل بيك بعد تلك الخطوب حتى جاءه الخبر بانتفاض  
ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهما من الامراء وانهم زحفوا من أسبوط على منفلوط  
فهرب من كان بها من الجنود والكشاف وجاءوا الى مصر وأخبروا بذلك فلما تحقق الخبر  
صعد اسمعيل بيك في صبح اليوم الى قلعة الجبل وجمع الامراء وبارك الوجقات والمشايخ  
وقص عليهم الخبر وقال هل يجوز قتالهم الآن فقال المشايخ يجوز قال حيث جاز قتالهم  
فقد وجبت النفقة من الخزينة السلطانية وحيث لا خزينة للسلطان في هذه الديار فقد  
وجبت عليكم جميعا فضاخوا عند سماعهم هذا الكلام واعترضوا وأظهروا العجز وكساد  
الحال وضيق ذات اليد فلم يقبل منهم وشدد في الطلب وهدد وبالغ في الوعيد فطلبوا مهلة  
وعادوا الى الكلام في هذا الموضوع فانفقوا على أن يبلغوا دار السلطنة خبر انتفاضهم  
ورجوعهم الى العصيان وأن يكتبوا لهم أيضا انذارا وتحذيرا فان زحفوا على مصر قبل أن  
يأتي جواب الباب العالي قوتوا والا تربصوا حتى يأتي الجواب وانفق في هذه الاثناء حضور  
وال الى جدة اسمه محمد باشا بعسكر جرار ونزل بالسويس يريد ركوب السفن بعسكره الى  
جدة فكتبوا اليه أن يحضر بعسكره الى القاهرة وأمر اسمعيل بيك بغلق جميع أبواب  
المدينة الا باب النصر ووضع على الابواب طوائف الحراس وضربت المغارم على البلاد من  
أجل نفقة العسكر فجعلوا على كل بلد مائة دينار نقرة وعشرة عدا ما يتبع ذلك من الكلف  
وقيدوا بتحصيلها قوما وجمعوا جميع ممالك واتباع الامراء الذين مع ابراهيم بيك وهم  
الذين تخلفوا بمصر والقاهرة فأخذوا ما وجدوه معهم من خيل وسلاح وأتزلوهم في سفن  
الى الاسكندرية وجسوههم في برج هناك وشرع اسمعيل بيك في اعداد معدات الحرب  
وجمع الذخيرة والمؤن واجتهد في سبك القنابل واتقان المدافع وكان يباشر ذلك بنفسه في  
كل يوم وبينما هو على هذا الحال اذ قدم رسول من قبل ابراهيم بيك ومعه مکتوب  
للأمراء والمشايخ بمصر يكذب فيه ما عزی اليهم من نقض العهد والخروج ويقول ان الذي  
انتقض وعمل على خلاف العهد هو حسن باشا القبطان حيث أخذ معه الرهائن وأذاع  
الذرائر والنساء مفضض الضيق فكتبوا له يلاطفونه ويهتفون عليه حتى يتمكنوا من جمع  
العساكر والتأهب للقتال ولم يكتبوا له بما وقع الاتفاق عليه حتى جاءت منه مکتابة أخرى  
بعزمه هو ومن معه على القتال ومبارزة الاعداء وجها لوجه فجمع الباشا المشايخ والعلماء  
والامراء في ديوانه وقرأ عليهم مکتابة ابراهيم بيك فوقع فيهم الهرج وكثر القتل والقتل  
فابرز لهم الباشا فتوى موقعا عليها من شيخ اسلام دار السلطنة أجاز فيها قتال ابراهيم  
بيك وجموعه ومحاربتهم ثم طلب منهم أن يقتوه هم كذلك بجواز الحرب والقتال ليدفع

أذاهم عن البلاد وأهلها فزحل المشايخ في الحال من قلعة الجبل الى الجامع الازهر واجتمعوا جميعا وتظموا هذا السؤال

ماقولكم دام فضلكم في جماعة أمراء وكشاف تغلبوا على البلاد المصرية وحصل منهم الفساد والافساد ومنعوا خراج السلطان وأكلوا حقوق الفقراء والحرمين ومنعوا زيارة النبي عليه الصلاة والسلام وقطعوا علوفات الفقراء وجاكي المستخدمين والانباء وأرسل لهم السلطان بأمرهم وبيناهم فلم يطيعوا ولم يمتثلوا وكرر عليهم أوامره فلم ينتهوا فعين عليهم عساكره وأخرجهم من البلاد ثم ان نائبه صالحهم وفرض لهم أماكن وعاهدتهم على أن لا يتعدوها حقنا للدماء وقطعا للزراع وتسكيننا للفن وأخذ منهم رهائن على ذلك ورجع لمخدومه فعند ذلك تحركوا ثانية وزحفوا على البلاد وسعوا في ايقاع الفساد وقطعوا الطرق ونقضوا العهود فهل يجوز لنائب السلطان دفعهم وقتالهم بشرط عدم ازالة الضرر بالضرر أم كيف الحال \* ثم كتبوا الجواب يجوز قتالهم ودفعهم وانه يجب على كل مسلم المساعدة \* ورفعوا هذه الفتوى الى الباشا فكتب الباشا فرمانا بالقتال ونزل أغاة مستحفظان ونادى في المدينة بقتال ابراهيم بيك ومن معه ونادى على أصحاب الوجقات بملزمة أبوابهم وعلى العساكر والاجناد بالتأهب للرحيل الى الصعيد وانفق اسمعيل بيك على العسكر وكتب الباشا الى ابراهيم بيك يلزمه الرجوع الى مقره والخلود الى السكون وعدم نقض العهد ودفن الاموال المقررة على اقطاعه واقطاعات بقية الامراء والاوجب قتالهم فلم يصل اليه هذا الكلام الا وقد زحف من طحطا الى منية ابن خصيب وقسم مراد بيك جميع البلاد التي ما بين منية ابن خصيب ومصر على اتباعه ومما ليك والامراء الذين معه وصمم على الانحدار وإصلاء نار الحرب فلما علم الباشا بذلك فترت همته وضعفت عزيمته وقل اجتهاده في جمع العساكر وترتيب الاجناد ثم بعثا الى الباشا ثانيا يقولان قد تركنا مصر وما فيها ولم نقصد الرجوع اليها واننا قد اتخذنا هذا الاقليم لنا مقرا فان قاتلتمونا عليه قاتلناكم الى النفس الاخير وان تركتمونا تركناكم ومصر ترتعون فيها وعقدنا معكم صلحا لا يتخلل فان قبلتم ذلك فأرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية تتفق معهم على ما يحسن السكون عليه فعقد الباشا الديوان وجمع جميع الامراء والمشايخ وأرباب الوجقات وتشاوروا في الامر فاتحدت كلمتهم على أن يكتبوا لهم ما يقبول جميع طلباتهم بحيث انهما بيعثمان من قبلهما أميرين كبيرين فيما الكفاية لفض النزاع ثم يعودان ومعهما من يلزم من المشايخ والاختيارية لقبول ابراهيم بيك ومراد بيك بذلك بشرط أن يكون لهما من البلاد من أسسوط وما فوق وطلبا ارسال المشايخ فارسوا لهما الشيخ محمد الامير واسمعيل أفندي الخلوتي ولم يرتحل الشيخ ومن معه عن مصر حتى جاء الارصاد فأخبروا بزحف ابراهيم بيك في جوعه الى طحطا وانحداره منها الى بني سويف وتأكد الخبر فخاف اسمعيل بيك الكبير وهاله الامر وأمر بخروج العسكر فاخرجوا الخيام والمدافع الى ناحية البساتين وعملوا المتاريس ناحية طرا



والمعصرة والجيزة وجعوا البنائين والفسجلة وحفرو الخنادق وبنوا أبراجا من الحجر وأسوارا  
 لوضع المدافع والمتاريس على جانبي النيل شرقا وغربا وكبر خوف بعض الكشاف والعسكر  
 من أصحاب اسمعيل بيك وهربوا الى حيث مراد بيك فأحاط اسمعيل بيك بدورهم ونهب  
 ما فيها وأخرج نساءهم حاسرات حفايا تشبها فيها وانتقاما وعاد الشيخ الأمير ومن معه وأخبروا  
 بانحدار ابراهيم بيك في أربعين من أصحابه الى ناحية بني سويف ولبشه بها وأنه عدل عن  
 الإقامة بالصعيد ويرغب الرجوع الى مصر فيعيش مع أصحابه ومن هم بها عيشة راضية  
 هادئة وعفا الله عما سلف والا فالخرب والقتال فانزعج المشايخ عند سماع هذا الخبر  
 واجتمعوا وصعدوا الى قلعة الجبل ودخلوا على الباشا فأدرك اسمعيل بيك ما وراء ذلك من  
 الفشل والخيبة \* قال بعض الكتاب \* فنزور مرسوما من السلطان بالحث على الخروج وقتال  
 ابراهيم بيك وجوعه فلما استقر بالمشايخ المقام كما هو الباشا في أمر محيي ابراهيم بيك  
 فدخل عليهم اسمعيل بيك وأخبرهم بوصول المرسوم السلطاني فأمر به الباشا فقروا فاختلفت  
 عند ذلك كلمتهم وتفرقت أغراضهم وكادوا يفتشقون على غير طائل ثم عادوا  
 فانفقوا على القتال فنودي في الحال على العسكر بالخروج وملازمة المتاريس ونودي في الاجناد  
 كذلك بعد أخذهم النفقة فخرجت طوائفهم وملائت الحصون والمتاريس واشتد الأمر على  
 الناس فتعطت الاسواق وارتفع الأمن وكثرت مخاوف الطرق خصوصا خارج أبواب مصر  
 والقاهرة وتعطلت الاسفار وقل الوارد برا وبحرا واستقدم اسمعيل بيك عرب الهنادى فقدموا  
 في جوع كثيرة وأخلط عظيمة وانتشروا في الجهة الغربية من رشيد الى الجيزة فجعلوا  
 ينهبون البلاد ويأكلون المزرعات ويوقفون السفن في النيل فيقتلون من بها ويأخذون أجمالها  
 قيل أنهم قتلوا في يوم واحد من بلدة النجيلة نيفا وثلاثمائة انسان وكذلك كانت فعال عرب  
 الشرق والجزيرة ببلاد الجانب الشرق وجاء المدد من الشام بناء على طلب الباشا فحضر  
 فريق من الارنؤد وكبيرهم اسمه اسمعيل باشا فخرج اسمعيل بيك للقاءهم فدخلوا من باب  
 النصر الى بولاق واستقروا بها فقدمت لكبيرهم التقدّم والهدايا النفيسة من جميع الامراء  
 ولبشوا على هذا الحال من الوقوف خلف المتاريس أياما حتى سبّمت نفوسهم وانسحب  
 الكثير منهم الى بيوتهم وكاد يتمزق جمعهم وقد وصل في هذه الاثناء طائفة من جوع ابراهيم  
 بيك على مقربة من متاريس ناحية طرا وعزموا على ان يدهموا من بالمتاريس في الثالثة  
 من الليل فسبق العين وأخبر اسمعيل بيك بذلك فانزعج وركب الامراء كافة وخرجوا الى  
 المتاريس وركب الوالى والاعاثة وصاروا يفتشون الدروب والحارات ويخرجون الجنود من  
 بيوتهم الى الحصون والابراج وبنوا لبنتهم في هرج واضطراب وأصبحوا والمناداة متتابعة  
 على الاهالى والعساكر والجنود بالخروج فلما كان آخر النهار تحقق الخبر بأن ابراهيم بيك وقومه  
 ترفعوا الى بياضة ثم الى الصعيد

وجاء في هذه الاثناء سفير من قبل قيصر الروس برسالة سرية الى ابراهيم بيك ومراد بيك

ونزل بالاسكندرية فأقام بها أياما وقد علم ان عميل بيك بجبره فاستقدمه الى مصر بجيلة لطيفة  
 وأول له وليمة فاخرة في قصر العيني ثم قبض عليه في صباح تلك الليلة وضعبه الى فلعة  
 الجبل وحبسده ومنع من الوصول اليه \* قال بعض أصحاب التاريخ وكان سبب قدوم ذلك  
 السفير انه لما كثرت عيبت الامراء المصريين بالبلاد وخرجوا عن طاعة السلطان رغب السلطان  
 في قطع شأفتهم ومحو أثرهم ولكنه كان في شغل عنهم بشن الروس الغارة على بلاده  
 وحدود مملكته فكان كلما هم بارسال فريق من عسكره مددا لمن بمصر منهم قامت الروس  
 وشتت الغارة على أملاكه فيجمع عن تسيير العسكر الى مصر ويوجه بهم الى رد الروس  
 وهكذا حتى أعياه الحال وكادت تضعف منه الآمال غير انه عزم عزمًا ثابتًا على ان لا يبقى  
 لهم أثرًا وأمر بجيشوا لذلك جيشا ضخما للغاية فلما علم قيصر الروس بذلك وكان من مصلحته  
 ان تضطرب نار الحرب بين الفريقين وتطول أيامها أرسل القيصر المشار اليه رسوله الى  
 ابراهيم بيك ومراد بيك يخبرهما بقصد السلطان ويحثهما على جمع الكلمة والتكاتف  
 وتحصين الحصون ومنع حسن باشا أمير السفن من النزول بعسكره الى مدينة الاسكندرية  
 أو غيرها من بقية الثغور واجتمع قفصل الروس بابراهيم بيك قبل حضور أمير سفن السلطان  
 وأخبره بجبره فلم يلتفت ابراهيم بيك يومئذ الى قوله فجاء أمير السفن المذكور في عسكره وكان  
 من أمره وما فعله ما مر بيانه وكان لما شتم الضيق بابراهيم بيك ومراد بيك وأصحابهما  
 أرسلوا الى القنصل يطلبانه فسار اليهما سرا فسألاه المدد فوعدهما ورجع الى الاسكندرية  
 كما حضر وكانب دولة الروس في ذلك فأجابته الى ما سأل وأرسلت اليه عسكرا جرارا وبعض  
 سفن حربية وقدم ذلك السفير ومعه كتاب القيصر الى الامراء وكان قد شاع خبر رجوعهم  
 الى القاهرة فلما وصل السفير بالكتاب وجد الحال على عكس ما سمع فكاتب القيصر بصورة  
 ما رأى وانه وان كان الحكيم في البلاد الآن للدولة العثمانية الا ان بمصر من الامراء الذين  
 هم على شاكاة ابراهيم بيك ومراد بيك عدة كثيرة وهم قاهرون للدولة غالبون على أمرها  
 فاذا أمدهم القيصر بعسكره قاموا على الدولة وأخرجوها من البلاد وأذهبوا سلطتها  
 فكاتب القيصر الى الامراء بمصر يقول مانصه \* أيها الامراء قد بلغنا ان عبد الحميد الملك الغادر  
 انطأ يريد بكم شرًا ويسعى في ايقاع الفتن بينكم رجاء ان يقتل بعضكم بعضا ثم لا يبقى على  
 من بقي منكم وعلك بلادكم ويقبل بها ما فعل بغيرها من البلاد التي دمرها بظلمه وجوره  
 فتيقظوا لانفسكم واطرحوا عنكم الخلاف واطردوا من يأتي اليكم من الترك وارفعوا على  
 حصونكم وقلاعكم رايتنا واختاروا ليكم رؤساء منكم وحصنوا ثغوركم وامنعوا من يصل  
 اليكم من هذه الامسة الا من أتى للرزق ولا تهاؤوه ف نحن نكفيكم مؤنته وقلدوا من قبلكم  
 ولاية وعمالا بالديار الشامية كما فعل ملوك مصر من قبلكم ويكون لنا الأمر ببلاد الساحل  
 والواصل لئكم كذا وكذا سفينة بها كذا وكذا من العسكر والمقاتلين وعندنا من المال والرجال  
 ما نطلبون وزيادة على ما نطلبون اه وجاء السفير بالخطاب ونزل بالاسكندرية وقيل بدمياط

وأنفذ الخبر سرا بوصوله وطلب الحضور الى القاهرة بنفسه فأعلم اسمعيل بيك الباشا بخبره سرا وأرسلوا اليه بالحضور فلما وصل الى شلقان خرج اليه اسمعيل بيك في نظريته كأنه لم يشعر بمقدمه وكأنه على العهد معه وأعد له منزلا ببولاق وأنزله به ليلا ثم اجتمع به ومعه على بيك وحسن بيك ورضوان بيك وكانهم هم زعماء العصاة وقرأوا المكتابة بينهم ولم يتوا قراءتها حتى جاءهم جماعة من اتباع الباشا في طلب السفير وكان ذلك باشارة خفية بينهم وبين الباشا فركبوا معه الى القصر العيني وأرسل الباشا في تلك الليلة الامر بحضور أهل الديوان في صباحها فلما تكامل حضورهم أخرج الباشا تلك المكتابة فترثت عليهم قال الراوي لهذه الحكاية فتخصصت عند ذلك الابصار ومدت الاعناق وتفرقت الاقوال وتباينت الاغراض ثم عادوا واتفقوا على أن يبعثوا بها الى دار السلطنة ففعلوا ووضعوا السفير المذكور بمكان في قلعة الجبل وأسرعوا في تسيير بعض سفن الحرب الى الصعيد للتشديد في قتال ابراهيم بيك ومن معه \* وكانت دولة الروس لا تنكف عن قتال الدولة العثمانية وتحريض جميع الايالات التابعة لها على الخروج وشق عصا الطاعة فانها بعد أن سيرت سفنها الى مصر وكتبت الى ابراهيم بيك ومراد بيك بما كتبته جعلت تدس الدسائس وتلقى الفتن في بلاد القرم لتمسك من احتلالها ووضع اليد عليها بحجة منع القلاقل والاضطرابات منها وما زالت على هذا الحال والدولة في شاغل عنها حتى قام فريق من أهل القرم على أميرهم دولتسكراي وخلعوه وأقاموا مكانه شاهين كراي خالفهم في ذلك الفريق الثاني وأبوا تعيينه فاشتد الخلاف بين الفريقين وقامت الفتنة وكانت كاترينة قيصرة الروس قد أقامت على حدود القرم زهاء سبعين ألف جندي وجعلتهم على قدم الالهبة والاستعداد فلما بدأت الوحشة تقع بين الحزبين أوعزت الى مقدم ذلك الجيش فدخلك بلاد القرم بلا ممانع ولا معارض فتم لدولة الروس وقبصرتها ما كانت تمناه وأصبحت وهي مالكة لجميع سواحل البحر الاسود من الجهة الشمالية فاستعظم السلطان هذا الامر وأكبره وهم بالحرب وعهد الى اعداد معدات القتال وأكثر من تجنيد الجند وتجهيز سفن الحرب فأشار عليه ملك الفرنسيين يومئذ بالتربص وعدم الاندفاع الى حرب لا تحمد عاقبتها وأعلمه بأن بين كاترينة وامبراطور النمسا معاهدة سرية على قتاله وتخريب مملكته ومحو أثرها من البسيطة فنظر السلطان فلم ير له قبلا على فتح أبواب هذه الحرب فجنح الى مشورة ملك الفرنسيين وغض الطرف عما فعلته الروس بالقرم بل واعترف لسكاترينة بتملكها على تلك الايالات العظيمة فلم ترض كاترينة من السلطان بهذا الازعان والسكوت وقد تحققت بحجزه وتقاعدته عن الحرب فعمدت هي ويوسف الثاني امبراطور النمسا الى ايقاد نار الفتنة في إيالتي الفلاخ والبغدان وبلاد اليونان وتوغير صدور مسيحي تلك الايالات على الدولة فأحس السلطان بما وراء ذلك وعلم انها انما يريدان الحرب على كل حال فعاجلها بها وسير الى سفير الروس في دار السلطنة يطلب منه تقرير أمور لا ترضها كاترينة منها جعل الحق للأموري السلطان في تفتيش جميع سفن الروس

التجارية التي تمر من بوغاز القسطنطينية فلم يقبل السفير شيئا من ذلك البتة فأمر السلطان عند ذلك فقبضوا عليه وسجنوه وساق العسكر فانتشبت الحرب بين الفريقين وخاف إمبراطور النمسا من ظفر العساكر السلطانية بالروس فسير الى مدينة بلغراد جيشا عظيما للاستيلاء عليها واربالك العساكر السلطانية فلم يفلح وعادت عساكره خاسرة وانتصرت عليهم العساكر السلطانية نصرة عظيمة وأدركت السلطان عبد الحميد منيته وهو على قدم القتال ثاني عشرى رجب سنة اثنتين ومائتين وألف هجرية أى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميلادية فكانت سلطنته زهاء ست عشرة سنة وأشهرها فتوى السلطنة بعده ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن مصطفى

## (الفصل الحادى والعشرون)

﴿فى سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى﴾

ثم قام بالأمر بعد السلطان عبد الحميد ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى بويج له بالملك فى اليوم الذى مات فيه السلطان عبد الحميد ثانى عشرى رجب سنة اثنتين ومائتين وألف هجرية أى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميلادية فتولى السلطنة وهى محفوفة بصفوف المسكاره والعدو يتهددها بتمزيق شملها ويعمل على إبادتها من عالم الوجود فاشتدت لذلك عزيمة السلطان وجعل يعبى الجيوش ويعد المعدات ويكثر من المؤن والذخائر ويستحث العساكر على القتال ودفع العدو عن البلاد وكانت العساكر قد ملت وكهت الحرب فساقها فالتقوا مع الروس وعساكر النمسا معا واقتتلوا قتالا عنيفا للغاية دام زهاء ستين يوما ثم انكشف عن هزيمة العساكر السلطانية واستيلاء الروس على أكثر مدن الفلاخ والبغدان وسارابيا واحتلوا مدينة بندر الشهيرة واحتل النمساويون بلغراد وفتحوا بلاد الصرب وغيرها ثم سارت بعد ذلك العساكر الروسية الى مدينة اسمعيل ونزلوا عليها وقتلواها وكان بها الغازى حسن باشا بعسكر عظيم فقاتلوا عنها واشتد القتال بين الفريقين حتى فتحها الروس عنوة وأباحها فأتدهم فاعل فيها العسكر الذبح والنهب وأخشوا فى ذلك جسدا وجاء الخبر بما وقع فى المدينة المذكورة الى دار السلطنة فهاج الناس وماجوا وقاموا على ساق وقدم ونادوا بالويل والتبور على الغازى حسن باشا وظلموا قتله أخذا بشار تلك النفوس البريئة فقتل واشتدت الحال على السلطان شدة باغة وهاله اتحاد الروس مع النمساويين على قتاله وتحقق ان بقاء الحال على ذلك يدعو الى تمزيق مملكته وتمكن العدو منها فبالغ فى حشد الجيوش وإعداد معدات الحرب واستنهاض همم بكار الجند وأمناء الحرب وبقى الحال على ذلك أياما حتى أتاح الله من الاسباب ما أوقف رجز القتال وشغل النمساويين بمسوت امبراطورهم فتوسطت عند ذلك دولتا الانكليز وبروسيا بين المتحاربين فى أمر الصلح فتم على قاعدة تقررت

لذلك بعد أخذ ورد قد أضربنا عن ايراد تفصيلهما خوفاً الاطالة \* وزاد اجتهاد اسمعيل بيك  
الكبير بعد القبض على سفير الروس وسجنه في قلعة الجبل في جمع العسكر ومعدات الحرب  
وأنشأ في طرا قلعة على ضفة النيل وجعل بها مساكن عديدة ومخازن وحواصل وعمل  
الابراج والمتاريس والابنية ممتدة من قلعة الجبل الى سفحه وأخرج اليها المهتمات والادوات  
وغير ذلك وأرسل الى دار السلطنة يطلب المدد \* وارتحل اسمعيل باشا مقدم العساكر  
السلطانية بعسكره من بولاق الى الصعيد فتربص ابراهيم بيك وجوعه في بلدة صول وعلموا  
بها سبعة متاريس فلما وصلت سفن عسكر السلطان الى المتراس الاول رست قبالة وأطلقت  
مدافعها تباعا فلم تصل الى من بالمتاريس فأطلقت عليها المتاريس ووالت الرمي بالقنابل فأحرقت  
بعضها حتى كادت تغرق بن بقي فيها فخرج فريق من العساكر الذين بالسفن يريدون الهجوم  
على ذلك المتراس فدهمهم كمين من أصحاب ابراهيم بيك وأعمل فيهم القتل فقتل منهم خلق  
كثير وهرب من بقي الى السفن فأخذ أصحاب ابراهيم بيك رؤس القتلى ورفعوها على الرماح  
ليراها من بالسفن ومع ذلك فانهم أرسلوا الى الباشا في طلب الصلح فلما جنح اليه الباشا ومن  
معه من الامراء عادوا فتمعلوا ولم يعطوا الرهائن فكبر هذا الامر على الباشا وشدد على مقدم  
الجيوش السلطانية بسرعة القتال وقطع شأفة هؤلاء الخوارج فقال القائد المذكور بعسكره  
الى ناحية صول وأخذ من في السفن مما بقي من العسكر وجعلوا على ابراهيم بيك وجوعه  
في يوم الجمعة ثامن صفر من السنة أى سنة ثلاث ومائتين حلة رجل واحد فأجلوهم عن  
بعض المتاريس وقيل بل هم الذين أخلوا لهم فلما صارت العساكر السلطانية خلف ما أخذوه  
من تلك المتاريس خرج عليهم كمين من الخلف وأعمل السيف في أفقيتهم فقتل منهم مقلة  
عظيمة فحصنت العساكر واشتبك القتال بين الفريقين يوم السبت والاحد وإطلاق المدافع  
متتابع ليلا ونهارا فكانت الحرب بينهم سجالا وكان كل من الفريقين يعمل الجبل وينصب  
الشباك ويكمن ليلا فيجدون الارصاد والعيون التي لاتعفل وكثر الموات في الفريقين وانفصلوا  
على غير طائل وقدم المصابون الى القاهرة فأنزعج لقدمهم الناس وخافوا عاقبة الهزيمة وتمكن  
ابراهيم بيك وأصحابه من مستقرهم وتربصوا مراقبة الاحوال \* واحتاجت العساكر السلطانية  
الى النفقة فطلبوها من اسمعيل بيك فقررها على البلاد وضيق على أهلها في جبايتها وعمل لها  
ديوانا في بيت على بيك الدفتردار فضج الناس واستغاثوا بمشايع الجامع الازهر ولا محيص فلما  
علم ابراهيم بيك بالخاح العساكر السلطانية في طلب النفقة واشتغال اسمعيل بيك بجمعها  
أرسل من قبله رسولا الى الباشا يكلمه في أمر الصلح وقد أعيا عابدى باشا هذا الحال فعد  
لذلك الديوان وجمع فيه جميع الامراء والمشايع واستحضر بينهم رسول ابراهيم بيك وسأله  
عما يطلبه ابراهيم بيك وأصحابه فقال انهم يطلبون أن يكون لهم من أسيوط الى الصعيد الاعلى  
شرقا وغربا بشرط أن يقوموا بدفع الاموال الاميرية والغلال وأن يطلقوا سراح السفن  
والمسافرين بالغلال والاسباب وأنتم لا تمنعون عنهم الواردين بالاحتياجات الا ما كان من آلات

الحرب أو معدات القتال وبعد أن يتقرر الصلح على هذه القاعدة يعرض منكم ومنهم الى الدولة وتنتظرون ما يكون فان جاء الجواب بالعمو والقبول أو تعيين مكان آخر لاقامتهم فلا يجادلوا ولا يتقضوا بشرط أن يطلعوا على ذات الامر الذي يرد بذلك فوافق الجميع على هذه الطلبات وكتبوا بها جوابا وسيروا به الرسول وآخرين معه \* ووردت الاخبار في هذه الاثناء بخلع عابدى باشا عن ولاية مصر وتولية اسمعيل بيك كخدا حسن باشا أمير سفن البحر وفاض الخبر بذلك في مصر والقاهرة وسائر المدن فلما وصل المبعوثون الى ابراهيم بيك ومعهم المكاتبه على قاعدة ما وقع الاتفاق عليه لإقرار الصلح انتقض وقال لسنا على ثقة من نجاحنا مع عابدى باشا والاعتماد على صلحه وقد بلغنا عزله عن ولاية البلاد فلان تقدم الى عقد الصلح معه الا اذا أتاه فرمان من السلطان بتأييد ولايته أو اننا نترقب حتى يتولى الامر غيره ثم كتب جوابا بذلك وسلمه لمن جاءه من قبل عابدى باشا فغضب عابدى باشا وكاد يتميز من الغيظ وجمع اليه المشايخ والعلماء وقاضى القضاة والامراء وأطلعهم على الجواب فتصيروا في امرهم وقالوا لا بد من استمرار القتال حتى يرجعوا أو يعزلوا عن آخرهم \* فقال الباشا قد عييل صبرى وفرغ تدبيرى فلم يبق عندى الا أن أقبض على جميع نساءهم وأسكنهم فى الوكائل وأخذ جميع ما فى بيوتهم وأبيعسه وأنفقته على العسكر وأكتب لهم بذلك وتوقعوا جميعكم على ما أكتبه فان خالفتمونى فأنا تارك لكم البلاد وما فيها وأرحل الى دار السلطنة فأعيش فيها هادئا مطمئنا ثم أخذته رجفة فقالوا جميعا لانخالف لك كلمة فافعل ما أنت فاعل فكتبوا الى ابراهيم بيك بذلك ووقع الباشا والعلماء والمشايخ والامراء كافة على الكتابة ونادى الوالى والاعا بمصر والقاهرة بان من كان عنده وديعة لاحد من اتباع ابراهيم بيك أو جميع من هم معه وأتباعهم ولم يردها لاصحابها عاجلا قتل من غير معاودة وكان ابراهيم بيك قد عمل جسرا من السفن ممتدا من الجانب الشرقى من النيل الى الجانب الغربى وعبروا جميعا عليه الى الجانب الغربى فلما وصل اليه الجواب بما ذكر خشى العاقبة وعلم ماسيلحق بالنساء والذرارى فأرسل رسله الى الباشا بارتحالاه مع من هم معه الى الصعيد الاعلى وعدم انحدارهم البتة الى مصر وانهم لا يأنفون من عقد الصلح على ما رسم به عابدى باشا والمشايخ فعاد الباشا وعقد ذلك ديوانه فأبلغت الرسل أرباب الديوان رسالتهم فرضوا بها وضمن الباشا غائلة ابراهيم بيك وأصحابه وضمن المشايخ غائلة اسمعيل بيك الكبير وحرروا محضرا بذلك ووقعوا عليه جميعا وأرسلوه صحبة مقدم الاختيارية وظهرت علامات الطاعة من ابراهيم بيك ومن معه اذ كسروا ذلك الجسر وسرحوا للسفن بالانحدار فكثر توارد الغلال وغيرها وهبطت الاسعار وزال الغلاء واطمأن الفقراء \* وقدم فى هذه الاثناء رسول من القسطنطينية يحمل ثلاثة كتب سلطانية فاصعده الباشا الى قلعة الجبل وأمر فحفظوا الديوان وحضره المشايخ والعلماء والامراء والوجهاء وقرئت تلك الكتب فكان الاول منها بتقرير عابدى باشا واليا على مصر سنة ثلاث ومائتين والثانى بلزوم مقاتلة ابراهيم بيك ومراة بيك حتى يرجعا الى الطاعة أو يعزلوا

والثالث بطلب تسمير سفير الروس الذي كان مسجوناً بقلعة الجبل الى دار السلطنة فلما أتوا قراءة تلك الكتب اطلقت المدافع من قصر العيني وقلعة الجبل ومراكب البحر ببولاق وذاع الخبر بذلك شرقاً وغرباً وأصبح وقد طلع الباشا الى القلعة واستقر بها بجاء اليه المهشون وأنزل سفير الروس وسيره الى الديار الرومية وبالغ في التأهب والاستعداد لقتال ابراهيم بيك ومراد بيك حتى يرجعا الى الطاعة أوانهما ومن معهما يموتون عن آخرهم فلم يتم له بعض الاستعداد حتى جاءه الامر بالعزل وولاية اسمعيل بيك ووصل رسول دار السلطنة في العاشر من جمادى الآخرة عن طريق دمياط فنزل عابدي باشا من يومه الى قصر العيني ولبث به أياماً ثم برز بخيامه الى بركة الحاج وسار منها الى ديار بكر وسار معه اسمعيل باشا مقدم العساكر السلطانية التي كانت في قتال ابراهيم بيك

مطلب

عزل عابدي باشا وولاية

اسمعيل باشا

ولما استقر باسمعيل باشا الوالي الجديد منصب الولاية أرسل الى ابراهيم بيك بطلب الغلال والمال حكم قاعده الاتفاق فلم يرد عليه جواباً ولم يرسل شيئاً من ذلك فخاف اسمعيل بيك الكبير من انتقاض ابراهيم بيك ونزوله الى القاهرة بخياله ورجاله وهي خالية من العسكر والمرابطين فأرسل الى دار السلطنة في طلب المدد فلم يكن بأسرع من ان أرسلوا اليه أخلاطاً من الارنؤد وأهل الاناضول ممن لا كسب له وتراكم حضورهم في هيآت مختلفة وأشكال متباينة فأنزلهم في طرا ومصر القديمة والجيزة وبولاق وأجرى عليهم النفقات وجلب له النحاسون المماليك فاشتري منهم عدة كبيرة وخصهم بالغبية كل ذلك للحرص على مقاومة عدوه وتابع ارسال الهدايا النفيسة والاموال والتحف والخيول العربية وأنواع الاقنسة الفاخرة وغير ذلك الى دار السلطنة قصد استمالة جانب الدولة اليه وتقرباً من رجال الحل والعقد بها وتحريضاً لهم على بغض ابراهيم بيك ومن معه ومع ذلك فلم يكن ابراهيم لينكف عن بث العميون والارصاد حول اسمعيل بيك ومن معه ودس الدسائس واستمالة كل من يقدر على استمالاته ومازال حتى تمكن بواسطة المعلم يوسف كساب الشامي معلم الجمارك يومئذ من الاتفاق مع أغاة جماعة الارنؤد المدعو صالح أغا على ان صالحا المذكور يسلم الى ابراهيم بيك جميع السفن السلطانية والقلاع التي بناحية طرا والجيزة نظير مبلغ من المال التزم به المعلم يوسف وكتب على نفسه تمسكاً به فعلم اسمعيل بيك بخبر ذلك فقبض على المعلم يوسف وسأله فاعترف فأمر به فألقوه في النيل فمات غرقاً وأبعد صالح أغا عن ديار مصر وقيل بل قتله خفية فخبأت بذلك مساعي ابراهيم بيك ورأى وجوب الترفع ومراقبة الفرص وان لاشئ أنجح من المطاولة حتى تتفرق جموع اسمعيل بيك واخلاطه الذين جاء بهم من البلاد الرومية فلما طال لبث أوائك الأخلاط على هذا الحال بطروا وزاد عسفهم بأهالي بولاق ومصر القديمة والجيزة فضج الناس وملت نفوسهم وضجروا \* وكان الانا الوالي يخشى من اخلاط أهل الحسينية الى الفتنة والخروج عند أقل إشارة فكان يكثر التعدي عليهم بالضرب والجس وأخذ الاموال ونهب البيوت لأقل سبب

اخضاعاً

اخضاعا لهم وتذليلا واتفق انه قبض يوما على شيخ طائفة البيومية وكان له حرمة وافرة بين  
 أهل هذه الخطة فثار طوائفه على اتباع الوالي ومنعوه منهم وتجمعوا واجتمع عليهم خلق  
 كثير من تلك النواحي وساروا وهم في ضجة عظيمة وأمامهم جماعة يضربون بالطبول الى ان  
 وصلوا الى الجامع الازهر وقد أغلقوا الاسواق والدكاكين وصعد جماعة منهم على المنارات  
 يضجون ويسبون اسمعيل بيك ومن معه وهيجوا من بالجامع من المدرسين فقام معهم  
 العميان وهموا بالخروج ليفسدوا في الشوارع والاسواق فنعهم المشايخ وركب الشيخ العروسي  
 واجتمع باسمعيل بيك وأخبره بخبر العامة وما يفعله الوالي بهم فاعتذر وقال لو كان الوالي  
 من اتباعي نزلتته الساعة ارضاء للعامة ولكنه تابع حسن بيك الجداوى وأرسل الى حسن  
 بيك يخبره بما وقع ويطلب خلع الوالي فلم يرض الجداوى وقال ان كان مراده الرفق بالرعية  
 فليخلع أولا الاغا تابعه ويخلع رضوان كتحدا المجنون من قلعة الجبل ويخرج مصطفى كاشف  
 من قلعة طرا ويصرف العساكر القليوبجية والارنؤد الذين عاثوا في الارض ومساؤها فسادا  
 قال ذلك وخرج الى العادلية مغضبا وكان الوالي المذكور يركب في كل يوم ويمر في شوارع  
 المدينة بالقاهرة ومصر ليرى العامة أنه أكبر من أن يخشاهم فوقف له العامة بالطرق واجتمع  
 منهم خلق كثير ووقعت بينهم وبينه مقتلة قتل وجرح فيها كثير واشتد الهرج وكثر اجتماع  
 العامة جماعات يحملون القرايين والعصى والمساروق وامام كل جماعة منهم الطبول فركب  
 المشايخ كافة وساروا الى بيت البكري فحضر اليهم اسمعيل بيك وطيب خاطرهم والتزم لهم بعزل  
 الوالي ومر الوالي في ذلك الوقت على بيت البكري فنع العامة وصاحوا في وجهه وكادوا  
 يبطشون به فاستل سيفه وهجم عليهم وشق من وسطهم وذهب في طريقه فزاد الحال بالعامة  
 وكثرت غوغاء الناس وعلت الضوضاء وسار جماعة منهم يأمرون الناس بغلق الحوانيت واجتمع  
 آخرون منهم بالازهر يضجون وينادون بالويل والشبور على الوالي وبقي الحال على ذلك ثلاثة  
 أيام فاجتمع اسمعيل بيك ببقية الامراء وشاورهم في أمر العامة فاتفقوا على خلع الوالي والاغا  
 معا ونادوا في الناس بذلك فهلل العامة وانصرفوا وانقضت الفتنة \* وعقب هذا الحادث بيومين  
 غامت السماء غمما عظيما مطبقا وسحبت الامطار كأفواه القرب مع رعد شديد الصوت  
 وبرق هائل متتابع متصل يخطف الابصار واستمر ذلك ليلة الجمعة ويوم الجمعة والامطار لا تنقطع  
 حتى سقطت الدور القديمة في عدة جهات ومات من كان بها من السكان وانحدر السيل من  
 الجبل شديدا حتى ملا الصحراء وخارج باب النصر فهدمت المقابر وخسفت وانحدر السيل من  
 باب النصر فدخل المدينة وامتلات الوكائل بالمياه وكذلك جامع الحاكم وسقطت عدة بيوت  
 من الحسينية وكان ذلك أمرا مرعبا جدا فظن الناس انها تقيل ونقمة من قبل الله سبحانه  
 وتعالى وانذار للامراء على ما فعله الوالي بشيخ البيومية وما يفعله في كل يوم بخلق الله وتكلموا  
 كثيرا في هذا الامر حتى كاد الامراء يعتمدونه ولم تكف تجحف الارض من مياه ذلك السيل  
 حتى ظهر الطاعون واشتد وكثر الموت في الامراء والصناجق وأرباب الوجافات والمماليك



فصار الظن عند الناس يقينا واشتد الطاعون شدة لم يسبق لها مثيل وكثر الموات كثرة بالغة فمات ما لا يكاد يدخل تحت الحصر من الاطفال والشباب والحوارى والعميد والمماليك والاجناد ومن امراء الالوف نحو الاثنى عشر أميرا ومات اسمعيل بيك الكبير شيخ البلد المشار اليه فكان لموته ضجة ورجة ووقع الموات أيضا في طوائف العسكر الذين ببولاق ومصر القديمة والبحيرة وعلى الخصوص منهم القليوبجية والارنؤد فكانوا يحفرون الحفر بجانب أبي هريرة ويلقون الاموات فيها بلا غسل ولا كفن وكان يخرج من البيوتات الكبيرة في جنازة واحدة الخمسة أو الستة نعوش معا لكثرة الموات وقيل العشرة أيضا وكثر تراحم الناس على الحوانيت لآخذ المغسلين والمغسلات والنعوش لنقل الاموات واشتد الخوف بالناس شدة عظيمة وندر جدا من كان يصاب بالطاعون ولا يموت وندر ظهور الطعن في الابدان ولم يكن يحم المصاب كما هي عادة الطاعون بل يكون الانسان جالسا فيرتعش ويبرد فيدثر فلا يفيق الا مخلطا ويموت من نهاره أو ثاني يوم وربما زاد أو نقص واستمر الحال هكذا شهرين الى أوائل رمضان سنة خمس ومائة وألف ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك الا قليلا نادرا وكان ختام انفضاضه موت الانا والوالى فولوا غيرهما فماتا بعد ثلاثة أيام فولوا خلافا فماتا أيضا فكان ذلك من غريب الاتفاق وأعجب ما سمع به

ولما مات اسمعيل بيك الكبير تنازع الرياسة حسن بيك الجداوى وعلى بيك الدفتر دار ووقع بينهما نزاع طويل الاهداب واشتد بينهما الخلاف ثم عادا فانفقا بعد كلام طويل على تعيين عثمان بيك طبل تابع اسمعيل بيك المذكور في مشيخة البلد واعطائه دار سيده ففعلوا ذلك قال بعض كتاب الاخبار وكانهم نابوا عن ابناء الرعية وكفوا عن احداث المغارم والكلف وقصرت أيديهم عن نهب البيوتات العامرة بعد الذي رأوه من فعل الطاعون بهم وفتكه فيهم فنادوا بابطال جميع ذلك وطاف المنادون أياما متواليه فاطمأنت قلوب الرعية قليلا وقالوا أفلح إن صدق \* وورد الخبر عقب ذلك بتقليل مجلغ اسمعيل باشا الوالى عن مصر وبولية محمد عزت باشا الذى كان واليا على جدة فنزل اسمعيل باشا من قلعة الجبل الى قصر العيني وأنزل جميع أمتعته وتأهب للسفر الى موره حيث تقلد منصب ولايتها فننعه الامراء من ذلك حتى يحضر محمد باشا عزت ويرى فيما له وما عليه للخرينة فأبى اسمعيل باشا الا السفر فحجروا عليه بقصر العيني ووقف الحراس على أبوابه أياما حتى حضر محمد باشا عزت الى القاهرة في شوال من السنة أى سنة خمس ومائتين وروست سفينته على بولاق فنزل لاستقباله الامراء كافة وركب معهم الى قصر العيني ثم ركب في يوم الاثنين رابع الشهر وصعد الى قلعة الجبل فلما استقر به المنصب نظر في حساب اسمعيل باشا واستخلص ما كان في ذمته ثم انزل متاعه بالسفن ولم تقاع من ساحل بولاق حتى ورد الخبر باعادة محاسبته على مال الخزينة واستخلاص ما أخذه منها فعوقوه ووقفوا سفنه حتى استصفوا ما عليه وسافر بعد ذلك بأيام قليلة \* ولم يتمكن محمد عزت باشا من التصرف حتى جاءه

مطلب

عزل اسمعيل باشا وولاية  
محمد عزت باشا

الخبر بتحرك ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك للقتال وعقدتهما النية على الانحدار بين معهما الى مصر ودخولها لان طوعا وادنا كرها وقد تحقق الامر اذ انحدر مراد بيك من الصعيد الى منية ابن خصيب وانتشرت جموعه في المقدمة وعبى بعضهم النيل الى الشرق ووصلت طلائعهم الى العياط وتربص ابراهيم بيك بمنفلوط ينتظر ارتحال الحاج من القاهرة فينحدر اليها عاجلا بجموعه ومن معه من الامراء فأخذ محمد عزت باشا والامراء بمصر يتأهبون للقتال وأرسلوا على بيك الى طرا وآخر الى الجيزة وأخذوا في الاهتمام وحفروا خندقا من النيل الى المتاريس وبالغوا في التأهب وأكثروا من الخيطة فيبيناهم على هذا الحال من الاهتمام والارصاد تنقل لهم أخبار مراد بيك وأصحابه اذ جاء عمر أفندي مكرم الاسيوطي بكتاب من ابراهيم بيك خطابا الى شيخ البلد والمشايخ والباشا فعقد الباشا ديوانه وقرئ الكتاب فكان حاصل ما فيه رغبتهم في العودة الى مصر بعد هذه الغربة الطويلة والوعد منهم بملازمة الهدوء والسكينة وعدم الخروج عن حد الطاعة وان قد جاءهم مرسوم من دار السلطنة على يد رسول مخصوص بالعفو عما سلف وان المشايخ يضمنون حسن سيرهم واستقامة أحوالهم فلما أتموا قراءة الكتاب سأل الباشا المشايخ ماذا تقولون في هذا الطلب فقال الشيخ العروسي أصحح الله الامير ان كان التفاهم بينهم وبين أمراءنا المصريين الموجودين بين ظهرانينا فاننا نترجى عندهم وان كان ذلك بينهم وبين السلطان فالامر لنا بمولانا السلطان فبعد جدال وقيل وقال انفقوا جميعا على ان يكتبوا جوابا محصلا \* ان طالب الصلح لا بد أن يقدم الرسالة بذلك قبل أن يتحرك من مكانه وذكركم انكم تائبون وقد تقدم منكم القول بالتوبة فلم تر لها أثرا على ان شرط التوبة رد المظالم وعدم اضرار خلق الله تعالى وأنتم لم تفعلوا ذلك ولم تدفعوا ما عليكم من مال الميرى في هذه السنة فان كانت نواياكم ثابتة على الصلح وجب ان ترجعوا الى أما كنكم وترسلوا المال والغلال وسنطلب لكم من مولانا السلطان العفو فان عفا عدتم الى دياركم والا فلا \* ووقع جميع من حضر على هذا الجواب وبعثوا به على يد السيد عمر ثم قرروا بعد ذلك نفي وتباعد جميع اتباع ابراهيم بيك ومراد بيك الذين بالقاهرة ومصر فأبعدوهم ووضعوا على أبواب المدينة الحراس والمرابطين ونادوا على العساكر والاجناد بالخروج الى طرا وملازمة المتاريس والخنادق وأشار الامراء على الباشا بالنزول من القلعة الى طرا وملازمة المتاريس فنزل وخرج اليها وخرج أيضا جميع الامراء وطاف الانا والوالى وهما يتاديان على الجند بأن لا يتخلفوا وتسلم المرابطون بقلعة الجبل أبوابها وشددوا المراقبة وأتى الجواسيس فأخبروا ان مراد بيك وأصحابه على عزم الانحدار الى العادلية من خلف المقطم فأرسل الباشا بعض الامراء الى العادلية فعمسكروا بها وأرسل أيضا الى عرب العائد فجاءوا الى العادلية ونزلوا بها فلما كان الليل تحول الباشا وجميع الامراء الى ناحية العادلية وأخذوا بعض المدافع وآلات الحرب والمؤنة وعملوا فيها المتاريس والخنادق فلم يكادوا يفرغون من عملهم حتى شاهدوا ابراهيم بيك ومراد بيك وأصحابهم منحدرين من الجبل الى العادلية في أسوأ حال فهم الامراء المصريون

بالهجوم عليهم وأخذهم في حالة التعب فنعمهم عثمان بيك أبو طبل من ذلك ونبت همهم  
 وقد كان على عهد مع ابراهيم بيك ومراد بيك بحضورهم في هذا الحين ثم أمر فرجعت  
 جميع آلات الحرب والذخيرة الى القاهرة ولبثوا واقفين على ظهور الخيل من غير ان يبدا  
 حوا كما قمتع ابراهيم بيك وقومه وترفعوا عن مواقع المتاريس ونزلوا عند سيلب علام للراحة  
 حتى يتكامل حضورهم ثم نصبوا خيامهم واستراحوا الى عصر اليوم كل ذلك وعثمان بيك  
 والباشا ومن معهما لا يبدون اشارة وركب من كانوا مع الباشا مصطفى كاشف كتحدا على بيك  
 الذي هو مملوك محمد بيك الالفي وهو احد الذين كانوا مع ابراهيم بيك الكبير وأخذ معه خمسة  
 مماليك وانحاز الى أستاذة بعسكر ابراهيم بيك وركب محمد بيك المبدول أيضا وانحاز باتباعه  
 الى أستاذة ابراهيم بيك وكذلك فعل قاسم بيك فانحاز الى مراد بيك الكبير وكذلك مصطفى  
 كاشف الغزوى الذي هو أخو عثمان بيك طبل شيخ البلد واستوثق لآخيه فكتب اليه  
 ابراهيم بيك بالحضور فلم يتمكن من الذهاب اليه الا بعد العشاء الاخرة حتى انفرد عن علي  
 بيك وحسن بيك الجداوى فلما فعل ذلك وفارقهما علما حقيقة الخبر وأحسا بانهما قد وقعا  
 في مخالط العطب فأغى على علي بيك ثم أفاق وركب مع حسن بيك الجداوى وأتبعهما  
 وعدتهم ستة وبعض المماليك والخدم وذهبوا جميعا من خلف القلعة الى الاقاليم القبليّة  
 حيث كانت أنصامهما \* فسبحان مقلب الاحوال وهادم بناء صروح تلك الآمال انه  
 الواحد القهار \* ولما التقى عثمان بيك بابراهيم بيك الكبير أجله كثيرا وأرسله مع ابنه  
 مرزوق بيك الى مقر مراد بيك فسلم عليه وقد حضر أصحاب الوجاهات والاختيارية وأرباب  
 المناصب للسلام وبدأ أتباعهم بالدخول الى القاهرة طول ليلة السبت حادى عشرى القعدة  
 سنة خمس ومائتين وألف هجرية وأصبحوا قد دخلت الاحمال والجمال والدواب فكانت شيا  
 كثيرا جدا ثم دخل ابراهيم بيك وعمر بالمدينة ومعه امرأه ومماليكه وأكثرهم لابسون الدرود  
 ثم دخل بعده سليمان بيك الالفا وأخوه ابراهيم بيك الوالى ثم بقية الامراء ودخل مراد بيك  
 من طريق الصحراء ونزل على الرميثة ومعه عثمان بيك الاسماعيلي الذي هو عثمان بيك  
 أبو طبل شيخ البلد وجميع أمراءه ومماليكه واتباعه ودخلوا بيوتهم وكان في أكثرها عائلات  
 الامراء الذين هلكوا بالطاعون وبقى بها نساؤهم ومات أغلب نساء الذين كانوا بالاقاليم القبليّة  
 من الامراء فلما رجعوا وجدوها أهلة بالنساء والجوارى والخدم فتزوجوهن وحددوا فراشهم  
 وعملوا أعراسهم ومن لم يكن له منهم بيت دخل ما أحب من البيوت وأخذه بما فيه من غير  
 ممانع وكان الله سبحانه قد أورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأزواجهم وهى عبرة وتذكرة  
 وركب الالفا في ثانى يوم ونادى على طوائف القليونجيمة والارنؤد والشوام بالرحيل عن  
 مصر عاجلا وكل من وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل بغير معاودة وتبعهم المماليك والخدم  
 فكانوا اذا رأوا أحدا منهم قبضوا عليه وأخذوا ما معه من السلاح وأشبعوه ضربا  
 وكانت العامة تسخر بهم ثم صعد ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهم من الامراء الى

الباشا بقلعة الجبل فقابلهم بالترحاب وخلع عليهم الخلع وكتب الى دار السلطنة يومئذ بكل ماجرى ولم تسكد تستقر بهم الراحة بعد تلك الخطوب المدلهمة حتى جاء الخبر بان حسن بيك الجداوى وعلى بيك اللذين فرا الى الصعيد قد ضبطا المراكب المنحدرة الى مصر باموال ومتاع ابراهيم بيك وأخذوا ما فيها ومنعا من نزول الغلال وعشنا بالبلاد فاهتم ابراهيم بيك لذلك وحيش جيشا وسلم قيادته الى ابراهيم بيك الوالى وقد عثمان بيك المرادى ولاية الصعيد وسيهما للقبض على حسن بيك وعلى بيك المذكورين وبينما هم على هذا الحال قدم رسول من دار السلطنة يحمل فرمانا بالعفو عن ابراهيم بيك ومراد بيك ومن معهما من الامراء والجنود والاذن لهم بالرجوع الى مصر والبقاء فيها وكان ذلك بالتماس من محمد باشا عزت حيث كتب الى الباب العالى يبالغ فيما ينبج عن بقائهم خارج مصر وفيما هم عليه من المنعة والقوة وفى عجز الامراء الذين بمصر عن ردهم فعقدوا لذلك الديوان بقلعة الجبل فلما قرئ فرمان أطلقت المدافع وخلع عليهم الباشا خلع الرضا ونزلوا فزارهم العلماء والمشايخ والامراء وقدمت لهم التقادم والهدايا واستقرت بابراهيم بيك ومراد بيك المناصب وبث ابراهيم بيك العميون لتأق له بجبر حسن بيك الجداوى وعلى بيك جفاؤا وأخبروا بانفصال حسن بيك عن على بيك وذهابه الى جدة عن طريق القصير فاطمأن قلبه وسكن روعه وأخذ فى تقسيم المناصب بين أتباعه وأتباع مراد بيك فعزل وولى وأحكم الامور وفتح أبواب المغارم القديمة والفرص والضرائب الفادحة وقلد أرباب الجباية وأصحاب المكوس وسيهرهم الى القرى والارياف فضلا عن المدن هذا والغلاء منسب أظفاره فى بحوف البلاد لتقصير النيل فى عامه وعدم وجود الغلال وقد تولد عن ذلك اختصاص الامراء بما وجد من الغلال فى بعض القرى فنقلوه لانفسهم ووقع القحط فى البلاد فهام أهلها ودخلوا مصر والقاهرة طلبا للقوت فكانوا يطوفون فى الازقة والحارات والشوارع طائفة خلف طائفة يضجون ويبكون من الجوع وكانوا يلقون بأطفالهم فى جوانب الجدران أمواتا من الجوع وكذلك كان يقع من أهالى مصر والقاهرة ويموت منهم فى كل يوم خلق كثير وكان اذا وجد الورد القمح يبيع بثمانية عشر ريالا والشعير بخمسة عشر والفول بثلاثة عشر ريالا وكانت الاوقية الخبز بنصف فضة واشتد القحط وكثر الصباح والعيول ليلا ونهارا فكانت لاتكاد تقع الارجل الا على خلائق مطروحة بالازقة وكانوا اذا مات حمار أو فرس أخذوه وأكلوه نيئا ولو كان منتنا ثم زاد الحال شدة فصاروا يخطفون الاطفال من أحضان امهاتهم ويأكلونهم فانكشف الناس عن الخروج بأطفالهم وطال الحال على ذلك أياما حتى جاءت الغلال من الديار الرومسية وتتابع ورودها فكثرت وارتفع القحط فأكل الناس وشبعوا ووافق ورود هذه الغلال حصاد الذرة فعاد الناس الى بلادهم وعمرت بعض القرى بعد خرابها فكانت شدة عظيمة للغاية وعلا النيل ووفى فانشطت الاسعار وبورك فى رعى الغلال فكان الفدان الواحد ينتج غلة خمسة افدنة وبلغ النيل زيادته المتوسطة وعم الماء غالب الارض فأحيها بعد الموات

ووصل في هذا الحين الى نجر الاسكندرية يوسف باشا صدر الدولة العثمانية يريد الاقطار  
 الحجازية فاهتم ابراهيم بيك بشأنه جدا وأرسلوا اليه الملايين وقدموا التعابي والتقدم الثمينة  
 وهيئوا لمقامه قصر العيني وزينوه بأنواع البسط والفرش الفاخرة وأزروه به وتملوا بين يديه  
 فخلع على ابراهيم بيك ومراد بيك خلعة سنية وقدم لهما حصانين مسرجين مرخمين  
 وتخوف ابراهيم بيك من حضوره في هذا الحين وترامت ظنونه الى المرحى البعيد فاعمل الحيلة  
 ووضع لخفارته عبد الرحمن بيك الابراهيمي ومعه فريق من الجند فصعد الصدر المشار اليه  
 بعد أيام الى قلعة الجبل باستدعاء من محمد باشا عزت ثم نزل الى مقره وأخذ ابراهيم بيك  
 في اعداد ما يلزم لسفر الصدر المذكور من غلال وأرز وتغابي هندية وغير ذلك من الهدايا  
 والنفاس خوفا من طول لبثه بمصر وافساد أمورهم وأعدوا له السفن بالسويس فركب  
 في أواسط جادى الثانية من السنة أى سنة ثمان ومائتين والف هجرية فزالت مخاوف  
 ابراهيم بيك ومراد بيك وعادا الى ما كانا عليه من أعمال الجهد في تحصيل المغارم وتقرير  
 المكوس والضرائب وغير ذلك وأكثروا من أعوان الجباية وبشوههم في البلاد والقرى  
 لايساريون غنيا ولا يرجون فقيرا \* وجاء الخبر بتوجيه مسند الصدارة الى الوزير محمد باشا  
 عزت والى مصر وتولية صالح باشا بدله فنزل محمد باشا من القلعة وسافر الى الاسكندرية  
 في صفر من السنة أى سنة تسع ومائتين وألف وأقام بالاسكندرية أياما حتى قدم صالح باشا  
 في العشرين من ربيع الاول ووصل تقليد الصدارة الى محمد باشا عزت وهو بالاسكندرية  
 فنزل من فوره وسافر الى دار السلطنة وحضر صالح باشا الى القاهرة وصعد الى قلعة  
 الجبل في الموكب المعتاد وصعد الامراء والمشايع للسلام عليه فقابلهم وأكرم لقاءهم  
 وأراد التصرف فى الامور والنظر فى مصالح الخلق فلم يتمكن اتغلب ابراهيم بيك ومراد  
 بيك واستمقلاهما بالامر فالتزم التجب والانكماش وبقي على هذا الحال عشرة أشهر حتى جاء  
 الخبر بخلعه وتولية السيد أبى بكر باشا وذلك فى ذى الحجة من سنة عشر ومائتين وألف فنزل  
 من قلعة الجبل الى قصر العيني ونأهب للرحيل وأقام به أياما فلائيل ثم سار الى الاسكندرية  
 فكانت مدة ولايته زهاء عشرة أشهر \* وحضر السيد أبوبكر باشا من الاسكندرية الى  
 القاهرة وركب فى الموكب المعتاد الى القلعة فى الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة  
 احدى عشرة ومائتين وألف هجرية فلم يكن له من حظ الولاية الا ما كان لغيره من الولاية  
 فكان مغلوبا على أمره والكلمة لابراهيم بيك ومراد بيك والناس فى غم من الضرائب  
 الفادحة والمغارم المتواليمة والمكوس المتركة وضجيجهم مستمر وابتهاهم الى الله تعالى  
 متواصل بزوال دولة الظالمين ومحو آثار القوم المفسدين وقد بلغت منهم الروح الخلقوم  
 والعظم السكين فأرسل الله سبحانه على زمرة المماليك بونابارته قائد جيوش الفرنسيين  
 فى عسكر عظيم فقهروهم وأباد سلطانهم حينما كما سيأتى بيان ذلك فى محله ان شاء الله

مطلب

عزل محمد عزت باشا وولاية  
صالح باشا

مطلب

عزل صالح باشا وولاية  
أبى بكر باشا

## (فصل)

في

(نزول نابوليون بونابارته بجيشه على مصر وما جرى بعد ذلك من الحوادث والحمل)

لما عظمت دولة الفرنسيين وكبر سلطانها بما عانتها من الغزو وتدويح الممالك على يدي قائد  
عسكرها العظيم بونابارته الكبير واتسعت كلمتها وعت هيبتها مشرق الارض ومغربها بعد  
قتل لويس السادس عشر ملكها وقيام الحكومة الادارية فيها لم يبق من معاند لها ولا واقف  
في وجهها كما قاله أصحاب الاخبار سوى دولة الانجليز فانها كانت لانقض أبدا يبذل كل مرتخص  
وغال في سبيل اذهاب تلك السلطة ومحو تلك الهيبة وقطع شأفة ما استقر منها في قلوب كبار  
الممالك والدول الذين علا همتهم سيف بونابارته العظيم فأذلهم وأخضعهم وكان كلما عاهدت  
دولة الفرنسيين دولة بعد الغلبة عليها حقنا للدماء أو حفظا لحرمة الجوارح كرها الانجليز  
ودفعوا بها الى نكث العهود ونقض الوعود وأمدوها بما تحتاجه لذلك من المال ومعدات  
القتال أو تاركت دولة أخرى أنقضها الانجليز الى القتال قبل انقضاء الاجل وحسنوا  
لها القبيح من هذا العمل فكان بونابارته من ذلك في كسد دائم وحزن ملازم لا ينكشف  
عن تدبير الخيل وتعليل الامل بكسر شوكة هذا العدو الألد وسحق سلطانه من أدنى الاقطار  
الى أقصاها فكان مما دبره يومئذ نزع المملكة الهندية من يد الانجليز وبذل النفس والنفيس  
في سبيل ذلك وكأنته رأى أن هذا الامر لا يتم الا بتزوله بجيش عرمرم على مصر واستخلاصها  
من أيدي الممالك وجعلها رباطا لحركته الحربية ومقرا لمناوشاته السياسية فجعل يفكر  
ويتدبر وهو قلق البال مضطرب الاحوال حتى اجتمع برجال الحكومة الفرنسية وهم  
المعروفون في ذلك الوقت برجال الادارة وكشفهم على ما في نفسه وبالغ في الشكوى وأراهم  
أنه لا سبيل الى الخلاص من مخالب هذا الاسد الرابض الا بارهابه وتذليله ومناعضته في أرض  
الهند الواسعة ففكر رجال الادارة في ذلك حينما وأحلاه محلا عظيما فكانوا فيه بين إقدام  
ولججهم وخوف ورجاء فأنس منهم بونابارته ذلك فجعل يشجعهم ويستميلهم وكتب اليهم كتابا  
يقول ما حصل ترجمته

لستم تنكرون أيها السادة أن مصر أكثر المدن خصوبة وأكبرها عمراناً وانما كانت  
اهراء لاهل رومية وفي هذا الأوان لاهل القسطنطينية فان أرضها تنبت القمح والبقول والارز  
وسائر أنواع البقول فضلا عن القطن وقصب السكر والكتان والنيلة والقنب والخيار  
شبر والسنامكي والنظرون وفيها من الماشية أشكال ومن الطيور الداجنة ألوان فضلا عما  
فيها من الحمر والابل التي لا مثيل لها في أقطار الارض ومصر كما لا يخفاكم من مركز  
متوسط بين قارتي آسيا وأفريقية تؤمه القوافل من جزائر العرب والشام وسواحل الغرب

وبلاد الحبشة وربما جاءتة من رأس الرجاء الصالح والنغال بأنواع المتاجر من الزيت والخشب  
والفحم والبن ومن الجوار والعبيد والصبغ والتبر والريش وسن الفيل والشالات والعطريات  
والاطياب وسائر صنوف المتاجر والمحصولات الهندية وقد كانت هذه المحصولات والارزاق  
العظيمة تأتي الى بلادنا قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح من طريق مصر فهي منذ القدم  
الطريق المأمون والسبيل الميمون ما بين قارتي آسية وأروبا وكانت تلك الارزاق والمحاصيل  
العظيمة تحط أجمالها قبلا عند مدينة برنيس على ساحل القلزم ثم تنقل منها جملا على ظهور  
الابل الى مدينة طيبة زهاء أربع وعشرين مرحلة ثم تسير منها في النيل الى قارة أوروبا  
وكانت في بعض الاحيان تنقل بحرا الى القصير ثم الى مدينة السويس ومنها على ظهور الابل  
الى منف فتأتينا كما هي ولنعلم السادة رجال الادارة أننا لو فتحنا هذه الديار وأحسننا سياسة  
أهلها ودبرنا شؤونهم على ما تقتضيه مصالحهم خسين عاما فقط لعمرت البلاد وسعدت وزاد عدد  
أهلها أضعاف أضعاف ما هم عليه الآن وراحت محاصيل بلادنا فيها وفيما جاورها من الامصار  
وأغنمتنا عن أمريكا وكفتنا مؤنة التعاقد معها ولنعلم أيضا السادة رجال الادارة أنه اذا قدر  
الله كوز قدمنا في تلك الديار ووقفنا الى حسن ادارتها قصرت أيام الانجليز في بلاد الهند  
وصار جلاؤهم عنها أمر أخفيا فاننا نقيم الجند المرابطين على سواحل القلزم وننشئ المعاقل  
والحصون المنيعه ونُدخِر فيها ما نشاء من محاصيل تلك البلاد ونحوّل التجارة الهندية اليها على  
أهون ما يكون واذا فرضنا بقاء الانجليز في رأس الرجاء الصالح وقلنا باستحالة رحيلهم عنها فانه  
يكون من السهل علينا أن نباريهم ونفتح بين النيل والقلزم ترعة تذلل لنا المصاعب وتذهب  
عنا تلك المتاعب ونكون قد غلبنا الانجليز وقهرناهم وقبضنا على زمام تجارتهم بيد من حديد  
وعندى أن فتح هاته الترعَة ليس بالامر الصعب فقد كانت جارية من قبل وأثارها باقية  
الى الآن \* وفي فتح مصر وبسط يدنا عليها الطامة الكبرى على الانجليز والداهية الدهياء التي  
لا بد وان تذهب بهم الى حضض الذل والدمار اه

فلما وقف رجال الادارة على ما في خطابه هذا من البراهين الدامغة والحجج القوية حاروا  
في أمرهم وخشوا شر العاقبة وقد كانوا يرون في دولة الانجليز أمة قادرة غنية تضرب  
بجسام غناها ذات اليمين وذات الشمال كما كانوا يرون في بونابارته هماما مقداما حسن  
السياسة والتدبير كبير المعرفة باحوال الممالك والامم فلما كان الخامس من شهر  
مارس سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وألف ميلادية أي سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف  
هجريه اتفق رجال الادارة مع بونابارته على تسمير حملة يقودها هو مع من يصطفهم لنفسه  
من رجال الحرب وفرح بونابارته فرحا لا يوصف وبقي السر مكتوما بينهم لا يعلم به أحد البتة  
ثم جعل من هذا الحين يجيش الجيوش ويعد المعدات فاجتمع له أربعون ألفا من المقاتلين  
وأربعون قائدا من نخبة القواد أهل النجدة ومائة من المهندسين ومنلهم من أهل العلم بتخطيط  
الارض وأصحاب الكيمياء والطبيعة ونحوها ومعهم مطبعة عربية وجماعة من الكتاب

والمترجمين والاطباء والجراحين والكهالين ومثلهم من الصناعات وأصحاب العمل والحفر والنقش  
وهيا عمارة عظيمة لم ينقصها شيء مما من آلات الحرب والقتال وأميرها برويس أحد كبار أمراء  
البحار وهي مؤلفة من مائة سفينة بين كبيرة وصغيرة وبينها سفينة عظيمة للغاية اسمها الشرق  
تحمّل مائة مدفع وعشرين مدفعا ومن صخب بونابارته في هذه الحملة من كبار القواد  
كلاير وديزيه المشهوران ورينير وبون وينو للشاة والفائد مورات للفرسان ودومارتين لاصحاب  
المدافع وكافراي للمهندسين وخرجت سفن الحرب بما عليها من المقاتلين البحرية وهم زهاء  
عشرة آلاف من أربع جهات متباعد بعضها عن بعض حتى لا يعلم بخبرها أحد من عيون  
الانجليز وخرجت معها السفن والشواني التي كانت تحمل جيموش الحملة فكانت تجملتها زهاء  
سبعائة سفينة وسار معها بونابارته وحاشيته في التاسع من مايو من السنة تخبر بهم السفن  
في عرض البحر فأنفذ رجال الادارة الى دار السلطنة العثمانية (آلاتاليران) أحد كبار  
السياسة سفيرا من قبلهم ليكلم السلطان في أمر حملة بونابارته هذه والافرار عليها فسافر الى  
القسطنطينية ولم يعلم بخبره أحد البتة

ولما فاض الخبر بقيام تلك الجيوش العظيمة والمعدات الهائلة كثر تحدث الناس بها وتزامت  
ظنونهم الى المرعى البعيد فن قائل انها لقتال الانجليز وإبادة سلطانها ومن قائل بل انها لفتح  
المدن والامصار في آسية وأفريقية ومن قائل غير ذلك وطارت الاخبار بذلك الى الآفاق  
نخاف الانجليز شر العقاب و جعلوا يتدبرون في الامر ويبالغون في البحث والتجسس فلم يقفوا  
لهذه الحملة على جلية خبر فكبر عليهم هذا الامر وأعظموه وأنفذوا الامير نلسون أحد كبار  
البحر عندهم في أسطول عظيم وعهدوا اليه أن يتبع سفن بونابارته أينما حلت وأن  
لا يمكنها من عمل شيء البتة فسار نلسون بسفنه يخبر في عرض البحار وقد ظن ان بونابارته  
انما خرج بجيوشه يريد مصر أو الشام فسار قاصدا مدينة الاسكندرية فأدركها يوم  
الخميس ثامن المحرم افتتاح سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف هجرية أي سنة ثمان وتسعين  
وسبعمائة وألف ميلادية وسفنه أمامها وكان العامل عليها السيد محمد كريم أحد عظماء  
البلد ثم أنزل نلسون نفرا من عسكريه في زورق فطلعوا الى البر وطلبوا لقاء السيد محمد كريم  
فدخلوهم عليه ومعه بعض أعيان المدينة فسألهم عن حالهم وسبب حضورهم بتلك السفن  
الكثيرة في ذلك الوقت فقالوا آتينا نبحث عن طوائف من الفرنسيين خرجوا في عمارة عظيمة  
يريدون جهة من الجهات ولا ندري اين يقصدون فرمنا دهموكم فلا تقدرتون على ردهم  
ولا تمكنون من منعهم ولذلك رأينا ان نرسو ههنا بمرأينا كينا للحفاظ على المدينة ومن فيها ولا  
نسألكم شيئا من المدد سوى الماء والزاد بثمنه فظن السيد محمد كريم انها خدعة وحيلة فقال  
هذه بلاد السلطان فليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل فعادت زسل الانكليز بغير طائل  
وأقلعوا ليمتاروا فسير السيد محمد كريم الى كاشف البحيرة من يخبره بخبر تلك السفن ويأذنه  
بجمع العربان والأتبان بهم الى الاسكندرية للحفاظ عليها فلما شاعت هذه الاخبار بالقاهرة



ومصر خاف الناس وتحذروا في الامر كثيرا وأصحاب الحل والعقد في شاغل عنه كأنهم في مأمن من العاقبة أو أنهم على ثقة من الظفر والغلبة فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر المحرم وصلت العمارة الفرنسية مائة الاسكندرية امام المدينة وأرسلت جماعة منهم يطلبون قنصل الفرنسيين وبعض أهل المدينة فذهبوا اليها فنعوهم من العودة ولما جن الليل تحول من تلك العمارة بعض السفن الى ناحية العجني وأبي قير وأنزلوا من بها من العسكر الى البر وكان برويس أمير السفن يعارض بونابارته في ذلك وينع من نزول العساكر في تلك الليلة خوفا من حادث يحدث فلم يلتفت بونابارته الى كلامه وقال لا بد من نزول جميع العسكر فنزلوا ليلا وساروا نحو الاسكندرية فلم يصبح أهل المدينة الا والعساكر منتشرون حول المدينة انتشار الجراد فخرج الناس ومن انضم اليهم من الانكشارية والعربان وكشف البحيرة ليقاتلوهم فلم يستطيعوا مدافعتهم ولا أمكنهم ممانعتهم ولم يشبوا لحربهم وانهمز الكاشف ومن معه من طوائف العربان ورجع الاهالي الى التترس في البيوت وخلف الحيطان ودخل الفرنسيين المدينة وانبت فيها الكثير من ذلك العدد فأيقن أهل الاسكندرية انهم مأخوذون على كل حال وليس ثم عندهم للقتال استعداد نخلو الابراج من معدات الحرب فضلا عن المقاتلين مع كثرة العدو وغلبته فطلبوا الامان فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال ونودي في المدينة بالامان ورفعت الاعلام الفرنسية على ما بالمدينة من القلاع والحصون والابراج وأرسل بونابارته في طلب أعيان الثغر والسيد محمد كريم فحضروا وهم فزعون وجائون وتملأوا بين يديه فلاطفهم وكلم السيد محمد كريم لحظة لطيفة ثم أزمهم بجمع ما بيد الاهالي من الاسلحة ومعدات القتال واحضاره اليه وأن يضعوا على صدورهم علامة هي على شكل زهرة مستديرة ذات ثلاثة ألوان احمر واسود وابيض وهي ألوان الراية الفرنسية وتسمى هذه العلامة عندهم جوكار ففعلوا وجعلت طوائف العسكر تطوف في شوارع المدينة وبأيديهم البنادق والحراي وأخذ جماعة منهم يصلحون ماتهم من الحصون ويرمون ما تحرب من الابراج وزحفت بقية الجيوش الى رشيد ودمهور فهاجر أهلها وازحوا عنهما الى فوه وفواحيها فرسم بونابارته بتحرير منشور للاهالي كافة يؤمنهم فيه على اعراضهم وأموالهم ويطمئن قلوبهم ويسكن روعهم فكان نص ما في ذلك المنشور

بسم الله الرحمن الرحيم لاله الا الله لا اولاد له ولا شريك له في ملكه من طرف الفرنسية المبني على أساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنسية بونابارته يعرف أهالي مصر جميعهم انه من زمان مديد والصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنسية ويظلمون تجارها بانواع الايذاء والتعدي فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الاباطة والنرا كسة يفسدون في الاقليم الحسن الاحسن الذي لا يوجد في كرة الارض كلها فاما رب العالمين القادر على كل شئ فانه قد حكم بانقضاء دولتهم \* بأيمها

المصريون قد قيل لكم انى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالتمكم فذلك كذب صريح  
 فلا تصدقوه وقولوا للفترين انى ما قدمت اليكم الا لتخليص حقكم من يد الظالمين وانى  
 أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم \* وقولوا أيضا لهم  
 ان جميع الناس متساوون عند الله وان الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل  
 والعلوم وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا  
 أن يملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شئ حسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق  
 والمساكن الفرجة فان كانت الارض المصرية التزاما للممالك فليرونا الحجة التى كتبها الله  
 لهم ولكن رب العالمين رؤف وعادل وحليم وبعونه تعالى من الآن فصاعدا لا يأس  
 أحد من اهالى مصر من الدخول فى المناصب السامية ومن اكتساب المراتب العالية  
 فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم يدبرون الامور وبذلك يصلح حال الامة كلها \* وسابقا كان  
 فى الاراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمنجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الا  
 الظلم والطمع من المماليك \* أياها المشايخ والقضاة والأئمة والخرجيية وأعيان البلد قولوا  
 لأنتمكم ان الفرنسية هم أيضا مسلمون مخلصون واثبات ذلك انهم قد نزلوا رومية الكبرى  
 وغربوا فيها كرسي البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا بحرية  
 مالطة وطردها منها النكولارية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين  
 ومع ذلك الفرنسية فى كل وقت من الاوقات صاروا محيين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى  
 واعداء أعدائه أدام الله ملكه ومع ذلك فان المماليك امتنعوا من الطاعة للسلطان غير متمثلين  
 لامره فما أطاعوا أصلا الا لطمع انفسهم طوبى ثم طوبى لاهالى مصر الذين يتفقون معنا  
 بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلمو مراتبهم وطوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين  
 لاحد من الفريقين المتحاربين فاذا عرفوا بالاكثر تسارعوا اليها بكل قلب لكن الويل ثم  
 الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا فلا يجردون بعد ذلك طريقا للخلاص ولا  
 يبقى منهم اثر

(المادة الاولى) جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواقع التى يمر  
 بها عسكر الفرنسية فواجب عليها ان ترسل للسرا عسكر من عندها وكيملا كيملا يعرف  
 المشار اليه انهم أطاعوا وانهم نصبوا علم الفرنسية الذى هو أبيض وكحلى واحمر  
 (المادة الثانية) كل قرية تقوم على العسكر الفرنسية تحرق بالنار  
 (المادة الثالثة) كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى تنصب صنجق السلطان العثمانى

محبنا دام بقاءه

(المادة الرابعة) المشايخ فى كل بلدة يختمون حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك  
 التى تتبع الممالك وعلهم الاجتهاد التام لتلا يضيع أدنى شئ منها  
 (المادة الخامسة) الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة انهم يلازمون وظائفهم

وعلى كل واحد من أهالي البلدان ان يبقى في مسكنه مطمئنا وكذلك تكون الصلاة قائمة  
في الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى على انقضاء  
دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله اجلال السلطان العثماني أدام الله اجلال العسكر  
الفرنساوي لعن الله المماليك واصلح حال الامة المصرية  
تحريرا بعسكر اسكندرية في ١٢ شهر سيدود سنة ١٢١٢ من اقامة الجمهورية  
الفرنساوية يعني في آخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية انتهى بنصه  
وسارت جيوش يونابارته سيرا حثيثا جدا فدخل فريق منهم الى فوه وآخر الى الرجانية  
وعسكروا فيها وقاض الخبر بذلك في القاهرة ومصر فانزعج الناس انزعاجا شديدا وعول  
أكثرهم على الفرار وجمع ابراهيم بيك ومراد بيك جميع الامراء بقصر العيني وكذلك العلماء  
والمشايع وقاضى القضاة ونزل الباشا من قلعة الجبل وتكلموا في هذا الامر وطال الاخذ  
والرذم اتفقوا على ان يكتبوا بخبر هذا الحادث الى دار السلطنة العثمانية وان يتجهز مراد  
بيك بالعسكر ويخرج للقتال وصد هذا العدو فكتبوا الى دار السلطنة وسيروا الكتاب  
مع مخصوص على البر وأخذوا في الاستعداد وجمع آلات الحرب ومعدات القتال وجعلوا  
يصادرون الناس ويأخذون ما يحتاجون اليه بغير ثمن ثم ارتحل مراد بيك عن القاهرة  
وبرز بجنيامه الى الجسر الاسود فأقام به يومين حتى تكامل خروج العسكر وخرج معه على  
باشا الطرابلسي وآخر اسمه ناصف باشا وقد كانا مقيمين معه بالجيزة وخصيصين به وأخذ  
عسدة كبيرة من المدافع وشيا كثيرا من الذخيرة وساروا في الفرسان وسافرت العساكر المشاة  
بجرا بسفن الحرب الصغيرة وقد كانوا أخلاطا من القليوبجية والاروام والمغاربة وحمل معه  
سلسلة عظيمة لوضعها على البوغاز عند برج مغيزل لتمنع سفن الفرنسيين من الدخول الى  
النيل وظن ان الفرنسيين يطاولونه الحرب وهو يطاولهم كذلك حتى تأتته النجدة من  
جانب الدولة فكان الامر على خلاف ما ظننه فانه لما دخل يونابارته مدينة الاسكندرية  
ورتب أموره فيها على ما رأى فيه المصلحة سار بجيوشه على الجانب الغربي من النيل سيرا  
حثيثا من غير ممانع يطلب القاهرة وبث أمامه العمون والارصاد لتأتي اليه بخبر مراد بيك  
ومن معه وكانوا اذا نزلوا على قرية أو بلد أو مدينة رأوا من أهلها الطاعة والاخلاد الى  
السكينة وقد بدأت الوحشة بين سكان مصر والقاهرة وكثر الهرج والارجاج وانقطعت  
الطرق وأخذت اللصوص في كل ليلة تطرق المدينة وانكف الناس عن الخروج الى  
الاسواق بعد الغروب فنادى الاغا والوالى بفتح الجوانيت ليلا وتعليق القناديل على البيوت  
والدكاكين لازهاب الوحشة من القلوب والاستئناس وكشف خبر الدخيل على البلد  
اذا دخل ولم يكن الا أيام قلائل من خروج عساكر يونابارته من مدينة الاسكندرية حتى  
التقوا بجيوش مراد بيك في يوم الجمعة تاسع عشر المحرم عند منية سلامة فاقتتل  
الفریقان فلم تكن الا ساعة حتى انهزم مراد بيك بن معه وكان القتال هينا جدا

ثم أطلق الفرنسيين مدافعهم على سفن مراد بيك فأحرقتها بما فيها من البارود وآلات الحرب والمؤن والذخيرة والعساكر فأزعج هذا المنظر المريع مراد بيك وهاله جدا فولى الفرار وتبعه عسكره وتزل المشاة منهم فيما بقي من السفن وأقلعوا بها الى بولاق ووصل بعضهم الى القاهرة وهم في أسوأ حال فآزعج الناس واشتد الخوف وركب ابراهيم بيك الى ساحل بولاق وتبعه الباشا والعلماء والمشايخ والاعيان فتشاوروا في عمل متاريس من شبرا الى بولاق وان يتولى الإقامة فيها ابراهيم بيك وأتباعه ومما ليكه فأجابهم ابراهيم بيك الى ذلك واهتم له جدا وأحضر السفن الكبيرة والغلابين التي أنشأها حديثا وأوقفها على ساحل انبائه وشحنها بالعساكر والمدافع فكان جانبا النيل شرقا وغربا مشحونين بالعساكر والاجناد والمدافع وآلات الحرب والمتاريس \* قال بعض كتاب الاخبار وكان العلماء من يوم خروج مراد بيك بجيوشه يجتمعون بالجامع الأزهر كل يوم يقرؤون البخارى وغيره من الدعوات وكذلك مشايخ فقراء الاجمعية والرافعية والابرايمية والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف وأرباب الاشايخ ويعملون الاذكار بالزهر وكذلك أطفال المكاتب كانوا يضحون في كل يوم بيالطيف وكان الامراء في وجل ماعليه من مزيد فكانوا يتقلون في هذه المهلة أمتعتهم من بيوتهم وقصورهم الرحمة الى بيوت حقيرة غير معلومة وأرسلوا بعضها الى الارياف وتأهبوا للرحيل وكاد يتبعهم في ذلك أكثر الاغنياء وأصحاب المقامات العالية ووقع النداء بالفير العام فخرج الناس الى المتاريس وكرروا النداء في كل يوم فأغلق الناس الحوانيت والاسواق وخرج الجميع الى بولاق القاهرة فكانت رجال كل طائفة من أرباب الصنائع يجتمعون وينصبون لهم خياما أو يجلسون في مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له مما جمعوه من بعضهم من المال وكان البعض يتطوع بالانفاق على الآخرين ومنهم من جهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والذخيرة وغير ذلك واجتهد الناس اجتهادا عظيما وخرج الفقراء بالطبول والزمرور والاعلام والكسرات وهم يضحون ويضحون ويذكرون بأذكار مختلفة وصعد السيد عمر افندي نقيب الاشراف الى قلعة الجبل فأنزل منها بيرقا كبيرا سمته العامة البيرق النبوي فنشره بين يديه من قلعة الجبل الى بولاق القاهرة وأمامه وحوله الألوف المؤلفة من العامة وبأيديهم النبائيت والعصى والمساق وهم يضربون بالطبول ويهللون ويكبرون وكانت شوارع القاهرة في غاية الوحشة اذ كنت لا ترى فيها أحدا سوى من في بيوتها من النساء والاطفال وضعفاء الرجال وكانت الدكاكين كلها مقلبة نهارا وليلا وجلس العلماء والمشايخ بزواية على بيك ببولاق القاهرة يدعون ويبتهلون الى الله بالنصر وأرسل ابراهيم بيك الى العربان المجاورين لمصر ورسم لهم بأن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والاها واجتمع له أيضا كثير من عرب البحيرة والصعيد والحيرة والقيعان وأولاد على والهنادى وغيرهم فكان الجمع يزداد في كل يوم ويعظم الهول ويشتد الضيق بالفقراء لتعطل الاسباب واجتماع الناس في صعيد واحد وانقطعت الطرق

وتعدى الناس بعضهم على بعض وجع ابراهيم بيك جميع الفرنجة الذين بمصر والقاهرة  
فخس بعضهم بقاعة الجبل وبعضهم بيوت الاسراء وقتشوا بيوتهم لعلهم يجدون فيها شيئاً  
من السلاح أو آلات الحرب وكذلك قتشوا جميع بيوت الشسوام والقبط والروم وجميع  
الكنائس والديارات والعمامة لا ترضى الا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم  
قال صاحب عجائب الآثار ولولا ذلك المنع لقتلتم العمامة وقت الفتنة اهـ

ولما كان يوم الجمعة سادس صفر وصل بونابارته بجيوشه الى الجسر الاسود فباتوا ليلتهم  
وأصبحوا فساروا الى أم دينار فوصلوها في يومهم وقد كان الظن بهم ان يأتوا من جانب النيل  
شرقا وغربا فلم يأتوا الا من الجانب الغربي ونظر بونابارته الى صفوف العدو على عين  
موقفه وهرم الجيزة الكبير على يساره فخطب جنوده وقال أيها الابطال البواسل ان أرواح  
أناس قد مضى عليها خمسون قرنا تنظر اليكم من قمة هذا الهرم العظيم وترقب حركاتكم  
في قتال هؤلاء المماليك فافطنوا ثم رسم الى الجنرال ديزه ان يسير بعسكره نحو المين وبقية  
العساكر نحو اليسار وكان الوقت وقت القائلة وقد خرج جماعة من عسكر ابراهيم بيك  
وقدموا نحو بشقيل فقتلوا مع مقدم عسكر الجنرال ديزه فكروا عليهم بالخيول فرماهم  
الفرنسيس بالبنادق رميا متتابعاً وأبلى الفريقان بلاء حسنا فقتل جماعة كثيرة من كشاف  
محمد بيك الالفي ومماليكه وتعقبتهم عساكر الجنرال ديزه فلما اقتربوا من متاريس مراد بيك  
ترامى الفريقان بالمدافع وكان قد حضر من دمياط فريق من عسكر البحر الارنؤد فقاموا  
بالقتال من خلف المتاريس وحاربوا مع العساكر البرية فلما احتدم القتال ارتفعت أصوات  
المدافع ضج العمامة والغوغاء من الرعية وأخلط الناس بالصياح في الجانب الشرقي من النيل  
ورفعوا أصواتهم بيارب ويالطيف ويارجال الله وغير ذلك وشرع فريق من العسكر الذين  
بالجانب الشرقي في العبور غربا فلم يتم عبورهم حتى تمت الهزيمة على المصريين وكانت الريح  
شديدة وأمواج النيل تملأهم وفي قوة اضطرابها والرمال يرتفع غبارها وتنسفها الريح في  
وجوه المصريين فلا يقدر أحد ان يفتح عينيه لشدها وانقسم الفريق المقاتل من الفرنسيين  
الى شطرين بشكل مخصوص واقترب من متاريس مراد بيك فصارت المتاريس في القلب  
والفرنسيس من الامام ومن الخلف ودقوا طبولهم ورموا بالبنادق والمدافع تباعا وقد اشتد  
هبوب الريح وانعدت الغبار وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح وصمت الأسماع  
من أصوات المدافع وبقي الحال هكذا نحو ثلاثة أرباع الساعة وانكشف عن هزيمة  
المصريين وغرق العدو العديد من فرسانهم في النيل لاحاطة العدو بهم وظلام الوقت  
وأسر منهم خلق وملك الفرنسيين المتاريس جميعها وفر مراد بيك ومن معه هارين الى  
الجيزة فحجاء منزله في حالة رديئة وقضى أشغاله وسار من فوره الى الصعيد الاعلى  
ولما تمت هزيمة من كانوا يقاتلون بالجانب الغربي من النيل حول الفرنسيين أفواه  
مدافعهم الى الجانب الشرقي وتابعوا الرمي بها مع الرمي بالبنادق أيضا فتحقق من كان

بالجانب الشرقى من الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وكثر صياح العامة وتساقط بعضهم  
 فوق بعض وداستهم سنانك خيل الفارين من الامراء والمماليك وفر ابراهيم بيك والباشا  
 والامراء وجميع العسكر والاهالى كافة وتركوا جميع الاثقال والخيام ولم يأخذوا منها شيئاً  
 وذهب ابراهيم بيك والباشا الى العادلية ودخل الناس قبيل الغروب المدينة وهم يضجون  
 بالعيول والنحيب ويبتلون الى الله من شر هذا اليوم العصيب فصارت النساء عند ذلك  
 يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت ويولولن فلما جن الظلام خرج الكثير من الناس  
 خارج أبواب المدينة بنسائهم وأولادهم وخرج بعضهم هائماً على وجهه لا يرى للسلاطة  
 سيملاً غير مبال بترك الزوجة والولد واستمر الحال على هذا المنوال طول تلك الليلة وأصبحوا  
 وقد أحاط بهم العربان من كل جانب فسلبوا ما كان معهم من متاع ولباس وأجمال فلم  
 يتركوا لمن وقع في أيديهم ما يستربه عورته أو يسد جوعه وعاد من الهاريين من لم يبعد عن  
 أبواب المدينة فدخلوا عرايا نساء ورجالا حتى الاطفال والصبيان والبنات فكانت ليلة وصباحها  
 من أشنع ما رآته أعين المصريين جرى فيها من القتل والنهب وفضيحة النساء على اختلاف  
 درجاتهن ما لم يسمع بما يشابهه بعضه في تواريخ المتقدمين وأصبحوا وقد اجتمع العلماء والمشايخ  
 بالجامع الازهر وانفقوا على ان يبعثوا بكتاب الى بونابارته بمعسكره في انبابه يسألونه فيه عن  
 مراده وعمما يسأله من الطلاب فكتبوا الكتاب وأرسلوه مع أحد المشايخ المغاربة فلما وصل  
 الرسول وتمثل بين يدي بونابارته بش في وجهه ولاطفه وقرأ الخطاب ثم التفت الى الرسول  
 وقال وأين عظماء البلد ومشايخها ولم تأخروا عن الحضور لترتب وايامهم ما يكون فيه الراحة  
 لهم ولاهل بلادهم فقال نريد أمانكم فقال قد أمانكم وبعثنا لكم به قبل الآن قال الرسول  
 ولكن لتطمئن الناس أيضاً فأمر بونابارته فكتب جوابا من معسكر الخيزة خطابا لاهل مصر  
 اننا أرسلنا لكم قبل الآن كتابا فيه الكفاية وذكرنا لكم اننا ما حضرنا الا بقصد اذهاب  
 دولة المماليك الذين أهانوا الفرنسيين وساموهم الخسف وقد تناولت أيديهم الى سلب التجار  
 ومال السلطان فلما حضرنا الى الجانب الغربى من النيل خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه  
 وقتلنا بعضهم وأسروا البعض ونحن في طلبهم حتى لا يبقى أحد منهم بالديار المصرية وأما المشايخ  
 والعلماء وأصحاب المرتبات وكامل الرعية فيكونون مطمئنين ساكني الخواطر لاخوف  
 عليهم اه ثم التفت الى الرسول وقال لترجمانه قل له انه لا بد من حضور المشايخ والاعيان  
 الينا لترتب ديوانا ننتخبه من سبعة من عقلاء الناس يدبرون الامور ويتظرون في مصالح  
 الخلق \* فعاد الرسول وأخبر بجميع ماجرى فاطمان الناس وسكنت خواطرهم وركب الشيخ  
 مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى ولم يبق من كبار المشايخ يومئذ غيرهم لفرارهم مع  
 بعض الامراء وعبروا الى الخيزة فملقاهم بونابارته وبش في وجوههم وسألهم انتم كبار المشايخ  
 فقالوا لا وانما كبار المشايخ قد هربوا فقال لأى سبب يهربون اكتبوا لهم بالحضور وسنعمل  
 لكم ديوانا ينظر في مصالح الرعية ويقضى أمورها ويقوم بما تقتضيه الشريعة ثم أمر فكتبوا

عدة مكاتب للمشايخ بالامان وسرعة العودة ثم قام الشيخ الصاوى ومن معه وعبروا الى مصر بعد العشاء الاخيرة فاطمأن الناس برجوعهم وأصبحوا فأرسلوا خطابا بونابارته للمشايخ فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرفاوى وبقية المشايخ ومن تبعهم من الاهالى الفارين من ناحية المطرية فتقوت قلوب الرعية برجوعهم ودخل معهم أيضا جماعة كبيرة من الحرافيش والابواباش الذين كانوا يقتفون الهاريين من الامراء والاهالى وقصدوا بيتى ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك اللذين بنحطة قوصون ونهبوا ما بهما وأحرقوهما بغير ممانع ونهبوا عدة بيوت أخرى من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من متاع وغيره وكانوا يبيعون ذلك فى الاسواق جهارا

ولما كان يوم الثلاثاء عاشر صفر عبر بونابارته النيل الى مصر فى فريق من عساكره ونزل فى بيت محمد بيك الالقي بنحط الساكت الذى أنشأه وزخرفه وفرشه بأنواع البسط والفرش الثمينة ولم يسكن به الا أياما قلائل ثم رحل عنه عند وصول الاخبار بدخول الفرنسيين مدينة الاسكندرية فاحتله بونابارته وكانه قد بنى وفرش له ولم يدرج فى المدينة من عسكر الفرنسيين الا نفر ومشوا بالاسواق من غير سلاح ومع غاية الحشمة والوقار فكانوا يشون فى وجوه الناس ويضاحكونهم ويشترون ما يحتاجون اليه بأعلى ثمن فىأخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريبالا ويأخذ البيضة بنصف فضة فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الاسعار وفتح أكثر السوقة الحوانيت والقهاوى \* وأرسل بونابارته يطلب المشايخ والاعيان فذهبوا اليه فلما استقر بهم المقام كلهم فى إقامة عشرة من المشايخ للديوان وفصل الخصومات وقضاء مصالح الرعية فوقع اتفاقهم على الشيخ عبد الله الشرفاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الدهنهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الداخلى وانتظم فى عداد هذا المجلس أيضا محمد كتخدا أبو بكر باشا عامل السلطان على مصر وقاضى القضاة وقلدوا محمد آغا المسلمانى آغا مستحفظان وعلى آغا الشعراوى والى الشرطة وحسن آغا محرم أمين احتساب وقد ألح المشايخ باعطاء هذه المناصب لمن ذكروا من المماليك خلافا لما أشار به بونابارته من تعيين طوائف المماليك وعدم ادخالهم فى الوظائف العالية وأعلموا بونابارته بان سوقة مصر لا يخافون الامن الترك ولا يحكمهم سواهم \* قال صاحب عجائب الآثار وأقاموا ذا الفقار كتخدا محمد بيك كتخدا بونابارته والخواجه موسى كاتوا وكبلا عن الفرنسيين المقيمين بمصر والخواجه حنا بنتو عن أرباب المجلس \* فلما استقر بأرباب هذا المجلس المقام رسم بونابارته فنادى الاغا والوالى فى شوارع مصر والقاهرة بالامان فلم تكن العامة لتكترث بهذا النداء وبقية أكثر الدكاكين مقفلة والناس فى ريب من سكون الحال وكانوا لاجل أن يأمنوا شر الطارق من عسكر الفرنسيين يعلقون على أبوابهم الراية الافرنسية

أو يأخذون من معسكر الفرنسيين ورقة مكتوبة بالفرنسية ياصقونها على الباب ثم أمر  
 بونابارته بتقليد الوظائف لمن يرون فيه الاهمية لذلك فقلدوا برتلين النصراني الرومي كتحدا  
 مستحفظان قال وهو الذي كانت تسميه العامة فرط الرمان فركب بموكبه المعتاد من بيت  
 بونابارته وأمامه عدة من طوائف الجند مشاة بين يديه وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون  
 وهو لابس فروة وبين يديه الخدم بالحرايب المفضضة وقد رتب الاربطة في مراكز أخطاط  
 مصر والقاهرة وسكن بيوت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين وأخذها بما فيه من فرش ومتاع  
 قيل وجوار وغير ذلك وكان برتلين هذا من أصحاب المدافع عند محمد بيك الالفي وقلدوا  
 أحد الفرنجية أمانة البحرين وآخر آغاة الرسالة وجعلوا الديوان بيوت قائد آغا بالازبكية قرب  
 الرويعي وسكن به رئيس الديوان وسكن قائم مقام مصر بيوت ابراهيم بيك الوالي المطل على  
 بركة القبيل وسكن شيخ البلد بيوت ابراهيم بيك الكبير وآخر بيوت مراد بيك على رصيف  
 الخشاب وسكن بوسليك مدير الحدود بيوت الشيخ البكري القديم فكان يطلب الكتاب من  
 القبط في كل يوم ويسألهم عن دفاتر البلاد وحسابها ومريعاتها وغير ذلك \* وأفرج بونابارته  
 عن الاسرى من المماليك والاجناد المصرية بشفاقة أرباب الديوان فدخل الكثير منهم  
 بالجامع الازهر وهم في أسوأ حال وعليهم الثياب الزرق الرثة فكثروا يأكلون من صدقات  
 الفقراء المجاورين ويتكفون المارين وفي ذلك عبرة وتذكرة لقوم يعقلون \* وجمعوا جميع  
 الاسلحة وآلات الحرب وتبعوا من كان عنده شيء من ذلك وأخرجوا الدفائن والودائع ودلهم  
 طوائف الخدم على ودائع الامراء وأمتعتهم فأخرجوها وأخذوها الى بيت القائم مقام فكانت  
 شياً كثيراً جددا وطلبوا قرضه من التجار المسلمين والقبط والشوام والفرنجية قدرها خمسمائة  
 ألف ريال فطلبوا التخفيف فلم يرض بونابارته فقاموا بدفعها ودخلت العساكر الى المدينة  
 فقلوا شوارعها وحاراتها وهم في غاية الخشمة والوقار وكانوا يعملون الناس بالرفق ويخطبونهم  
 باللين فاطمأنت القلوب وسكنت الخواطر واسرع السوق الى فتح دكاكينهم وزال عنهم الخوف  
 وجاء الخبر بوصول الحاج الى العقبة وقرب دخولهم الى مصر فذهب أرباب الديوان  
 الى بونابارته وأخبروه بوصول أمير الحاج ومن معه من العساكر والاجناد وطلبوا منه اذنا له  
 بالدخول هو ومن معه فامتنع ولم يسمح الا بدخوله في قلة وان لا تدخل معه ممالك كثيرة  
 ولا عسكر فكتب المشايخ الى أمير الحاج بأن يحضر الى الدار الحمراء ويتربص هناك حتى  
 ينظر في دخوله الى مصر فلم تصل اليه مكاتبة المشايخ حتى كاتبه ابراهيم بيك الكبير وحبب  
 اليه الحضور الى بلبليس بن معه من العسكر فساروا جميعا الى بلبليس وأقاموا بها أياما  
 وكان ابراهيم بيك عند هروبه من مصر قد ذهب الى بلبليس وأقام بها وبعث النساء  
 والذراري الى القرين باقليم الشرقية فلما قدم عليه أمير الحاج بن معه سار بهم الى المنصورة  
 وقد تفرق جميع الحاج الى بلادهم وعلم بونابارته بذلك فخرج في جيش عظيم الى العادلية  
 وسار الى أن وصلت طلائعها الخائكة وأبا زعبل وطلبوا كافة من أبي زعبل فامتنع أهلها



فقاتلوهم وهزموهم ونهبوا البلد وأحرقوها وارتحلوا الى بلبيس فلما كوها بغير قتال ووصل الخبر  
 بذلك الى ابراهيم بيك الكبير ومن معه من الامراء وبعض الاعيان فركب ليلا بن معه وترفع  
 الى القرين فتبعه بونا بارتته بجيوشه فسار ابراهيم بيك الى الصالحية وأنزل النساء والذراري  
 فيها ومعهم متاعه وأقام عليهم طائفة من العرب تحرسهم فجاء أحد العربان وأخبر بونا بارتته  
 بموضع النساء والامتعة فسار بونا بارتته فريقا من الفرسان لآخذها فوقف ابراهيم بيك وأصحابه  
 في طريق أولئك الفرسان واشتبك القتال بين الفريقين ساعة كادت تنهزم فيها الفرنسيين  
 لقلتهم واذا بالخبر جاء الى ابراهيم بيك بأن العرب على وشك أن يأخذوا الامتعة وجميع الاجال  
 ففر وفر من كان معه على أثره وتركوا قتال الفرنسيين وطلقوا بالاجال وأجلوا عنها العرب  
 وقتلوا منهم جماعة وساروا مسرعين الى قطيا فلم تدر كهس الفرنسيين بعد ذلك وما زالوا  
 سائرين الى أن استقر بهم المقام بغزة فعاد بونا بارتته بجيوشه الى مصر وجعل ينتظر في الامور  
 ويرتب أحوال البلد وأكثر من طلب الكلف والمصالحات للذئقة على جيوشه السكيرية وبينما  
 هو على هذا الحال اذ جاءه الخبر بقدوم عمارة الانكليز الى ناحية أبي قير مع نلسون أحد  
 أمراء البحر وأنها أحرقت جميع مراكبه وما فيها من آلات الحرب والذخيرة وغيره عند السد  
 وتحير الخبر أنه لما خرج بونا بارتته بمراكبه يريد الاسكندرية لم يسرها في درب البحر  
 المعلوم خوفا من أن تلحقه مراكب الانكليز فسار خلفه ربان السفن الانجليزية وخلق  
 بالاسكندرية ليمنع من النزول بها فكان من أمر حضوره وعدم ملاقاته بسفن بونا بارتته  
 ما تقدم بيانه فرجع بمراكبه في البحر لعله يكثر على سفن بونا بارتته فيمقاتلها أو يتبعها  
 حيثما سارت فدخلت مراكب بونا بارتته الى أبي قير على يسار مدينة الاسكندرية عند غروب  
 الشمس وقيل بعد غروبها وألقت مرساها وكانت الريح على وشك الخروج والبحر كثير  
 الامواج فقال بونا بارتته لربانه فلتنزل الخندق حالا الى البر فقال كيف يا مولاي والبحر في هياج  
 والامواج في شدة وماذا علينا ان بقينا الى الصباح فقال بونا بارتته لابد من خروج العسكر  
 بلا مهل فأخرجت وأصبحو فلم يبق في المراكب الا ملاحوها فقط وسار بونا بارتته من قوة الى  
 الاسكندرية ومنها الى رشيد ودمهور والرحمانية قاصدا القاهرة كما تقدم لك أما سفن الانكليز  
 فانه بعد أن أفلح بها نلسون من مياه الاسكندرية وسارت تخبر في عرض البحار تبحث عن  
 بونا بارتته وسفته عادت مسرعة الى أبي قير فرأت سفن بونا بارتته راسية هناك فظنت أن بونا بارتته  
 وعسكره بها فأطلقت عليها المدافع وكانت السفن الفرنسية راسية على خط واحد ممتدة  
 من الشمال الغربي الى الجنوب الغربي من أبي قير وربانها الاميرال برويس وكان برويس قد  
 أنزل من كل مراكب منها في ذلك اليوم خمسة عشر رجلا الى البر نظف الفعلة الذين أتوا بهم  
 لحفر الآبار للاستقاء فلما شاهد الاميرال برويس سفن الانكليز قادمة استدعى عساكره الذين  
 بالبر وعقد مجلسا من ضباطه وتناجوا في أمر القتال مع المراكب الانكليزية فأشاروا عليه  
 بالخروج الى ظهر البحر وملاقاتها بعيدا عن أبي قير دفعا للخطر فلم يذعن لمشورتهم وأبقى سفنه

في مرساها وكان نلسون أمير السفن الانجليزية في كد دائم وحزن ملازم بسبب عدم اهتدائه الى مقر السفن الفرنسية فلما شاهدها عند أبي قير فرح وأخذ يدبر أمر قتالها قبل فسير بعض مراكبه الى التخرش في مراكب الفرنسيين والدخول بينهم حتى وصلوا بالبر وأتى بما بقي من مراكبه أمام مراكب الفرنسيين وكانت الشمس قد مالت الى الغروب وأطلق مدافعه على سفن الفرنسيين فاجابته مدافع الفرنسيين واشتبك القتال بين الفريقين وتبادع الرمي بالقبائل وعلا الدخان وقد دخل الليل فارتداد الجوّ ظلما على ظلامه وتحطم بعض المراكب الفرنسية وأسر البعض الآخر في قليل من الزمن وكان أميرال السفن الفرنسية على ظهر أكبر مراكبه المسماة الشرق وبها نحو ألف من الملاحين وكان نلسون على ظهر إحدى بوارجه فأصابته رصاصة في جبهته فحملوه الى غرفته وكذلك أصاب أميرال المراكب الفرنسية شظية من قنبلة قطعتة نصفين فحملوه ليمزولوا به الى غرفته فأبى وأشار لهم ان أبقوني حتى أموت في موقفي هذا واشتد القتال وعلت أصوات المدافع الى عنان السماء فلما كان بعد العشاء الاخيرة أصابت النار مخازن بارود مراكب الفرنسيين الكبرى المسماة الشرق فأشعلتها فارتفعت بما فيها من الرجال والاموال والذخيرة والمدافع وآلات الحرب أذرا كثيرة عن وجه الماء ثم هبطت الى قاع البحر وقد عززت كل ممزق ولم يبق لها من أثر ورأى حريقها أهل الاسكندرية ورشيد وغيرها وبطل عندئذ القتال نحو ساعة ثم عاد نلسون يرمي بالقبائل تباعا على ما بقي من سفن الفرنسيين الى نحو ظهر اليوم الثاني حتى دمرها تدميرا وكان الخيال كبير في هذا الحين محتلا بجيشه الاسكندرية فشهد نيران الحريق وعلم بما جرى على السفن الفرنسية من الحريق والدمار فهاله الامر وأزعجه جدا فبات هو ومن معه من العسكر على قدم الاستعداد فلم ينجس لهم جنس ليلتهم تلك وأصبحوا وقد جاء الخبر بما جرى وأقلعت سفن العمارة الانجليزية تختر في عرض البحار لا يعلم أحد اين يكون مرساها بعد هذا النصر العظيم

واغمم بونابارته غما شديدا مما حل بالعمارة الفرنسية وكادت تفتر همته وتحمده عزيمته واصبح وهو بين منتطح عنزيرين فقد رجع الانجليز بسفنهم الى مياه الاسكندرية يغردون ويروحون يرصدون الفرنسيين وينعون عنهم المدد وأطلقوا قنابل مدافعهم على سد أبي قير ليحرق فيه الماء الملح على أراضي البحيرة جميعها لتغرق جيوش بونابارته التي كانت منتشرة يومئذ في تلك الاطراف فلم تلحق بهم ضرا وقيل بل ألحقت ببعضهم وقيل غير ذلك وكاتب بونابارته أحمد باشا الجزائر عامل السلطان سليم يومئذ على الشام يستميله الى الخروج وشق عصا طاعة مولاه وتسليم البلاد لبونابارته وجعل يئنيه بالاماني الطويلة وسير اليه الرسل بذلك من نصارى الشوام ومسلميهم وهون عليه الامر وسار مع هؤلاء الرسل أحد الفرنسيين بهيئة متسكرة وزى التجار فلما قدم على عكا أمر الجزائر بذلك الفرنسيون فنقلوه الى إحدى السفن العائدة الى دمياط ولم يقابله وأمره بالرحيل حالا ولم يأخذ منه

الكتاب وحجز من كانوا معه فعاد ليومه ولم تنجح سفارته وجعل الجزار يكاتب من هذا  
الحين بعض التجار والمشايع بمصر والقاهرة ويراسلهم سرا فكان بونابارته لذلك على حذر  
دائم من المشايخ والعلماء والاعيان كثير التطير منهم فكان يقلب عليهم أنواع التجارب  
ليعرف ما استكن في صدورهم فكان تارة يلزمهم بلبس الجوارب وأخرى بتركه وطورا بلبس  
الفرجيات وأخرى بتغيير شكلها الى شكل آخر وأرسل الى أهل الديوان منهم يوما فحضروا  
خطابهم بواسطة ترجمانه ساعة ثم نهض من المجلس ورجع ويده طيلسانات ملونة بثلاثة  
ألوان وكل طيلسان ثلاث شقات ابيض واحمر وكحلي فوضع منها واحدة بيده على كتف  
الشيخ الشرفاوى فرمى بها الشيخ الى الارض وتغير لونه ثم استعفى من لبسها فقال بونابارته  
لترجمانه قل لحضرات المشايخ انهم صاروا أحببنا وانى لذلك ارغب في تعظيمهم بزى رايقي  
وعلامي فان تزوا بها احترامهم الجند وعظمتهم العساكر فقال المشايخ ولكن يضيع قدرنا  
عند الله واخواننا المسلمين فدمدم بونابارته واعتاظ لذلك وقال لا يصلح الشيخ الشرفاوى للرئاسة  
فلاطفوه وألأوا له الكلام فكان لا ينكف عن تجربتهم كل قليل بمثل هذه الامور  
وغيرها وعلم بونابارته بترفع مراد بيك الكبير الى القيوم بعد فراره من وقعة انبابه فسير اليه  
فريقا من الجند فترفع وفارقه عثمان بيك الاشقر وعبر الى الجانب الشرقى من النيل وسار من  
خلف الجبل وحقق باستاذة ابراهيم بيك بغزة وكان السيد محمد كريم حاكم الاسكندرية قد  
أقره بونابارته في منصبه كما تقدم فأرسل الى مراد بيك مكاتبة يمينيه فيها بتسليم  
الاسكندرية اليه ان هو حضر بعسكره ومماليكه واتباعه فعلم بونابارته بتلك المكاتبة واتت  
اليه بها الجواسيس فاستقدم السيد محمد كريم وسأله فأنكر فبرز له تلك المكاتبة فتلجج في حكم  
عليه بغرامة من المال عظيمة للغاية فان لم يقم بدفعها قتل بغير معاودة فلم يدفع وشفع فيه  
المشايع والعلماء فلم تقبل شفاعتهم وأمر به بونابارته فقتلوه واحترقوا رأسه وطافوا بها شوارع  
المدينة والمناداة أمامها هذا جزاء الخائن وأخبر بونابارته الجواسيس أيضا بورود مكاتبات  
أخرى من ابراهيم بيك الكبير الى بعض المشايخ خطابا لهم وللرعية فأرسل في الحال يطلبها  
فخاف المشايخ خوفا عظيما وأرسلوها اليه فجمع أرباب الديوان وأمر ترجمانه فقرأ المكاتبات  
المذكورة فكانت تتضمن الحث لهم على الاتحاد واليقظة والحفاظة على الرعية وان السلطان  
بعث اليه بجيش وانه على عزم الحضور به الى الديار فتبسم بونابارته وقال هي فرية لا أنزل  
الله بها من سلطان ثم سرح المشايخ فانصرفوا واتفق ان جاء في هذه الاثناء أنما من خصيان  
دار السلطنة وكان محجورا عليه بالاسكندرية فر من المدينة يريد المشهد الحسيني فرآه  
الناس واستغربوا هيأته وقالوا هذا رسول الحى جاء من عند السلطان بمرسوم يأمر الفرنسيين  
فيه بالخلاء عن البلاد وكثرت أقوالهم في هذا الشأن وتباينت أخبارهم واجتمعوا بالمشهد  
الحسيني وتبع بعضهم بعضا وتراجوا فبلغ بونابارته ما تشيعه العامة وما تتناقله الناس من

وورد مرسوم من السلطان خطابا للشايخ وقد أخفوه عن بونابارته فركب من فوره وحضر  
 الى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسيني وكان الوقت بعد الظهر فدخل على حين غفلة ولم  
 يكن تقدم له مجيء وهو في كيبكة وخيول كثيرة وعسكر فانزعج الشيخ ونزل اليه وهو  
 لا يعرف السبب في مجيئه في مثل هذا الوقت على هذه الصورة فلما رآه بونابارته سأله عن ذلك  
 المرسوم فقال لا علم لي بذلك ولم يكن بلغه الخبر فجلس بونابارته مقدار ساعة ثم ركب ومر  
 بعسكره من باب المشهد والناس قد كثروا زحامهم بالجامع والخطة وهم في هرج فلما نظروه  
 وشاهد هو جمعهم داخله أمر من ذلك فصاحوا جميعا بصوت واحد وقالوا الفاتحة فسأل  
 عن سبب الصباح والحامل عليه فقالوا انهم يدعون لك بخير وأصبح وقد سير جيشا عظيما الى  
 حيث مراد بيك وآخر الى الشرقية لمراقبة أحوال ابراهيم بيك الكبير واستطلاع أخباره  
 وقد انحط عنده شأن أرباب الديوان فأهمل أمره أياما ثم شرع في ترتيب ديوان آخر سماه  
 محكمة القضايا ورتب له أصولا وقواعد ترجع أموره اليها وعين له اثني عشر عضوا ورئيسا  
 ستة من القبط وستة من تجار المسلمين وجعل رئيسه المعلم ملطي القبطي وفوض اليهم الفصل  
 في أمور التجارة والعامرة والمواريث والدعاوى وجعل لذلك الديوان قواعد وأركانا وكتبوا  
 منها نسخا كثيرة أرسلوا منها الى الاعيان وغيرهم وأمر فانزل من كان بقلعة الجبل من الاهالي  
 الساكنين في دورها ودرورها وأصعدوا اليها عدة كبيرة من المدافع ووضعوها في عدة مواقع  
 وهدموا بها أبنية كثيرة ورعموا بعض الاسوار بها وما تهدم منها وهدموا قصر يوسف صلاح  
 الدين ومحووا محاسن أولئك الملوك والسلاطين ورفعوا ما كان بباب العزب من الاسلحة والدرق  
 والبلبط والحراب الهندية وغير ذلك واستقدم مشايخ البلاد وأعيان البنادر والثغور الى  
 القاهرة فحضروا واجتمعوا ببيت قائد أعنا بالازبكية وجمع من قدم أيضا من الثغور والبنادر  
 معهم وكذلك أعيان التجار ونصاري القبط والشوام ومدبرو الديوان من الفرنسيين وغيرهم  
 جمعا موفورا فلما استقروهم الجلوس برز المعلم ملطي كبير محكمة القضايا وقرأ مرسوم شروط  
 وفاعدة أعمال المحكمة المذكورة فلما تمت قراءته أبرز كبير المدبرين قرطاسا كبيرا وناوله  
 لترجمانه فشره وقرأه فكان محصله شرح حال الديار المصرية وما كانت عليه في القدم من  
 رفعة الشأن والغنى والثروة واتساع نطاق الزراعة والتجارة وتقدم الصنائع وبلوغ المعارف  
 والعلوم الى أقصى الدرجات وانها كانت محط الآمال ومنبت عظماء الرجال ولذلك قد  
 أحدثت بها الابصار ومدت اليها الاعناق وتناولت اليها الايدي فملكها أهل بابل واليونانيون  
 والعرب والترک وغيرهم الا أن الدولة التركية بالغت في تخريبها اذ من طبعها أنها اذا  
 حصلت الثمرة قطعت عروق الشجرة فلذلك لم تبق الترك بأيدي الناس شيئا الا النزر اليسير  
 وصار الناس لاجل ذلك مستترين تحت حجاب الفقر وقاية لارواحهم من القنك ولاعراضهم  
 من الهتك ثم إن طائفة الفرنسيين بعد أن تمهد أمرها وبعد صيتها وفتحت البلاد وقبضت  
 على أزمة الممالك العظيمة تافت نفسها لاستخلاص مصر مما هي فيه من المذلة والضمك

واراحة أهلها من عناء هذه المظالم وانتشالها من وهدة هذه الدولة المقعنة جهلا وغبوة  
فقد سمت وأتاح الله لها النصر فبددت شمل الممالك وحرقتهم تمزيقا ومع هذا الانتصار فانها  
لم تعامل الرعية بالقسوة ولم تتعرض لشيء من أمورهم الذاتية بكمه وقد وضعت دولة  
الفرنسيس في مقدمات أعمالها الخطيرة في هذه الديار اصلاح الطرق وتأمين السبل وحفر  
الخلجان والترع وتقريب المواصلات بين البلاد وبعضها وتوسيع نطاق التجارة وتعمير ما تخرب  
من البلاد ومنع القوى من ظلم الضعيف وغير ذلك استجلابا لخواطر أهل البلاد وابقاء للذكر  
الحسن فعلى أهل البلد ترك الشعب والاخلاد الى السكون واخلاص المودة والاقلاع عن فعل  
مالاتحمد عاقبته ولم يكن المراد من استقدام من استقدموا من أهل البلاد وعمدها في هذا  
اليوم الا ابلاغهم نوايا دولة الفرنسيس نحو بلادهم وأهلها وهي على يقين من أنهم يدون  
لذلك يد المعونة ويلبغون سر عسكر الدولة الافرنسية بونابارته بما تحتاحه بلادهم من الاعمال  
الخطيرة والمنافع الضرورية الى أن قال وإنا نريد منكم الآن يا مشايخ أن تختاروا من  
بينكم واحدا يكون كبيركم وعليكم طاعته والاخلاد لآثارته ﷺ فقال بعض الحاضر ين تختار  
الشيخ الشرفاوى فقبل لهم وانما يكون ذلك بالقرعة فافتروا فظهرت القرعة للشيخ عبد الله  
الشرفاوى وما تم هذا الامر حتى غربت الشمس فأذنوا لهم بالانصراف وأن يعودوا في غد  
وذهبوا في ثاني يوم وانتخبوا بقمية من وقع الاختيار عليهم لديوان مصر من أهالى البلاد  
والمشايخ والقبط والشوام وتجار المسلمين ثم أخذ أعضاء هذا الديوان في ترتيب أمور الحوادث  
والنظر في المقررات على العقار والاملاك ورتبوا لذلك ترتيبا بأن جعلوا على الاعلى منها ثمانية  
فرانسة في كل سنة وعلى الاوسط ستة وعلى الادنى ثلاثة وما كانت أجرتهم أقل من ريال في الشهر  
فلا شيء عليه وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والخوانيت فبها ما جعلوا  
عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع وكتبوا بذلك أوراقا وأصقوها بالطرق  
والمفارق وأرسلوا نسخا للاعيان وعينوا جماعة المهندسين ومعهم أشخاص لتقدير أجرة  
كل ملك وعقار وشرعوا في الاحصاء وطافوا بعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أصحابها  
فلما شاع خبر هذا العمل بين الناس استعظموه وانتبذ جماعة منهم وتناجوا في ذلك ووافقهم  
عليه بعض المنعمين فاجتمع عند ذلك الكثير من الغوغاء من غسير رئيس يسوسهم ولا قائد  
يقودهم وأصبحوا يوم الاحد وهم في جمع عظيم وأظهروا ما كانوا قد أخفوه من الآلات  
والاسلحة وخرج رجل اسمه السيد بدر ومعه حرافيش خطة الحسينية وزمر الحارات الخارجة  
عن القاهرة وهم في صباح وضجيج عظيم وينادون بأعلى أصواتهم نصر الله دين الاسلام  
وساروا الى بيت قاضي القضاة نحى العاقبة وخاف هذا الامر فأمر فاعلق خدامه الابواب  
ووقفوا امامها يمنعون هذه اللوم من الدخول منها فرجوا بيت القاضي بالحجارة واجتمع كذلك  
بالجامع الازهر عدد عديد من أوائل السوق والغوغاء ووصل الخبر الى الجنرال بون هاكم  
البلد فركب على الفور في عدة من الفرسان ومر بشارع الغورية وعطف على خط

الصناديقية وذهب الى بيت القاضى فوجد ذلك الزحام العظيم فهاله أمره وخرج من بين  
 القصرين وباب الزهومة وكانت جميع هذه الخطط من دجة باخلاط الاهالى فيادروا اليه  
 وضربوه وأتخنوه جراحا وقتلوا بعض فرسانه ثم أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون  
 وضبطوا عدة أما كن بالقاهرة مثل باب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب  
 الشعرية وجهة البندقائين وماحاذها وهدموا مصاطب الدكاكين وجعلوا أحجارها متاريس  
 ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس واقتصر هذا الحادث على من بقلب القاهرة ولم  
 يشاركهم في هذا الخروج أحد من أهالى مصر القديمة ولا أهل بولاق ولاغيرهم من الاطراف  
 فسار اليهم طائفة من الفرنسيس وظهروا من ناحية المناخمية وأطلقوا بنادقهم على المتاريس  
 الكائنة بناحية الشواين وقد كان بها طائفة من تجار ناحية الفقامين المغاربة فقاتلتهم  
 المغاربة قتالا شديدا وأجلوهم عن المناخمية وعند ذلك زاد الحال وكثر الزحف والزوال وخرجت  
 العامة الخروج التام وبالغوا في الافساد وتناولت أيديهم الى النهب وهجموا على حارة الجوانية  
 ونهبوا دور النصرارى الروم والشوام وما جاورها من بيوت المسلمين وسلبوا النساء والبنات  
 وكذلك نهبوا خان الملايات وبناتوا تلك الليلة على ما هم عليه من النهب والخطف وأصبح  
 الفرنسيس وقد رتبوا مدافعهم على تلال البرقية وقلعة الجبل ووقفوا ينتظرون اشارة بونابارته  
 وكان بونابارته قد أرسل الى المشايخ خطابا يسألهم فيه رد العامة بالتى هى أحسن حقنا  
 لهمائهم واستيقاء لارواحهم فلم تجبه المشايخ بشئ فأطال الانتظار فلم يردوا عليه وقد كثرت  
 العامة بالبنادق وعميتهم بالمدينة وأخشوا في النهب والخطف وما زالوا على هذا الحال الى  
 ما بعد الظهر فلما أعياء الانتظار أمر أصحاب المدافع فجعلوا يطلقون مدافعهم تباعا على  
 البيوت والحارات وعلى الخصوص الجامع الازهر وما جاوره من المساكن فكانت القنابل  
 تخرج من أفواهاها كالطير وقد دمرت تلك النواحي وخربتها تخريبا نخرج الناس والمجاورون  
 على وجوههم وهم يضحون بأعلى أصواتهم يباخنى اللطاف نجنا مما نخاف ويخرجت النساء  
 حاسرات وأولادهن فى أحضانهن وهن مولولات وتتابع الرمي بالقنابل من قلعة الجبل وتلال  
 البرقية حتى ترزعت أركان المدينة وكادت البلد تندل عن آخرها فلما اشتد الخطب وعظم  
 الهول والكرب ركب المشايخ الى بونابارته واستغاثوا فعاتبهم واتهمهم بالخدعة والتقصير  
 فاعتذروا وتلفوا فى القول واستنصوا مروأته فقبل عذرهم وأمر بالكف عن اطلاق  
 المدافع فقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان وتسامع الناس بذلك فاطمأنت قلوبهم وسكنت  
 خواطرهم وكان قد أقبل الليل

أما أهل الحسينية ومن معهم من أهالى الاطراف فانهم لبثوا وراء المتاريس يتابعون  
 الرمي حتى فرغ منهم البارود فانتكفوا عن القتال وقد مات منهم العدد العديدين  
 الفرنسيس التى كانت تتساقط عليهم من كل جانب ثم انكف عنهم الفرنسيس وتركوهم  
 وبعد هزيع من الليل دخلت العساكر الافرنسية الى المدينة مشاة وفرسانا ومروا بالازقة  
 والشوارع فلم يعثروا على أحد فهدموا ما وجدوه من المتاريس ودخل طائفة منهم باب

البرقية وساروا الى الغورية ثم كروا ورجعوا وتراسلوا ارسالاً ركبانا ورجالا ثم دخلوا الى الجامع  
الازهر وهم على ظهور الخيل وبينهم المشاة وعاثوا بالاروقه وكسروا ما وجدوه من القناديل  
والمصابيح وأصبحوا وقد اصطف منهم فريق بباب الجامع وتفرقت طوائف منهم بتلك النواحي  
واخذوا السجى والتطواف بها منهاجا فخرج سكان تلك الخطة يهرعون وهم في أسوأ حال  
وكان الفرنسيين يسيرون بالشوارع ويفتشون كل من يربهم فمن امتنع قتلوه ثم أخذوا  
يحملون القتلى من المسلمين والفرنسيين فكانوا كثيرين ومات في هذه الثورة الجنرال بون  
بجراحاته التي أصابته وهدموا ما بقى من المتاريس ورفعوا تراجمها وأحجارها وقيدوا برتلان  
بالعسس والبحث عن الاسلحة الخبأة فبث اعوانه في أطراف المدينة وأكثر من الاساعة وبالغ  
في تشكيل المسلمين قسلاً منهم الجبوس وكذلك فعل الانغا وأصبح يوم الاربعاء فركب  
المشايخ كافة وذهبوا الى بونا بارتة وخطبوه بالعقوب ولاطفوه فوعدهم وعدا مشوباً بالتسويق  
وطالبهم بأن يدلوه على المتعممين الذين أضرموا نار هذه الفتنة فغالطوه وأكثروا من المواربة  
فقال ان لم تذكروهم لى الساعة فالى لأعفو أبداً فالتمسوا منه اخراج العسكر من الجامع  
فأجابهم الى ذلك وامر فخرجوا ولم يبق سوى سبعين جعلوهم رباطاً وبالغ بونا بارتة في  
البحث عن مشيرى هذه الفتنة من المتعممين فكانوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة  
العيان والشيخ أحمد الشرفاوى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يوسف المصلى والشيخ  
اسماعيل البراوى فأمر بونا بارتة فقبضوا عليهم وسجنوهم ببيت الشيخ البكرى ولم يعثروا  
على السيد بدر المقدسى الذى جمع لوم الحسينية حيث فر هارباً الى الشام تخاف ببيعة  
المشايخ خوفاً ما عليه من مزيد وأكثروا من الذهاب الى بونا بارتة والتخشع اليه وطلب  
فك سجن أولئك المشايخ فغلطوا وقد اتهم أيضاً ابراهيم افندى كاتب البهار بانه جمع جمعا  
لاثارة هذه الفتنة من المماليك الختفين عنده وقد أعطاهم شيئاً كثيراً من الاسلحة والمساوق  
والعصى وغيرها فقبضوا عليه وسجنوه ببيت الانغا ثم قبضوا على آخرين وسجنوهم بقلعة الجبل  
واشدت البحث وتبع المشاركون في هذا الحادث فاشتد قلق المشايخ وركب الشيخ السادات  
وبيئة المشايخ الى بونا بارتة وتشفعوا وتخضعوا فلم يقبل واستمر القبض على الناس بأذى شبة  
ورد بعضهم ما كان نهبه من بيوت النصارى والشوام وغيرهم أيام الثورة فكان شيئاً كثيراً  
وتطير شرر هذه الفتنة الى جوف البلاد أيضاً فقام بعض أهالى القرى والبلدان على كتاب  
الفرنسيين المرابطين بها فقتلوهم وأظهروا الخروج والعصيان فاهتم بونا بارتة لذلك واستخدم  
جماعة من المغاربة فى الجندية وسلم أمرهم لكبير اسمه عمر القلقجى من مغاربة الفحامين  
وسيرهم الى تلك النواحي فقهروا الاهالى وظفروا بهم وساموهم الحسف وأسكنوا الفتنة وضربوا  
بلدة عسما وقتلوا شيخها ونهبوا داره وأحضر جميع أولاده واخوته فقتلوا جميعهم  
ولم يبق منهم سوى ولد صغير قد أقاموه شيخاً عوضاً عن أبيه وسار برتلان الى ناحية  
الشرقية فى طلب من فر من أصحاب الفتنة فلم يدرك أحداً منهم فعاد الى سريا قوس بعسكره  
ثم رجع الى القاهرة وقد دخل بعده رسول على هجين قادما من الديار الشامية ومعه

مكائبات على شكل فرمان من أحمد باشا الجزائر والى الشام وآخر من أبى بكر باشا الذى كان عامل مصر قبل دخول جيوش الفرنسيس وقد هرب الى الديار الشامية خطابا الى مصطفى أغا كتحذائه وخطابا آخر من ابراهيم بيك الكبير الى المشايخ حاصل ما فيها بعد الاستملال وذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الفرنجة والخط عليهم وذكر عقائدهم وكذبهم وتحيلهم الحض على قتالهم والتخلص منهم وكذلك بقية المكائبات فأخذها الكتخدا المذكور وذهب بها الى بونابارته فلما علم ما فيها قال هي أحبولة من حبائل ابراهيم بيك بقصد ايقاع الفتنة واضرام نار الوحشة فاحذروا وانظروا فى عواقب الامور

وأخذ الفرنسيس من هذا الحين يشيدون الحصون ويرتبون المعاول ويعدون الابراج العظيمة على التلال والآكام المحيطة بالبلد ووضعو عليها المدافع وهدموا أما كن كثيرة بالخيزة وحصنوها تحصينا عظيما وكذلك مصر القديمة وشبرا وقد هدموا منها عدة جوامع منها الجوامع المجاورة لقنطرة انبائه ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان على الخليج الناصرى بباب البحر وقطعوا نخيل جهة الحلى وبولاق وخرّبوا دورا كثيرة وأخذوا ما فيها من الاخشاب ثم ذهبت منهم طائفة بعد أيام الى منزل الشيخ البكرى فى نحو نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين فخرجوا واذاهم فى وسط فريق من الجنود وقد قبضوا عليهم وذهبوا بهم الى بيت حاكم المدينة بدرج الجمال ثم عزّوهم من ثيابهم وصعدوا بهم الى قلعة الجبل وسجنوهم فلما أصبحوا أخرجوهم وقتلوهم برى البنادق وألقوهم من السور خلف القلعة وحقى خبرهم عن أكثر الناس وركب فى ذلك اليوم بعض المشايخ الى مصطفى بيك كتحذدا الباشا ليتشفعوا واية لاولئك المشايخ فذهبوا الى بيت بونابارته وهم لا يعلمون بموتهم فقابلهم ترجمانه بعين غامضة ثم تركهم فأنصرفوا وأمر بونابارته فكتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد وأرسلوا منها صورا الى المشايخ وهى نصيحة من كافة علماء الاسلام بمصر المحروسة وفيها \*نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن وتبرا الى الله من الساعين فى الارض فسادا نعرف أهل مصر قاطبة أنه حصل بعض الخلل فى المحروسة من بعض الجعيدية وأشرار الناس فخرّكوا الشرورين الرعية وبين العساكر الفرنسوية بعد ما كافوا أصحابا وأحبابا بالسوية وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ولكن حصلت أظاف الله الخفية وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته وارتفعت هذه البلية لانه رجل كامل العقل عنده رجة وشفقة على المسلمين ومحبة للفقراء والمساكين ولؤلاه لكان العساكر أحرقوا جميع المدينة ونهبوا جميع الاموال وقتلوا كامل أهل مصر فعليكم أن لا تحركوا الفتنة ولا تطيعوا أمر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تتبعوا الاشرار ولا تكونوا من الخاسرين ستهاء العقول الذين لا يقرؤن العواقب لأجل أن تحفظوا اوطانكم وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم فان الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ويحكم ما يريد ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه



الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد ونصبتنا لكم أن لا تلحقوا بأيديكم  
الى التهلكة واشتغلوا باسباب معاشكم وأمور دينكم وادفعوا الخراج الذي عليكم والدين  
النصيحة والسلام اه بنصه

ولما طار الخبر في الآفاق بورود مكاتبات ابراهيم بيك والجزار وتكلم في أمرها  
أهل البلاد وأكثروا اللغط بها خاف المشايخ من رجوع الحال الى ما كان عليه وقيام  
الفتنة فعمدوا الى تحرير منشور وأرسلوا عدة صور منه الى المدن والبلدان يقولون فيه  
\* نصيحة من علماء الاسلام بمصر نخبكم بأهل المداين والامصار من المؤمنين وباسكان  
الارياق من العربان والفلاحين أن ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة  
من المكاتبات والمحاطبات الى سائر الاقاليم المصرية لاجل تحريك الفتنة بين المخوفات وادعوا  
انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان وسبب ذلك انه حصل  
لهم الغم الشديد والكرب الزائد واغتاطوا غيظا شديدا من العلماء والرعايا حيث لم يوافقوهم  
على الخروج معهم وأن يتركوا عمالهم وأوطانهم فاردوا أن يوقعوا الفتنة والشربين  
الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر  
الحجمية ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلطان لارسلها جهازا  
مع اغوات معينين ونخبكم أن الطائفة الفرنسية بالخصوص عن بقية الطوائف الاخرى  
دائما يحبون المسلمين وماتهم ويغضون المشركين وطبيعتهم وهم أصحاب لمولانا السلطان قاعون  
بنصريته وأصدقاء ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من الاله ويغضون من عاداه  
ولذلك بين الفرنسيين والموسكوب غاية العداوة الشديدة ومن أجل هذا يعاونون حضرة  
السلطان على أخذ بلاد الموسكوب ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية فتصحكم بأهل  
الاقاليم المصرية أن لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنسية  
بشيء من أنواع الاذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبليّة ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا  
أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون والا فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وانما  
عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل المتزمين لتكونوا في أوطانكم سالمين وعلى عمالكم  
وأموالكم آمنين مطمئنين لان حضرة صاري عسكر الكبير أمير الجيوش بونا بارتة اتفق معنا  
على انه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الاحكام ويرفع عن  
الرعية سائر المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم فلا تعلقوا  
أمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا الى مولاكم مالك الممالك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله  
الاركرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الامم عليه أفضل الصلاة والسلام ختام اه ولصقوا  
نسخا من هذا المنشور بشوارع القاهرة وأرسلوا منها في سائر البلاد \* وشدد بونا بارتة في اليقظة  
والالتفات وأكثر من العميون والجواسيس وأقام الجنرال استنك واليا على القاهرة بدل الجنرال  
بون واليه الذي قتل في الفتنة كاتقدم القول فاطمأن الناس بعد ذلك وسكنت الاحوال وعادت

الامور الى سابق مجراها وأمر بونا بارتنه فجعلوا يمهدون الطرق والمعقات ويسهلون المواصلات  
 داخل المدينة وقد كانت معرفة بالتلال الكبيرة والوديان العميقة والاشجار الكثيرة فردموا  
 جميع الجهات التي حوالى بركة الازبكية وهدموا الاماكن المقاتلة لبيت بونا بارتنه حتى جعلوها  
 رحبة منسعة وهدموا الدور المقاتلة لها من الجهة الاخرى ورددوا مكانها بالاتربة الممهدة على  
 خط معتدل من الجهتين مبتدئا من بيت بونا بارتنه الى قنطرة المغربى وفعلا بعدوا  
 كذلك على الوضع والنسق بحيث صار جسرا عظيما ممتدا ممهدا مستويا على خط مستقيم من  
 الازبكية الى بولاق وينقسم بقرب بولاق الى قسمين قسم الى طريق أبى العلاء وقسم يذهب الى  
 جهة التبانة وساحل النيل وبطريقه الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبى العلاء وجامع  
 الخطيرى الى ناحية المداينغ وحفروا فى جانبي ذلك الجسر جميعه خندقين وغرسوا بجانبه الاشجار  
 العظيمة واحدثوا طريقا اخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى عند المكان المعروف بالشخ  
 شعيب حيث معبد الفواخير ورددوا جسرا ممتدا ممهدا مستطيلا يبتدئ من الحد المذكور  
 وينتهى الى جهة المذبح خارج الحسينية وأزالوا ما يتخلل ذلك من الابنية والغيطان  
 والاشجار والتلال وقطعوا جانبا كبيرا من التل الكبير المجاور لقنطرة الجاحد ورددوا فى طريقهم  
 قطعة من خليج بركة الرطلى وقطعوا اشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلى واشجار  
 الجسر أيضا والابنية التي بين باب الحديد والرحبة التي بظاهر جامع المقس وساروا على المنخفض  
 بحيث صارت طريقا ممتدا من الازبكية الى جهة قبة النصر المعروفة بقبة العزب جهة  
 العادلية على خط مستقيم من الجانبين وقيدوا بذلك ناسا منهم يتعهدون تلك الطرق وأنشؤا  
 مطاحن هواء ومطاحن ماء وجعلوا فى الروضة مستشفى يسع خمسمائة مريض ومثله فى  
 الاسكندرية ورشيد ودمياط وأنشؤا مدرسة بالقاهرة لابناء الفرنسيين المولودين بمصر وجريدتين  
 بالفرنسية احدهما تسمى هكاد اجبسيان والثانية تسمى كوربه دى اجبت ومعامل للاطفال  
 والاسلحة والمدافع وآلات الحرب وصناعة الورق والاقشة وسائر ما يلزم للبلاد فعملوا جميع هذه  
 الاعمال العظيمة فى مدة يسيرة جدا مع همة غربية وجعلوا جامع الظاهر يبرس خارج  
 باب الحسينية قلعة ومنارته برجاً ووضعوا على أسواره المدافع العظيمة وأسكنوا به عدة من  
 العسكر وبنوا فى داخله عدة مساكن وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة وقد باع  
 نظاره منه انقضاء وعدا كثيرة وعملوا عدة أبراج على تل العقارب بالناصرية ووضعوا فيها عدة  
 آلات حربية وأفردوا لجماعة المديرين والفلكيين منهم وأصحاب العلوم الرياضية كالفلك  
 والهندسة والهيئة والنقوش والكتاب والحساب وغيرهم من ارباب القلم حارة الناصرية  
 حيث درب الحديد ومابه من البيوت وجعلوا بيت حسن كاشف جركس فى تلك الخطة  
 مكتبة للطالعة يحضرها من يريد المطالعة منهم فى اوقات معينة من النهار وكان اذا دخلها  
 أحد المصريين فرحوا به وأحسنوا لقاءه واذا أراد التفرج أطلعوه على ما أراد أو أراد المطالعة  
 أعطوه ما أراد من الكتب ولا سيما الكتب التي تبهج البسطاء بما فيها من الرسوم البديعة وفى

جلتها رسم صاحب الشريعة المحمدية ورسوم أخرى للخلفاء الراشدين وغيرهم وكانوا يطلقون  
في كل يوم عند الزوال مدفعا

ولم ينكف بونا بارتته عن البحث عن كان له يد في الفتنة من عمد البلاد واعيانها فقبض  
على شيخ العرب سليمان الشواربي شيخ قلوب حيث عثروا على خطاب منه الى أهالي  
سريا قوس يحضهم على القيام والتأهب للفتك بالفرنسيس عند خروجهم من القاهرة مقهورين  
فسجنوه بقلعة الجبل وسار بونا بارتته على اثر ذلك ومعه طائفة من الجنود والسيد أحمد المحروقي  
وابراهيم أفندي كاتب النهار وبعض المديرين والمهندسين والمعلم جرجس الجوهري والمعلم أنطون  
أبو طمية وغيرهم قاصدا مدينة السويس لاهرم يعلم سره فلما شاع بين أهل السويس خبر  
مقدمه هربوا كافة وتركوا البيوت قائمة على عروشها فنهبا العسكر وأخذوا ما وجدوه فيها من  
متاع وفرش فأبلغ بونا بارتته بعض من كانوا معه ما فعله العسكر فرد جميع ما أخذوه ووعده  
برد ما فقد أو دفع ثمنه وكان مدة لبثه بالسويس يركب في كل يوم ويطوف في حارات  
وشوارع المدينة وجهات الساحل ليلا ونهارا قيل وكان معه من الادم في هذه السفارة  
ثلاث دجاجات مقلمة ملفوفة في ورقة وقليل من الخبز بجوز قال صاحب عجائب الآثار وليس  
معه طباخ ولا فراش ولا خيمة وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق في طرف  
حربته يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق في عنقه اه \* ثم سار من السويس  
الى الشرقية ودخل مدينة بليس وقبض على عدة كثيرة من عربان الشرقية وأولادهم  
من ذكور وإناث وبعث بهم الى القاهرة مع جماعة من العسكر وقام من بليس قاصدا  
القاهرة فمر بأبي زعبل فضرب أهلها وضرب كذلك أهل المنير وأمر فأخذت جميع مواشيها  
ودخل القاهرة ليلا فلما كان الصباح أنزلوا شيخ العرب سليمان الشواربي ومعه ثلاثة عربان  
آخرون الى الرملة ومعهم الاتعا فقتلوهم ذبحا ثم سلخوا جثة الشواربي ورأسه لقومه فخلاه في  
نعش وساروا به الى قلوب وفاض الخبر بذلك في مصر والقاهرة فخاف الناس وانكف أصحاب  
الفتنة وشدد بونا بارتته في تتبع خطوات مراد بيك الكبير وتسيير الجنود خلفه اينما سار  
فكان مراد بيك كلما لحقت به عساكر بونا بارتته ترفع الى الصعيد حتى وصل بمن معه الى عقبه  
الهواء وقد داخلهم من لقاء الفرنسيين هيبسة ورهبة فلم يقابلوهم وبونا بارتته يشدد في  
أمر قتالهم وقطع شأفتهم وقبض على كثير من التجار الترك والقلبيونجية المقيمين بالقاهرة ومصر  
بدلالة الاتعا وسجنهم بقلعة الجبل وأخذوا ما كان لهم بوكالة ذى الفقار بالجمالية من متاع  
وغيره وجعلوا يفتشون على من بقي منهم بالقاهرة ومصر وبولاق وخصوصا من كان منهم في  
خدمة مراد بيك الكبير وجعوا جميع الكريديين الذين كانوا في الخدمة العسكرية عند  
ابراهيم بيك ومراد بيك وأدخلوهم في صفوف العساكر الفرنسية وزيوهم بزيتهم وسير منهم  
طائفة خاف مراد بيك فلما تزايدت الشدة بمراد بيك ومن معه وضافت عليهم الدنيا برحبها  
تخلى عنه على باشا ونصوح باشا وسارا مع بعض اتباع ابراهيم بيك الكبير من خلف الجبل

الى الشام فأمر بونا بارتة بتحصين تلك الأطراف فسار قوم من الفرنسيس وبنوا في قضية بعض الابراج والحصون ومهدوا فيها بعض العقبات وأكثروا من الاسلحة والذخيرة ومعدات القتال وأمر بونا بارتة بعد ذلك فقتلوا جميع من كان مسجوناً من المماليك والاجناد التركية بقلعة الجبل وكانوا كثيرين وأخذوا في إعداد دواب النقل من جمال وبغال وحمير والتأهب لغزو الشام وقتال أجد باشا الجزائر واليهما

ولما شاع بين أهل الحجاز خبر تلك الفرنسيس على ديار مصر وتصرفهم في أمور المسلمين هالهم هذا الامر واستعظموه جدا وقام فيهم مغربي اسمه الكيلاني من مجاورى مكة والمدينة وجعل يحض الناس على الجهاد واستخلاص البلاد من ايدى الفرنسيس فانزعج الناس وضحوا بالحرب وبعثوا الى الله ووجدوا الكعبة من استارها وجعل الكيلاني يعظ الناس ويدعوهم الى الجهاد وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك فاستنفض بعض الناس وبنوا أموالهم وأنفسهم وكانوا زهاء الستمائة وركبوا البحر الى القصير مع من انضم اليهم من أهل ينبع ونزلوا بالصعيد فانضم اليهم العدد العديد من أهله وبعض الترك والمغاربة الذين كانوا مع مراد بيك والكشاف والغز الذين هربوا بعد مقتله ابنابه وزحفوا على جرجا وكان بها الجنرال ديزه بجيشه يطارد مراد بيك ومن معه فلاقت جيوشه تلك الجوع واقتتل الفريقان فلم تثبت الترك والغز كعادتهم وانهمزوا فتبعهم هواره الصعيد والموم المجتمعة من القرى وثبت الحجازيون برهة ثم اشتدت عليهم نيران الفرنسيس فتقهقروا ثم ولوا الادبار وترفع من هرب من الترك والمماليك الى اسناومعهم حسن بيك الجداوى وعثمان بيك تابعه وجاء الخبر بذلك الى بونا بارتة وبما وقع فتأخر عن الخروج بعسكره الى غزو الشام وتربص حتى يرى ماسيكون من أمر الحجازيين وما زال الحجازيون يعاودون الكرة على الجنرال ديزه وعساكره والحرب بينهم سجال حتى تمكن منهم وبدد جوعهم وأعمل فيهم القتل والتشريد وهرقهم في شهر رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وانقطع خبرهم ولم يظهر بعد ذلك منهم أحد \* ووردت البشائر بما أصابهم الى بونا بارتة فجعل يتأهب للخروج بجيشه وخرج في مستهل رمضان من السنة قاصدا الشام وسارت طوائفه طائفة بعد أخرى في أجال ومهمات وكراع زائدة للغاية وعقد بونا بارتة قبل خروجه ديوانا جمع فيه العلماء والمشايخ والاعيان من النصارى والمسلمين وحادثهم بأمر خروجه بعسكره الى الشام ليقطع شأفة ابراهيم بيك الكبير ومن معه كما فعلت عساكره بمراد بيك ومن معه وأنه سيهد الطرق ويجعلها في أمن ويفتح باب التجارة بين مصر والشام ترويجا لارزاق مصر ويوسيعا لنطاق ثروتها قال بونا بارتة ولا أعيب عنكم سوى شهر ثم أعود فأبذل الجهد في تحسين أحوال البلاد وترتيب جميع أمورها على النحو المرغوب بعون الله ولا أطالبكم الا بالخلود الى السكينة وملازمة الهدى ومراقبة أحوال العامة وحضهم على ملازمة السكون وعدم الاختلاط بالخذ المقيمين بمصر والقاهرة وهذه وصيتي اليكم فاحفظوها فتمعدوا له بذلك \* وقد سلم زمام القاهرة الى الجنرال دونغا والصعيد الى الجنرال ديزه

والاسكندرية الى الجزائر مرمون وخزج الى العادلية في يوم الاحد خامس رمضان من السنة  
ومعه طوائف الجند وقاضى القضاة ومصطفى بيك كتحذا الباشا وبعض المشايخ والمديرين  
والترجين وغيرهم من أصحاب الوظائف العالية وترك عدة من العساكر بالقلاع والابراج  
التي أنشأها فلما وصل الى قاعة العريش قاتله من بها من العساكر وعدتهم نحو الالف بين  
مغاربة وارنؤد فحاصر القلعة وضيق على من بها فأرسلوا يطلبون المدد من غزة فجاء اليهم  
قاسم بيك أمير البحرين ومعه طائفة كبيرة فلم يتمكن من الوصول الى القلعة حيث هاجمه  
عساكر الفرنسيس وحاولوا بينهم وبينها ثم كبسوا عليهم ليلا فقتل قاسم بيك وقتل معه خلق  
كثير وفر من بقى وهم النزر اليسير واشتد بونا بارتة في حصار القلعة وضيق عليها من كل  
جانب فاستأمن من بقى فيها فأمنهم وأزلهم من القلعة وأدخل منهم بجيوشه من رام الدخول  
والانتظام في ساكنهم وصرف من لم يقبل الى مصر تخفروهم طائفة من الفرنسيس ثم ارتحل  
الى العريش واحتلها وكتب كتابا الى أهل الشام ونصه

فرمان عام موجه من أمير الجيوش الى أهل الشام قاطبة بسم الله الرحمن الرحيم وبه  
نستعين\* من طرف بونا بارتة أمير الجيوش الفرنسيس الى حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالي  
نواحي غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى بعد السلام نعرفكم اننا حررنا لكم هذه السطور  
نعلمكم اننا حضرنا في هذا الطرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزائر عنكم والى أى سبب  
حضور عسكر الجزائر وتعديه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت من حكمه والى أى سبب أيضا  
أرسل عساكره الى قلعة العريش وبذلك هجم على أراضى مصر فلا شك كان مراده اجراء  
الحروب معنا ونحن حضرنا لتعاربه فأما أنتم يا أهالي الاطراف المشار اليها فلم نقصد لكم  
أذية ولا أدنى ضرر فأنتم استمروا في محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان  
خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم في محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليكم الأمان  
الكافي والحماية التامة ولا احد يتعرض لكم في مالكم ولا ما تملكه يدكم وقصدنا أن القضاة  
يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه وعلى الخصوص أن دين الاسلام لم يزل معززا  
ومعتبرا والجوامع عامرة بالصلاة وزيادة المؤمنين\* ان كل خير يأتي من الله تعالى وهو يعطى  
النصر لمن يشاء ولا يخفكم أن جميع ما تأمر به الناس ضدنا فبغدر باطل ولا نفع لهم به  
ولان كل مانع فيه يدنا لا بد من تمانه بالخير والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح والذى يتظاهر  
بالغدر يهلك ومن كل ما حصل تفهمون جيدا اننا نتمتع أعداءنا ونعصدهم من يخبنا وعلى  
الخصوص لكوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين

وسار بجيوشه الى غزة فوصل في ليلة التاسع عشر من رمضان الى خان يونس فباتوا  
ليالتهم وعند الفجر ساروا الى غزة فشاهدوا قبل الظهر بقليل عساكر المماليك والجزائر  
معسكرين أمامها فهاجوهم فلم تدافع عساكر المماليك الا بالامر الهين ثم ولوا جميعا الفرار  
فتبعهم الفرنسيس وقتلوا مؤخرتهم قتالا يسيرا وبينما كانت العساكر الافرنسية تطارد جند

الماليك انعطف الجنرال كبير بجموشه الى غزة فملكها واحتلها وأخذ ما فيها من الذخائر  
 والشعير والبسماط وزهاء الاربعائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعا وعددا عظيما جدا  
 من الخيام وغير ذلك من معدات الحرب وبعث الى القاهرة ببعض الرايات التي غنمها من  
 قلعة العريش وغزة صحبة طائفة من الجنود فدخلوا القاهرة في كبكة عظيمة وبأيدى بعضهم  
 تلك الرايات وعبروا من وسط المدينة الى الجامع الازهر فاصطفوا رجالا وربكنا بيباب الجامع  
 وضربوا طبولهم وأبواقهم ثم طلبوا شيخ الجامع فسلموه تلك الرايات وأمره برفعها على منارات  
 الجامع فنصبوا رايتين منها على المنارة الكبيرة وواحدة على منارة أخرى فلما رفعت تلك  
 الرايات أطلقوا لها عدة مدافع من قلعة الجبل وكان ذلك ليلة عيد الفطر فلما كان عند  
 الغروب أطلقوا عدة مدافع أيضا اعلاما بالعيد وطاف بعد العشاء أصحاب الشرطة ينادون  
 بالأمان وخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد وأن  
 يفعلوا جميع عوائدهم في ذلك اليوم وسارت جيوش بونابارته من غزة في الثالث والعشرين  
 من رمضان فوصلوا الى الرملة في الخامس والعشرين منه فأنجحت عنها عساكر الجزائر وولوا  
 هار بين فدخلها فريق من الفرنسيين وملكوا ما فيها من الذخائر وآلات الحرب ثم قصدوا  
 يافا فوصلت طلائع الجيش اليها في الثامن والعشرين من رمضان ثم حاصروها شرقا وغربا  
 فتم حصارها وشددوا عليها وسير بونابارته جيشا آخر الى عكا ليناوشها القتال حتى يأتي اليها  
 بجميع عساكره وخنندق حول يافا وعمل المتاريس ووضعوا عليها المدافع العظيمة فخرج  
 عساكر الجزائر للقتال وهجموا على متاريس الفرنسيين هجمة شديدة للغاية فلاقاهم عسكر  
 الفرنسيين وصدموهم صدمة قوية فكروا راجعين الى المدينة وامتنعوا في قلعتها فعند ذلك  
 أرسل بونابارته خطابا الى والي يافا يعلمه بان الغرض من حضوره الى يافا انما هو قهر عسكر  
 الجزائر واخراجهم وأنه ان جنح الى التسليم بالرضا كان ذلك فيه مصلحة للبلد وأهلها وحقق  
 للدماء وان أبي الا الحرب فلا يمضي الا قليل من الساعات حتى ينسف أسوار المدينة نسفا  
 ويعمل السيف في رقاب أهلها حتى لا يبقى بها أحد فلما علم الوالي بما في الخطاب قبض على  
 رسول بونابارته ووضعوه في السجن ولم يجب بونابارته بشيء فلما غاب الرسول وانقطع الامل  
 من رجوعه أمر بونابارته فأطلقوا المدافع وتبعوا الرمي على المدينة بالقنابل وحصى الوطيس  
 وارتفع الدخان الى عنان السماء واشتد الرمي فلم يمض قليل من الزمن حتى تعطلت مدافع  
 حصون يافا وتراسل الرمي من متاريس الفرنسيين وما زالوا حتى تهدم بعض السور وحمل  
 الفرنسيين حملة رجل واحد على السور فلكوا الابراج ودخلوا المدينة عنوة وأعملوا السيف  
 في أهلها واشتد الامر ونهب العسكر المدينة وأخذوا جميع ما صادفوه فكان يوم ويلة يشيب  
 من هولهما الرضيع ثم أمر بونابارته بالكف عن القتل والنهب فكان الموتي لا يكادون  
 يدخلون تحت حصر \* وكان بمدينة يافا عدد كبير من أهالي مصر ودمشق الشام وحلب  
 وغيرها فرسم بونابارته برجوع كل فريق منهم الى وطنه سواء كان من المحاربين أو غير المحاربين

وجمع الغنائم فسكانت شياً كثيراً من الاموال والمتاع والسلاح والكرع وغير ذلك فأرسل بعضها الى مصر مع بعض رايات عسكر الجزائر وعددها ثلاث عشرة راية فرفعت على منارات الجامع الازهر وأزلوا ما كان عليها من رايات قلعة العريش وأطلقوا لذلك عدة مدافع من قلعة الجبل ثم سار بونابارته بعساكره الى حيفا ففتحها وغنم ما فيها فكان شياً كثيراً جدا وانتقل الى عكا فحاصرها فتمتعت عليه فشدت في حصارها وضيق وهي لاتزداد الا منعنة قد طال حصارها

وبينما كان بونابارته يقاتل أهل الشام ويفتح مدينتها وبلدانها كان عساكره بمصر يقاتلون أيضاً الهاربين من الامراء المصريين ويبددون شملهم بالصعيد والشرقية ودمهور ويتبعون خطوات الالقي أينما سار فلما ضاق بالالقي رحب الصعيد نزل في قلعة من أحصائه من خلف الجبل ولحق بالشرقية وراسل قبائل العربان ومن بقي من المماليك فانضم اليه منهم جماعة كثيرة وتأهبوا لقتال الفرنسيس فسارت لقتالهم طائفة من العسكر وسارت أخرى أيضاً الى دمنهور لقتال أهلها حيث خرجوا على العمال وجباة الاموال وشقوا عصا الطاعة وتبعوا رجلاً مغربياً نزل على دمنهور وادعى المهديوية وصار يدعو الناس ويحرضهم على القتال والجهاد فاجتمع اليه كثير من أهل البحيرة وغيرهم وجاءوا الى دمنهور وقتلوا من بها من الفرنسيس وطرودوا العمال واستمروا على ذلك أياماً كثيرة وجعل ذلك المغربي يكاتب البلاد ويحرض أهلها على القتال فلما وصلت اليها العساكر الفرنسية قاتلتها وأعلنت فيها السيف وأخفت في القتل والنهب وأراقت فيها من الدماء شياً كثيراً جداً ونهبت ما وجدته فكان شياً لا يكاد يدخل تحت حصر وقتل في هذه الواقعة ذلك المغربي وكثير من أخصائه وباردعوته \* وجاء الخبر بذلك الى بونابارته وهو على حصار عكا ففرح وبالغ في الحصار واجهد النفس وتابع الرمي بالقنابل عليها فلم ينل منها مثاله وامتنت عليه فصمم على تركها والعود الى مصر وكتب الى قائده بمصر يقول \* اعلم أيها الصديق انه ماجلني على ترك حصار عكا والعود اليكم إلا خمسة عشر سبباً الاول قيام عسكرنا امام أسوارها ستة أيام بدون حرب حتى وصل اليها بعض ضباط الانجليز فحصنوها تحصيناً هندسياً قد زاد في منعتهما الثاني أخذ الانجليز لمرابنا الكبيرة الستة بما فيها من المدافع عند يافا الثالث كثرة الموات في عسكرنا بالطاعون واشتداده الرابع عدم حصول عسكرنا على الاقوات الكافية باسباب خراب البلاد المجاورة لعكا الخامس اضطراب ضباطنا من حوادث الصعيد وعصيان مراد بيك الكبير وموت طائفة كبيرة من الجنود الفرنسية في تلك الاصقاع السادس خروج الحجازيين مع السكيلائي الى الصعيد السابع خروج المغربي المدعو محمد ومن خرج معه من أهالي البلاد الثامن ضبط مرابنا الانجليز لبوغاز الاسكندرية ودمياط التاسع وقوف عمارة الروس امام رودس العاشر ورود الخبر بنقض الصلح بين امتهن والامته النمساوية بتحريض الانجليز الحادي عشر موت تيمو أحد ملوك الهند أعداء الانجليز وقد كان يبنى وبينه عهد قبل

نزولي بعكا الثاني عشر موت كقرالى الذى قد عملت المتاريس برأيه واشارته وعجزى عن تعيين آخر مكانه لا يلبث ان يغير هيئة تلك المتاريس فيحوجنا الى عطلة لا بد منها وكقرالى هذا هو المعروف بأبى خشبة وهو من فحول أركان حرب بونابارته \* الثالث عشر نزول مصطفى باشا من القسطنطينية بمراكب الانكليز وسيره الى ميهه الاسكندرية الرابع عشر وقوف مراكب الانكليز امام عكا الخامس عشر ما رأيناه من وجوب اطالة الحصار الى أربعة أشهر على الأقل مع ما وراء ذلك من الارتباك والاضطراب التى ذكرناها فهذه يا صديقى هى الاسباب الحاملة لى على ترك الحصار والعود اليكم اه

وكان الانجليز قد هيجوا على بونابارته الخواطر وحزبوا عليه سائر أهالى الشام من المسلمين والنصارى وأرسل سفيرهم المقيم فى دار السلطنة منشورات الى لبنان يحض فيها مشايخ وأمرآء تلك الاصفاع على الخروج على بونابارته وجموشه ومد يد المساعدة للدولة العثمانية وأرسل الى كبار النصارى منهم صورة منشور كان أصدره بونابارته يقول فيه انه هدم أركان الديانة النصرانية وقوض بنيانها فكان لنشر هذا المنشور بينهم أثر مؤلم جدا فحزبوا عليه ومنعوا من اعطائه اللقيق والخمر والمؤنة للعسكر ولا سيما البارود وكانت السفن الانكليزية تمخر فى البحار طولا وعرضا وتضرب كل ما تصادفه من مراكب الفرنسيس وتدمرها تدميرا ورست امام أسوار عكا بجرا وجعلت تتابع رعى القنابل على معسكر بونابارته لئلا ونهارا حتى عرفت مساعيه وأضعفت أمانيه وبلغت منه الروح التراقي فارتحل عن عكا فى الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة أربع عشرة ومائتين وألف يريد مصر بجمع جموشه وأركب الجرحى والمرضى منهم على دواب الحمل وخيول الفرسان وسار الجيش بطوى تلك الصحارى طيما لعله يدرك القاهرة فقاوسا الشدائد والاهوال وأعمل فيهم الظمأ ونقشى فيهم الوباء وكانت مراكب الانجليز تتعقبهم فى البحر وترى عليهم القنابل كلما اقتربوا فى طريقهم من ساحل البحر والعربان تتبعهم من خلف تشن الغارة على مؤخرتهم كل قليل وكذلك كانت الجيوش العثمانية تزحف خلفهم مرحلة بعد مرحلة فكانوا لذلك يخربون كل بلد أو مدينة يرون بها كى لا يتمكن خصومهم من الاستيلاء عليها فلما جاؤا العريش أمر بوناباته فبالغوا فى تحصينها ومنعتها ولبشوا بها أباما ولا ماء عندهم وكان القميط شديدا جدا فكانوا يأتون بالماء من بعض المستنقعات الآجنة فيشربونه وهو مشعور بالديدان والعلق فكان العلق يلصق بأفواههم ويمتص دماءهم ثم رحلوا عن العريش فوصلت مقدماتهم ضواحي القاهرة فى يوم الثلاثاء سابع المحرم سنة أربع عشرة ومائتين وألف هجرية وأخبروا بوصول بونابارته الى الصالحية فلما كانت ليلة الجمعة عاشره أرسلوا الى المشايخ والاعيان للخروج لملاقاته فاجتمعوا بالازبكية عند الفجر بالمشاعل ودقت الطبول فركبوا وركب جميع أرباب الوظائف العالية والمسديرون ونائب بونابارته مع كبار العسكر وساروا الى العادلية فقابلوا بونابارته وسار معهم فى خواصه ودخلوا الى القاهرة من باب النصر فى موكب حافل



لل غاية وامامهم الطبول وخلقهم المركبات والاحمال وساروا على هذا الحال الى أن دخل  
 بونابارته داره بالازبكية وأطلقوا عدة مدافع فلم تكذب بونابارته وجموشه الراحة من  
 غزوة الشام وقيظ تلك الصحارى حتى جاء الخبر بالبحمدار مراد بيك وأصحابه فراراً من  
 الفرنسيس ونزوله بدهشور أياماً ثم ارتحالها منها الى نجع الطرانة ثم الى البحيرة من خلف  
 الجبل فأغضبه هذا الخبر وعبر النيل من فوره في عسكره ونزل على نجع الطرانة ودهشور  
 وضر بهما وأهلك منهما خلقاً كثيراً جداً فعلم بعد ذلك ان مراد بيك عاد ثانياً الى الاقليم  
 القبليّة وان عثمان بيك الشرقاوى وسليمان آغا الوالى وآخرين مروا من خلف الجبل الى  
 ناحية الشرق فسير بونابارته لقتالهم برتلان الرومى في عسكر عظيم من أخلاط الروم والماليك  
 والقيط والفرنجية فأدركوهم على مقربة من مدينة بلميس وأتوهم من خلف الطريق المسلول  
 فأخذوهم غيلة وكان في هذا الحين عثمان بيك يغتسل فلما أحسوا به بادروا جميعاً الى الفرار  
 وركبوا وركب عثمان بيك بقميص واحد وطاقيه على رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم وبتاعهم  
 وذخرتهم وجميع ما كان معهم حتى قدور الطعام على النار ووجدوا على فراش عثمان بيك  
 مكاتب من ابراهيم بيك الكبير يستمدعيهم الى الحضور اليه بالشام \* وشاع الخبر عقب  
 ذلك بأيام بحضور مراد بك كثيرة امام مدينة الاسكندرية وأبى قير وان بها كثيراً من  
 الجنود العثمانية فكثرت لغط الناس ونحسدهم بهذا الامر وتحقق الخبر بخروج طوائف  
 الفرنسيس وعبورهم النيل الى البحيرة واهتمامهم باعداد مهمات الحرب وآلات القتال  
 ثم خروج بونابارته أيضاً ومعه المعلم ابراهيم الجوهري واهتم حنا بنتو متولى ساحل بولاق  
 بجمع المراكب وشحنها بالمعدات والذخيرة وغيرها وأقام بونابارته في مخيمه بجانب الاهرام  
 حتى تكامل الجيش وسير المقدمة وركب هو في ثاني يوم وهو الثلاثاء ثاني عشرى صفر  
 سنة أربع عشرة ومائتين قاصداً الاسكندرية فلم يكذب يصل بجميع جموشه الى البحيرة حتى  
 جاءته الاخبار بنزول فريق عظيم من العساكر العثمانية على أرض أبى قير فجذب في السير  
 يريد الوصول على جبل \* قال صاحب عجائب الآثار وكتب بونابارته الى أرباب الديوان بمصر  
 خطاباً يقول فيه \* لاله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى محفل الديوان بمصر  
 المنتخب من أحسن الناس وأكلمهم بالعقل والتدبير عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته  
 بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الاشواق الزائدة اليكم نخبركم بأهل الديوان المسكرين العظام  
 بهذا المكتوب اننا وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة  
 لاجل ما نرتد راحة الرعايا المساكين ونقتص من أعدائنا المحاربين وقد وصلنا بالسلامة الى الرحمانية  
 وعفونا عفواً عموماً عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الاقليم في راحة تامة ونعمة  
 عامة وفي هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركباً صغاراً كباراً حتى ظهرنا بنجر  
 الاسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنب والكلال النازلة عليهم  
 فرحلوا عنها وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير وابتدؤا ينزلون في البر وانا الآن تاركهم وقصدى

أن يشكامل الجميع في البر وأنزل عليهم افئس من لا يطيع وأخلى بالحياة الطائعين وآتيكم بهم محبوبين تحت السيف لاجل ان يكون في ذلك شأن عظيم في مدينة مصر والسبب في مجيء هذه العمارة الى هذا القطر العثم بالاجتماع على المماليك والعربان لاجل نهج البلاد وخراب القطر المصري وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسكو الافرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان يوحد الله وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن برسول الله بكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظرا لكرههم في معتقدكم يجعلون الالهة ثلاثة وان الله ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم ان الثلاثة لاتعطي القوة وان كثرة الالهة لاتنفع بل انه باطل لان الله تعالى هو الواحد الذي يعطي النصر لمن يوحد هو الرحمن الرحيم المساعد المعين المقوى للعاديين الموحدين الماحق رأى المفسدين المشركين وقد سبق في علمه القديم وقضائه العظيم انه أعطاني هذا الاقليم وقدر وحكم بحضورى عندكم لاجل تغييرى الامور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم وبرهان قدرته العظيمة ووحدانته المستقيمة انه لم يقدر للذين يعتقدون ان الالهة ثلاثة قوة مثل قوتنا فلم يقدروا أن يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الاله ونعرف انه العزيز القادر القوى القاهر المدبر للكائنات والمحيط علما بالارضين والسموات القائم بأمر المخلوقات هذا مافى الآيات والكتب المنزلات ونخبركم بأن المسلمين ان كانوا بحسبهم يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب اتقافهم مع الكافرين الفجرة الثام لان أعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام وياويل من كانت نصرته باعداء الله وحاشا الله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيدا أو يكون مسلما ساقطهم المقادير للهلاك والتدبير مع الثقالة والردالة وكيف لمسلم أن ينزل في مركب تحت يبرق الصليب ويسمع في حق الواحد الاحد والفرس الصمد من الكفار كل يوم تحريفا واحتقارا لاشك ان هذا المسلم في هذا الحال أقبح من الكافر الاصلى في الضلال تزيد منكم بأهل الديوان ان تجربوا بهذا الخبر جميع الدواوين والامصار لاجل ان يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية في سائر الاقاليم والبلاد لان البلد الذى يحصل فيه الشر يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا عليهم ان يفعل فيهم مثل ما فعلنا بأهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم والسلام تحريرا في الرحمانية يوم الاحد خامس عشر صفر سنة أربع عشرة ومائتين وألف هجرية انتهى بنصه **قلت** وفي هذا الخطاب ان كان صحبنا من النقد على بونا بارتة والتعيب ورميه بالغش والخديعة ما نرى ويحط بعظمته ويذهب بشهرته

وسار بونا بارتة بجيوشه حتى نزل على أبى قير وافتتل مع الجيوش العثمانية التى كانت بالقلاع قتالا عنيفا وما زال حتى قهرها واسترد منها ما أخذته من القلاع والحصون وأخذ مصطفى باشا أمير الجيوش العثمانية أسيرا وكذلك عثمان بنجا الذى كان عاملا على رشيد على عهد

ابراهيم بيك الكبير وقتل من العساكر العثمانية خلقا كثيرا وغنم الفرنسيين من آلات الحرب  
والذخيرة والمؤن وغير ذلك ما لا يكاد يدخل تحت الحصر ثم قفل بونا بارتته راجعا بجيوشه ورايات  
النصر تحفق على رؤسهم فدخل القاهرة ليلة الاحد التاسع من ربيع الاول من السنة  
ومعه عدة كثيرة من أسرى المسلمين وشاع الخبر بمحضوره في تلك الليلة فلم تصدق الناس ذلك  
وذهب جماعة ليتحققوا الخبر على جليته فشاهدوا الاسرى وقوفا في وسط بركة الازبكية  
وبقوا كذلك الى ظهر اليوم ثم أرسلوا بعضهم الى جامع الظاهر ببيبرس خارج الحسينية  
وأصعدوا باقيهم الى قلعة الجبل وبعثوا بعصطفى باشا الى الجزيرة وسيروا عثمان نجبا الى اسكندرية  
فكان لهذا الحادث أثر مؤلم في خواطر المصريين فقد كانوا يتمنون الخلاص على يدي  
أولئك المقاتلين فخابت منهم الآمال \* ولما استقر بونا بارتته المقام أمر بعثمان نجبا فنقل  
من الاسكندرية الى رشيد وادخلوه اليها في طائفة من العسكر مكشوف الرأس حافي الاقدام  
وطافوا به حول البلد وهو على هذا الحال ثم ساروا به الى بيته الذي كان يسكنه قبل فراره  
الى القسطنطينية وأوقفوه امام بابه واحتزوا رأسه وعلقوها على إحدى نوافذ الدور الأعلى  
ليراها الناس كافة \* وعاتب بونا بارتته أرباب الديوان بمصر على عدم ولائهم وإخلافهم  
للفرنسيين وخص بشديد العتاب الشيخ المهدي والشيخ الصاوي فلا طفاه وساراه حتى  
أزال عنه ما كانا يخشيانه ولبث بونا بارتته يدبر الامور على ما يشاء الى ان كان يوم الاثنين  
سادس عشر ربيع الاول من السنة ركب من القاهرة وخرج خروج المسافرين في قلة من  
خواصه وسار الى الاسكندرية فلما نزل بها استقدم الجنرال منو وولاه قيادة الاسكندرية  
وولى الجنرال كلاير نيابة الغيبة بمصر وكتب له بذلك مرسوما ثم أعلم الاميرال جاتوم بعزمه  
فأعد له دارعتين عند العجى فلما رتب أموره على ما أراد ركب ليلا في قلة من خواصه  
ونزل بأحدى الدارعتين وبات ليلة تلك وأقبح صباحا وقد تركوا خيولهم على البر ولم يعلم أحد  
بمخبر قيامه الى عاصمة الفرنسيين حتى جاء كتابه الى الجنرال دوجيه بمصر فتسلاه على أرباب  
المجلس فكان مضمونه قيام بونا بارتته من الاسكندرية الى باريز ليمهد لعمارة البحرية المسالك  
والعقبات التي أحدثتها سفن الانجليز في سبيلها وانه لا يشعب عن مصر أكثر من ثلاثة  
أشهر وأنه أقام على مصر الجنرال كلاير نائب الغيبة فلما قرئ هذا الخطاب أخذ العجب  
من أرباب المجلس مأخذه وكادوا لا يصدقونه للملازمة مراكب الانجليز مياه الاسكندرية صيفا  
وشتاء ومنعها جميع المواصلات بالاسكندرية فكررروا على الامير دوجيه السؤال فأكد لهم  
سفر بونا بارتته في يوم الجمعة حدى عشر ربيع الاول من السنة وحضر الامير كلاير من  
معسكره بدمياط الى القاهرة ونزل في مكان بونا بارتته بيت الالفى بالازبكية فذهب المشايخ  
والاعيان وأرباب الديوان لزيارته فلم يروا منه صدرا رجبا ولا وجهها باشا كما كانوا يرون من  
بونا بارتته وركب في ثاني يوم في موكب حافل للغاية وصعد الى قلعة الجبل وامامه طائفة كبيرة  
من القواصة بالعصى يأمرون الناس بالقيام اجلالا له وخلفه عدة كثيرة من الفرسان

والمشاة وطوائف الاجناد والوالي والأعما وغيرهما ولبث بالقلعة ساعة ثم رجع الى مقعده وكان رجلا حازما واسع التأمل كبير الفكر عظيم الخبرة بفنون السياسة والحرب فلما استقر به المنصب كتب الى أرباب الحل والعقد بباريز عاصمة الفرنسيين يقول ما ترجمته  
 قد رحل بونابارته عن مصر الى باريز ولم يعلم بخبره أحد ولم أكن لأعلم بذلك الا بعد ان أتاني خطابه وقد علمت أنه أرسل بكتاب أيضا الى صدر الدولة العثمانية بعد علمه بوصول الصدر المشار اليه الى دمشق الشام ولا يخفاكم أنه لم يكن لنا عدو سوى المماليك فقط أما الان فقد أصبح أعداؤنا غير المماليك وهم كل من دولة الانجليز والدولة العثمانية ودولة الروس وقد صارت جنودنا في نصف العدد الذي احتلت به ديار مصر وهم مع ذلك متفرقون في جوف البلاد من العريش والاسكندرية الى جزيرة اسوان وليس لديهم من معدات الحرب ما يكفيهم لتعطيل معامل الاسلحة والبارود وكذلك ليس عندهم من الثياب ما يقيهم من أمراض البلاد ولا مال عندنا بقدر الكفاية اذ خسرت الخزينة زهاء اثني عشر ألف ألف من الفرنكات هذا وان كنا قد ضربنا المماليك فزقنا جمعهم ولكن ما برح مراد بيك الكبير يقاتلنا في الاقاليم القبلية في عدة واقرة من الرجال وأخلاق الناس ولا سبيل الى التغلب عليه الا بعد أيام كثيرة وقد جاء صدر الدولة العثمانية من القسطنطينية الى دمشق الشام من أجل الزحف علينا وقتلنا فلا نعلم ماسيكون من وراء ذلك أما حصوننا وقلاعنا فلا تزيد في قوتنا شيئا ومنها حصن العريش فانه لا يدفع مهاجما وما الاسكندرية الا شبه معسكر تحيطه زربية فلذلك أرى ان أنجح الوسائل وأفلحها أن تفتح المحاربة مع الدولة العثمانية عسى تنفسق على ما يكون فيه المصلحة فقد علمت اليوم أن عمارة عثمانية عظيمة رست أمام حصون دمياط اه

وجاء الخبر بانحدار مراد بيك الكبير الى الفيوم وعيشه بالبلاد وتكليف أهلها بالمغرم والكلف فأرسل لقتاله عسكريا فساروا والتقوا معه ووقعت بينهم وقائع عدة ثم ترددت بين مراد بيك وبين الامير كلاير الرسل والمراسلات وتكلموا في أمر الصلح فاتفقوا على شروط منها تقليد مراد بيك امارة الصعيد من قبل دولة الفرنسيين ف وقعت بينهما هدنة على ذلك وكادت تتم لمراد بيك الامارة وتفرغ الامير كلاير الى غير ذلك فخصن الصالحية والقرين وبليس وأكثر فيهما من الاسلحة والذخيرة ورتب الاربطة وهيا الحصون وحصن الابراج وبالغ في ترتيبها فكانت الاخبار تزداد ورودا بجمع العساكر السلطانية في الديار الشامية وقرب حلولها بمصر لاجراج الفرنسيين منها واجلائهم عنها وكان لما سافر بونابارته الى باريز وترك الأمر في مصر الى الامير كلاير طمعت الدولة العثمانية في استخلاص البلد من أيدي الفرنسيين وزادها رغبة في ذلك السير سدى سمى أمير السفن الانجليزية فرسم السلطان الى يوسف باشا الصدر الاعظم يومئذ بالذهاب الى الشام ليجمع منها الجند والعسكر ويسير بهم برا الى مصر ويسير جيشا آخر على ظهر العمارة الانجليزية ومعه كثير من ضباط الانجليز

وكبار الحرب فسارت العمارة بمن فيها حتى أتت دمياط ونزل من كان بها من العسكر في قلعة متخربة شرقى البوغاز نخرج الفرنسيين لقتالهم فحاصروهم وضربوهم حتى أجلوهم عنها وقد مات منهم خلق كثير ولم ينالوا من الفرنسيين أما يوسف باشا فانه لما نزل بالشام ومن معه من كبار السلطنة قتل منهم عسفوا في البلاد وضربوا على أهلها الضرائب الفادحة وجبوا الاموال كرها وعاثوا في الارض مفسدين فكانت شدة عظمة على أهل الشام وما زالوا على هذا الحال حتى رحلوا عنها وجاءوا الى غزة في منتصف رجب من السنة ثم العريش وحاصروا من بها من الفرنسيين وقتلواهم حتى ملكوا قلعتها في التاسع عشر من رجب المذكور وغنموا جميع ما كان بها من الذخيرة وآلات الحرب ودخل قائد الجيوش السلطانية وجماعة كبيرة من عسكره وبعض الاهرء المصريين الى القلعة بعد انسحاب الفرنسيين منها ورفعوا عليها أعلامهم وضربوا طبولهم وأبواقهم فرحا بأخذها من أيدي الفرنسيين وكان الفرنسيين قد تركوا فيها جنديا عند مخازن البارود محتفيا فلما صاروا جميعا داخل القلعة ألهب البارود وكان شياً كثيراً للغاية فزلزلت الارض في الحال زلزالها وتطايرت أبنية القلعة بمن فيها كافة فزقتهم عن آخرهم وتطايرت أشلاؤهم الى عنان السماء ومات كثير من العساكر الذين كانوا خارجا عنها بما سقط عليهم من النيران والاحجار المتطارة ولم يبق الا نفر قليل فكان حادثاً مريعاً جداً ومنظراً تقشعر منه الابدان وقد تغطي وجه الارض بالاشلاء والعظام والمشامش المتفتتة وجاءت الاخبار الى الامير كلاير نخرج بعسكره من القاهرة وسار مسرعا الى الصالحية وضم اليه من بقي من عسكر قلعة العريش وكان قبل دخول العساكر السلطانية الى قلعة العريش قد ترددت الرسل بين الفرنسيين والعمثانيين على يد أمير الدوابع الانجليزية بشأن تقرير الصلح على قاعدة صالحة للفريقين وجاءت مكاتبة من يوسف باشا الى مقدم الفرنسيين باستدعاء رجلين ليتشاور معهما على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين فوجهوا اليه رئيس الكتاب بوسليك والامير ديزه أمير جيوش الصعيد فسارا بجرا وغابا أياما افتتح في خلالها العمثانيون قلعة غزة والعريش وجاءوا الى الصالحية في الثاني والعشرين من شعبان من السنة ومعهم رئيس كتاب الدولة والدفتردار ثم حضروا جميعا الى القاهرة لتقرير الصلح وقد جنح الفريقان اليه حقنا للدماء وأظهر الفرنسيين من المسيرة ما أوتنن معه جانبهم وزال عن رجال الدولة الخوف من مكرهم فحصل الاتفاق على مصلحة تضمنت اثنين وعشرين شرطا وهي معربة

قد صار الاتفاق ما بين كل من الجنرال ديزه والجنرال بوسليك مدير الحدود العام النائبين عن الجنرال كلاير قائد محوم جيوش الفرنسيين بمصر من جهة وما بين سامى المقام مصطفى رشيد أفندى الدفتردار ومصطفى راسيه أفندى رئيس الكتاب المفوضين بكلال التفويض من قبل حضرة الوزير يوسف باشا من جهة أخرى على ما هو آت  
حقنا للدماء واستبقاء للنوع الانساني من غوائل الحروب وتوالى الخطوب قد رغب

ديوان الجمهورية الفرنسية في عقد هذا العهد باخلاء الديار المصرية من جميع الجيوش الفرنسية رجاء أن تذهب الوحشة الموجودة الآن ما بين المشيخة الفرنسية والدولة العثمانية وتتوطد به أيضا دعائم السلام في أنحاء المغرب ولذلك قد صار التوقيع بمن ذكروا على الشروط الآتية عهدا وميثاقا كافلين باخلاء الديار المذكورة من جميع جيوش المشيخة المشار إليها

الشرط الاول ❁ تنسحب العساكر والاجناد الفرنسية بجميع أسلحتها ومهماتهما وآلات حربها وذخيرتها الى ثغور الاسكندرية ورشيد وأبي قير ليسيروا منها على ظهور السفن التي ترد من جانب المشيخة وان لم توجد فن طرف الدولة العثمانية بقدر الكفاية وقد تعين لذلك مدة شهر واحد وبعد مضي هذه الوعدة التي تتبدئ من تاريخ التوقيع على هذه الشروط يحتل بقلعة الاسكندرية نائب من قبل الباب العالي ومعه خمسون شخصا

الثاني ❁ تحصل المهادنة مدة ثلاثة أشهر لا يحصل فيها حرب بكامل الديار المصرية اعتبارا من تاريخ التوقيع على هذا العقد واذا انقضت هذه المدة قبل أن ترد السفن من طرف الدولة العثمانية اللازمة لنقل جميع العساكر جاز تمديدتها لاجل تمكن معه الدولة المشار إليها من اعداد السفن اللازمة لذلك ووجب محافظة كل من الفريقين على ما بيده من المواقع والحصون والقلاع منعا لما عساه ان يحدث من الفتن بأسباب دخول العساكر العثمانية أو من خروج الأهالي عن الطاعة

الثالث ❁ انسحاب الجيوش الفرنسية وتسييرها يكون بأوامر وتعليمات كل من يعينه لذلك الباب العالي والامير كلاير أمير الجيوش المشار إليها واذا وقع خلاف بين الوكيلين المذكورين يكون فض هذا الخلاف والحكم فيه موكولا لعهد السير سدى سميت أمير الدوارع الانجليزية ويجب ان يتبع في فضه الأصول المقررة في القوانين البحرية المرعية بالدولة الانجليزية

الرابع ❁ اخلاء كل من قطية والصالحية من جميع الجيوش الفرنسية يكون في بحر ثمانية أيام بالاقل وعشرة أيام بالاكتر من تاريخ التوقيع على هذا العهد أما المنصورة فن بعد خمسة عشر يوما وأما دمياط وبليس فن بعد عشرين يوما والسويس تخلى كذلك قبل اخلاء مصر والقاهرة بستة أيام ولا تخلى البلدان والمحال الواقعة في الجهة الشرقية من النيل الا في اليوم العاشر من اخلاء مصر والقاهرة وكذلك مصر السفلى لا تخلى بأجمعها الا بعد خمسة عشر يوما من التاريخ المذكور أما الجهة الغربية وما يتبعها فانها تبقى بيد الفرنسيين الى أن يتم جلاء جميع العساكر من الصعيد ومصر والقاهرة ويجب ان تسلم كل جهة من جميع الجهات التي كانت مقاما للجيوش الفرنسية بالحالة التي هي عليها

الخامس ❁ يصير اخلاء مصر والقاهرة بعد مضي أربعين يوما على الاقل وخمسة وأربعين على الاكثر اعتبارا من تاريخ التوقيع على هذا العهد ان أمكن ذلك

السادس ٥ يتعهد الباب العالي ان لا يحصل للعساكر والاجناد الفرنسية لدى انسحابهم من الجهات الغربية أدنى اهانة ولا أن يمسوا بأقل ضرر بحيث يخرجون بكامل أسلحتهم وأمتعتهم وذخيرتهم بدون ان يلحق بأحد منهم اهانة لامن افراد الاهالي ولا من افراد العساكر العثمانية

السابع ٦ قياما بهذا الشرط ومنعا لما ربما ان يحدث يجب حتما تبعية مواقع العساكر الاسلامية عن مواقع العساكر الفرنسية بقدر الاستطاعة

الثامن ٧ اعتبارا من تاريخ التوقيع على هذا العهد يطلق سراح جميع المسجونين من تبعة الدولة العثمانية على اختلاف أجناسهم في جميع انحاء القطر ما عدا من هم ببلاد الفرنسيين وكذلك يخلى سبيل جميع التبعة الفرنسية المسجونين بكامل المدن والاساكن والبنادير العثمانية ويعفى عن جميع من دخل في خدمة مراسلات وقناصل المشيخة الفرنسية

التاسع ٨ اعادة املاك وأموال كل من رعايا الباب العالي ورعايا المشيخة الفرنسية يناط برجال تنتخبهم حكومة الدولتين لذلك بالاستئذان بحيث يحصل الشروع في اجراء ذلك عقب اخلاء مصر والقاهرة من العساكر الفرنسية

العاشر ٩ يعفى عن كان له علاقة أيا كانت مع الجنود الفرنسية من أهالي مصر على اختلاف مذاهبهم

الحادى عشر ١٠ يعطى حتما للجنود الفرنسية تذكار المرور اللازمة إما من قبل الدولة العثمانية أو من قبل الدولتين المتحدتين معها وهما دولة الروس والدولة الانجليزية وكذلك لجميع السفن التي تحمل أولئك الجنود الى أوطانهم ببلاد الفرنسيين

الثانى عشر ١١ يتعهد الباب العالي والدولتان المتحدتان معه بأن لا يحصل للجنود الفرنسية ما يكدر صفو راحتهم وكذلك يتعهد الجنرال كلاير أمير الجيوش الفرنسية بأن لا يحصل من قبل عساكره مالا يرضاه الباب العالي لا للسفن الحاملة لهم ولا للاساكل والثغور الخاصة بالباب العالي أو بالدولتين المتعاهدتين معه كما انه لا يجوز للسفن المذكورة ان تعطف الى أى أسكنة غير الاساكن الفرنسية الا عند الضرورة

الثالث عشر ١٢ تنفيذ هذا العهد وملاحظة لاختلاء الاقطار المصرية من جميع العساكر والاجناد الفرنسية في بحر المدة التي وقع الاتفاق عليها قد اتفق الباب العالي والدولتان المتحدتان معه على انه اذا قدم الى مصر في خلال المدة المقررة للجلاء عنها سفن فرنسية على غير علم من سفن الدولتين المتعاهدتين مع الباب العالي وجب قيامها على الفور بعد تزويدها بالماء والزاد ولزم رجوعها الى الموانى الفرنسية بلا مهل بناء على تذكار المرور التي تعطى اليها من جانب الدولتين المتعاهدتين مع الباب العالي واذا تبين ان احدى تلك السفن تحتاج الى ترميم أو تصليح في بعض آلاتها وجب مكنتها حتى يتم تصليحها ثم تقوم الى الموانى الفرنسية بمجرد موافقة الرياح لسيرها

الرابع عشر يتعهد الجنرال كلاير أمير الجيوش الفرنسية أن يبلغ ما وقع الاتفاق عليه الى أرباب الحل والعقد بفرانسا بحيث تعطى لمن يتعين لتوصيل هذه الاجناد تذكرة المرور المطلقة تسهيلا لوصول الخبر في أمد قريب

الخامس عشر بحيث يلزم للجنود الفرنسية الحصول على المؤن يوميا بمدة الثلاثة أشهر المعينة لجلائها عن البلاد وكذلك بمدة الثلاثة أشهر التي تبتدئ من يوم نزولهم بالمركب الى يوم وصولهم فقد تعهد الباب العالي بأن يقدم لهم جميع ما يلزم من قح ولحم وأرز وشعير وتبن بمقتضى القوائم التي تتقدم من أمراء العساكر المسكفين بذلك وما يكون قد أخذ من ذلك بعد التوقيع على عهد الجلاء يستبعد من مجموع تلك القوائم

السادس عشر لا يجوز لامراء الجيوش الفرنسية بعد التوقيع على عهده الجلاء أن يضربوا على البلاد ضرائب أو يفرضوا عليها فروضا أيما كانت أو يحددوا احداثات بل يكون للباب العالي دون غيره الحق في جميع الضرائب والفرص المقررة اعتبارا من تاريخ التوقيع على العهد وكل ما تركته الجنود الفرنسية بعد الجلاء من جمال أو هجن أو مدافع أو ذخيرة أو غير ذلك وكذلك الغلال التي تبقى بالاشوان من أصل الأموال المفروضة لغاية تاريخ التوقيع على عهد الجلاء فهذه كلها يصير تقديرها بمعرفة معينين من قبل الباب العالي على يد أمين البحر الانجليزي ومن يعينه الجنرال كلاير من قبله ويتعين ثمنها بحيث لا ينقص عن ثلاثة آلاف كيس وهو ماروى كفايته لنفقة الجند الى أن تصل الى أوطانها وفي حالة عدم بلوغ أثمان تلك الاشياء الى هذا القدر يجب على الباب العالي دفع العجز من طرفه بصفة قرضة وعلى حكومة الفرنسيين وفاء هذه القرضة اعتمادا على سندات الاستلام التي تكون قد اعطيت من الامير كلاير أمير الجيوش الى الباب العالي

السابع عشر يدفع مبلغ الثلاثة آلاف كيس المذكور على الوجه الآتي بعد وهو خمسمائة كيس تدفع بعد مضي خمسة عشر يوما اعتبارا من تاريخ التوقيع على عقد الاتفاق بذلك وخمسمائة كيس أخرى تدفع بعد انقضاء ثلاثين يوما وبتمام الاربعين يوما ثلثمائة كيس أخرى وخمسمائة كيس عند تمام تسعين يوما وعند تمام ستين يوما ثلثمائة كيس ويدفع أيضا عند تمام سبعين يوما ثلثمائة كيس وعند تمام ثمانين يوما ثلثمائة كيس أخرى وخمسمائة كيس عند تمام تسعين يوما ويكون اعتبار مبلغ كل كيس من هذه الاكياس خمسمائة قرش عثمانى وعلى الباب العالي بعد التوقيع على نسختي هذا العقد أن يوجه من قبله الى مصر المحروسة وكافة المسدن والبنادر التي تحتلها الآن الجيوش الفرنسية مأمورين مخصوصين لاجل تسهيل أسباب الجلاء في أمد مناسب بحيث اذا رؤى عدم كفاية مبلغ الثلاثة آلاف كيس لنقل الجند على الوجه المرغوب وجب على الباب العالي القيام بصرف ما يرى لزوم صرفه أيضا

الثامن عشر جميع الاموال والضرائب التي تكون رجال الفرنسيين قد تحصلت عليهم من



البلاد قبل العلم بالتوقيع على عهد الجلاء تقدر وتخصم من مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدمة  
الذكر

التاسع عشر ❀ تسهلا لاسباب الجلاء في الاجل المضروب لآبأس من نقل الجند  
بالسفن الفرنسية الانية الآن بأسا كل النيل من والى الاسكندرية ورشيد ودمياط  
العشرون ❀ حفظا لسلامة الممالك الغربية ومنعا لنقل الوباء بالطاعون اليها بواسطة  
المرضى من الجنود الفرنسية لا ينقل أحد ممن يكون مصابا منهم بهذا المرض أو بغيره من  
الامراض الاخرى التي لا يصح معها السفر بالبحار بل يتقون جميعا في بيوت المرضى المعدة  
لهم تحت امان الوزير الاعظم ومعالجة اطباء الفرنسيين فاذا شرفوا من امراضهم عوملوا  
في الحل والترحال بما عوملت به بقية الجنود من قبل كما جاء في أحكام الشرطين الحادى عشر  
والثانى عشر من هذا الاتفاق وعلى أمير الجيوش الفرنسية أنه عند ركوبهم المراكب للعود  
الى أوطانهم أن يشدد على ضباطهم غاية التشديد بأن لا يسمعو لهم بالسزول فى أى  
أسكلة من الاسا كل التي هى فى طريقهم الا ما تجيز لهم الاطباء النزول فيها لقضاء مدة  
الحجر الصحى

الحادى والعشرون ❀ كل خلاف يحدث بعد عقد هذا الاتفاق ولم ينص عنه شئ بهذا  
الاتفاق يصير فضه بالطرق الحبية بين المأمورين الذين يعينهم الوزير الاعظم والجنرال كلاير أمير  
الجيوش لهذا الغرض على وجه السرعة قياما بالجلاء فى الاجل المضروب  
الثانى والعشرون ❀ لا يعتبر هذا العهد نافذ المفعول الا بعد مضى ثمانية أيام من تاريخ  
التوقيع عليه من الفريقين بحيث بعد التوقيع عليه يجب مراعاة والعمل به

ورجع كلاير أمير الجيوش الفرنسية بعد ذلك من الصالحية الى العادلية ومعه رجل من رجال  
الدولة العثمانية اسمه محمد انا فبعث بمحمد انا المذكور الى القاهرة وأرسل الى المحتسب بأمره  
بأن يتلقاه ويكرم منواه فلما كان بعد العشاء دخل محمد انا الى القاهرة فى موكب فحصل فى  
الناس ضجة عظيمة وتزاجوا لمشاهدته وارتفعت أصواتهم وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب  
الدكاكين والسقائف قال صاحب عجائب الآثار وانطلقت النساء بالزغاريت من الطافات  
واختلفت آراء الناس فى ذلك ولم يعلموا ماهو فدخل من باب النصر وشق القاهرة ولم يزل سائرا  
حتى وصل الى بيت حسن انا بسويقة اللالا فأنزل هناك فلما استقر به الجلوس ازدحم  
الناس والاعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمساعل والفوانيس قال فلما كان صبح تلك الليلة  
عمل ديوانا وجمع العلماء والوجاقلية وأعيان الناس و كبار النصارى من الاقباط والشوام فلما  
تكاملوا أبرز لهم فرمانا من الوزير فقرئ عليهم بالمجلس فدل مضمونه على انه أعانت الجاركة  
أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف  
الاقوات فيستريحها بالتمن الذى يقدره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى الخازن قال وأبرز فرمانا  
آخر قرئ بالمجلس مضمونه أن الوزير أقام مصطفى باشا الذى كان أسيرا بأبى قبير وكيلا عنه

وقام مقامه بمصر الى حين حضوره وأن السيد أحمد المحروقي كبير التجار ملازم ومقيد بتحصيل  
الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنسيات واتفق المجلس على ذلك وأخذ السيد  
أحمد المحروقي في تحصيل ذلك القدر من الناس وفرضوه على التجار وأهل الاسواق والحرف  
وشرعوا في تحكيز الاقوات فغلت أسعارها وضاقت مؤن الناس قال ودهى الناس من أول  
أحكامهم بهاتين الداهيتين وكان أول قادم فيهم أمير المكوسات ومحكم الاقوات وأول  
مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم قال واجتهد السيد أحمد المحروقي في  
توزيع ذلك وجمعه في أيام قليلة فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد في تحصيله  
واخراجه عن طيب نفس وانشراح وبادر بالدفع من غير تأخير لعله أن ذلك لترحيل  
الفرنسيات ويقول سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة قال كل ذلك بمشاهدة  
الفرنسيس وسمعتهم وهم يحقدون ذلك عليهم اه

وجاء مصطفى أغا من الجزيرة وسكن بيت عبد الرحمن كفتدا بجارة عابدين وأرسل الوزير  
الفرمانات الى البلاد وعين المعينين والمباشرين لطلب الاموال والغلال والكلف من الاقاليم  
وأرسل الى البنادر وجعل في كل بندر أميرا ووكيلا لجمع الغلال والمطلوبات من الذخيرة  
ووضعها بالحواصل \* وجعل العامة وبسطاء العقول من أهالي القاهرة ومصر يتظرون الى  
الفرنسيس كافة بعين السخط والسخرية وتطاولوا عليهم بالسب والتحقير وصار فقهاء المكاتب  
وعلى الخصوص العميان منهم يجمعون الاطفال ويطوفون بهم فرقا وهم يجهرون  
لنصارى بالمسباب وخش القول وهذر الكلام ولم يملكوا أنفسهم صبورا حتى يتم الجلاء  
ويتقضى الاجل المضروب فنقم الفرنسي عليهم ذلك وأبغضوهم جدا وصاروا يتظرون الى  
جميع أهل البلاد بعين القلي ثم أخذوا في أهبة الرحيل وشرعوا في بيع أمتعتهم وما فضل  
من سلاحهم ودوابهم وسلموا أكثر الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس  
وتدرج العساكر العثمانية في الدخول الى القاهرة وصار في كل يوم يدخل منهم جماعة  
بعده جماعة وجعلوا يشاركون الناس في حرفهم وصنائعهم كالحمامية والتهوجية والخطاطين  
والحلاقين وغيرهم فشق الأمر على أصحاب تلك الحرف والصنائع فاجتمعوا وذهبوا الى  
مصطفى باشا النائب عن الصدر الاعظم وشكوا من فعال العساكر العثمانية فلم يلتفت  
لشكواهم ثم قدم الوزير يوسف باشا الى مدينة بلبيس ونزل بها ومعه الامراء المصريون  
وأرسلوا الى مراد بيك الكبير بالحضور الى المعسكر العثماني فاعتذر حيث كان يومئذ بالصعيد  
فلم يقبلوا عذره وشددوا عليه في الحضور قيل فسأل في ذلك كبير الفرنسيين سرا فأذن  
له وكان سفيره في ذلك عثمان بيك البرديسي فحضر مع ابراهيم بيك الكبير واجتمع بالوزير  
يوسف باشا فخلع عليهما وعاد مراد بيك نخم بجهة العادلية وحضر حسن أغا نزل أمين  
أحد رجال الدولة ودخل القاهرة فأخلى الفرنسيين عند حضوره قلعة الجبل وبقية القلاع  
والحصون التي أحسدوها ونزلوا منها فلم يحتلها أحد من العساكر العثمانية وأعرضوا عن

المحاذرة استخفافا بالأمر ودخل الكثير من الامراء والعساكر المصرية الذين كانوا فروا عند دخول الفرنسيين وأرسل ابراهيم بيك الى السيد أحمد الخروقي يطلب بعض الثياب لمالكيه فاخرجت لهم الخيام والستراتيب وهيأت نساء الامراء والجنود احتياجاتهم ولازم الخدم والفراشون الغدوة والرواح الى مضارب ساداتهم وهم راكبون البغال والحسير الفارهة وفي مجورهم تعالي الثياب والبقي المزركشة بالذهب والفضة وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات والاسمطة وهم يتغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخرجات ولعن للنصارى من أهل البلاد والفرنسيين بما رأى منهم ومسمع و ولما استقر المقام بالوزير يوسف باشا في مدينة بلبليس وذلك في آخرات رمضان من السنة بعث بنصوح باشا والامراء المصريين الى القاهرة فوصلوا الى الخانكاه ثم الى المطرية وقدم درويش باشا الذي كان والى الصعيد على عهد حسن باشا أمير البحر ونزل بالشيخ قرايما ثم سار الى الصعيد ومعه طائفة من الجنود وكذلك سارت طائفة أخرى الى السويس وأخرى الى المنصورة ودمياط وانثوا في البلاد شرقا وغربا ودخلوا القاهرة جماعات صغيرة وجعلوا يطوفون بالشوارع وانبتت عساكرهم في الازقة والحارات يعبثون فيها ويشوشون على النساء والصبيان فلما كان في اليوم السابع من شوال من السنة أى سنة أربع عشرة ومائتين حدث أن تشاجر بعضهم مع بعض الجنود الفرنسية فأدت هذه المشاجرة الى الملائكة والقبض بالاطواق ثم الى الضرب واشتد تأب العساكر السلطانية وأخشوا في الضرب فقتل بينهم أحد الفرنسيين وفاض الخبر بذلك في القاهرة فوقع في الناس زعجة وأغلقت الخوانيت وخاف العساكر السلطانية شر العقاب فأسرعوا وترسوا ناحية الجالية وما والاها واجتمعوا جميعا في تلك الأثناء خلف المتاريس التي أقاموها ووصل الخبر بما وقع الى مقدم الجيوش الفرنسية فجاهم جماعته من الفرنسيين ووقع القتال بينهم بالبندق واشتد فقتل من الفريقين وباتوا ليلتهم وهم على أهبة الحرب والقتال فأصبحوا وقد تداخل كبارؤهم في الامر وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان عن القتال وشد مصطفى باشا في البحث على مشيرى هذه الفتنة فكانوا ستة فقبض عليهم وأمر بهم فقتلوا جهارا وأرسل رؤسهم الى أمير الجيوش الفرنسية فلم يطب خاطره وطلب سرعة خروج جميع من دخل القاهرة ومصر من العساكر العثمانية حتى يتقضى الأجل المفروض واذا دخل منهم أحد الى المدينة فبغير سلاحه فلم يسع مصطفى باشا الا الاذعان وأمر فنادوا على جميع من كان في مصر والقاهرة من الجنود العثمانية فخرجوا على الفور ووقف جماعة من العساكر الفرنسية خارج باب النصر رباطا فكان اذا أراد أحد من العساكر أو الاعيان من العثمانيين الدخول الى المدينة ترجل عن دابته عند قريه منهم ونزع عنه جميع سلاحه ثم يتركه عندهم ويدخل ومعه شخص أو شخصان موكلان به يشمان أمله حتى يقضى حاجته ويرجع فاذا وصل الى العسكر المرابطين أعطوه سلاحه وظل الحال هكذا أياما وسافر فريق من الجنود الفرنسية الى الاسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم الامير دورجيه النائب العام والامير ديزه سر عساكر الصعيد والامير رئيس الكتاب ومدير الحدود ولبنوا بالاسكندرية

أبأما قد تأهبوا في خلالها الى ركوب السفن الى أوطانهم قبل فلما صاروا على ظهور السفن  
 بدت لهم من سفن الانجليز اشارات الوحشة وعلامات الانتقام فاجموا عن السير وبعثوا  
 الى الامير كلاير يعلمونه بالخبر فأرسل الى الصدر الاعظم يعلمه بنوايا الانجليز نحو الجنود  
 الفرنسية ومخالفتهم لاحكام العهد فاجابه بجواب لم يرضه وأصبح زاحفا الى سطح الخانكاه  
 وكان ذلك في آخر المهلة المتفق عليها في دخول الصدر الاعظم الى القاهرة وبعثه الفرنسيس  
 عنها فلما رأى الامير كلاير ذلك طلب ثمانية أيام أخرى آجلة زيادة على أيام المهلة المقررة  
 فأجيب الى ذلك ووصل الامراء المصريون وجيوش نصوح باشا وكثير من العساكر العثمانية  
 الى ناحية المطرية وعسكروا هناك وكان من الفرنسيس أن جعلوا الثمانية أيام التي طلبوها  
 طرفا لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية وصبوا معسكرهم على ساحل  
 النيل متصلا بطراف المدينة امتدا من مصر القديمة الى شبرا وترددوا الى نواحي القلاع التي  
 كانوا أنشؤوها داخل البلد فلم يكن بها أحد من العساكر العثمانية فأخذوا في رد آلات  
 حربهم وذخيرتهم من بارود وقنابل ومدافع وغيره الى تلك القلاع ليلا ونهارا والناس يتعجبون  
 من ذلك ومصطفى باشا نائب الصدر الاعظم ومن معه يشاهدون ذلك وهم في شغل عنه  
 قيل وكان السبب في ذلك هو مآظر من سوء نوايا أمير المارة الانجليزية بسفن الفرنسيس  
 الحاملة لعساكرهم وان بعض أصدقاء الفرنسيس من جماعة الانجليز أبلغوهم أن الصدر  
 الاعظم اتفق مع أمير المارة الانجليزية على الاحاطة بسفن الفرنسيس اذا صارت على ظهر  
 البحر فلما وقع ماسبقت الاشارة اليه تحقق الامير كلاير صحة الخبر وأرسل الى يوسف باشا  
 الوزير فلم يجبه بجواب شاف بل أسرع في الرحيل والقدوم الى مصر كما تقدم القول

وكان الفرنسيس عند ما ترأسوا وترددوا على معسكر يوسف باشا عرفوا عدد جنوده  
 وأحوالهم وما هم عليه من القوة والضعف وتحققوا ضعفهم عن المقاومة وقد ردوا أدوات  
 حربهم وجميع آلاتهم الى القلاع وحصنوا الجهات وأبقوا جماعة وقيدوا بتلك القلاع  
 والحصون عددا من عساكرهم واستوثقوا من ذلك جسدا ثم خرج من بقى وهم السواد  
 الاعظم الى ظاهر القاهرة عند قبة النصر وانتشروا في تلك النواحي ولم يبق في المدينة منهم  
 الا من كان بداخل القلاع وتفر بيت الاني بالازبكية وبعض بيوت أخرى من الجهة  
 المذكورة ولبثوا الى العشرين من شوال من السنة ثم أرسل كلاير في طلب مصطفى باشا  
 وحسن أغا نزل امين فلما تمثلا بين يديه أمر فقبض عليهما وأرسلوهما الى الجيزة وسجنوهما  
 بها فلما كان ثالث عشر الشهر المذكور ركب الامير كلاير قبل طلوع الفجر وسار بعسكره  
 ومدافعه وقد قسم العسكر الى قسمين قسم سار الى معسكر الوزير يوسف باشا وقسم سار الى  
 من هم بالمطرية من الامراء المصريين والجنود الذين معهم فلما صاروا على مقربة منهم  
 رموهم بالبنادق وتابعوا الرمي بقنابل المدافع وأحدقوا بهم واشتدوا في الرمي شدة بالغة  
 فولوا الفرار منهزمين وتركوا خيامهم وجميع آلات حربهم وركب نصوح باشا ومن معه

من الامراء المصريين وطلبوا جهة القاهرة فتركهم كلابير ولم يلتفت لصددهم عنها وسار  
خلف الفارين الى الخانكة وهو يعمل السيف في اقفيتهم وقد نهجوا جميع ما في معسكرهم  
وألقوا المدافع وأخذوا جميع ما وجدوه من متاع وغيره ولحقوا بمعسكر الصدر الاعظم  
فأرسل اليه كلابير يأمره بالرحيل في مدة لا تتجاوز اربعا وعشرين ساعة فلم يستعجبه الخليفة  
وسار فصار خلفه كلابير بجيوشه وكان أكثر عساكر الصدر الاعظم متفرقة في هذا اليوم  
في انحاء القرى والبلدان لجمع المال وفقرات الفرض والتشديد على الرعية والتضييق عليهم  
فسمع أهالي القاهرة ومصر أصوات المدافع والبنادق فهاجوا وماجوا وراكضوا الى أطراف  
البلد فصادفوا في طريقهم بعض رعايا الفرنسيين فقتلوهم وذهبت جماعة منهم الى بركة  
الازبكية فمبوا ما وجدوه فيها حيث كان معسكر الفرنسيين وجعلوا يكثر من الجلبة  
والضياح وهم لا يعرفون السبب الحامل لهم على ذلك سوى ما سمعوه من أصوات المدافع  
والبنادق وخرج السيد عمر نقيب الاشراف والسيد أحمد الحروقي قال صاحب عجائب  
الانوار وانضم اليهما أتراك خان الخليلي والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين آغا شنخو  
أيوب بيك الصغير وتبعهم كثير من عامة الناس وتجمعوا على التلال خارج باب النصر  
وبأيدي الكثير منهم النبايت والعضى والقليل منهم السلاح وكذلك تحزب كثير من طوائف  
العامة والابواش وجعلوا يطوفون بالازقة وأطراف البلد ولهم صياح وضجيج وتجاوب  
بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق والكثير منهم الى خارج  
البلد على تلك الصورة فلما ارتفع النهار حضر بعض الاجناد المصريين ودخلوا مصر  
وفيهم الجارح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشئ لجهلهم أيضا حقيقة الحال قال  
ثم لم يزل الحال كذلك الى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان  
خارج البلدة ولهم صياح وجلبة على الشرح المتقدم ذكره وخلفهم ابراهيم بيك الكبير  
ثم أخرى وخلفهم سليم آغا ثم أخرى وخلفهم عثمان كفتدا الدولة ثم نصوح باشا ومعه عدة  
وافرة من عساكرهم ومحبهم السيد عمر النقيب والسيد أحمد الحروقي وحسن بيك الجداوى  
وعثمان بيك المرادى وعثمان بيك الاشقر وعثمان بيك الشرفاوى وعثمان آغا الخانقدار  
وابراهيم كفتدا مراد بيك المعروف بالسناوى ومعهم مماليكهم وأبناعهم فدخلوا من باب  
النصر وباب الفتوح وهزوا على الجالية حتى وصلوا الى وكالة ذى الفقار فقال نصوح باشا  
عند ذلك للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فغند ما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا  
ورفعوا أصواتهم وهزوا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم  
فذهبت طائفة الى حارة النصارى وبيوتهم التي بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة  
الموسكى فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان ويتهمون  
ويأمرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين فحقوق النصارى واحترسوا وجمع كل منهم  
ما قدر عليه من العساكر الفرنسية والروم وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الاسلحة

والبارود والمقاتلون انظهم وقوع هذا الأمر فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقابل وترى بالبنادق والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور ويتسورون عليها وبات نصوص باشا وكتخدا الدولة وابراهيم بيك وبعض من صناع مصر والكشاف والأتباع وطوائف من العسكر بخط الجمالية بوكالة ذى الفقار فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطربة وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الغالية فعالجوها حتى فتحوها وقام ناصف باشا وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبه الامراء المصرية على أقدمهم وجرأ امامهم الثلاثة مدافع وسحبوها الى الازبكية وضربوا بها على بيت الانبي وكان به بعض المرابطين من عساكر الفرنسية فضربوهم أيضا بالمدافع والبنادق واستمرت الحرب بين الفريقين الى آخر النهار ثم انكفرت وباتوا ينادون بالسهر اه

وفي هذا اليوم وضع أهل القاهرة ومصر والعساكر المتاريس باطراف المدينة كلها وبجهة الازبكية وشروعاً في بناء وترميم بعض جهات سور المدينة وبالغوا في تحصينها جهداً الاستطاعة وبات الناس في تلك الليلة خلف المتاريس فلما أظلم الليل عمد الفرنسيين الى اطلاق مدافعهم على المدينة ورأسوا اطلاق القنابل من القلاع وتابعوا الرمي على خط الجمالية لاجتماع الامراء والجند به وشدوا فامتلاً الجوبدان البارود وتمدم الكثير من الوكائل والبيوت وكثر الصراخ من كل صوب وحذب ونزع الناس على وجوههم هائمين وبجز الامراء عن الدفاع واسكات مدافع الفرنسيين ثم أجمع رأى الكبراء والرؤساء منهم على الخروج من المدينة في تلك الليلة ليجزهم عن المقاومة وعدم وجود آلات الحرب وغير ذلك من وسائل الدفاع وفاض الخير بذلك بين الناس فركب بعضهم بعضاً وازدجت تلك النواحي بالخير والبغال والحمول والجمال المحملة بالانتقال وباتوا على تلك الصورة المحزنة ووصلت الاخبار بخروج الناس الى أهل خان الخليلي وبعض مغاربة الضاميين والغورية فجأوا الى الجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وعرضدهم طائفة الانكشارية وعدوا الى خيول الامراء فحسوها بيوت القاضى والوكائل وأغلقوا باب النصر وبات في تلك الليلة أكثر الناس على مصاطب الخوانيت وبعض الاعيان في بيوت أصحابهم بخط الجمالية وفي الازقة والحارات وكلهم على أهبة الخروج الى ظاهر المدينة وأصبح يوم السبت فتهياً بكار الجند والجند كافة والكثير من سكان القاهرة ومصر ممن لاقدرة له على الحرب وساروا الى الازبكية فأقام بعضهم في البيوت الخالية التي بها وأقام جماعة أخرى خلف المتاريس واستحضروا عدة مدافع مما كان مدفوناً في بيوت الامراء قال صاحب عجائب الآثار واستحضروا من حوانيت العطارين من المقلات التي ترنون بها البضائع من حديد وأحجار يرمون بها على العدو بدل القنابل وجعلوا يرمون بها على بيت الامير كلاير بالازبكية ولبث عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار فكان كل من قبض على نصراني أو يهودي أو فرنسوي أخذه وذهب به الى الجمالية عند عثمان بيك المذكور وأخذ عليه الخيشيش فيحبس البعض حتى يتصرى

عن أمره ويقتل البعض ظلما وربما تقتل العامة من تقتله وتأق برأسه لتأخذ الخشيش وكذلك كل من قطع رأسا من رؤس الفرنسيس يذهب بها اما الى نصح باشا بالازبكية واما الى عثمان بيك بالجمالية وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وبقية الابواب التي باطراف البلد وزاد الناس في عمل المتاريس وفي الاعتراس والتخدر وجلس عثمان بيك الاشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ وعثمان بيك طبل عند متاريس الحجر ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريجان ومحمد كاشف أيوب وأصحاب أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير عند الناصرية ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع وسليمان كاشف الجزاوى عند سوق السلاح وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طائفة من الانكشارية وباب الحديد وباب القرافة وطائفة حان الخليلي والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب ولم يبق أحد من أهل البلد الا وانضم الى من يقرب اليه من طوائف العسكر بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة باطراف البلد عند الابواب والمتاريس والاسوار وأقام بعض العساكر العثمانية ومعهم جماعة من الاهالي بالاسلحة عند الجمالية حتى اذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بفريق منهم ولم يبق أحد في بيته الا الضعيف وكان ناصف باشا و ابراهيم بيك الكبير ومن معهم من الانكشارية والارنؤد والدلاة وغيرهم مرابطين جهة الازبكية وناحية باب الهواء والرحبة الواسعة عند جامع أزبك والعتبة الزرقاء وأنشأ عثمان بيك كتحدا معملا للبارود ببيت قائد أعنا بخط الخرنفش وأحضر الحدادين والتجارين والسباكين لسبك المدافع والقنابل واصلاح المدافع التي وجدت في بيوت الامراء وعمل المحلات وما يلزم للقتال واهتم لذلك اهتماما عظيما وأرسلوا فاستحضروا بقية المدافع التي كانت بعسكر المطرية وقد عطلتها عساكر الفرنسيس فكانوا كلما أدخلوا مسدفا أدخلوه بجمع عظيم من الاوباش والحرافيش والاطفال ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات من مثل قولهم الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان وغير ذلك اه

واشدت عزيمه الامراء المصريين وبدا منهم غاية الهمة والاقدام وثابروا على القتال من خلف المتاريس وظهر رجل مغربي قيل انه الذي كان يقا تل الفرنسيس بالبحيرة واجتمع اليه طائفة من المغاربة ممن كان قدم مع الجي لان الذي سبق الكلام عنه ففعل المغربي المذكور ما لا خير فيه من النهب والقتل والسبي وكان يتجسس على البيوت التي بها الفرنسيس والناصرى فيكبسها ومعه جمع من العوام وأسافل الناس والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم ويتهبون الدار ويسجنون النساء ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب وكانوا يقطعون رؤس الاطفال وبعض البنات طمعا فيما عليهن من الحلى وتتبع الناس عورات بعضهم وما دعتهم اليه النفس الامارة بالسوء واتهم الشيخ خليل البكري بانه يسالم الفرنسيس ويرسل اليهم الاطعمة وغير ذلك فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض الاوباش من العامة ونهبوا داره

وأخذوه مع أولاده ونسائه وأحضروه الى الجالية وهو ماش على أقدامه حاسر الرأس فكان العامة يخاطبونه بفحش القول ويكثرون من سبه ولعنه فلما ثلوه بين يدي عثمان كتحدا هاله أمره وطيب خاطره وسيره بنسائه الى دار بعض الاعيان وطلبت العساكر النفقة فبادر السيد أحمد المحروقي وبقية التجار وأصحاب المظاهر من الناس بالنفقة على الجند والامراء والمقاتلين من مأكل ومشرب وكذلك فعل جميع أهل القاهرة ومصر و أما الفرنسيين فانهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالمدينة وبيت الالفي وما ولاءه من البيوت الخاصة بهم كل ذلك ولا يعلم أحد حقيقة الحال ولا ماجرى بالفرنسيين الذين ساروا مع كلاير خلف عسكر الصدر الاعظم يطاردونهم من بلد الى آخر واختلفت في شأنهم الاقوال وكان الصدر الاعظم قد ترك بيليبس فريقا من عسكره أوهم تخلفوا عنه بعد أن مزقت شملهم العساكر الفرنسية فسارت اليهم طائفة من الفرنسيين وحاصرتهم وشدت عليهم وضيقت فاستأمنوا فأخرجوهم بغير سلاح وصرفوهم حيث شاؤوا فذهبوا أشتاتا بالارياض يتكفون الناس ويأوون الى المساجد الخربعات أكثرهم من العري والجوع ولحق بعض الامراء المصريين بالصدر الاعظم عند الصاحية فعابوا عليه فعله وقبحوه وبالغوا في سوء تديبه وخاطبوه ببدى الكلام وخش القول فاعتذر وقال إنه لم يكن عليه أهمية القتال لتركه الاسلحة والكرع بقلعة العريش اعتمادا على ما تقرر بينه وبين مقدم الجيوش الفرنسية من الصلح وانه لم يكن ليعتقد بقطعة الفرنسيين الى حد كشف مادبره عليهم مع أمير السفن الانجليزية عند ركوبهم السفن فطلب منه عثمان بيك أن يأمر بجمع الجنود الهائمة على وجهها كالابل وهو يسير بهم لقتال العدو فاجابه الى ذلك وخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب فامتنعوا ولم يمثل منهم الا المطيع وهم لا يبلغون الالف وعادوا على إثرهم وجعوا اليهم المتشردين منهم ورجعوا يريدون قتال الفرنسيين فنزلوا بوهدة على مقربة من القرين حيث كان الفرنسيين في قلة يستكشفون مواقع العدو فقاموا عليهم بالنبات والحجارة فأصابوا ترجان الأمير كلاير وسقط على الارض وتسامع المسلمون فركبوا لنجدهم واستصرخ الفرنسيين عسكرهم فلقوا بهم ووقع القتال بين الفريقين حتى حال بينهم الليل والفرنسيين يطاولوهم ثم انكف الفريقان واتحاز كل فريق الى ناحية فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط الفرنسيين بعسكر المسلمين فأصبح المسلمون وقد رأوا احاطة العسكر بهم من كل جانب فركب الفرسان وتبعهم المشاة وقائلوا حتى اختزقوا صفوف العدو ونجا من نجا وهم قليلون وقتل خلق كثير ورجعوا الى الصاحية على إثرهم فلما رأى الصدر الأعظم ما حصل بهؤلاء أيضا وقد كان يعمل الامل بفوزهم رحل الى الشام فيمن بقي أما مراد بيك الكبير فانه لما رأى هجوم الفرنسيين على من كانوا بالمطربة مع نصوص باشا وكان هو على مقربة من المقطم ركب من ساعته هو ومن معه وهروا بسفح الجبل وساروا الى دير الطين وعسكروا فيها لينظروا ما سيحل بعساكر السلطان وأقام مطمئنا على نفسه واعتزل الفريقين وحافظ على عهده وولائه الفرنسيين واشتد الخوف والفرع بنصوص



باشا ومن معه من الامراء المصريين لما علوا بما اصاب الصدر الاعظم وجنوده وخارت منهم  
العزائم وذهب الصبر والجلد ولكنهم خافوا أيضا عاقبة صرف من اجتمع عليهم من العامة  
والحرافيش وأهل العطوف وأخلاق العسكر فكانوا يذيعون بينهم أخبارا ملفقة لأصل لها  
وعنون الناس بقرب حضور الصدر الاعظم بجموشه المظفرة وتابعوا المناداة بالتركي والعربي  
بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقة العدو وبينما الناس على هذا الحال  
وتعلق الآمال بقرب عودة الصدر الاعظم وجموشه اذ حضر فريق من الفرنسيين نجدة  
لاخوانهم الذين بالحصون والقلاع التي بداخل البلد ووقفت طائفة منهم خارج باب النصر  
وباب الحسينية ونهبوا زاوية الممر داش وما حولها كقبعة الغوري والمنبل وعسكروا على بعض  
التبول ورحح في هذه الاثناء طائفة قليلة من عسكر الدولة وهم الذين كانوا بالقرى والارياف  
يقبضون الكلف والفرص بأمر الصدر الاعظم فلما صاروا عند أبواب المدينة دفعتهم طوائف  
الفرنسيين فدافعوا عن أنفسهم حتى تمكنوا من دخول المدينة ففرح الناس بقصدومهم  
وتقوت نفوسهم فكانوا يقولون للناس انهم حاضرون مددا وأن سيأتي على اثرهم عشرة آلاف  
مقاتل من جموش الصدر الاعظم لقطع شأفة العدو \* وقام بيولاك رجل اسمه الحاج مصطفى  
البيشيلي وجمع اليه طوائف السوقه وحرافيش السبئية فكانوا عدة وافرة وساروا نحو معسكر  
الفرنسيين الذي كان بساحل بولاق وهجموا على من كان به من المرابطين فقتلوا منهم من  
أدركوه ونهبوا جميع ما فيه من خيام ومناجيع وغيره ورجعوا الى المدينة وهم يتراحمون وفتحوا  
مخازن الغلال والودائع التي لجموش بونابارته وأخذوا منها ما قدروا على حمله وتوسوا حول  
بولاق واستطالوا على من كان بها من القبط والشوام فأوقعوا فيهم القتل والنهب وفعلا ما لا  
خير فيه فكان البلاء عاما والخطب شديدا جدا

ولما استوثق الامير كلاير من هزيمة الوزير يوسف باشا وعجزه عن الرجوع وهروبه الى  
الديار الشامية وضع بالصالحية رباطا من الفرنسيين وكذلك بالقرين وبيبيس وسار الى  
القاهرة وقد بلغه خبر دخول نصح باشا اليها وما جرى على يديه من قتل ونهب وتخريب  
وتعيب وغير ذلك فوصلها بعد ثمانية أيام من ظهور الفتنة ودخل الى داره بالازبكية من  
غير ممانع اذ لم يقف في طريقه أحد من الجند ولا من العامة وأمر فأحاط جنده بالقاهرة  
وبولاق من الخارج وشدوا في الحصار فصار لا يدخل اليها أحد ولا يخرج منها أحد ومنعوا  
عنهما الوارد من الاطعمة ثم جعلوا يطلقون عليهما المدافع ويرسلون القنابل من أعلى التسلال  
والقلاع ليلا ونهارا واشتدوا في ذلك شدة بالغة وقد عذمت الاقوات وعز وجود الخبز وصار  
العساكر السلطانية الذين بالقاهرة يحفظون ما يجدونه بأيدي الناس من المأكل وغلا سعر  
الماء المأخوذ من الآبار والاسبلة حتى بلغ سعر القربة نيفا وستين نصفا اذ تعذر الوصول  
الى النيل \* قال صاحب عجائب الآثار وتكفل التجار ومساكين الناس والاعيان بكلف  
العساكر المقيمين بالمناجيس المجاورة لهم فألزموا الشيخ السادات بكلف الذين عند قناطر

السباع وأما أكبر القبط مثل جرحس الجوهري وقلناؤس وملطى فانهم طلبوا الامان من  
 المتكلمين من المسلمين لكونهم انحصروا في دورهم وهم في وسطهم وخافوا من نهب دورهم  
 اذا خرجوا فارين فأرسلوا اليهم الامان فخصروا وقابلوا الباشا والكتخدا والامراء وأعانوهم  
 بالمال واللوازم وأما يعقوب فانه كرتك في داره بالدرب الواسع جهة الرومي واستعد استعدادا  
 كبيرا بالسلاح والعسكر المحاربين وتخصن بقلعته التي كان شيدها بعد الواقعة الاولى فكان  
 معظم حرب حسن بيك الجداوى معه هذا والمناذاة في كل يوم بالعريسة والتركية على الناس  
 بالجهاد والمحافظة على المتاريس قال واتهم مصطفى آغا مستحفظان بموالاة الفرنسيين وان  
 في بيته جماعة من الفرنسيين فهجم العساكر على داره بدرج الحجر فوجدوا أنفارا قليلة  
 من الفرنسيين فقاتلوا ودافعوا عن أنفسهم وقتل منهم البعض وهرب البعض على حية حتى  
 خلصوا الى التاصرة وأما الاعا فانهم قبضوا عليه وأحضره بين يدي عثمان كخدا ثم تسلمه  
 الانكسارية وخنقوه ليلا بالوكاله التي عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج  
 البلد واستقر عوضه جاهين كاشف الساكن بالخرنفس فاجتهد وشدد على الناس وكرر المناذاة  
 ومنعهم من دخول الدور وكل من وجدته داخل داره مقته وضربه فسكان الناس يبيتون  
 بالازقة والأسواق حتى الامراء والاعيان وهلكت البهائم من الجوع لعدم وجود العلف من  
 الثبن والقول والشعير والادريس بحيث صار ينادى على الحنار أو البغل المعداد الذي قيمته  
 ثلاثون ريالاً وأكثر بثمانية نصف فضة أو ريال واحد أو أقل ولا يوجد من يشتريه وفي كل يوم  
 يتضاعف الخال ويعظم الهول اهـ

وزحف المسلمون على رصيف الخشاب وترامى القريقان بالمدافع والسيران حتى احترق  
 ما بينهم من الدور وكان اسمعيل كاشف الالقي قد تحصن بيت أحمد آغا شويكار في نفر من  
 العسكر وقد كان الفرنسيين قبيل الجلاء عنه عملوا به لغما بالبارود المدفون فلما استقروا به  
 أشعل الفرنسيين اللغم فارتفع مافوقه من الابنية والناس الى عنان السماء واحترقوا جميعا  
 ومات يبتهم الالقي وانهدم ما كان حوله من البناء والدور والوكائل والمباني العظيمة  
 والقصور المطلة على بركة الازبكية واحترقت جميع البيوت الى رصيف الخشاب والخطبة  
 المعروفة بالساكت بأجمعها الى الرحبة المقابلة لبيت الالقي مقر الامير كلابير وكذلك  
 جميع خطبة القوالة وخطبة الرومي بالسباطين العظميين وما في ضمن ذلك من البيوت  
 الى حد حارة النصرارى فصارت كلها تلالا وخرائب كأنها لم تكن فضعفت عند ذلك عزيمة  
 نصح باشا والامراء المصريين وكادوا يفشلون وأرسلوا الى مراد بيك الكبير يسأونه  
 الاستراع في نجدتهم من معه وألحوا عليه فأرسل يعتذر ويقول انه محافظ على الجهة التي هو  
 فيها فأرسلوا اليه ليكشف لهم خبر المدر الاعظم وما جرى عليه فأرسل يقول لهم اعلموا أن  
 الفرنسيين اذا ظفروا بأحد من المسلمين فلا يقتلونه ولا يضربونه فاذا أحسنتم فافعلوا أنتم  
 كذلك وخبروهم في الصلح فهو خير لكم وأبقى وانجسوا عن البلاد سائلين فحق حسن بيك

الجدوى وعمان بيك الأشقر وغيرهم من المسلمين عند سماعهم هذا الكلام وسفها رأيه  
وقبحوا قوله ورموه بالموالاة للفرنسيس فأشار إبراهيم بيك الكبير بنهاب البرديسي اليه ومعه  
عثمان بيك الأشقر ليبينا له خطه وشططه فذهبا ورجع عثمان بيك وقد تبدت أحواله  
وتغيرت أفكاره وذهبت عنه تلك الحدة التي كانت تزججه وجنح لرأى مراد بيك فداخلهم  
من ذلك القمور وكاد يتولاهم الملل وقد اشتد الخطب وعظم البلاء وعم الكرب وتوالى سقوط  
القنابل على الدور والمساكن من القلاع وكثر صياح النساء في البيوت وبكاء الصغار من  
الخوف والهلع والجوع ومات الكثير من النساء والأطفال والشيوخ والحيوانات والطيور  
وغير ذلك تحت ردم الدور والمساكن التي سقطت وكان مقام الرجال بالازفة والأسواق ليلا  
ونهارا ومقام النساء والصبيان بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الابنية الى غير ذلك  
وكان المشايخ والسيد أحمد الخروقي والسيد عمر نقيب الاشراف يسرون في كل وقت  
وبأمرون الناس بالقتال ويحضونهم على الجهاد وبقي الحال على هذا الوصف عشرة أيام  
كوامل وتوددت الرسل من أصحاب مراد بيك الكبير بين الفرنسيين والامراء المصريين بشأن  
الصلح وجملاء جميع العساكر السلطانية عن البلاد فلم يتفقوا على أمر ما فلما كان اليوم  
الثاني عشر أمر كلاير فأقاموا بركة الازبكية فسطاطا لطيفا ورفعوا عليه علما وانكفوا  
عن الرمي في تلك الليلة وأرسل كلاير يطلب المشايخ ليتكلم معهم فيما فيه المصلحة فأمرهم  
نصوح باشا بالذهاب فسار اليه جماعة منهم فلما استقروا بهم المقام مع الامير كلاير عاتبهم  
على ما وقع ثم أمن جميع الرعية وعفا عما سلف بشرط خروج نصوح باشا وجملاء جميع  
العساكر السلطانية وارتحالهم الى حيث الصدر الاعظم وعلى الفرنسيين النفقة عليهم بقدر  
الكفاية وأما الجنود المصرية الذين أتوا معهم فن شاء منهم الجلاء فله ما لهم ومن شاء  
البقاء بقي معرزا وان الجرحى والمرضى من العساكر العثمانية ينزعون عنهم أسلحتهم  
ويعالجون فن تم برؤه منهم وشاء الإقامة فعزز أو الرحيل فله ما كان لأصحابه من الكفاية حتى  
يصل الى وطنه فجنح المشايخ الى هذا الصلح وتقررت القاعدة بينهم على ذلك ورجعوا فلما  
كان الغد شاع أمر المواعدة واستفاض أمر الصلح وعلم الانكشارية بخبره فقاموا على ساق  
وقدم وقالوا لا يكون هذا أبدا وخرجوا وخرج العامة معهم وسبوا المشايخ وقبضوا على اثنين  
منهم وأوسعوهما ضربا ورموا عماتهما قال صاحب عجائب الآثار وصاروا يقولون هؤلاء  
المشايخ ارتدوا وعلموا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وانهم أخذوا دراهم من الفرنسيين  
وتكلم السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول وشد في ذلك الرجل المغربي الماتف عليه  
انحلاط العالم ونادى من عند نفسه الصلح منقوض عليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب  
عنقه قال وكان السادات بيت الصاوي فتحير واحتمل بأن يخرج وامامه شخص ينادى بقوله  
الزمو المتاريس ليمق بذلك نفسه من العامة وكان قصد المغربي المذكور دوام القنينة ليتوصل  
بها الى ما يريده من النهب والسلب والتصور بصورة الامارة باجتماع الاوغاد عليه وتكفل

الناس له بالما كل والمشرّب هو ومن انضم اليه واشتطاطه في الماء كل مع فقد الناس لأدنى ما يؤكل حتى انه كان اذا نزل جهة من جهات المدينة لاطهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقدمون له بالطعام فيقول لا آكل الا الفراخ ويظهر انه صائم فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفت بتعنته في هذه الشدة بطلب أحل الماء كولات وما هو مقفود قال ثم هو مع ذلك لا يغني شيأ بل اذا ذهب العدو تلك الجهة التي هو فيها فارقها وانتقل لغيرها وهكذا كان دينه وسبحة اه

ولما وقع من الانكشارية والعامّة هذا التظاهر ومانعوا في امضاء الصلح لم ترد العلماء على الامير كلاير جوابا وأطلقوا مدافعهم على معسكر كلاير وأكثروا من اطلاق البنادق اعلنا بأنهم مازالوا على قدم الدفاع فأرسل كلاير يطلب الجواب فأجابه الباشا والكتبخدا إن العسكر يرفضون كل صلح وهم يقولون لا نرجع عن حرب الفرنسيين حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا فأرسل عند ذلك كلاير مكاتبة يقول فيها قد عجبنا من قولكم ان العساكر لم ترض بالصلح فكأن الامر بيدهم وكيف يكون الامير أميرا على جيش ولا ينفذ أمره فيهم ثم أرسل كلاير رسولا الى أهل بولاق أيضا يطلبهم للصلح وترك الحرب ويحذرهم العاقبة فلم يذعنوا فكرر عليهم الطلب فكافوا لايزدادون الاعناد فأرسل كلاير أحد فرسانه فطاف ينادى بالامان فقام عليه العامة وأنزلوه عن فرسه وقتلوه وظن الناس بالقاهرة ومصر وبولاق أن الفرنسيين انما يطلبون الصلح ليجزهم وعدم قدرتهم على استمرار القتال فلما علم كلاير بما فعلوه برسوله غضب وأمر فأطلقت عساكره المدافع على المدينة ووالوا الرمي بالقنابل من جميع الحصون والقلاع وراسلوا نيران البنادق واستمروا على هذا الحال الشديد الى يوم الخميس ثاني عشرى شوال من السنة فلما كان ضحوة هذا اليوم غامت السماء وأرعدت وأبرقت ثم أمطرت مدرارا وطالت وأظلمت الدنيا واشتد المطر وانفتحت أبواب السماء فانهمل السيل انهما لا عظيمهما لم يسبق له مثال وكثرت الاحوال ونعظلت الطرق بالقاهرة ومصر وبولاق فاشتغل الناس والعساكر بنزح المياه من بعض الطرق وجعل الاحوال تحفيفا لها فانتهز الفرنسيين هذه الفرصة المناسبة وهجموا على القاهرة وبولاق من كل ناحية وكبسوا من ناحية باب الحديد وكوم أبي الريش وجهة بركة الرطل وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة وكانوا يرمون القنابل من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون ويزحفون وأمامهم المدافع وخلفهم المشاة بالبنادق يتابعون رميها وطائفة أخرى بأيديهم فتائل مخسة بالنفوط والزيت والقطران وكعكات مدبرة تلتهم عند نزول الماء عليها فكافوا يلقونها ملتصبة بالسقائف وأبواب الحوانيت وشبابيك الدور ويزحفون على هذه الصورة والمسلمون يقسانون قتال الابطال وانتقل الاغا وأغلب العامة الى تلك الجهات وزلزلوا في ذلك اليوم زلزالا شديدا وهاج العامة وأكثر النساء من الصياح والولولة وتركن البيوت وخرجن حاسرات عن وجوههن فكانت النيران تأخذ كل من صادفته ثم هجموا هجمة رجل واحد على مدينة

بولاق من ناحية النيل وبوابة أبي العلاء فقاتل أهل بولاق وبذلوا الجهد حتى أحاطت بهم  
الفرنسيين احاطة السوار بالمعصم وأخذوهم من كل جانب وأعملوا فيهم السيف والتعريق  
فقتلوا في هذا اليوم مالا يكاد يدخل تحت الحصر وملكوا بولاق عنوة وفعلوا بأهلها ما تشيب  
من هوله النواصي وصارت القتل مطروحة تدوسها سنابك الخيل وأقدام الناس في الازفة  
والطرقات واحترق أكثر المدينة من الدور والقصور المطلة على النيل وخرج الناس على  
وجوههم هائمين الى الصعيد ثم أحاط الفرنسيين بالبلد ومنعوا من يخرج منها واستولوا على  
الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما فيها من متاع وأموال  
ونهبوا جميع ما عثروا عليه وصنعوا بكبارها وتجارها ما لا خيري فيه وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ثالث  
عشرى شوال واخفى البشتيلى زعيم عصابة بولاق ففتشوا عليه وقبضوا عليه وعلى وكيله وجميع  
أنصاره وكبار العصابة كافة وسجنوهم وضيقوا عليهم عدة أيام ثم أطلقوهم ما عدا البشتيلى  
وكبار عصابته وكان البشتيلى هذا قد بعث في أيام الفتنة بخطاب الى عثمان ككتخدا يقول فيه  
ان الكلب دعانا للصليح يريد كلابير فأبينا منه وأرسل الخطاب مع رجل ليوصله الى الكتخدا فوقع  
في يد الامير كلابير قيل فخره ذلك الى فعل ما فعله ببولاق ثم سلم البشتيلى الى أهل عصابته ووكلمهم  
بقتله جزء ما فعل مما كان سببا لما حل بهم فأركبوه حمارا وطافوا به جميع أنحاء بولاق ثم قتلوه  
بضرب النبايت وألزم كلابير أهل بولاق بغرامة قدرها مائتا ألف ريال فأدوها وهم صاغرون  
❦ أما أهالى القاهرة ومن فيها من العساكر العثمانية والامراء المصريين فانهم جعلوا  
يقاتلون ويدافعون جيوش الفرنسيين الى السادس والعشرين من شوال حتى ضاق  
خناقهم وكادوا يهلكون من الجوع فضلا عن نيران العدو فهجم الفرنسيين على المدينة  
في ذلك اليوم من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبي الريش وقنطرة الحاجب وغيرها ودخلوا  
البلد وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ويحلقون العساكر السلطانية عن المتاريس واحدا  
فواحدا الى أن وصلوا الى ناحية قنطرة الخروبي وناحية باب الحديد الى قرب الشعربة  
وزحفوا على المتاريس التي بها فوقعت الهزيمة على من كانوا بها من الامراء المصريين والجنود  
فولوا الادبار وتبعهم العامة بالصياح والولولة وملك الفرنسيين كوم أبي الريش وصعدوا الى  
أعلاه وصوبوا أفواه المدافع ناحية المسلمين والمسلمون من أسفل الكوم فعملت فيهم نيران  
المدافع ما لا يمكن وصفه وقتلت مالا يكاد يدخل تحت الحصر وكان البرديسى ومصطفى كاشف  
الاشقر أصحاب مرادبيك يسعون بين نصوص باشا والامير كلابير في المهادة والكف عن القتال  
ويكثرون من الترداد بين الفريقين فلما شاهد نصوص باشا ما حل بعسكره من الفشل والموات  
جنح الى جميع ما يطلبه الامير كلابير وألح في طلب كف القتال وتقررت القاعدة بين الفريقين  
على ان الفرنسيين يهولون نصوص باشا وجميع من معه من العثمانيين والامراء المصريين ثلاثة  
أيام حتى يتأهبوا للجلاء عن البلاد وجعلوا الخليج بالقاهرة حدا بين مقام الفريقين في خلال

أيام الهدنة وتركوا الحرب وأخذوا النيران وأخذ العساكر السلطانية والمصرية والامراء من الفريقين في التأهب والاستعداد للبعلاء وزودهم الامير كلاير بما لزم من مال وميرة ودواب للحمل وكتبوا بعقد الصلح دستورا من شروطه أن الفرنسيين يتقون عندهم عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الاشقر رهينة ويرسلون ثلاثة من كبار الفرنسيين يكونون مع الكتخدا حتى يصل بن معه الى الصالحية وأن يرافقهم ثلثمائة من جنود كلاير ثم يعودوا ومعهم الرهائن وأن من شاء الخروج من أهل مصر فلا حرج عليه ما عدا عثمان بيك الاشقر فإنه متى رجعت الرهائن يذهب هو والبرديسي ويلحقان بمراد بيك في الاقليم القبلي \* وأمر كلاير بالرهائن من الفرنسيين فذهبوا الى وكالة ذى الفقار وأجلسوهم بجامع الجمالى بالجمالية مع نصوح باشا فلما رأهم العامة هاجوا وماجوا وأرادوا البطش بهم وهموا بقتل عثمان ككتخدا فأغلق دونهم الباب ومنع نصوح باشا من دنو العامة من المسجد وركب المغربي الذى تقدم الكلام عنه وسار الى الحسينية وهو ينادى بالجهاد وقتل الكفار فحضر الى عثمان ككتخدا من أهل الحسينية من سأله في ذلك فنهاهم وحذروهم وأمرهم بمنع ذلك المغربي وركب كذلك المحروقي وأمامه بعض العامة ينادون بأن لا صلح ولا اتفاق ولا زموا المتاريس ومر على هذه الصورة بسوق الخشاب فقام عليه نزله أمين وأوقفه عن التطواف ومنعه من المنادة وفتح في الحال باب خان ذى الفقار فخرج منه طائفة من الجنود وأيديهم العصى فمروا شمل العامة وفرقوا جمعهم وضربوهم بالعصى فانكشوا وسكن الحال وكان نصوح باشا والامراء المصريون لما دخلوا القاهرة وضربوا على أهل البلاد المغارم وزادوا في المكوس والمظالم وشددوا في تحصيلها حتى من المشايخ وأرباب الطرق طلبوا أيضا الشيخ أبا الانوار السادات ببلغ من المال وجاءه السيد أحمد المحروقي بخطاب من ككتخدا الدولة بشأن ذلك فاعتذر الشيخ وطلب المعافاة فلم يقبل المحروقي وأبى الا أخذ المقررفشق الامر على الشيخ وأحزنه جدا \* قال صاحب عجائب الآثار فكتب له الشيخ تذكرة وصورتها حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وما هو من الظالمين ببعيد

وظننت انك عدت أسطوبها \* ويدي اذا شئت الزمان وساعدى

فرميت منك بغير ما أملت \* والمرء يشرق بالزالل البارد

أما بعد فقد نقضت عهدي \* وتركت مودة آل بيت جدى \* وأطعت الظلمة السفلة وامتمت  
أمر المارقين الثقلة \* فاعتنهم على البغي والجور \* وساعدت في تخبيز مرامهم الفاسد على الفور \*  
من الزامك الكبير والصغير \* والغنى والفقير \* اطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل  
والمضرات \* وبالغ في النهب والفساد غاية الغايات \* فكان جهادكم في أما كن الموبقات والملاهي  
حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهي \* فاستحكم الدمار والحراب \* ومنعت الاقوات  
وانقطعت الاسباب \* فبدلك كان عسكركم مخذولا \* وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير  
مشمولا \* كيف لا وأكبركم أضمرت سوء المرتفة في تضيق معاشهم وأخذ مبرياتهم \* واتلاف

ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم \* وقد أخفتم أهل البلد بعد أمنها وأشعلتم نار الفتنة بعد طفتها ثم فررت فرار الفيران من السنور وتركت الضعفاء متوقعين أشنع الامور \* فواغوثاه واغوثاه أغشنا يا غياث المستغيثين واحكم بعدلك بأرحم الراحمين اه

فلما وقع ما وقع لنصوح باشا وقومه من الامير كلاير فرح الشيخ بخذلهم وفرح معه أيضا جماعة من المشايخ لخلاصهم من ظلم الجنود العثمانية وأمرائهم وخرجوا جميعا وخرج معهم ابراهيم بيك الكبير وأمرأه ومماليكه والالقي وأصحابه ومعه السيد عمر مكرم النقيب والسيد أحمد المحروقي وكثيرون من أهل مصر والقاهرة وساروا الى الصالحية وسار معهم حسن بيك الجداوى وأصحابه ودخل الفرنسيين الى المدينة واستولوا على ما كان أعده العثمانيون من المدافع والقنابل والبارود وآلات الحرب وركب المشايخ والاعيان عصر ذلك اليوم الى مقر الامير كلاير فلما استقر بهم المقام أبرز لهم ورقة مكتوبا فيها مانصه **النصرة لله** الذي أمر من آتاه النصر باستعمال السفحة مع الناس وبناء على ذلك فان أمير الجيوش الفرنسية لا يبخل بالعفو عن جميع الاهالي ولو أنهم شاركوا العثمانيين فيما ارتكبوه من جرائم القتل وارقة الدماء فعليهم اذن أن يشتغلوا بأمر معاشهم \* ثم التفت الى المشايخ وقال لترجمانه قل لهم أن يأتوا الينا في غد عند قبة النصر فقاموا من عنده مطمئين وطافوا بالاسواق وبين أيديهم أرباب المتداة يتادون بالامان العام ويأتوا وأصبحوا فركبوا جميعا وذهبوا الى خارج باب النصر وخرج أرباب المناصب وكبراء القبط والشوام فلما تكامل حضورهم ركبوا موكبا وساروا ودخلوا من باب النصر وأمهم القواصة يأمرون الناس بالقيام ثم عدد عظيم من الفرسان ثم المشاة وأمهم الطبول والابواق ثم الاعيان والمشايخ والعلماء والامراء والوجاقية وأتباعهم ثم الامير كلاير وخلفه الامير عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الاشقر وخلفهم طوائف الفرسان وبعد انقضاء الموكب زينت البلد ثلاثة أيام ثم أدب الجنرال كلاير ودعا جميع المشايخ والعلماء والامراء فلما فرغوا من الطعام خلع على الشيخ البكري خلعة عظيمة وقلد محمد آغا الطناني آغاة مستحفظان ثم انصرفوا ونادى الاغا بالامان في تلك الليلة وأصبحوا وقد دعا مراد بيك الكبير الامير كلاير وبطانتته ومن معه من المقاتلين الى وليمة أعدها لهم بجزيرة الذهب فذهبوا اليه فبالغ مراد بيك في اكرام الامير كلاير وقدم له تقادم وهدايا نفيسة وكذلك لكل واحد من أركان حرب كلاير وقدم اليه أربعة آلاف رأس من الضأن وبعول البقر وخبول الجاموس وكان قد بعث بها درويش باشا الذي كان بالاقليم القبليمة اغانة الى نصوح باشا ومن معه من الامراء المصريين فسر الجنرال كلاير سرورا عظيما في ذلك اليوم وانشرح صدره وقلد مراد بيك إمارة الصعيد من جرجا الى اسنا ثم عاد واجعا الى داره بالازبكية

ولما كان في صبح يوم الجمعة ثامن الحجة من السنة أى سنة أربع عشرة ومائتين وألف حضر المشايخ والعلماء في زيارتهم الى بيت الامير كلاير باستدعاء من أجل ترتيب

الامور وتقسيم الوظائف والمناصب العالسة فذهب كل وهو يؤمل بلوغه مايتنى فلما دخلوا  
 اجلسوهم في مكان برهة طويلة ولم يحضر اليهم احد وأهملوا ثم طلبوا الى مكان آخر فدخلوا وجلسوا  
 وأهملوا حصة ثانية أطول من الاولى ثم خرج بعد ذلك الامير كلاير في أصحابه ومعه ترجمانه  
 جلس وأصحابه حوله وكلم ترجمانه ثم بعد أن فرغ التفت الترجمان الى المشايخ والعلماء وقال  
 يقول الجنرال انما قد استحضرت اليوم الى هنا من أجل أن تدفعوا الى خزينة الجيش الفرنسي  
 عشرة آلاف ألف ألف فرنك عبارة عن ألف ألف فرانسه منها خمسمائة ألف وخمسة  
 وثلاثون ألف فرانسه على الشيخ السادات خاصة وخمسون ألفا على الشيخ محمد بن الجوهري  
 وخمسون ألفا على أخيه الشيخ فتوح وخمسون ألفا على الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ العناني  
 ومائتان وخمسون ألفا نقتطعها من ذلك نظير هب دور الفارين مع العساكر العثمانية مثل  
 المحروقي والسيد عمر مكرم وحسين أغاشن وما بقى من المبلغ توزعونه على التجار والاهالي  
 كل بلد وما يناسب حاله ويبقى منكم هنا خمسة عشر رجلا رهينة فاختاروا من يبقى \* ثم قام  
 كلاير من فورده ودخل مع أصحابه الى داخل وأغلق بينه وبينهم الباب فاستلم فريق من  
 الحراس الابواب ووقفوا دونها بالبنادق يمنعون من يخرج من الجالسين فهبت الجماعة  
 وانتفعت وجوههم ونظر بعضهم الى بعض وهم في دهشة وحيرة ولم يعاف من هذه الغرامة  
 سوى الشيخ المهدي والشيخ البكري واشتد بالمشايخ الامر ولم يزالوا على ذلك الى قريب العصر  
 فأخرجوا عن دخل معهم من حاملي الذكور وأخذ أرباب الديوان في توزيع المطلوب  
 وتديبه وترتيبه في قوائم حتى وزعوه على الملتزمين وأرباب الحرف الدنيئة وجميع صنوف  
 التجار وقضاة المحاكم وقد وضعوا الشيخ الصاوي والشيخ فتوح بن الجوهري في السجن وهرب  
 الشيخ العناني وكانت داره احترقت فضاوا غرامته على الشيخ السادات ووكلاوا بالتحصيل  
 المعلم يعقوب والقائم مع الخزانة دار لقبض المتحصل وتديب الامور والرهونات وركب كلاير  
 مع أصحابه وذهب الى الجزيرة ونزل الشيخ السادات يريد الذهاب الى داره فسار معه عشرة  
 من الفرنسيين وجلسوا على بابه الى نصف الليل فحضر اليه عشرة آخرون فأنزله من بيته  
 وصعدوا به الى قلعة الجبل وسجنوه في مكان فهاله هذا الامر وأزعجه جدا فأرسل الى عثمان  
 بيك البرديسي مستغيثا به فركب الى الامير كلاير وكله في أمره فقال كلاير أما القتل فلا  
 نقتله لسفاعتك وأما المال فلا بد منه ان طوعا وان كرها ثم أنزلوه من قلعة الجبل وسجنوه  
 في بيت القاءقام يومين ثم أصدروه ثانيا الى القلعة وشدوا عليه وضيقوا فلما اشتد به الخطب  
 طلب أن ينزله الى بيته ليسمى في سداد المفروض فأنزل فباع متاعه وأثاث داره وما عنده  
 من المال دفعة فلم يبلغ سوى أحد وعشرين ألف فرانسه لا غير ففتشوا جميع بيته ونبسوا  
 أرضه فلم يعثروا فيه على شيء وكان قد نقل نساءه وولده الى مكان آخر وضيقوا على بقية  
 المشايخ في تحصيل المفروض فهرب البعض فنهبوا داره واسترحم البعض تخففوا عنه وأضافوا  
 ماخففوه على الغرامة العامة وانبث الاعوان يطالبون الناس ويقبضون على من لم يدفع



ما عليه فاشتد بالناس هذا البلاء وعم الخوف والذل الحقيق والعظيم وذهب الدرهم والدينار  
وعز وجدانها فصاروا يأخذون المصوغات والامتعة بأجنس الاثمان حتى نفذت أيضا  
فأخذوا الدواب وخرج الناس من المدينة وأجلوا عنها الى القسرى والارياف فرارا فكافوا  
كالمستجير من الرمضاء بالنار


## (مطلب)

(مقتل الجنرال كلاير قائد الجيوش الفرناوية وما جرى بعده قتله)

لما خرج نصح باشا من مصر بعد عقد الصلح مع الامير كلاير وانجلي عن البلاد بمن  
كان معه من العساكر السلطانية والامراء والصناجق المصريين ولحقوا جميعا بيوسف باشا صدر  
الدولة كبر هذا الامر عليهم واستعظموه فجمعوا ينظرون في امر الخلاص من شر الامير كلاير  
ويتدبرون في امر قتله فأرسل أغاة الانكشارية الى حلب يطالب رجلا قادرا مقداما يجسر  
على قتل كلاير ومناه بالعطايا الجزيلة والمناصب السامية والتحف الجليلة فخر اليهم رجل  
اسمه سليمان الحلبي لم يبلغ من العمر سوى أربع وعشرين سنة فقربه الأغا ومناه بالعطايا  
إن هو قتل كلاير فأقسم أنه يقتله وأخذ لذلك خنجرا وسار الى القاهرة ونزل بالجامع الازهر  
برواق الشوام عند جماعة من مجاوري الشوام له بهم سابق المعرفة ولبث ثلاثين يوما متتبع  
خطوات كلاير أينما سار ثم كاشف ثلاثة من المجاورين بما عزم عليه من قتل كلاير  
أحدهم اسمه السيد محمد المغربي والثاني اسمه السيد أحمد الوالي والثالث الشيخ عبد الله  
المغربي وكشف آخر غيرهم أيضا اسمه السيد عبد القادر الغزي قيل فنعوه من ذلك ونهوه فلم ينته  
فلما كان سادس المحرم افتتح سنة خمس عشرة ومائتين وألف عبر الحلبي النيل الى الحيزة  
واجتمع بنفر من بحارة زورق كلاير فسألهم عن كلاير وعن محله وجوده واقامته وغير ذلك  
وأراهم أنه رجل غريب يريد الاجتماع به لأمرهم فمكثوا بالازهر وبات ليلته تلك وأصبح  
يوم سابع المحرم قاصدا القسك بكلاير وأعلم السيد محمد الغزي ومن معه بأنه سيقته في  
ذلك اليوم وتأبط خنجره وخرج من الجامع وسار الى بيت كلاير فعلم بخروجه الى الروضة  
فسار نحوها فصادفه عائدا الى داره بالازبكية فتبعه حتى وصل الى الدار فدخل كلاير ولبث  
الحلبي يراقب الفرص حتى علم بنزول كلاير الى بستانه على عادته في كل يوم فتمكن من  
الدخول الى البستان من غير أن يشعر به أحد من الحراس فوجد كلاير يتمشى ومعه المسمو  
بروتين كبير مهندسي الجيش فسار الحلبي نحوهما فوقف كلاير وأشار اليه بيده أن يرجع  
فلم يرجع فقال له بالعربية ما فيش وكررها فلم يرجع وأوهم أن له حاجة عند الجنرال فلما  
اقترب منه مديده اليسار كأنه يريد تقميل يده فداه اليه الجنرال يده فقبض عليها وضربه بخنجره

أربع ضربات متوالية ففرق بطنه وظهرت أمعاؤه وسقط الى الارض صارخا فصاح كبير  
المهندسين على الحرس فأسرع الحلبي نحوه وعاجله بضربة فضربه كبير المهندسين عدة  
ضربات بعضها كانت في يده فهرب الحلبي واختفى في مكان خرب بقرب سقاية هناك فسمع  
الحراس الصياح فدخلوا مسرعين فوجدوا الامير كلاير مطروحا وبه بعض الرمي وكبير  
المهندسين ملقى بجانبه ولم يجدوا للقاتل أثرا فاضطربوا وهاجوا وماجوا ونفخوا في البوق  
فاجتمع كثير منهم بين فرسان وركبان وذهب فريق الى القلاع وصوبوا أفواه المدافع نحو المدينة  
يريدون تدميرها وهلاك جميع من فيها وبجث الفرنسيين عن القاتل فوجدوه منزويا  
في ناحية من البستان المجاور لبنت كلاير وقيل بل إن جارية سوداء كانت تنظر الى ما وقع  
من شباك بمنزل سيدها المطل على بستان بيت كلاير وقد رأت القاتل عند ما اختفى في ذلك  
المكان فصاحت على الجنود الذين كانوا يفتشون عليه ودلتهم على مكانه فقبضوا عليه وآمسكوا  
معه خنجره ملوثا بالدم ووجدوا بجانب جثة كلاير قطعة قماش مصبوغة باللون الاخضر هي  
من لباس القاتل قيل ولو لم تدل تلك السوداء على مكان القاتل لتمدمت المدينة بأسرها  
وقتل جميع من فيها بحد السيف ولما قبضوا عليه سألوه في الحال عن اسمه وعمره وصنعتة  
وبلده ومحل اقامته فأتضح انه حلبي واسمه سليمان ومهنته كاتب وقد جاء الى مصر يريد  
الاستخدام بطرف أحد التجار وهو يأوى بالجامع الازهر وأنكر قتل الامير كلاير ودخوله الى  
البستان فشدوا عليه وضربوه فاعترف بارتكابه جنابة القتل وبأن الذي ساقه الى ذلك أغاة  
الانكشارية حيث أطعمه في العشايا الجزيلة والمناسب العالية إن هو فعل ذلك فاستحضروا  
بكار المشايخ وأخبروهم بخبر هذا الحادث وعوقبهم عندهم الى نصف الليل وألزموهم باحضار  
الاربعة مشايخ الذين يعلمون بعزم القاتل على فعل القتل فأحضروا ثلاثة وغاب عنهم رابعهم  
ونقلوا جثة الامير كلاير فكان بها أربعة جروح أهمها في الجنب الايمن وكانت جثة الميسو  
بروتانين كبير المهندسين مطعونة ست طعنات أهمها بين ضلوع الجنب الايسر ثم عقدوا مجلسا  
لحكمة القاتل بعد تحقيق وتدقيق أضر بنا عن ايرادهما صفحا فحكم عليه بقطع يده اليمنى  
ثم رفعه على خزوق بالتل المعروف بتل العقارب ويبقى كذلك حتى تأكل الطيور لحمه وأن  
ينفذ عليه هذا الحكم بعد دفن جثة كلاير بحيث يراه جميع من يمشي في جنازة كلاير  
وحكم كذلك بقتل السيد عبد القادر الغزي وأخذ جميع ما يملكه لخزينة الجيش ورفع  
رأسه على بيته كي يرى للناظرين وبجانبه ورقة الحكم وحكوا على محمد الغزي وعبد الله  
الغزي وأحمد الوالى بقطع رؤسهم ورفعها على خشب وحرقت جثثهم بالنار على تل العقارب  
بمرأى من سليمان الحلبي ❦ ولما فرغوا من تحقيق مقتل الجنرال كلاير والحكم على قاتله  
وشركائه أخذوا يشتمغنون بأمر دفن كلاير وكان ذلك بعد موته بثلاثة أيام وأقاموا بدله  
الجنرال چالك منو واندوا ليلة الاربعاء خامس عشرى المحرم بتنظيف الطرق والشوارع وأصبحوا  
فاجتمع عسكرهم وأكبرهم وخرجوا بجنازة كلاير ركباناً ومشاة وقد وضعوا جثته في تابوت

من رصاص ووضعوا التابوت على عربة يجرها أربعة أفراس وعلى التابوت قبعة الامير وسيفه  
والخنجر الذي قتل به وهو ملوث بدمه ورفعوا على العربة أربعة أعلام والموسيقى تصدح  
بأصوات الحزن والبنادق منكبسة الى أسفل فلما خرج النعش من بيته أطلقوا له عدة  
مدافع وبنادق وساروا من بيت الازبكية على باب الخرق الى درب الجامع الى جهة النصرية  
فلما وصلوا الى تل العقارب حيث القلعة التي أنشؤها هناك أطلقوا عدة مدافع  
وكافوا قد أضرروا سليمان الحلبي وشركاه في الجناية وأوقفوهم عند القلعة تحرسهم الجند  
ليشاهدوا مشهد قتلهم ثم ساروا بالجثة الى أن وصلوا باب قصر العميق فحملوا التابوت  
ووضعه على ربة صغيرة داخل تقيصة كانوا أعدوها لذلك وعليها كساء أبيض ووقف عند  
بابها نفر من الجند بالبنادق ملازمين ليلاً ونهاراً ثم عاد الجمع فأوقف عند قلعة تل العقارب  
ونفذ الحكم على سليمان الحلبي وأصحابه على الوجه المتقدم فكان النظر مريعا فظيما للغاية  
وعند مادنا الجلالد من سليمان ليقده يده اضطرب للغاية وجعل يلتفت يمنة ويسرة كأنه  
يطلب النجاة فلما رفعوه على الخشبة صاح واستغاث وجعل يكرر كلمات لا معنى لها ثم انصرف  
الناس وبقي جماعة من الجند حول الخازوق ولما كان ثاني يوم سار القاءقام والأغا الى  
الجامع الأزهر وقتشوا جهاته وأروقته وزواياه بمحضرة المشايخ ثم خرجا بمن معهما من الجند  
ثم عاد الجنرال ومعه القاءقام والأغا بعد أيام وطافوا به ودققوا في تفتيشه وأمر الجنرال  
فنبشوا أرضه لاستخراج ما هو مدفون فيها من الأسلحة والودائع فأخذ المجاورون عند ذلك في  
نقل أمتعتهم منه وكتبهم وإخلاء الأروقة وأحصى الأغا المجاورين وكتب أسماءهم ورسم بأن  
لا يبيت عندهم غريب ولا يؤوا اليهم أحدا مطلقا وأخرجوا منه المجاورين من طوائف الترك  
فتقدم الشيخ الشرفاوى ومن معه الى الجنرال جاك في قفل أبواب الجامع منعاً للريبة ودفعا  
للظنون فأذن بذلك ففعلت ثم جمعوا أرباب الوجاقات والأزموههم بجمع ما عندهم من الأسلحة  
فجمعوها فكانت شياً كثيراً جدا وجعلوا من هذا الحين يؤخذون العامة بأقل سبب ويضيقون  
ويهددون ويبالغون في السكاية تشفيا وانتقاما فأخذ بعض الناس بهاجرون الى القرى  
والأرياف ومالوا الى الجلاء عن المدينة تخلفا مما يخشون فأمر عند ذلك الجنرال منو فطاف  
الأغا ينادى بعدم جلاء الناس ورجوع جميع من سافروا بعد خمسة عشر يوماً والانهت  
بيوتهم من غير معاودة فرجعوا على أعقابهم صاغرين فضربوا عليهم غرامة أخرى قدرها  
أربعة آلاف ألف (لعلها فرنكات) فقرروا منها على العقار والدور مائتي ألف فرانسة على  
الملتزمين مائة وستين ألفا وعلى التجار مائتي ألف وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفا  
وقسموا المدينة الى ثمانية أخطاط وجعلوا على كل خط منها خمسة وعشرين ألف ريال ووكوا  
مشايخ الحارات بقبض ذلك مع الامير الساكن في تلك الخطه فضاقت خناق الناس واشتد بهم  
الكرب وعجزوا عن السداد فتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة واحتجب الجنرال منو عن الناس  
وامتنع عن الاجتماع بالمسلمين وكذلك عظماء القواد واستوحشوا وزادوا في تحصين القلاع

وجددوا منها عدة كثيرة وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء في جميع أنحاء القطر  
 حتى في الصعيد وهدموا كثيرا من اخطاط الحسينية وخارج باب النصر وباب الفتوح من  
 الحارات والدور وغيرها وزادوا في التنكيل بالأهالي وفي تذليلهم جزاء ما فعلوه  
 وبيناهم على هذا الحال من التحذر والتعجب اذ قدم على أبي قير والاسكندرية عمارة  
 عظيمة من السفن الانجليزية وجعلت تغدو وتروح أياما وكان بها أيضا جماعة من  
 العساكر العثمانية فلما علم الفرنسيون بخبرها خرج فريق منهم يريد البحيرة والناس لا تعلم  
 ما هناك واستحضر الوالي والمحتسب مشايخ الحارات والاطباط وشهدوا في التنبيه عليهم  
 بمراقبة السوق وملاحظة أحوال العامة والتأكد عليهم بالخلود الى السكنية وعدم التظاهر  
 بمظاهر الدين الموجبة لتوغير الصدور وظهور كامن الضغائن وبالغا في النصيحة للغاية وأعلمهم  
 بأنهم هم المؤاخذون بذنوب العامة المسؤولين عنها \* وبينما كانت العمارة الانجليزية تغدو  
 وتروح في عرض البحر بين أبي قير والاسكندرية وتمتع الوارد عنهما كانت العساكر العثمانية  
 تتحدر من الشام قاصدة ديار مصر ومعهم يوسف باشا صدر الدولة وما زالوا يجدون السير  
 حتى نزلوا على العريش وعسكروا بها أياما فسار للقائهم طائفة من الفرنسيين ومعهم آلات  
 الحرب الكثيرة ونزلوا بالصالحية وأقاموا بها أياما وخرج كذلك الجنرال منو في نفر من أركان  
 حربه وطائفة من الجنود الى البحيرة فلم يستقر بها حتى جاءه الخبر بنزول طائفة عظيمة من عسكر  
 سفن الحرب الانجليزية الى أرض أبي قير وقد كان لا يظن ذلك فسار بمن معه من الجنود من  
 البحيرة الى انبابه وساروا منها الى مدينة الاسكندرية مسرعين ولحقت بهم طائفة أخرى  
 من هم بالقاهرة ومصر وروح الخفاء وصارت الحرب أدنى من قاب قوسين وتحقق زحف  
 بعض مقدمات الجيوش السلطانية الى مقربة من العريش ووردت الاخبار بذلك الى الجنرال  
 فوريه نائب الغيبة فجمع اليه المشايخ وأرباب الديوان وأعلمهم بوصول السفن الانجليزية  
 الى أبي قير والاسكندرية وزحف يوسف باشا الصدر الاعظم بعساكره الى العريش ووجوب  
 أخذ بعض المشايخ رهينة ما دامت الحرب قائمة بينهم وبين العدو فلم يروا بدا من  
 قبول ذلك بالطاعة ووقع الاختيار على أخذ الشيخ الشرفاوى والشيخ المهدي والشيخ  
 الصاوي والشيخ الفيومي فأصعدوهم الى قلعة الجبل في الساعة الرابعة من الليل وأزلوهم  
 بجامع سارية ونقلوا اليهم أيضا الشيخ السادات وأمرروا من بقي من أرباب الديوان وهم  
 أربعة مشايخ بأن يلازموا شيخ البلد ويحاولوا على حض الرعية بالخلود الى السكون  
 وملازمة الطاعة واستحضروا كثيرا من الاعيان وأصحاب المناصب القديمة على عهد المماليك  
 وأصعدوهم الى قلعة الجبل رهائن وأكثروا من نقل الذخيرة والامتعة والصناديق والفرش  
 والاسلحة الى قلعة الجبل ليلا ونهارا  وكان الجنرال منو لما تولى الرياسة لم يحسن التدبير ولم  
 يفلح في سياسته لعدم خبرته بالتدابير العسكرية وتجرده عن الهيبة الشخصية فأبغضه كبار  
 الفرنسيين وقواد الجنود ومقتوه وكان منو قد أسلم ودعا نفسه عبد الله منو وتزوج احدى

بنات المسلمين وولدت له ولدا فسماه سليمان وسكن بخرطة سيدنا الحسين وجعل يحافظ العامة  
والسوقة بتلك الخطة ليستميلهم الى محبته وكان ديوان القاهرة الى ذلك الحين مؤلفا من  
المسلمين والنصارى كما رتبه بونابارته وكلاير من بعده فأخرج منهم النصارى وسلم الاحكام لمن  
بقي من المسلمين ومال الى جانبهم وبالغ في استرضائهم وأخذ جباية الاموال من يد الاقباط  
وسلمها الى المسلمين وقد كانت بيد القبط من عهد عمرو بن العاص الى ذلك الحين ثم خلط  
وخبط وقلب نظام الهيئة الحاكمة وأفسد منها ما أصلحه الامير كلاير وعمل غير ذلك أيضا  
قال بعض أصحاب التاريخ وقد كان اسلام منو هذا خدعة من مكائد الفرنسيين وتغريرهم  
بالمسلمين \* قلت وقد اطلعت على صورة عقد زواج منو المذكور بمجلة الموسوعات منقولة  
بالنور الشمسي من سجل محكمة رشيد الشرعية فأثرت نقله هنا تقيما للقائدة التاريخية  
وهي **عبد مضر كل** من مولانا العلامة السيد أحمد الخضرى المفتى الشافعي ومولانا الشيخ محمد  
صديق النائب المفتى الحنبلي ومولانا السيد محمد غرا النائب المفتى المالكي والسيد أحمد  
بدوى نقيب الاشراف حالا والامير محمد بدوى چورجى سردار مستحفظان وأحمد أبو  
جاویش مستحفظان والحاج أحمد جاویش العسال والحاج محمود اللوى المغربى وابراهيم  
الجمال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد الله بربيره والحاج بدوى الشناوى واودن اسمعيل  
السلانكلى وعلى جاویش كتحدا البيك دام كالهم

بعد أن أقر واعترف منو باشا صارى عسكر القطر المصرى حالا بصريح لفظه وفصيح  
نطقه بكلمتى الشهادتين وهما \* أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله عارفا  
معتقدا معناهما ومصدقا لمضمونهما تاركا لدين النصرانية والاديان الرديئة على الترتيب والولاء  
واعادة التشهد واستيفاء الشروط المعتبرة فيهما شرعا طائعا محتارا من غير اكرام ولا اجبار  
بمقتضى ذلك صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وظهر منه الرغبة والحب للمسلمين والميل اليهم  
وسمى نفسه عبد الله باشا وأشهد على نفسه الجماعة المذكورين بجميع ذلك اشهادا شرعيا  
ثم بعد ذلك رغب عبد الله باشا المذكور في تزوجه بامرأة مسلمة فخطبها خطبة شرعية وأجيب  
لذلك بعد ابرازه لفتيا شرعية لفظ سؤالها

ماقولتكم دام فضلكم في رجل أحب الاسلام وأهله ورغب فيهما تاركا لدين النصرانية  
ناطقا بكلمتى الشهادتين مصدقا على الوجه الاكمل ثم أراد أن يتزوج امرأة مسلمة على كتاب  
الله العظيم وسنة نبيه الكريم فهل يجوز له حينئذ التزوج بها والعقد عليها بشروطه الشرعية  
أفيدوا الجواب \* وبأذناه \* الحمد لله حيث كان الحال ماشرح في السؤال فيجوز للرجل المسلم  
المذكور خطبة المرأة المسلمة والعقد عليها بشروطه الشرعية والله أعلم \*

كتبه الفقير أحمد الخضرى الشافعي لطف الله به

وبأذناه \* الحمد لله حيث أقر الرجل المذكور بالشهادتين بشروطهما الشرعية  
فيجوز له أن يعقد على المرأة المسلمة عقدا شرعيا مستوفيا لشروطه الشرعية والله أعلم \*

كتبه الفقير محمد صديق الحنبلي عنى عنه

وبأذناه ﷺ الحمد لله حيث رغب الرجل المذكور في الاسلام ونطق بكلمتي التوحيد جاز له أن يتزوج المرأة المسلمة وأن يعقد عليها العقد الشرعي بشروطه الشرعية والله أعلم ﷺ

كتبه الفقير محمد غرا المالكي غفر له الله وعفا عنه

فبمحضر كل من ذكروا أعلام تزوج عبد الله باشا المذكور بمخطوبته زبيدة المرأة بنت محمد البواب التي كانت زوجا لسليم أتما نعمة الله وطلقها وانقضت عدتها منه شرعا على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم وصادق بجلته ألفا ريال اثنان معاملة ومائة دينار ذهباً محبوباً فالحال لها من ذلك المائة دينار المذكورة أقبضها لو كيلها الحاج حسين ابن السيد محمد الموقت فقبض منه ذلك عدداً بالمجلس بمعاينة من ذكر أعلاه وعليه الخروج من عهدة ذلك لها شرعا والباقي الالف ريال الاثنان يحلان لها عليه موت أو فراق زوجها له ذلك \* وعقد نكاحها عليه وكيلها الحاج حسين الموقت المرقوم باذنها له في ذلك بشهادة كل من أخيها لأمها السيد علي الجمالي ابن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد ابراهيم المسكف كل منهما ابني السيد سليمان النقران تزوجا شرعياً قبله للزوج المرقوم وكيله الحاج أحمد شهاب حسبياً وكاه صريحاً بالمجلس بشهادة شهوده المذكورين وعلي عبد الله باشا الزوج المذكور القيام لزوجه المذكورة في كل سنة تضي من تاريخه أذناه بمثل كسوة أقمشة شتاء وصيفا لائقين بحالهما وثبت ذلك لدى مولانا أفندي بعد ان ثبت لديه معرفة زبيدة المذكورة المعرفة الشرعية التي لاجهالة معها شرعاً بشهادة كل من شهود وكيلها المذكورين ثبوتاً شرعياً وحكم بموجبه حكماً شرعياً في الخامس والعشرين من رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف انتهى بنصه

وبعد أن تم عقد الزوجية بين الخوال منو المذكور وزبيدة بنت محمد البواب على الوجه المتقدم حصل التعاقد بينهما أيضاً على شروط وعهود يعيشان على مقتضاها معا وقد سجلت بالطريقة الشرعية بسجل محكمة رشيد بعد تسجيل عقد الزوجية ونصه

بحضرة كل من مولانا الشيخ أحمد الخضري المفتي الشافعي ومولانا الشيخ محمد صديق النائب والمفتي الحنبلي ومولانا السيد محمد غرا النائب والمفتي المالكي والسيد أحمد بدوي نقيب الاشراف والامير محمد بدوي چوريجي سردار مستحفظان وأحمد أبو جاویش مستحفظان والحاج أحمد جاویش العسال والحاج محمد الهوي المغربي وابراهيم الجمال الرزاز والحاج محمد نيمتو وعبد الله بريه والحاج محمد الشناوي وأوزن اسمعيل السلانكلي وعلي جاویش كتخدا البيك ولوي چوسف ويكتور جوليان صاري عسكر حاكم ولاية المغرب ولوي چوسف دروي رئيس طائفة عسكرية وكتخدا صاري عسكر الآتي ذكره فيه وجان فرنسوا لوي لويكه مهندس وميقاني الجيش الفرنسي ولويري وانولي باش حكيم القورنيتينسه دام كمالهم \* صار التوافق والتراضي بين الحاج حسين ابن السيد محمد الميقاني الوكيل الشرعي عن زبيدة المرأة بنت السيد محمد البواب الثابت معرفته وتوكيله عنها فيما

يذكر فيه بشهادة كل من اخيها لامها السيد علي الحامى ابن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد ابراهيم ابني السيد سليمان النقرزان الثبوت الشرعى وبين الحاج أحمد شهاب الحاضر معه بالمجلس القائم في ذلك بوكالته الشرعية عن عبد الله باشا منو صارى عسكر القطر المصرى حالا الثابتة صريحا بالمجلس وبتصديقه على ذلك التصديق الشرعى وهو زوج زبيدة الموكلة بموجب كتاب الزوجية المسطر بحكمة الثغر المؤرخ بخامس عشرى شهر تاريخه أذناه على شروط تكون وتوجد بين عبد الله باشا منو وبين زوجته زبيدة باقرار الوكيلين المذكورين

الشرط الاول ❦ ان زبيدة الزوجة أقامت وأذنت زوجها المذكور وكيلا عنها في سائر ماتملكه يدها الآن وفيها يوجد لها من المال يتصرف لها في ذلك بحسن نظره  
السيد

الثاني ❦ أن عبد الله باشا منو الزوج المذكور أقرب بأن كامل ماهو تحت يدها من متاع ومصاغ وحلى فهو ملك لها بمفردها

الثالث ❦ عبد الله باشا منو الزوج المرقوم أعطى لو كيلاه الحاج أحمد شهاب المذكور مائة محبوب كل واحد منها بمائة وثمانين نصفاً فضة في نظير صداق زوجته المذكورة وان الحاج أحمد شهاب سلم جميع ذلك ليد وكيلاه الحاج حسين المذكور فسلم له ذلك عددا بالمجلس وذلك على حسب عادة عقود المسلمين

الرابع ❦ ان الزوج المسد كور شرط على نفسه انه ان حصل بينه وبين زوجته فراق يدفع لها ألفى ريال اثنين معاملة في نظير فراقه لها وكل ما كان تحت يدها وقت ذلك يكون جميعه ملكا لها حسب عادة دفع مؤخر صداق المسلمين

الخامس ❦ ان زبيدة الزوجة المذكورة ان كانت تطلب طلاقها من زوجها المذكور بحسب شرع المسلمين لم يكن لها من الالفين ريال المذكورة ولا نصف فضه ما عدا ما تحت يدها من مصاغ وغيره فهو لها

السادس ❦ زبيدة لم تزل وارثة في كل ما كانت ترثه شرعا

السابع ❦ ان زبيدة أقرت بنفسها انه اذا مات زوجها المسد كور وهى في عصمته تأخذ من ماله الالفين ريال المذكورة وليس لها موارثه ولا طلب في تركته وذلك في نظير ارثها الشرعى حسب رضاها بذلك

الثامن ❦ أنه ان مات الزوج المذكور وخلف أولادا من زوجته المذكورة وهم قصر يقام عليهم رجلان ناظران ووصيان واحد فرنساوى والثانى ابن عرب يتصرفان في أموالهم بحسب المصلحة في طريقة الفرنساوية وطريقة المسلمين

التاسع ❦ ان الزوجة المذكورة ان ماتت وخلفت أولادا من زوجها المذكور في حياته يكون أبوهم هو الوكيل الشرعى على أولاده وعلى مالهم

العاشر ﴿ الناظر الوصى الفرنساوى المذكور فى الشرط الثامن يقام من طرف حكام  
الفرنساوية الموجودين فى بر مصر وقت ذلك والناظر الوصى الثانى يقام بحسب عادة المسلمين  
وان حصل تداع بسبب اختلاف تقام الدعوى على يد الحاكم الشرعى ان كان ببر مصر  
أو ببر فرنساوية

الحادى عشر ﴿ عبد الله باشا منو وزوجته ان ماتا جميعا وخلفا أولادا تكون  
أولادهما تحت حماية جمهور فرنساوية والزوجين المذكورين يقصد أفضل الحكام  
الخمسة التى يبلاذ فرنسا يكونوا نظراء على أولادهما وان الزوج والزوجة أقرا واعترفا برضاهما  
على هذه الشروط المذكورة على بد وكيلهما الاقرار والاعتراف الشرعيين الصادرين منهما  
بالمجلس بمحضرة من ذكر أعلاه وأنهما التزما بهذه الشروط يفعلانها وقت الاحتياج اليها من  
غيرا كراه ولا اجبار التزاما مرضيا وثبت ذلك لدى مولانا أفندى ثبوتنا شرعيا وحكم بموجبه  
فى سابع عشرى رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف \* انتهى بنصه

وبقيت زبيدة فى عصمة الجنرال منو ولم تفارق رشيد مسقط رأسها وسكنها حتى أخذت  
رشيد من الفرنسيين وانجلبوا عنها فسارت منها بالبحر فى المحرم افتتاح سنة ست عشرة  
ومائتين وألف مع أخيها السيد على الرشيدى أحد أعضاء الديون بشغفر رشيد الى الرجانية  
ولبثت امامها أياما حتى نزل على الرجانية القادمون من العساكر السلطانية والعساكر  
الانجليزية واحتلوا قلعتها فسار السيد على باخته زبيدة الى مصر ونزل بها بيت الاتقى  
بالازبكية أياما قلائل ثم صعد بها الى قلعة الجبل فأقامت بها وورد كتاب الجنرال منو على  
أعضاء الديوان بالقاهرة بوصيهم خيرا بها وبولده منها سليمان مراد ﴿ قال القائمقام توماس ولسن  
الانجليزى فى كتابه المسمى البعثة الانجليزية بمصر ماتعريبه \* ولما كان سابع عشر يونيه سنة  
احدى ومائتان وألف ميلادية سلم الفرنسيين قلعة القاهرة بعد ان وقعوا على شروط الجلاء  
عن ديار مصر وخرج من بقى منهم وخرجت امرأة الجنرال منو تريد اللحاق بزوجها فعارض  
جماعة الترك فى ذلك وشددوا فى منعها وبالغوا فى التشديد فقام فى وجههم القائد بيار  
وقال لابد من ذهابها وانا الكفيل بها والضامن لراحته فخرجت مع من خرجوا اه وكان  
تزوج الفرنسيين على اختلاف درجاتهم بالمسلمات قد فشا وعم سائر المدن والقرى وكان  
حكام الاخطاط من الفرنسيين يلبسون نساءهم من المسلمات الازياء الفرنسية ويمشون  
معهن فى الاخطاط للنظر فى أمور الرعية والاحكام فكمن يأمرن وينهين كأنهن الحكام  
وكانت تمشى المرأة منهن بنفسها أو معها بعض اترابها واضيفانها على مثل زبيده وأمامها  
القواسم والخدم وبأيديهم العصى يفرجون لهن الناس كما يفعلون عند مرور بكار الحكام  
بالطرق والشوارع وكن كثيرا ما يأمرن أيضا وينهين فى الاحكام وكادت هذه المحنة تم سائر  
البلاد لولا جلاء الفرنسيين عنها بقدوم العساكر السلطانية والعساكر الانجليزية ﴿ وبينما  
كان الفرنسيين يعدون المعدات ويسيرون العساكر الى أبى قبير والاسكندرية ودمهور



والرجانية وغيرها لمنع تقدم الانجليز ظهر الطاعون بالقاهرة ومصر واشتد شدة  
عظيمة فكثر الموات وتزايد يوما عن يوم وصار ينقل من بلد الى آخر حتى بلغ الصعيد  
الاعلى وقتك باهله فتسكا عظيما ومات به مراد بيك الكبير رابع الحجة سنة خمس عشرة  
ومائتين وألف وجاء الخبر بذلك الى القاهرة فأقام الفرنسيين بدله عثمان بيك الجوخدار  
المعروف بالطنبرجي وأقروه على إمرة الصعيد الاعلى ومات كثير ممن كان بقلعة الجبل من  
الامراء والاعيان الرهائن وكان مع اشتداد الطاعون وكثرة الموات لم ينكف الفرنسيين  
عن تعبئة الجنود وارسال المعدات وبذل الجهد في منع جيوش الانجليز من التمكن من  
الاسكندرية وكان السير رلف أمير كرومبي أمير العمارة الانجليزية قد تمكن من انزال جنوده  
خارج الاسكندرية وعملوا بعض المتاريس فكانت غاية في المنعة والتحصين والتقت العساكر  
الفرنساوية بالعساكر الانجليزية وانتشبت الحرب بين الفريقين واقتتلا قتالا عنيفا اليوم  
بطوله فلم يظهر أحد منهما على الآخر ومع ضعف رأى الجنرال منو وقلة تدبيره وجهله بفنون  
الحرب وترتيب الصفوف فقد كانت خسائر الفرنسيين في ذلك اليوم خمسمائة رجل وخسائر  
الانجليز مائة وألفا ورجع الفرنسيين الى الاسكندرية وأرسل الجنرال منو الى بونا بارت  
يطلب المدد وكان قد وصل حسين باشا بجيوشه فأمرهم بأبي قير فضعت نفوس الفرنسيين وكادت  
تفتر عزائمهم ولكنهم تابعوا إرسال المعدات الى الاسكندرية وأبي قير وصار يخرج في كل  
يوم طائفة من كبارهم وقوادهم الى الاسكندرية وخروج معهم المعلم ابراهيم الجوهري وآخرون  
من عظماء القبط وكاتبهم رهينة وزادوا في تحصين مصر والقاهرة وعملوا خندقا عظيما بباب  
البرقية وأصبحوا بين عدوين ألدتين وخصمين عنيدين جنود الاعداء المتحالفين والطاعون  
الذابح لرجالهم بغير سكين ولكنهم تابروا على القتال بقسوة مائة وعادوا لقتال الانجليز  
والانجليز من خلف المتاريس وأشار ضباط الفرنسيين على الجنرال منو بمهاجمة الانجليز من  
ناحية حصنهم الاين اذ كان هو أقوى حصونهم وأمنعها فتردد في الأمر ولم يقدم عليه الا  
في ليل ذلك اليوم فلم يفعل ورجع بغير طائل فلما أصبحوا أعادوا الكرة على المتاريس وهجموا  
عليها ميمنة وميسرة وقيل بل هجموا عليها فجر اليوم الثاني وكانوا يودون أخذ الانجليز على  
حين غفلة ولكن الانجليز كانوا على أهبة واستعداد فانتشبت الحرب بين الفريقين وتتابعت  
أصوات المدافع وتراسل الرمي بالقنابل وزلزلوا وزاد الجو ظلاما على ظلامه ثم تقهقر  
الفرنسيين بجانبه فأدرك السير رلف أمير كرومبي أمير السفن الانجليزية قصدهم من  
ذلك وخاف العاقبة فعزز ميمنة معسكره فعاد القتال بين الفريقين واشتد دجى الوطيس  
وزلزلت الارض من أصوات المدافع وتساقط القنابل وجرح السير أمير كرومبي بجراحة عظيمة  
ألقته على الارض وما زالت الحرب على ساقها الى ثاني يوم قبيل الظهر علا صوت بوق  
الفرنسيين بالكف عن القتال فعاد الفرنسيين الى معسكرهم وقد قتل منهم في هذه الواقعة  
زهة الافين وأقام الانجليز وراء المتاريس وقد مات منهم زهاء المائتين وأربعين وجرح نحو

ألف ومائتين وخمسين ومات السير رلف أمير كرومبي بجراحته بعد أيام قليلة فأقاموا الجنرال هتشنسون أميراً على سفن العمارة الانجليزية وتقدم حسين باشا قبطان بمن معه من الجيوش السلطانية فأخذ منهم الجنرال هتشنسون أربعة آلاف مقاتل وضم اليهم فرقتين من الجنود الانجليزية وثمانية من المدافع وسيرهم مع الكولونيل سبنسر لآخذ مدينة رشيد وكان برشيد حامية قليلة من الفرنسيس فأرسل الجنرال منو يستطلع عدد هؤلاء الجنود فأعلم بانها أقل عددا مما هي فاستخف منو بها ولم ينجح حامية رشيد فسار اليها الكولونيل سبنسر ودخلها بغير قتال ثم حول مدافعه على حصن هناك يسمى حصن جوليان وفيه نفر من الفرنسيس فضيق الانجليز عليهم وشددوا حتى استسلمو فأمنوهم وأخرجوهم من الحصن ولما جاءت الاخبار بذلك الى من كان بالرجانية من الفرنسيس أرسلوا يطلبون المدد من الجنرال بيار قائد حامية القاهرة فاعتذر فكاتبوا في ذلك منو فأمدهم بنفر قليل وملاك الانجليز والعمانيون مدينة رشيد ودمياط والمنصورة وما جاورها من القرى والبلدان فقويت عندئذ عزائمهم وتابعوا القتال ووالوا الزحف ومنعوا من وصول صرناك الفرنسيس الى الشطوط المصرية وأطلقوا مياه البحر الملح على الاراضى المجاورة للاسكندرية فأغرقتها وصارت بحجة عظيمة الى يومنا هذا وما نعا من خروج عساكر الفرنسيس من الاسكندرية فلم يبق لهم من سبيل الامن ناحية البحر الى البرية وقد وقف لهم فيه الانجليز ثم رجعوا الى الرجانية فلكوها وأجلوا من كان بقلاعها من الفرنسيس وأخذوها وأخذوا جميع الحصون القريبة منها بجهة العطف وغيرها وذلك في الخامس والعشرين من الحجة سنة ست عشرة

وبينما كان الانجليز يقاتلون عساكر الجنرال منو وغيرهم من بقية العساكر الفرنسية كان يوسف باشا الصدر الأعظم ينتقل بجيوشه على طريق الفرنسيس من قرية الى أخرى ومن بلد الى آخر وهو لا يدفع الا بالأمر الخفيف حتى احتل الشرقية وتربص بها أياما لجمع الكلف والمغارم فأبى الناس وحضر الكثير منهم فأتين الى القاهرة وأخبروا بوصولهم فخرج الجنرال بيار لقتالهم وخرج معه القائمقام فقاتلهم العمانيون فلم يثبت الفرنسيس أمامهم لقلتهم وكثرة عدد العمانيين فقد كانوا ثلاثين ألفا وعساكر بيار لا تتجاوز الخمسة آلاف ورجع الفرنسيس مسرعين الى القاهرة وكتبوا الأمر عن الناس ومنعت العساكر السلطانية دخول الماكولات الى المدينة فعزت الاقوات واجتهد الفرنسيس في عمل الخنادق والتأرييس خارج المدينة وجهة القرافة وألقوا الاحجار العظيمة والمراكب الكبيرة في مجرى النيل اتعطيل سفن العدو وكانت أوائل متاريسهم من باب الحديد ممتدة الى قنطرة الليمون الى قصر أفرينج أحمد الى السبتية الى مجرى النيل ووصلت طلائع الجيوش الانجليزية والعمانية الى بلدة نادر عند رأس ترعة الفرعونية على الجانب الغربى من النيل ووصلت طلائع جيوش حسين قبطان باشا من الجانب الشرقى الى بنها العسل وطحلا بساحل النيل ونزل يوسف باشا صدر الدولة ناحية دجوه وما زال حتى وصل الى شلقان ووصل العساكر الانجليزية أيضا الى الوراريق

وزحفوا حتى جاؤا ناحية انبابه وعسكروا بها وسار العساكر العثمانية على الجانب الشرقى  
 من النيل ومراكب الذخيرة والمؤنة بين الفريقين حتى وصلوا الى منية السيرج ولما كان يوم  
 الاحد الثانى من صفر من السنة اى سنة ست عشرة اطلق الانجليز الخيمون باراضى انبابه  
 مدافعهم تباعا كأنهم يدعون الفرنسيين الى النزال فردت عليهم مدافع الفرنسيين من جميع  
 القلاع والحصون وخرج فى ثانى يوم بعض الفرسان من الفرنسيين وقاتلوا فريقى الانجليز  
 والعثمانيين وقد شغلوا ساحلى النيل شرقا وغربا وبينهما فى النيل الذخيرة والمؤنة وظلت  
 الفرسان تناوشهم القتال اليوم بطوله ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ورجع كل الى مأمنه  
 واستمروا على هذا الحال الى اليوم السادس من صفر فزحفت العساكر العثمانية حتى قربوا  
 من قبة النصر وكان فى مقدمتهم ابراهيم بيك الكبير فنزل بزواية الشيخ صرداش وأشرف  
 بعض الجنود العثمانية على الجزارين الذين كانوا يومئذ بالمذبح من حائط المذبح وكان به  
 ثلاثة من العساكر الفرنسية فوقع بينهم مضاربة أصيب فيها أحد الثلاثة الفرنسيين فى  
 ساقه ومات جزاريهودى فلما أحس من بقلعة الظاهر من الفرنسيين بذلك أطلقوا المدافع  
 على معسكر العثمانيين وكذلك فعل من بقلعة نجم الدين والتل فاضروا بمقدمات العثمانيين  
 ضررا عظيما وقتلت نيران المدافع منهم خلقا كثيرا وظل اطلاق المدافع متراصلا الى ما بعد عصر ذلك  
 اليوم ثم انكف الفريقان وأصبحوا فاقتتلوا بالبنادق والمدافع اليوم كله ولم يتعد أحد الفريقين  
 موقفه وأغلق الفرنسيين فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى وشدوا فى التجسس وأكثر  
 العسس من التطواف ليلا والأغصان والوالى نهارا فكان الناس من الخوف سكارى وماهم بسكارى  
 وزحف الانكليز أيضا من انبابه الى أن وصلوا ناحية الخيزة ومعهم كثير من الامراء المصريين  
 وانتشروا فى الجهات القبليية من الخيزة ومنعوا المعادى من العبور الى البر الشرقى وانكف  
 الفريقان عن القتال اياما تناجوا فيها على عقد شروط الصلح على قاعدة حافظة لحقوق  
 الفريقين وكان الساعون فى ذلك حسين باشا القبطان وهتشنسون مقدم الجيوش الانجليزية  
 وأفرجوا عن كان أسيرا من العثمانيين بقلعة الجبل وأرسلوهم الى معسكر يوسف باشا  
 وأفرجوا عن المشايخ وغيرهم الذين كانوا رهائن بالقلعة وأخذوا فى نقل أمتعتهم وبيع خيولهم  
 وأنزلوا عدة مدافع من قلعة الجبل وقلعة البرقية وسار عثمان بيك البرديسى الى الصعيد ومعه  
 مرسوم من صدر الدولة خطايا لأهالى الصعيد بالامان ووجوب ملازمة السكون والخلود  
 الى الطاعة ونزل يوسف باشا الى شبرا ومعه فريق من العساكر السلطانية فسار تجاههم  
 من انبابه فريق من الانجليز ونصبوا هناك جسرا وعبر الفريقان لزيارة بعضهما وتقررت  
 قاعدة الصلح فى ثلاث عشرة مادة حاصل ما فيها سرعة الجلاء عن مصر والقاهرة وجميع القلاع  
 والحصون التى بهما فى مدة أقلها خمسة يوما وقيام عساكر الفرنسيين برا بجميع متاعهم  
 وأثقالهم وكراعهم الى رشيد وعلى مقدم الانجليز النفقة من مؤنة ودواب الحمل ومراكب  
 للنقل وسفن لحمل العساكر بالبحر الابيض وعلوفة الخيول ودواب الحمل التى تؤخذ من القاهرة

بحيث لاتدخل تلك السفن من الموانى الا ما كان منها للفرنسيس واذا اراد أحد المصريين على اختلاف مذاهبهم الخروج مع الجيوش الفرنسية فلا مانع يمنعهم مع المحافظة على ماله وعياله ولا جناح على من خدم الفرنسيين أو أشار على أحد بخدمتهم وان المرضى والجرحى منهم يبقون بمصر تحت العلاج بعرفة أطباء الفرنسيين المعينين لذلك مع الاعتناء بأمرهم والقيام بجميع احتياجاتهم وان يبعث بكبيرين من كبراء الانجليز والعثمانيين الى مدينة طولون لعرض عقد الصلح وعلى كل من الفرنسيين والعثمانيين تسليم من عنده من الاسرى وابقاء رهائن من أكبر الفريقين حتى يتم الجلاء

ودخل بعض أكبر الانجليز الى القاهرة ومعهم بعض أكبر الفرنسيين لمساعدة ما فيها من الآثار والابنية وكذلك دخل بعض أكبر العثمانيين فزاروا تربة الامام الشافعي والمشهد الحسيني والشيخ عبد الوهاب الشعراي فكان كبراء الفرنسيين ينتظرونهم على الابواب مع التمشع والأدب وأصبحوا وقد انسحب من الفرنسيين السواد الاعظم وودى في الاسواق بأن ستطلق المدافع في غد من جميع القلاع والحصون لإجلالاً لخروج جثة الامير كلاير من أرض مصر فأطلقت في ثاني يوم من جميع الابراج والحصون تباعاً وحملوا نعشه من قصر العينى وساروا به في كبكبة وأبهة عظيمة جدا وأخلوا قلعة الجبل في ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر من السنة أى سنة ست عشرة وكذلك بقية القلاع والحصون وأجلوا عنها تماما وذهبوا الى الجزيرة والروضة وقصر العينى ولم يبق منهم أحد بالمدينة وبولاق ومصر القديمة والازبكية وتكاثر دخول العساكر السلطانية الى القاهرة بسم الله قال صاحب مجائب الآثار ففرح الناس كعادتهم بالقدامين وظنوا فيهم الخير وصاروا يستقبلونهم بالسلام ويباركون لقدمهم والنساء يلقلن بالسنهن من الطيقان وفي الاسواق وقام للناس جلبه وصياح وتجمع الصغار والاطفال كعادتهم ورفعوا أصواتهم بقولهم نصر الله السلطان ونحو ذلك وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغريب المنقوب في السور وتسلقوا أيضا من ناحية العطوف والقرافة وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلقان لم يأذنوا بفتحهما خوفاً من تراحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة فيقع منهم القتل والضرر بالناس وباب الفتوح مسدود بالبناء فلما أضحى النهار حضر في قسول وفتح باب النصر والعدوى وأجلس بهم جماعة من الانكشارية فدخل كثير من العساكر مشاة وربكانا أجناسا مختلفة ودخلت بلوكات الانكشارية وطافوا بالاسواق ووضعوا نشاناتهم ورنكهم على القهاوى والخوانيت والحمامات فامتعض أهل الاسواق من ذلك وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالاسواق وتواجدت البضائع وانحطت الاسعار وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبطيخ وتعاطى بيع غالبها الا تراك والارنؤد فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبر والبحر ويشترونها منهم بالاسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأعلى الثمن ووصلت مراكب من جهة بحرى وفيها

البضائع الرومية والبيدش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومي قال فلما كان قبل صلاة الجمعة واذابجاويشية وأغوات وعساكر وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر فشق من وسط المدينة وتوجه الى المسجد الحسيني فصلى فيه الجمعة وزار المشهد الحسيني ودعا حضرة الشيخ السادات الى داره المجاورة للمشهد فأجابه فدخلك معه وجلس هنيهة ثم ذهب الى الجامع الازهر فتفرج عليه وطاف بمقصورته وأروقته وجلس ساعة لطيفة وأنتم على الكناسين والخدمة بدراهم وكذلك خدمة المشهد الحسيني ثم ركب راجعا الى وطاقه بناحية الحلي بشاطئ النيل وعملوا في ذلك الوقت شنكا وضربوا مدافع كثيرة من العرضي والقلعة ودخل قلقات الانكشارية وجلسوا برؤس العطف والحارات وكل طائفة عندها يبرق ونادوا بالامان والبيع والشراء وطلب أولئك القلقات من أهل الاخطاط الماء كل والمشارب والقهوات وألزموهم بذلك وانحاز الفرنساوية الى قصر العيني والروضة والجيزة الى حد قلعة الناصرية وفم الخليج وعليها بنديراتهم ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من بأوى الى جهتهم من العثمانية فلا يمر العثماني الا الى الجهة الموصلة الى بولاق وأما اذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد وفي مدة اقامة المشار اليه بساحل الحلي ببولاق خرب عساكره ما قرب منهم من الابنية والسواقي والمتريز الذي صنعه الفرنساوية من حد باب الحديد الى البحر وأخذوا ما بذلك من الافلاق الكثيرة المتهندمة والاخشاب المنجزة المرصومة فوق المتريز وتحمته في الخندق فخرروا ذلك جميعه في هذه المدة القليلة وذلك لاجل وقود النار والمطابخ اه

وتتابع دخول العساكر العثمانية الى المدينة وانتشروا في أنحاء مصر والقاهرة واحتل بعضهم القلاع والحصون والطوابي التي كان بها جنود الفرنسيين ورفعوا عليها أعلامهم ما خلا الحصون والقلاع التي انفازت اليها طوائف الفرنسيين وهي من قصر العيني الى جهة النصرية كما تقدم القول وعاش فريق الانكشارية في المدينة يراجون أرباب الحرف والصنائع في أرزاقهم ووضعوا أسلحتهم على أبواب الحوانيت كافة إشعارا لأصحابها من الخلاقين والخطاطين والقهوجية بانهم شركاؤهم في كسبهم اليومي فامتعض السوقه وأصحاب الحوانيت وشكوا من ذلك فدخلك أناة الانكشارية وهر من وسط المدينة وخلفه بعض الصنائع المصريين وأمر بالحمية الانكشارية فرفعوها عن أبواب الحوانيت كافة الا القهاوى فشكا أصحابها فلم يلتفت اليهم ودخلك أيضا في ذلك اليوم كثير من الجنود والعسكر المصري ومعهم محمد باشا المعروف بأبي مرق وهو المترشح للولاية على مصر من جانب السلطنة وسكن بيت الهياتم بالقرب من مشهد الحنفي \* واتفق في يوم دخوله ان أحد العساكر السلطانية من الارنؤد كان بالجمالية فربه عرفسوسى فشرب منه قدحا ولم يعطه ثمنه فكلم العرقسوسى في ذلك مقسدم قلق الانكشارية المرابطين بالجمالية فأحضر ذلك الجنسدى وأمره بدفع ثمن ما شربه

مأسره فامتنع فنهسه وأراد ضربه فأخرج الجندي غدارته وأطلقها على مقدم القلبي  
فقتله وهرب الى حارة الجوانية ودخل الى إحدى الدور وامتنع فيها وصار يطلق غدارته على  
كل من يقصده فقتل خمسة من الجنود وانفق أن مر اثنان من الرنود بتلك الخطة فقام  
عليهما نفر من الانكشارية وقتلوهما انتقاما ولما أعياهم أمر ذلك القاتل وتعذر عليهم  
ضبطه أحرقوا عليه الدار التي امتنع فيها فخرج هاربا من النار فقبضوا عليه وقتلوه شرقتله  
واشتمد الخوف باهل تلك الخطة فترك أكثرهم دورهم بما فيها وخرجوا على وجوههم ولم تكند  
تسكن الخواطر بسكون هذا الحادث حتى وقع آخر على مقربة من الخطة المذكورة فاشتمد  
خوف الناس وتبدل فرحهم بخروج الفرنسيين حزنا وأسفا

مطلب  
جلاء الجيوش الفرنسية  
عن مصر والقاهرة وسائر  
الديار المصرية

وخرج طوائف الفرنسيين في يوم الاربعاء رابع ربيع الاول من السنة أى سنة  
ست عشرة ومائتين وألف هجرية وأخلوا قصر العيني والروضة والجزيرة وانحدروا الى الشمال من  
الوراديق وارتحل معهم أمير السفن العثمانية وعدد من الانجليز وجماعة كثيرة من الرنود  
وعثمان بيك الاشقر وميراد بيك الصغير وأحمد بيك الكيلارجي وأحمد بيك حسن من  
الامراء المصريين يريدون الاسكندرية لعرض الصلح أيضا على الجنرال منو قائد الجيوش  
الفرنساوية فلما وصلوا الى الاسكندرية كلموه في أمر الصلح وعرضوا عليه شروطه التي وقع  
الاتفاق عليها فلم يقبل بها وأبى الا القتال فقاتلوه وحاصروا الاسكندرية وشددوا في حصارها  
فكان العربان يدخلون الى الفرنسيين بالمؤن وغيرها من طريق مجهول واشتمد القتال بين  
الفریقین وتراسل رمى القنابل وكان الانجليز والعثمانيون يهجمون في كل يوم فلم يتألوا من  
الفرنسيين وطال الحرب وسئمت أنفس المقاتلين تخاف الانجليز والعثمانيون سوء العاقبة  
فصهروا على الهجوم وهجموا على متاريس الفرنسيين هجمة رجل واحد فقتل العدد العديد  
من جيوش حسين باشا أمير السفن العثمانية وكذلك قتل من الانجليز جماعة كثيرة  
وانجبت الواقعة عن جلاء الفرنسيين عن بعض متاريس ناحية المعجى فملكها الانجليز  
وعساكر المسلمين وقتل من الفرنسيين عدد ايسر بقليل وكذلك من الامراء والصنابق  
المصريين وما زالوا على هذا الحال والحرب قائمة والقتال لا ينفك حتى جاءت الى الجنرال منو  
رسيل بونابارته بالاذعان الى الصلح والجلاء عن الاسكندرية فأجلوا عنها بشروط غاية في الفخر  
وعزة النفس ونزلوا على ظهور السفن التي أتى لهم بها أمير الدوارع الانجليزية وساروا الى  
أوطانهم في العشرة الأواخر من جادى الاولى من السنة أى سنة ست عشرة ومائتين وألف  
هجريه فكانت مدة لبث الجنرال منو بمدينة الاسكندرية في الحصار والقتال بعد خروج  
الفرنسيين جميعا ونزولهم بأبي قير وقيامهم الى أوطانهم شهرين وبضعة أيام ولم يعتبر جماعة  
الكتاب هذه المدة في مدة تصرفهم في البلاد بل عدتها أيام حصر وقتال ليس الا وقالوا ان  
مدة اقامتهم وتسليطهم لغاية جلائهم وخرابهم من القلاع هي ثلاث سنوات واحد عشر

يوما حيث نزلوا على انبابه والجيزة وغلبوا طوائف المماليك في يوم السبت تاسع صفر سنة  
ثلاث عشرة ومائتين وألف هجرية وكان انتقالهم وخروجهم من القلاع وجلاؤهم عن المدينة  
والتخلعهم عن التصرف والحكم ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر سنة ست عشر  
ومائتين وألف هجرية فسبحان من بيده الملك يؤتية من يشاء من عباده

## (فصل)

(في بقیة مدة سلطنة السلطان سليم وما فيها من الحوادث والاخبار)

لما تم جلاء الفرنسيين عن القاهرة ومصر دخل الوزير يوسف باشا الى القاهرة يوم  
الخميس خامس ربيع الاول في موكب حافل للغاية وكان دخوله من باب النصر ومصر  
من وسط المدينة وأمامه الجنود المختلف من أرزود وانكشارية وشامية والامراء المصريين  
والمغاربة والقليوونجية وطاهر باشا أمير العسكر الارزود وابراهيم باشا والى حلب ومحمد باشا  
أبو مرق والى مصر والكتبة ورئيس الكتاب وكتخدا الدولة وغيرهم من الخدم والختم  
والاتباع وقاضى القضاة والنواب والعلماء المصريين ومشايخ التكايا والدرابوش وامامه  
الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة والجوخدارية وخلفه اثنان على يمينه ويساره يترون  
دراهم الفضة على رؤس الناس بالطريق ثم النوبة التركية وبعض المدافع وعربات الذخيرة  
وكانت الحصون والقلاع جميعها تطلق المدافع تباعا وما زال حتى نزل ببيت رشوان بيك  
بحارة عابدين فلما استقر به المقام جعل يتصرف فى الامور ورسم بأن لاتدفع الاموال والعشور  
للملتزمين الا بمرسوم منه واهتم بترتيب ديوان الاعشار والمكوس وبالغ فى ذلك فانقبض الناس  
وأخذتهم الطيرة من فعالة ولم يلبث حتى طلب قرضه من التجار قدرها مائة كيس وعشرة أكياس  
فاعتذروا فلم يقبل فاجتمع أصاغرهم عند بيته وصاحوا واستغاثوا ونادوا ارجنا يرجك الله  
فرسم برفعها عنهم وتكليف أهل الميسرة منهم بها فدفعوها وهم صاغرون وشدد فى تحصيل  
العشور فبلغ ما تحصل منه فى بضعة أيام ستة عشر ألف كيس ولم يكن بأسرع من ان عد  
العسكر على اختلاف أجناسهم الى العسف والجور والاختلاط بالسوقه قال صاحب عجائب  
الآثار وكثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء فى أصناف المأكولات وتسلطوا على  
الناس بطلب الكلف وربوا على السوقه وأرباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم فى كل  
يوم ويأخذون من المخازن الخبز بغير ثمن وكذلك يشربون القهوة من القهاوى ويحتكرون

ما يريدون من الاصناف وبييعونها بأعلى الاثمان ولا يسرى عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالايذاء لادنى سبب وتعرضوا للسكان في منازلهم فيأتى منهم أناس ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها فان لطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنه وتر كوه وان عاند سبوه وضربوه ولو عظيما وان شكا الى كبيرهم قوبل بالتبكيث ويقال له ألا تفسحون لاخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب يأخذون أموالكم ويفجرون بنسائكم وينهبون بيوتكم وهم ضيوقكم أياما قليلة قال فما يسع المسكين الا أن يكلفهم بما قدر عليه وان أسعفته العناية وانصرفوا عنه بأى وجه فيأتى اليه خلافهم وان سكنوا دارا آخر يها قال وأما القلقات والانكشارية الذين تقيدوا بحارات النصارى فانهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به المسلمين فكانوا يطلبون منهم بعد كلف المأكل واللوازم مصروف الجيب وأجرة الحمام وغير ذلك وتسلط عليهم المسلمون بالدعاوى والشكاى على أيدى أولئك القلقات فكانوا يتخلصون منهم بما لزمهم بادنى شبهة ولا يعطون المدعى الا القليل من ذلك والمدعى يكتبى بما حصل له من التشقى والظفر بعدوه قال واذا تداعى شخص على شخص أو امرأة على زوجها ذهب معهم أتباع القلق الى المحكمة ان كانت الدعوة شرعية فاذا تمت الدعوة وأخذ القاضى محصله يأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوة قال وعاد يوسف باشا فأطلق للمتزمين التصرف فى سنة خمس عشرة ليقضوا مالهم وما عليهم من البواقي ومال الميرى والمضاف ويدفعوا جميع ذلك الى الخزينة باوراق محتومة من ابراهيم بيك وعثمان بيك والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية والرجاء بالتصرف فى المستقبل ووعدهم بذلك سنة تاريخه بعد دفعهم الخسائر مع ان الفرنسية لما استقر أمرهم بمصر ونظروا فى الاموال الميرية والخراج وجدوا ولاة الامور يقبضون سنة مججلة ونظروا فى الدفاتر القديمة واطلعوا على العوائد السالفة ورأوا ان ذلك كان يقبض أثلاثا مع المراعاة فى رى الاراضى وعدمه فاختروا الاصح فى أسباب العمار وقالوا ليس من الانصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة فلم يطالبوا المتزمين بالاموال الاميرية ولا الفلاحين بالخراج فتنفس الفلاحون وتراجعت أرواحهم مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف وحق طرق المعينين ونحو ذلك \* انتهى

وأخذ يوسف باشا الصدر الاعظم فى تدبير الامور كما يشاء فقسم الوظائف العالسة والرتب السامية على من كان يتوسم فيهم سمة الطاعة والاخلاص وخلع محمد باشا أبو مرق عامل الدولة على مصر وولى مكانه محمد خسرو باشا وهو كتحدا حسين باشا أمير السفن الذى كان حضر لقتال مراد بيك و ابراهيم بيك الكبير قبل قدوم الفرنسيس لمصر فكانت ولاية أبى مرق المذكور قصيرة جدا ولم يكن له فيها من الحكم سوى الاسم فقط وجعل يعمل الخيلة



على الفتك بجميع الامراء المصريين وقطع شأفتهم من مصر وعميل ديوانا وجع اليه جميع أولئك الامراء والصناجق والاعيان على اختلافهم وأوهم أنه انما يريد المفاوضة معهم في شئون البلاد ومصالح الرعية فلما تكاملوا أمر فقبضوا في الحال على ابراهيم بيك الكبير وبقية الامراء والصناجق وأصعدوهم الى قلعة الجبل ووضعوهم بسجن هناك فانزعج من حضر بالديوان وتفرقوا وهم لا يصدقون بالنجاة وسير خلف محمد بيك الاتي بالصعيد طائفة من الجنود ليقتلوه وكان قد عاث وعبث بالصعيد وأهلك الحرث والنسل وصادر الاغنياء والفقراء حتى المشايخ والعلماء وأخذ ما في بيت المال والاقواف وكل ما وصلت اليه يده وسير جماعة آخرين للقبض على سليم أبي دياب وكان مقبيا بالمنيل فلما علم بالخبر طلب الفرار وترك متاعه وأثقاله ووصل اليه الجنود فلم يجدوه فذهبوا القرية وأخذوا جميع ما كان له فيها وتبعوه فلحقوا به ناحية طرا فقاتلهم وقتلوه ومات خلق كثير من الفريقين ثم هرب في نفر قليل جدا الى الصعيد من طريق الجبل وأقام طوائف الارنؤد بالاطحاط وخارج المدينة يقبضون على من يصادفونه من المماليك والاجناد ونودي في ذلك اليوم على الرعية بالامان وملازمة السكون وأحاط العسكر بالامراء المعتقلين واختفى من بقي منهم فتنادوا بالتوعد لمن أخفاهم أو آواهم وكان لم يزل بالجيزة فريق من العساكر الانجليزية مخيم بها فذهب اليهم سليم بيك أبو دياب واستغاث بمقدمهم هتسسون فأعانه وأمنه وكلم يوسف باشا في أمره رحمة وبينما كان يوسف باشا يعمل على ابادته من بقي من المماليك والصناجق الذين بعصر والقاهرة وغيرهما من البلدان كان حسين باشا أمير السفن يدبر الحيلة أيضا للقبض على من كان عنده بأبي قير من أولئك القوم فأحسوا بذلك وأوجسوا منه خيفة فكافوا لا يذهبون اليه اذا دعاهم الا وهم حاملون أسلحتهم ومعهم العدد الكثير من المماليك والاتباع تخفروهم فكان يبش عند لقاءهم ويظهر لهم الرفق والملاطفة ويستميلهم بزخرف القول الى أن دعاهم يوما الى ظهر سفينته لمأدبة أعدها لهم فذهبوا اليه بسلاحهم ومماليكهم على عادتهم فقابلهم بالترحاب وبالغ في تعظيمهم فلما تكامل عددهم جاء اليه أحد أتباعه وأخبره بورود ساع من مصر ومعه مكاتب من الصدر الاعظم فقام ليري ذلك فما هو الا أن حضرا الى المجلس أحد مقدمي عسكر السفينة وأعلمهم بأنه قد ورد مرسوم سلطاني في تلك الساعة باستدعائهم الى دار السلطنة ثم أمرهم بنزع سلاحهم عنهم فقام في الحال محمد بيك المنفوخ وسل سيفه وضربه فقتله فما وسع بقية الامراء الا أنهم فعلوا كذلك فقام عليهم من بالسفينة من العسكر واشتبك القتال بين الفريقين فقتل أكثر الامراء المصريين وقبضوا على من بقي منهم وأتزلوهم الى بعض السفن الا من فروا مجروحين وهم في أسوأ حال وذهبوا الى معسكر الانجليز ملتجئين وكانوا لما أحسوا بعزم حسين باشا على اغتيالهم شكوا ذلك الى مقدم الجيوش الانجليزية ورغبوا اليه أن يذب عنهم ويقوم لنصرتهم فأمنهم

ووعدهم وطيب خواطرهم فلما ذهب اليه من نجا منهم من القتل وأخبروه بما فعل  
 حسين باشا غضب جدا وانجاز بعسكره الى مدينة الاسكندرية وطردها من كافوا بها من  
 العثمانيين وأغلقوا أبواب الابراج وأحاط منهم طائفة كبيرة بالبنادق والمدافع بحسن باشا  
 برا وبحرا وطلب الانجليز روزه بعسكره لحربهم فلم يرض وقال لم يكن قط بيننا ما يدعو الى  
 ذلك فحضر اليه قائد الانجليز وتكلم معه طويلا وصمم على أخذ من بقي من الامراء  
 المعتقلين فأطلقهم فأخذهم قائد الانجليز وأخذ حث الاموات منهم ونقل مرضاهم الى  
 الاسكندرية وبات وأصبح فانخرج الاموات في مشهد حافل وسارت أمامهم طوائف الانجليز  
 في ابهة عظيمة وأرسل الى قائد جيوش الجزيرة يعلمه بما وقع ويطلب منه إلزام يوسف باشا  
 بتسليم من عنده من الامراء المعتقلين فطالب القائد يوسف باشا بمن عنده من الامراء وألح  
 في الطلب فطاول وراوغ واستعمل الخداع واستدعاه اليه وخلع عليه خلع سمور عظيمة  
 وشلائج من الجوهر يوضع على مقدمة الرأس ثم حل المعتقلين كافة على تحرير كتاب الى القائد  
 المذكور يقولون فيه انهم أتباع السلطان ونحت طاعته ان شاء أبقاهم في اماراتهم وان  
 شاء قلدتهم المناصب العالية في ولايات مملكته السلطانية وان شاء طلبهم يذهبون اليه ولا  
 دخل للانجليز فيما جرى عليهم من خير أو شر فأرسل القائد الى يوسف باشا يقول لاعتبره  
 بهذا الخطاب فان القوم مسجونون محجور عليهم في جميع تصرفاتهم لا يعملون الا ماشاء  
 الوزير وأعوانه فأرسلوهم الينا لتخاطبهم ونعلم ما في خواطرهم فلما كانت ليلة الاثنين تاسع  
 رجب أحضر الصدر ابراهيم بيك ولاطفه وسأله وكله مع بقية الامراء المعتقلين وأعلمه  
 بأن سيره مع من هم معه الى قائد الجيوش الانجليزية بالجزيرة فيقضوا يومهم هناك ويخبروا  
 القائد بأنهم في راحة وأنهم طائعون لسلطانهم وخاضعون لكلماته وان الخطاب الذي بعثوا  
 به هو عن طيب خاطر منهم ولا اكراه لهم على تحريره فأظهر ابراهيم بيك عدم الرغبة في  
 الذهاب وبالغ في التمتع وقال كيف تتوجه اليهم وهم أعداء لنا ولديننا وكيف نذهب اليهم  
 على هذه الصورة فألح عليه الوزير وحالفه وحالف بقية الامراء على سرعة العودة ومناهم  
 بالاماني الطويلة فلما كان صبح يوم الاثنين نزلوا جميعهم من قلعة الجبل وعبروا النيل الى  
 الجزيرة فتنبعهم مماليكهم وأتباعهم وأخصاؤهم وأقاموا بالجزيرة ولم يعودوا الى الوزير فلبت  
 الوزير ينتظرهم خمسة أيام وأرسل اليهم يدعوهم الى الرجوع حسب عهدهم فامتنعوا وجاهر  
 ابراهيم بيك بالعداوة ورمى الوزير بسوء النية وخبث الطوية فلما لم يرجعوا أمر الوزير فاعتقد  
 الديوان ببيت الشيخ السادات واجتمع فيه جميع المشايخ والوجهاء وأصحاب المناصب العالية  
 وتكلموا فيها جرى من ابراهيم بيك ومخالفته للعهد وإصراره على عدم الرجوع وكتبوا له  
 خطابا بذلك وضمنوه النصيحة ووجوب الطاعة فأجاب هو ومن معه بانهم مطيعون وانهم لم  
 يجنحوا للبقاء عند الانجليز الا خوفا مما يحل بهم كما حل باخوانهم بالاسكندرية وهم الآن

في حى أحب الدول للخليفة الاعظم وأقربهم لمودته ثم لبشوا بالجيزة أياما وخرجوا بعد ذلك الى جزيرة الذهب ونصبوا بها خيامهم أياما أيضا وأخذوا ماقدروا عليه من سلاح وكرام وركبوا ليلا وترفعوا الى الصعيد من جانب النيل الغربى وتحلف عنهم بعضهم فلما علم الصدر بنجر مسيرهم الى الصعيد اغتم نهما شديدا وأمر فنودى بالامان على من بقى منهم أو تحلف عنهم ان هم أتوا الى باب الوزير فلم يذهب اليه الا بعض المماليك والاتباع الذين لا كسب لهم ولا عيش وانقطع خبرهم عن الناس فصرقهم\* ولما كان يوم السبت ثالث شوال سنة ست عشرة ومائتين وألف خرجت خيام الصدر الاعظم وأمتعته الى قبة النصر وقد جاءه الامر بالرجوع الى دار السلطنة بن معه من العساكر والاجناد وفادوا بخروج جميع العساكر وجلائهم عن مصر والقاهرة وبقية المدن والقرى والارياف في مدة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين فأخذوا في الجلاء بأجالتهم وأثقالهم ودوابهم وفي يوم الاثنين خامس شوال المذكور خرج يوسف باشا الى قبة النصر وتتابع خروج الانقال والعساكر وطوائف الجند فجعلوا عند خروجهم يعربدون ويحظفون أشياء الباعة في الاسواق وكتب الوزير في يوم خروجه أوراقا تتضمن كف الناس عن الشر والخلاص الى السكينة ورفع قصصهم الى باب محمد باشا عامل السلطان على البلاد وأن يحافظوا على زبهم وقوانينهم القديمة ويلزموا على الصلوات بالجماعة في المساجد ويوقدون القناديل ليلا على البيوت والمساجد والوكائل والخانات التى بالشوارع ولا يمر أحد من الجند والعسكر بعد الغروب وكذلك الاهل الى الامن كان معه فانوس أو سراج ويبيعون ويشترون بلا قيد ولا تقييد وأن لا يخفى أحد عنده عسكرا من العثمانيين وأن لا يبقى منهم بعد جلاء الوزير أحد بمصر والقاهرة ومن وجد منهم متخلفا بغير مرسوم في يده عوقب بأشد العقاب وأن تبطل جميع القهاوى الحديثة ولا يبقى منها الا ما كان قديم العهد ولا يبيت أحد من العساكر في قهوة ولا يبيعون المسكرات وغير ذلك من الاوامر والنواهي ثم ركب الصدر من قبة النصر في يوم السبت عاشر شوال وقد سلم مقاليد الامور الى محمد باشا الوالى وسار الى الخانكاه وسار معه جميع العساكر فوصلوا الى بليس وأقاموا بها أياما قلائل ثم ساروا منها الى طريق الشام

واستقر محمد باشا منصب الولاية فجعل يتصرف فى الامور وبالغ فى التدبير وضيق وشد وأرهب وأخذ بالشبهات وأكثر من العيون والارصاد فتزاحم على بابه أهل السعاية وتقرب اليه أهل الوشاية فأكثر من القتل والصلب والتخريب وزاد فى المغارم والمكوس وأحدث الاحداث والبدع فخافه الناس جدا وانكس من كان يظنه فى بادئ الامر شيا هينا وقد تتبع الاعيان وأصحاب المظاهر بالمدن والبلدان فأفنى منهم خلقا وطلب الامراء والمماليك بمصر والقاهرة فاخنفوا وتفرقوا فى الجهات وسير طائفة كبيرة من العسكر خلف ابراهيم بيك الكبير ومن معه للقبض عليهم وأكثر من التخفى والتجسس والتطواف بغير زيه لكشف

العورات وأقام على الاسكندرية كما اسمه خورشيد بيك وقيده بأخذ قلاعها وحصونها من جماعة الانجليز النازلين بها فصار اليهم وكلم مقدم الانجليز في ذلك فجعل يماطل ويكثر من التسوية والتعميل أياما كثيرة حتى جاءهم الامر من كبير السياسة الانجليزية بلندن عاصمة بلادهم بالجلاء عن مصر فغير مقدمهم وبعض قوادهم من انبأه الى مصر القديمة فتمياً الباشا للملاقاتهم واصطف الجند عنديته ووصل الانجليز الى الازبكية فقابلهم الباشا وأحسن لقاءهم وخلع عليهم وقدم لهم خيلا وهدايا نفيسة وأطلقوا عند ذلك مدافع كثيرة فلما كان يوم الاثنين ثامن المحرم افتتح سنة سبع عشرة اخلى الانجليز القلاع التي بالاسكندرية والحصون وعبر محمد باشا النيل الى انبأه ومعه طاهر باشا مقدم الجند الانود ونحو الخمسين من أتباعه فقابله مقدم الجيوش الانجليزية بأحسن استقبال وقدم له بعض التقدام والهدايا ثم أخذ الانجليز في الجلاء فغير فريق منهم الى القاهرة وخيم بجزيرة بدران أياما ثم ساروا منها الى مدينة السويس وسار فريق آخر الى القصير على السفن العظيمة وخذت الجيزة منهم في يوم الاثنين ثاني عشر المحرم من السنة فتسلها منهم نائب أمير السفن العثمانية ونزل بالقصر وأتزلوا بها بعض العساكر والاجناد المصرية وبقي بالاسكندرية طائفة من الانجليز بغير أجل محدود

وجاءت الاخبار بقاء الجنود السلطانية الذين سيرهم محمد باشا الى الصعيد الاعلى بعساكر ابراهيم بيك الكبير فوقع بين الفريقين قتال شديد للغاية أياما ثم المجى عن هزيمة العساكر السلطانية واتخذوا لهم فقتل منهم جماعة كثيرة وتقوى المصريون بهذه النصر العظيمة واشتدت ظهورهم وكان مقدم المصريين في هذه الواقعة الأتني وقد لحق بهم جماعة من الفرنسيين ممن تخلفوا بمصر واجتمع اليهم أيضا عدة كبيرة من العساكر العثمانية طمعا في بذلهم فاشتد الخطب على العثمانيين وأرسلوا يطلبون المدد فاهتم بذلك محمد باشا ورسم بخروج طاهر باشا بعساكره فبرز الى البساتين وعبر النيل وعسكر بالجانب الغربي من النيل وتبعته العساكر والاجناد بالذخيرة وآلات الحرب وكثرت عريضة الامراء المصريين بالصعيد واجتمع اليهم العدد العديد من الهوارة وغوغاء الحرف والعربان وزحفوا حتى وصلوا الى غربى اسيوط وخافهم العساكر العثمانية وداخلهم الرعب منهم وفحص كل فريق في مقره ولم تفعل خجرة النصر براهيم بيك والاتي وأصحابها ما تفعله بجهلاء المحاربين ولم تفعهما عن استعمال الخيلة في طلب الصلح فكتبوا الى محمد باشا خطابا يشكون فيه مما أصابهم ويتوجعون مما لحقهم من الضيق وأنهم في طاعة الله وطاعة السلطان ولم يكونوا ليتوقعوا هذا التباعد والتشريد والقتل وماهم فيه من سوء المعاملة وقد خاطروا بارواحهم في خدمة الدولة وقاتلوا مع العثمانيين وأبلاوا مع الفرنسيين بلاء حسنا وماهم الانهم يرغبون في احدى خصال ثلاث إما أن يعطى لهم بلاد يقيمون بها بعينين عن كل مظنة وريبة وإما أن ترسل اليهم نساؤهم ويبعث اليهم بعض السفن ليركبوها من القصير الى جدة فيقيمون بها أو يقيمون

بالجزا وإما ان تعين لهم نقطة يتربصون بها قدر خمسة أشهر حتى يرفعوا أمرهم الى دار السلطنة ويأتيهم الجواب فلما جاء هذا الخطاب الى محمد باشا جمع العلماء والمشايخ وبعض الوجهاء وتشاوروا في الأمر فاتحدت كلمتهم على أن يكتبوا بتأمين جميع الامراء والصناجق الذين بالصعيد وبأذنوا لهم بالرجوع الى القاهرة ولهم مالاخوانهم وأقربانهم وعليهم ما عليهم ما عدا ابراهيم بيك والأتقي والبرديسي وأبي دياب فانهم يبقون تحت الحجر حتى يخبروا في شأنهم الباب العالي ويأتي الجواب وأرسلوا بذلك الى ابراهيم بيك والأتقي فلم يقبلوا يا اتصال أصحابهم عنهم وترفعوا الى الصعيد الاعلى وانتظروا ما سيكون <sup>و</sup>ولبت طاهر باشا تخيما بعسكره في الجانب الغربي من النيل لا يبدى حرا كا وطال لبثه وثقل عليه مكته وداخل جنده الملل وكاد يتولاهاهم الفشل ومحمد باشا في شاغل عنهم بمصادرة الناس وأخذ أموال أهل المسيرة وتبع أصحاب المظاهر باضعف الشبهات فكان الرجل منهم لا يعصى عليه بياض يومه الا وهو في حساب ما سيكون في سواد ليله ولا فرق بين القبطي والمسلم اذ كانوا عنده كلهم فريسة واحدة وأمر فقبضوا على ثلاثة من عظماء القبط وهم المعلم انطون أبوطقية والمعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبدالله بركات معلم الديوان فقتلهم وأرسل الدفتر دار نفخ على دورهم وأملا كلهم ونقلوا ما فيها الى بيت الدفتر دار لبيع في المزاد فكان شيا عظيما للغاية من أواني الذهب والفضة والاقمشة الهندية النفيسة وغير ذلك مما يجبل عن الوصف غير الجوارى والعبيد قيل واستمر سوق المزاد في ذلك عدة أيام ولما طال الحال على طاهر باشا وجنوده رجع الى القاهرة وسرح بعض الجند واختفى الخبر القائل بتسيير طاهر باشا وجنوده لقتال ابراهيم بيك ومن معه <sup>و</sup>وبينما كان محمد باشا يسوم أهل مصر والقاهرة الخسف ويذيقهم من العذاب كان نائبه على الاسكندرية يكثر من الاحداث والمظالم والمكوس والمغارم ويضرب على أهلها الضرائب الفادحة وكانت عساكره تفسد في الارض وتهلك الحرث والنسل وتعرض للناس على ما قيل في اعراضهم فعظم الخلل واستفحل أمره وشكى الناس حالهم لمقدم الانجليز النازلين بالاسكندرية واستغاثوا به فكلم خورشيد بيك في أمرهم وقبح ما يفعله الجند بالرعية وحذره سوء العاقبة وطاوله أياما فاتفق ان جماعة من أولئك العسكر هموا بالقبض على امرأه فاستعانت بنفر من الانجليز في طريقها فنعوها منهم فتضاربوا واتصرت كل فريق لصاحبه واشتد القتال بينهم فقتل اثنان من الانجليز وهرب العثمانيون فنزل في الحال مقدم الجيوش الانجليزية وجمع عساكره وزحف بهم الى القلعة وأرسل الى خورشيد بيك بان اخرج من القلعة الى خارج البلد للقتال فامتنع من ذلك فأمره بترك القلعة والتخلي عنها فلا طفه وماطله فأثرت قهرا وأسكنه في داره في البلد ومنع العساكر السلطانية من حمل السلاح وشدد في مراقبتهم والحجر عليهم وتبعهم أينما ساروا فسكنت خواطر الرعية واطمأنت قلوبهم بعد الخوف ومالوا الى محبة الانجليز وتمنوا لو أنهم يملكون البلاد وأظهروا للعثمانيين عين المقت والقلبي وزالت هيبة خورشيد او كادت

وكان محمد باشا مندولى الولاية على مصر مولعا بجمع عسكر وترتيبهم على نظام عسكر  
 الفرنسيس بجمع ثملتا كثيرا بمن جاء الى مصر من الاكراد يريد الخروج مع الحج وألبسهم  
 ألبسة الجوخ الاحمر الضيقة القصيرة وأرباطا قصيرة من الجوخ الازرق وطرطير من صوف  
 أحمر على أشكال ملابس الفرنسيس وقيد بتظيمهم وتعليمهم نفرا من كبار الفرنسيس الذين  
 تخلفوا عن الجلاء وكذلك ألبس عدة وافرة من العبيد السود الذين اغتصبهم من ساداتهم  
 وجمع جميع المماليك الذين للامراء بمصر والقاهرة وبعض البلدان وألبسهم الملابس الفاخرة  
 وأركبهم جياد الخيل وقيد بهم من الفرنسيس من يعلمهم الفروسية واستعمال السلاح  
 وسماهم بالنظام الجديد واهتم بأمرهم اهتماما زائدا وسرع في انشاء عمارة عظيمة  
 على مقربة من مقره لسكنى أولئك العسكر سماها قشلاق النظام واهتم بهذا القشلاق اهتماما  
 عظيما فكان يجلس بنفسه لملاحظة البنائين والتجارين وأصحاب الصنائع وقد ضرب خيمة  
 بلحوسه في كل يوم من الصباح الى غروب الشمس قال صاحب عجائب الآثار وضرب الباشا  
 خيمة عند بيته بقرب الهدم يجلس فيها حصاة كل يوم لمباشرة العمل وربما بأشبهه بنفسه  
 ونقل بعض الانقراض فلما عاينه الاغاوات والجوخدارية بادروا الى الشيل ونقل التراب  
 بالغلفان فلما أشيع ذلك حضر طاهر باشا وأعيان العساكر فنقلوا أيضا وطلبوا المساعدة  
 وحضر طائفة من ناحية الرملة وعرب اليسار ومعهم طبول وزمور فسأل عن ذلك فقال  
 له المحتسب ان هؤلاء من طوائف حضرنا للمساعدة فشكرهم على ذلك وأمرهم بالذهاب  
 فبقى منهم طائفة وأخذوا في شيل التراب بالاغلاق ساعة والطبول تضرب لهم فانسر الباشا  
 من ذلك وحسن القراء للباشا المساعدة وان الناس تحب ذلك فرتبوا ذلك وأحضروا قوائم  
 أرباب الحرف التي كتبت أيام فرض الفرنسيس ونهبوا عليهم بالحضور قال فأول ما أبدوا بالنصاري  
 الاقباط فحضروا ويقدمهم رؤسأؤهم جرجس الجوهري ورواصف وقلتاؤس ومعهم طبول  
 وزمور وأحضر لهم أيضا مهتار باشا النوبة التركية وأنواع الآلات والمغنين حتى البرامكة  
 بالرباب فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات وفي ثاني يوم حضر منهم أيضا كذلك طائفة قال ولما  
 انقضت طوائف الاقباط حضر النصاري الشوام والاروام ثم طلبوا أرباب الحرف من المسلمين  
 فكان يجتمع الطائفتان والثلاثة ويحضرون معهم عدة من الفعلة يستأجرونهم ويحضرون  
 الى العمل ويتقدمهم الطبول والزمور والحربة وذلك خلاف مراتبه مهتار باشا فيصير  
 بذلك ضجة عظيمة مختلفة من نوبات تركية وطبول شامية ونقاير كسوفية ودباب حربية  
 وآلات موسيقية وطبالات بلدية وربابات برمكية قال كل ذلك في الشمس والغبار والعفار  
 وزادوا في الطنبور نعمة وهي أنهم بعد أن يفرغوا من الشغل ويأذنوا لهم في الذهاب يلزمونهم  
 بدراهم يقبضها مهتار باشا برسم البقسيس الى أولئك الطبايين والزمارين فيعطيهم التز  
 اليسير ويأخذ لنفسه الباقي وذلك بحسب رسمه واختياره فيأتي على الطائفة المائة قرش  
 والخمسون قرشا ونحو ذلك فيركب في ثاني يوم ويذهب الى حطهم ويلزمهم باحضار الذي

قرره عليهم فيجمعونه من بعضهم ويدفعونه قال واذا حضرت طائفة ولم تقدم بين يديها هدية أو جعالة طولوا عليهم المدة وأتعبوهم ونهروهم واستخسروهم في الشغل ولو كانوا من ذوى الحرف المعتبرة كما وقع لتجار الغورية والحريية واذا قدموا بين أيديهم شيئا خففوا عليهم وأكرمهم ومنعوا أعيانهم وشيخوخهم من الشغل وأجلسوهم بخيمة مهتار باشا وأحضر لهم الآلات والمغاني فضربت بين أيديهم كما وقع ذلك لليهود قال واستمر العمل بقيمة الشهر الماضى الى وقتنا هذا فاجتمع على الناس عشرة أسيما من الرذالة وهى السفرة والعونة وأجرة الفعلة والنل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الاعداء من النصارى وتعطيل معاشهم وعاشرها أجرة الحمام \* انتهى

واستفحل أمر الامراء المصريين بالصعيد الأعلى وكبرت عصابتهم وظهرت كلمتهم واجتمعت اليهم طوائف كثيرة من الهوارة وأهالى الحوف الشرقى والغربى وقبائل العربان وقد تحصنوا عند الهو بسفح الجبل ولبثوا على هذا الحال أياما فبرز رجل من العثمانيين موصوف بالشجاعة والاقدم اسمهُ أجدر وأخذ معه ألفا من العساكر الموصوفة وسار اليهم يريد اغتيالهم فسبق العين الى الامراء وأخبرهم بخبر الاجدر فلما توسط الاجدر وأصحابه سطح الجبل نظروا واذا بالمصريين قد أقبلوا فى ثلاث فرق وأحاطوا بهم فأطلق العثمانيون بنادقهم طلقة واحدة ونظروا واذا بهم فى وسطهم وتحت سيوف المصريين ففتكوا فيهم ولم ينبج منهم الا القليل وأخذ الاجدر أسيرا فلما أحضروا الاجدر بين يدي الالقي قال له ولأى شئ سميت بالاجدر فقال هو اسم للافعى العظيمة وقد صرت الآن تحت ظل جمالك فافعل ماأنت أهله قال بنى ولكنى أرى اسمك قد زاد الى حد يوجب خلع أسنانك ثم أمر به فخلعوا أسنانه جميعها ثم قتله وزحف المصريون من الهو الى بنى على ووزلوا عليها فنهبوا غلالها ومواشيها وقبضوا أموالها وكذلك الحوارشة وما جاور ذلك من البلاد فاضطرب الباشا وخشى العاقبة وأخذ فى إعداد المدد من الرجال والذخيرة وآلات الحرب وسيرها الى الصعيد مع أحد الامراء (وهو محمد على سرجهمة) أحد مقدمى العساكر السلطانية وأرسل الى ابراهيم بيك الكبير مكاتبة بالامان والعود الى القاهرة والمقام بها لهم مالاخوانهم وعليهم ماعليهم فلما وصل رسول الباشا بالمكاتبة أحسنوا لقاءه وفض الالقي المكاتبة وقرأها ثم التفت الى الرسول فقال أما قولكم نذهب الى دار الخلافة ونقابل السلطان كى ينعم علينا فهذا لاوجه له ولاترضاه أبدا فانه على تقدير أن فى نيته الاحسان فلم لايحسن ونحن هنا فى بلاده واحسانه لايتقيد بحضورنا لديه أما طلب اخواننا الى مصر فهم وشأنهم ان شأوا فأما معنا على الرحب والسعة وان شأوا رجعوا الى القاهرة وهم فى حل منا وأما قولكم انكم تعطوننا أقطعا نعيش منه باسنا فهذا الاقطاع لايكفيننا فان شاء أعطانا من أسبيوط الى الصعيد الأعلى وعلينا أن نقوم بخراجها والا فالارض لله ونحن خلق الله نذهب حيث شئنا ونأكل من رزق الله مايكفيننا ومن أتى الينا حاربناه حتى يكون من أمرنا وأمركم

ما يكون فلما رجع الرسول بالجواب اغتم الباشا غما شديدا وركب من ساعته وأسرع في تجهيز الجند وتسييرهم فعبروا النيل من الآثار الى الجانب الغربي في عدة عظيمة وذخيرة وافرة وكان بعد انخدار رسول الباشا من معسكر المصريين أمر الأتقي فكسروا قنطرة اللاهون وخيموا على مقربة منها وشرعوا في قبض الاموال من بلاد الفيوم وفتح الوارد منها الى مصر تخاف أهل الفيوم ورحل الكثير منها الى القاهرة فنكفوا ينامون بالازقة والحارات رجالا ونساء وأطفالا ولا يجدون ما يقتاتون به فانزعج الباشا من هذا الحال واستعظمه وكان كلما سأل أحدا من الامراء المصريين القيام مع الجند المسافرين اعتذروا وطلب العفو أو أظهر عدم الطاعة وخرج بعضهم خفية وخلق بالمصريين فلما تحقق الباشا ذلك زاد به القلق ورسم لطوائف العسكر أن يقيم منهم فريق بالقلاع التي على التلال ففعلوا ورفعوا عليها الاعلام العثمانية وأوقفوا الحراس على أبواب المدينة يمنعون من يخرج منها من الغز والكشاف أو من له علاقة مع المحاربين فكان من خرج من بولاق أو غيرها لا يخرج الا بمرسوم من كتحدا الباشا وأمر الباشا بنهب بيوت المحاربين التي بالقاهرة ومصر فنهبوا ما فيها من فرش ومتاع وغيره وجلوه الى بيته وتمكن ابراهيم بيك والالفي ومن معهما من جميع بلاد الفيوم فكانوا اذا دخلوا بلدة منها ورأوا من أهلها مقاومة أو عصيانا ركبوا عليها وقتلوا من فيها بحد السيف وأحرقوا دورها وسبوا نساءها فخصعت لهم جميع البلدان والقرى وأدوا لهم المغارم والقرض وأباحوا لهم أخذ الغلال والماشية وهم صاغرون وكان بمدينة الفيوم طائفة من الجنود السلطانية فلما رأوا من كثرة المصريين وفعالهم بأهل البلد ترسوا في مواقعهم وأقاموا يتظرون المدد وزحفت طلائع المصريين الى الجيزة وأخذوا منها الاموال والمغارم ووصلوا الى وردان وسار منهم جماعة الى ناحية الشرقية والمنصورة ومروا بحاكم الشرقية فلم يمنعهم وقد كانوا عدة قليلة فعلم الباشا بذلك وحقد عليه واستقدمه فحضر فأمر به فقتلوه ونهبوا داره وسبوا نساءه وعبر كتحدا الباشا النيل الى انبابه وعبر معه طوائف كثيرة من الجند ونصبوا خيامهم وجاء الخبر بوصول ابراهيم بيك ومن معه الى الجسر الاسود فأقاموا به أياما ثم ترفعوا الى المنصورة وبشتيل نخرج طاهر باشا وعبر النيل أيضا وعسكر بجنوده على مقربة من الوراق ثم ساروا طائفة بعد طائفة وكان الامراء المصريون قد نزلوا على مقربة من دمنهور فلاقتهم العساكر السلطانية وناولتهم القتال وهم في قلة والعثمانيون في كثرة زائدة وكان مع جماعة المصريين بعض كبار جنود الانجليز جاؤا اليهم من الاسكندرية فلم يتأخر المصريون عن القتال وهجموا على فرسان العثمانيين هجمة الاسود وكان الانجليز يتظرون اليهم نظرة المتعجب فهزموهم وولوا الاديبار وتركوا المشاة خلفهم ففكر المصريون على المشاة أيضا فألقوا أسلحتهم وطلبوا الأمان فساقتهم وأخذوا ما معهم من أسلحة ومدافع وذخيرة وغير ذلك وقد تمزق شمل من بقي من العساكر السلطانية وتفرقوا أشتاتا وجاء الخبر بذلك الى محمد باشا فانزعج وقد كانت وردت عليه أوامر دار



السلطنة بسرعة اخراج ابراهيم بيك وأصحابه من الديار المصرية والالحق به العطب فعمد الى تجييش جيش آخر وبالغ في انقائه وتنظيمه وعبر به النيل الى انبائه وانتقل طاهر باشا من انبائه بعساكره الى الخيزة وتبرس بها ووصلت المجاريح والمرضى من العثمانيين وأكثر الباشا من تحذير أعيان ومشايخ البلاد من مسالمة الامراء المصريين أو التقرب اليهم وترفع فريق من الامراء المذكورين راجعا الى الصعيد وذهب جماعة منهم أيضا الى دار السلطنة في احدى سفن الانجليز لطلب عفو السلطان ونزل محمد بيك الأتقي مع طوائف الانجليز الذين كانوا بالاسكندرية يريد لندن عاصمة بلادهم اذ جاءهم الأمر بالخلاء تماما عن الاسكندرية فرحلوا عنها في يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من السنة أى سنة سبع عشرة ومائتين وألف هجرية ورجعت جميع العساكر السلطانية الذين كانوا بالبحيرة الى القاهرة ومصر وانتشروا فيها يطوفون في الشوارع والحدائق وطالبوا الباشا بجما كيهن المتأخرة وقد كان قطع عنهم رواتبهم وعولقاتهم لقرع الخيزة وبغضه لهم لجنهم وهزيمتهم في الحروب فصار كبارهم يطالبون الباشا والدفتر دار وهما يماطلان ويطاولان فاجتمع العساكر حول بيت الدفتر دار وصاحوا عليه وتهددوه وشاع قيامهم لنهب أمتعة الناس فنقل أهل الغورية وغيرهم بضائعهم من الخوانيت وقفلوها أياما كثيرة وظفهم الناس وامتنعوا من الخروج الى الاسواق بعد الغروب فكانوا اذا انفردوا بأحد عروه من ثيابه فان مانعهم قتله وأكثروا من خطف النساء والغلمان ﷺ قال صاحب عجائب الآثار ومضى أربعة أشخاص من العساكر وأخذوا غلاما لرجل حلاق بخط بين السورين عند القنطرة الحديدية فعارضهم الأوسطى الحلاق في أخذ الغلام فضربوا الحلاق وقتلوه ثم ذهبوا بالغلام الى دارهم بالخطبة فقامت في الناس شجة وكوشة وحضر أعاة التبديل فطلبهم ففكرنكوا بالدار وضربوا عليه البنادق من الطيقان فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار ولم يزلوا على ذلك الى ثاني يوم فركب الباشا في التبديل ومضى من هناك وأمر بالقبض عليهم فنقبوا عليهم من خلف الدار وقبضوا عليهم بعد ما قتلوا وجرحوا آخرين فقتلوهم شنقا ووجدوا بالدار مكانا خرابا أخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة وبينهن من وجدوها وطفلهما مذبوحا معها في حضنها اه

واختل النظام من والى هجمات الامراء المصريين على البلاد وعمت الجنود السلطانية فيها وتجاوزهم الحدود في القتل والنهب والتخريب والتعيب والفحش وغير ذلك فتطاوت أيدي العربان أيضا الى السلب ووقف كثير منهم في طرق المارة يسلبون ما معهم ويقتلون من يمانهم حتى زال الأمن وعم الخوف وانقطعت الطرق حتى في نواحي المدينة وطربق بولاق القاهرة وغيرها وعجز محمد باشا وظهر ضعفه ثم جهز طائفة من الوجاقلية وسيرهم لقتال العربان فاقتتل الفريقان قتالا عنيفا انجلى عن هزيمة الوجاقلية وتمزيق شملهم ثم ترفع العربان بعد هذه النصر الى البحيرة وعاد من بقى من الوجاقلية وخيموا بجهة العادلية وجاء من كانوا بالبحيرة من الامراء المصريين الى منية ابن خصيب وأرسلوا الى حاكمها بأن يهرب

النيل هو ومن معه من العساكر العثمانية الى الجانب الشرقي لينزلوا بالمنية أياما يقضون فيها  
 أشغالهم ثم يرحلون عنها فأبى عليهم ذلك وأمر خصنوا البلد وزادوا في عمل المتاريس وأكثروا  
 من المدافع وبينما هم على همتهم من التمتع والتحصين إذ أحاط بهم المصريون وقتلواهم  
 قتالا عنيفا أربعة أيام ليلًا ونهارًا حتى غلبوهم ودخلوا البلد عنوة وأعلموا فيها السيف  
 وأحرقوا وخرّبوا وقتلوا خلقًا كثيرًا جدًا من أهلها وجميع من كان بها من العثمانيين وتركو  
 النار تعمل فيها حتى صارت رمادا وأخذوا ما فيها من الأموال والمتاع والماشية وغير ذلك وأتوا  
 بحاكمها الى ابراهيم بيك الكبير وقد كان من عماليك ابراهيم بيك وانفصل عنه ودخل في  
 خدمة الباشا فلما مثل بين يدي أستاذه وبخه وبناء على أمره ضربوه بالنبايت ثم كبّوه في  
 الحديد وألقوه في صومعة ورحل ابراهيم بيك وأصحابه عن منية ابن خصيب الى الصعيد  
 الاعلى وجاءت الاخبار الى محمد باشا بما جرى فزاد به القلق وضاعت الدنيا في وجهه وأرسل  
 الى محمد علي سرّ حشمة يستحثه على قتال المصريين قبل ان يلقوا بمدينة أسبوط فيفعلوا  
 بها ما فعلوه بمنية ابن خصيب فاعتذر بخروج الجنود عن طاعته بأسباب تأخير صرف  
 جماكيهم وتهديدهم اياه بالقتل فألح عليه محمد باشا فبالغ في الاعتذار وقد كان على عهد مع  
 ابراهيم بيك وأصحابه \* فلما كان يوم الجمعة سابع المحرم افتتح سنة ثمان عشرة ثار الجنود  
 جميعا وحضروا الى بيت الدفتردار فاجتمع جماعة منهم بحوش الدار وقفوا أبواب القيطون  
 وأخرجوا من كان به من العسكر التسابعين للدفتردار وصعد طائفة منهم فوقوا بفسحة  
 المكان الذي كان به الدفتردار ودخل عليه منهم أربعة فكلموه في أمر صرف جماكيهم ورد  
 جميع مرتباتهم فلاطفهم وقال انه لم يجتمع عنده من المال سوى ستين ألف قرش فاما ان  
 يأخذوها وإما أن يصبروا أياما حتى يكمل لهم المطلوب فقالوا لا بد من الصرف فكتب في  
 الحال الى محمد باشا يطلب منه قرضه فأبى عليه ذلك وأرسل يقول لا أريد هؤلاء الاوباش  
 الهمج في بلاد قد توليت حكمها فلا بد من خروجهم وارتحالهم عنها والا أعلمت فيهم السيف  
 وأقنيتهم عن آخرهم فأعاد اليه الرسول يقول أغثني فان الدار ملئت بالعساكر أعلى وأسفل  
 فلما أخبره الرسول بذلك غضب وأمر بالمدافع فأخذوا يطلقونها من قلعة الجبل على بيت  
 الدفتردار وراسلوا الرمي بالقنابل فتساقطت على الدار تساقط المطر واشتعلت الدار بما فيها  
 وتهدم أكثرها والعساكر لا ينفكون عنها واخترق الدفتردار تلك الليلة تحت درج البيت الى  
 الصباح ونهب العساكر مافي الخزينة من الاموال ومافي الدار من فرش وبسط ومتاع ومر  
 الولى بالاسواق والشوارع ينادى في الناس برفع متاعهم والحفاظة على أنفسهم والتحذير بخاف  
 الناس وأغلقوا الحوانيت والدروب وزاد تطيرهم وتخيّلوا هجوم العساكر ونهب المدينة وجميع  
 الدور ونادى المنادى معاصر الناس وأولاد البلد كل من عنده سلاح فليستقلده ويحمّله واجتمعوا  
 على شيخ مشايخ الحارات ليذهب بكم الى بيت الباشا وجاء الطلب بذلك أيضا الى تجار  
 الغورية وتجار خان الخليلي وأهل طولون وشددوا في الطلب وحذروا من التخلف فسار بعض

الناس فقيدهم بخفارة بيت الباشا وبيت ابن المحروقى المجاور له فباتوا ليلتهم تلك وحضر  
الوالى عشاء تلك الليلة وطاف على الناس يحضهم على القيام لنصرة الباشا على الخوارج من  
الجند والعسكر فاجتمع بعض الاوياس والغوغاه بالعصى والمساوق وتحزبوا حزبا وعملوا  
متاريس عند رأس الوراقين ووجهة العقادين والمشهد الحسينى فلما دخل الليل بطل رعى  
القنابل من قلعة الجبل وأصبحوا وقد شرعوا فى الرعى فأطلق العسكر كذلك مدافعهم ووالوا  
الرمى على القلعة وتترسوا بجامع أربك وبيت الدفتردار وبيت محمد على سر چشمه وكوم  
الشيخ سلامه وداخل الناس خوف عظيم من هذه الحادثة وبقي الحال على هذا الوصف ثلاثة  
أيام فلما كان يوم السبت رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيس وخرجوا مشاة وركبانا  
ومروا حوالى البركة وانقسموا فرقتين فرقة أتت على رصيف الخشاب وفرقة على جهة باب  
الهواء ليأخذوا الارنؤد بينهم فلما وصلت فرقة ناحية رصيف الخشاب قاتلوا الارنؤد قتالا  
شديدا فانهمز الارنؤد من تلك الجهة وانحصروا جهة جامع أربك فاشتبكوا فى القتال مع  
الفرقة الثانية وتحققوا الهزيمة والخذلان وكادوا يسقطون فى أيديهم فلما وصلت عساكر الباشا  
الى بيت الدفتردار والمحروقى وبيت نساء الباشا اشتغلوا بالنهب واخراج النساء وتركوا القتال  
وتقاسموا المنهوبات ففترت هممة الفرقة الثانية من عساكر الباشا وانضموا فى الحال الى التهايين  
من اخوانهم فبقوت ذلك عزائم الارنؤد وكروا على من بقى من عسكر الباشا فهزموهم  
وأخذوا مرا كزهم وأجلوهم عنما وظهر طاهر باشا وركب الى الرميلى وتقدم الى باب العزب  
فوجده مغلقا فعالج الطاقات الصغار التى فى حائط باب العزب القريبة من الارض المعدودة  
لرمى المدافع من أسفل ففتح بعضها ودخل منها بعض عسكره فملاقوا مع الارنؤد المحافظين  
داخل الباب فتحالفوا وانفقوا على أن يكونوا على قلب رجل واحد ثم صعدوا الى القلعة  
فاتفقوا مع من بها من الارنؤد ودخلوا على الخزندار وطلبوا منه مفاتيح القلعة فمانعهم  
فشدوا عليه وهموا بقتله فسلهم المفاتيح ففتحوا الابواب لطاهر باشا واعتقلوا الخزندار  
وأزلقوا من القلعة بعض المدافع والذخيرة الى الاربيكية وتسلم القلعة طائفة منهم وتقيدت  
بخدمة المدافع فلم يشعر محمد باشا والى الا والقنابل تساقط على بيته من قلعة الجبل  
فهاله الأمر وأزعجه جدا وعلم بما جرى فسقط فى يده ونزل طاهر باشا من قلعة الجبل ومر  
من وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع المنادى أمان واطمئنان افتحوا دكا كينكم وبيعوا  
واشترى وما عليكم بأس وطاف يزور الأضرحة والمشايخ ورفع الناس المتاريس من الطرق  
وانكفوا عن التعرض للجند وأكثر الولى من التطواف والنساء بالأمان والبيع  
والشراء فاطمأن الناس واستمر الحرب بين الفريقين يوم السبت واشتد ليلة الاحد طول  
الليل فما أصبح النهار حتى زحف الارنؤد على جامع عثمان كخدا وحادرة النصارى وصعدوا  
التلال التى بناحية بولاق القاهرة وملكوا بولاق وهجموا على مناخ الجبال فقتلوا من به من  
العسكر وسارت طائفة منهم الى قصر العيني وقبضوا على من به من عبيد الباشا ونهبوا

بيت السيد أحمد المحروقي وأخرجوا منه النساء حاسرات وكذلك نهبوا بيت الباشا الملاصق له ونهبوا بيت المعلم جرجس الجوهري وأخذوا ما فيه من النفائس والامتعة الثمينة وأشعلوا النار ببيت الباشا فالتهمت الاخشاب والاسقف وسرت الى جميع المساكن فركب الباشا في محاليله وخدمه ومعهم النساء والذراري وخرج الى جزيرة بدران وكان خروجه قبيلا أذان العصر من يوم الاحد تاسع المحرم افتتاح سنة ثمان عشرة فخرج خلفه جماعة من الارنؤد يريدون القبض عليه ففكر عليهم وهزمهم مرتين أو ثلاثا

مطلب  
طرد محمد باشا من الولاية  
وتولية طاهر باشا

وسكنت القننة بمخروج محمد باشا وجملائه عن القاهرة الى العادلية وطاف الولى والمحاسب وأغاة الانكشارية ينادون بالامان وفتح الدكاكين والعود الى البيع والشراء فكانت مدة ولاية محمد باشا المذكور على مصر سنة وثلاثة أشهر وأحدا وعشرين يوما \* وكان سبب التدبير لا يحسن التصرف سفا كالدماء جاني الطبع قليل التروي يضع الامور في غير موضعها فيحسن على من لا يستحق الاحسان ويبخل على من في حاجة الى القوت وكان نفورا محتالا سهل الانقياد لقراء السوء كثير المظالم ولم يزل في طريقه الى أن نزل بقرب قليبوب في غروب يومه فاستراح وأسرى ليلا الى دجوة وأنزل الدراري والمتاع في بعض السفن الى بنها العسل وقد تخلف عنه أكثر قومه واجتمع الأغا والوجا قلية ببيت القاضي وتشاوروا في اقامة طاهر باشا نائبا عن الدولة حتى تأتية الولاية أو يأتي وال آخر جديد فانفقوا على ذلك وذهبوا الى بيت طاهر باشا وألبسوه خلعة النيابة وحرروا محضرا بما وقع ورفعه الى دار السلطنة فلما استقر به المنصب وتصرف في الأمور قبض على الكثير من الامراء والاعيان وصادرهم ثم اعتقلهم وكتب ابراهيم بيك الكبير وأصحابه وسألهم الاقتراب من مصر حتى يدبر لهم الأمر في رجوعهم وسير طائفة من الجند لقتال محمد باشا الولى الخلوغ فساروا خلفه وهو ينتقل من ناحية الى أخرى حتى نزل بالمنصورة فجي خراجها وضرب على أهلها المغارم وقبض على من كان بها من أصحاب الجباية وأخذ الأموال منهم وكذلك فعل ببلاد الغربية ثم سار الى دمياط وقد تخلف عنه جميع أعوانه فلم يبق معه الا بعض الاتباع والنساء والذراري وبسط طاهر باشا يده على جميع الأمور وضييق على أصحاب الميسرة من الوجا قلية والقبط وضرب على القبط غرامة قدرها خمسمائة كيس وخص بهذه الغرامة جماعة الكتاب ثم اعتقل جماعة منهم وكذلك فعل باليهود وقتل من أعظم القبط والشوام خلقا ونهب دورا كثيرة وبالغ في استرضاء الارنؤد والتلف اليهم فصرف لهم بما كسبهم وأطلق علوفاتهم ورد عليهم الارزاق اليومية وقرب اليه كبارهم وأصحاب الكلمة فيهم وكان بقلعة الظاهر بيبرس طائفة من الانكشارية جاؤا بأسلحتهم وآلات حربهم من دار السلطنة يريدون الاقطار الحجازية لقتال الوهابيين ومن معهم من الخوارج من أهل مكة والمدينة ونزلوا بالقلعة المذكورة على عهد محمد باشا الخلوغ حتى تتم معداتهم فيرحلون عن طريق القلزم والقصير فحدثت القننة وظهر أمر طاهر باشا وأصحابه وانقطعت عنهم العلوفات وقتل المؤمن وضاق عليهم الحال وكان معهم

أحمد باشا وإلى المدينة فكلّموه في ذلك فطاولهم فذهب جماعة منهم إلى طاهر باشا وطالبوه بالجماع والعلوفات فأبى عليهم ذلك فراجعوه فلم يلتفت إليهم فأضرموا له السوء فلما كان يوم الأربعاء رابع صفر من السنة ركب جماعة منهم بعددهم وأسلحتهم وخلفهم بعض كبارهم وذهبوا إلى طاهر باشا وسألوه صرف الجماع فأعرض عنهم وقال ليس لكم عندي منها شيء إلا ما كان من يوم قبضى على زمام البلاد فقالوا حاشا أن يكون كذلك فقال اذهبوا إلى محمد باشا وطالبوه بما كان في أيامه فألحوا عليه فنهروهم وصاح بقومه ليخرجوهم فابتدأه أحد الانكشارية بضربة بسيفه أطاح رأسه فسقط من شباك المكان إلى صحن الدار وجرى جميعهم سيوفهم وأقبلوا على أتباعه وخدمته ومن كانوا في البيت من الأرنؤد فقتلوا منهم خلقا كثيرين واشتعلت النار بالبارود الذي كان يخادع أتباعه وبما ليكه فوقع الحريق والنهب في الدور المجاورة وخرج الانكشارية وبأيديهم السيوف مسلولة ومعهم ما نهبوه من المتاع وغيره فانزعج الناس وأغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وهم لا يعلمون بالخبر ثم طاف الأتاع والوالي بعد ساعة وناديا بالأمان واجتماع جميع الانكشارية عند أحمد باشا وإلى المدينة المنورة لقتال الأرنؤد وإخراجهم من البلاد فلما سمع الأرنؤد بالمنادة تحزبوا واجتمعت طوائفهم عند الأرنؤد فكان الانكشارية إذا ظفروا بأحد من الأرنؤد أخذوا مامعه من سلاح وقماش وربما قتلوه وكذلك كانت تفعل الأرنؤد بالانكشارية وقد نهب الانكشارية جميع ما وجدوه في بيت طاهر باشا من فرش وبسط وملبوس وغير ذلك وبقيت جثته ملقاة لا يجسر أحد من أتباعه على الاقتراب منها وجلها وزالت دولته فكانت أيامه ستة وعشرين يوما فلما قال صاحب عجائب الآثار وكان أسمر اللون نحيف البدن أسود اللحية قليل الكلام فيه هوس وانسلا بيميل للمسلمين والمجازيب وأصحاب الشعوذة وقد عمل له خلوة بالشيخونية يبيت فيها كثيرا ويصعد على سطحها مع شيخه ويذكر معه أهله ثم جمع أحمد باشا المشايخ والعلماء والوجهاء في داره وكلهم فيما وقع من طاهر باشا وأصحابه وانتدب جماعة منهم فساروا إلى محمد على سر حشمة يسألونه الطاعة والخلود إلى السكينة كي لا يعرض نفسه ومن معه للبور فقال لست أعرف لأحمد باشا سلطة على البلاد وما هو الاضيف ثم يتحلى ولم أكن لأولى طاهر باشا وأجلسه على منصة الملك إلا لأنه مبعوث من الدولة للحفاظ على الديار المصرية والجواب عندي ان أحمد باشا يتحلى عنا على الفور بعسكره وبنوده وله علينا المعاونة والمدد من مؤنة ودواب للحمل وسفن للسفر فأخبر المشايخ أحمد باشا بمقالة محمد على فأضمر له السوء وبدأ من هذا الحين يظهر محمد على وتعلو كلمته والانكشارية يقتلون وينهبون كل ما قدروا عليه من دور الناس والأهراء وتتبع الأرنؤد وقتل بهم وعملوا بعض المتاريس ونادوا على الناس بالسهر والتحفظ وفتح الحوانيت ليلا والاكتثار من الأنوار وبات الناس على تحوهم فلما أصبح يوم الخميس أرسل أحمد باشا يستدعي المشايخ والعلماء فذهبوا إليه فكلّمهم في جمع سائر الناس وخرجهم على طوائف الأرنؤد فأجابوه إلى ذلك وأرادوا الانصراف

مطلب

قتل طاهر باشا وتصرف

أحمد باشا وإلى المدينة

المنورة

فمنعهم وقال حتى تأمروا العامة فقالوا هذا لا يكون الا ونحن بالجامع الازهر وما زالوا به حتى  
خرجوا ولم يفعلوا شيئا مما أمر به فجمع اليه جميع الامراء العثمانيين وتشاوروا في أمر الظفر  
بمحمد علي أيضا ومن بقي معه من الارنؤد وكان محمد علي قد استقر عن معه بقلعة الجبل  
وأحكوا أمورهم وكان محمد علي الامراء المصريين وكانوا على مقربة من الجزيرة وانابه فخصر  
الى القاهرة بعض أتباعهم وطائفة قليلة من عسكرهم وشاع خبر وصولهم الى الجزيرة فعبه  
اليهم مما اليكهم وبعض الكشاف من أصحابهم ثم قدم منهم جماعة فنزلوا بباب النصر وآخرون  
بباب الفتوح وأرسل ابراهيم بيك الكبير خطابا الى أحمد باشا يقول فيه **بسم الله** حيث قد علمنا  
بموت طاهر باشا وأنت اليوم بين ظهرانينا فضع اليك من بقي من طوائف الارنؤد وإياك أن  
تقرب اليك أحدا من الانكشارية **\*** فلما كان صباح ثاني يوم ذهب جماعة من الانكشارية  
الى الرميلة يريدون قتال عسكر محمد علي فأطلق عليهم أصحاب محمد علي المدافع وتبعوا الرمي  
فولى الانكشارية الادبار ورجعوا مسرعين الى بيت أحمد باشا فحول أصحاب القلعة رعى  
القنابل على البيت رميا متراصلا تخاف الانكشارية وانحلت عزائمهم وتفرقوا عن أحمد باشا  
وجاء الخبر بما جرى الى ابراهيم بيك فتقوت عزيمته وأرسل الى أحمد باشا يطلب منه قاتلي  
طاهر باشا ويلزمه الخروج من القاهرة في برهة لاتجاوز الساعة الحادية عشرة من النهار ولا  
يقيم بها الى الليل فلم يجده بدا من الامتثال وطلب دواب للعمل فلم يجد فركب في عصر اليوم  
وسار وتفرق عنه من كان معه من أعيان العثمانيين وذهبوا الى محمد علي والتجؤا اليه  
فأحسن لقاءهم وأزلهم منزلا رجبيا وخرج أحمد باشا وأتباعه مشاة بين يديه ومعه نفر قليل  
من الانكشارية فوجد عند باب الفتوح من زحام عسكر الامراء المصريين والعربان  
والهوارية ما أخافه فدخل عن معه الى قلعة الظاهر بيبرس وأغلقوا أبوابها فتبعه جماعة من  
الارنؤد ودخل داره جماعة فنبهوا مافيها من متاع وأثاث وأحاط بقلعة الظاهر آخرون  
ليلتهم تلك وأصبحوا فضيقوا على أحمد باشا ومن معه وجعلوا يرمون على المحاصرين من  
السور وهم كذلك يرمون عليهم من أسفل وجعلوا شيئا كثيرا من التراب وعملوا منها أكمة  
وصعدوا عليها وصاروا يرمون عليهم من الخارج بالبنادق بقيمة النهار وطول الليل فلما أصبحوا  
أنزلوا مدفعا من قلعة الجبل وجعلوا يطلقونه على قلعة الظاهر فأخربت قنابله وهدمت بعض  
جدران القلعة فطلب الانكشارية الامان فأمنوهم ففتحوا الابواب وخرج أحمد باشا ومعه  
اثنان من الانكشارية وهما قاتلا طاهر باشا فأخذوهم وعبروا بهم الى الجزيرة ولبث من بقي  
من الانكشارية داخل القلعة وحولهم الجند والعسكر ثم سجنوا أحمد باشا بقصر العيني  
وأبقوا قاتلي طاهر باشا بقصر الجزيرة فتم بسجن أحمد باشا زوال دولته فكانت ولايته  
بعد موت أحمد باشا طاهر يوما وإيلة لاغير

مطلب

طرد أحمد باشا الى المدينة  
وتصرف ابراهيم بيك الكبير

واشدت عزائم طوائف الارنؤد به - هذا الظفر فكثير فسادهم في الارض وقتلوا من الترك  
وأصحاب خان الخليلي خلقا كثيرا وتبعوا الناس وأخذوا بالشبهات وظهر نجم محمد علي والتجأ

اليه الامراء والاعيان فرارا من ايداء طوائف الارنؤد وأتوا يوما بقاتلى طاهر باشا من قصر العيني الى الناصرية وضربوا أعناقهما في وسط النهار وحلوا الرأسين الى زوجة طاهر باشا بالشيخونية ثم الى أخيه بقلعة الجبل وأخرجوا طوائف الانكشارية الذين كانوا بقلعة الظاهر وأخذوا جميع ما كان معهم من سلاح وكراع وبعثوا بهم الى الصالحية مع نفر من الارنؤد والعربان فمات أكثرهم جوعا وتمزق من بقي وتشردوا في الجهات ❁ ولما كان يوم الاحد خامس عشرى صفر سنة ثمان عشرة نزل ابن أخى طاهر باشا من قلعة الجبل ونزل من كان معه من كبار الارنؤد وأعيانهم وعسكرهم ومتاعهم وما جمعوه من المنهوبات وكان شيا كثيرا جدا وسلموا القلعة الى ابراهيم بيك الكبير وأصحابه ولم يبق بها من الارنؤد الا طائفة قليلة ومعها أحد كبارهم المدعو حسين قبطان وأخرجوا أحمد باشا الى المدينة من معقله بقصر العيني وسيره الى الديار الرومية في نفر من الانكشارية فلما استقر بابراهيم بيك المقام قسم الوظائف والمناصب العالية بين قومه وذويه بإشارة محمد على ورتب الامور على ما أراد محمد على فأحكم ترتيبها فقال الامراء المصريون الى محمد على وأجبه العساكر وعمل بمشورته العمال في جميع البلاد وتقرب اليه الاعيان وتزلف اليه أرباب المناصب وتقرب منه المشايخ والعلماء \* وجاء الخبر الى ابراهيم بيك الكبير بنزل محمد باشا الوالى المعزول على مدينة دمياط وتغلبه على ماحولها من البلاد والقرى واعطاء الوظائف الى مماليكه وانضمام الكثير من الانكشارية الذين خرجوا من مصر والقاهرة الى لمومه مع الغوغاء وحرافيش البلاد والعربان فسير لقتاله البرديسى في طائفة عظيمة من العساكر فوجده ممتعا وقد عمل المتاريس والخنادق حول المدينة وضرب على الاهالى المغارم والقرض وبث المعينين لجمع الاموال من البلاد ونقل الغلال فهجم عليه البرديسى بخيله ورجله واقتل الفريقان قتالا عنيفا فانهمز البرديسى وأصحابه عند القنطرة البيضاء من ضواحي دمياط وأجلوهم عن موافقهم ثم عاد البرديسى وقد رتب عسكره وهجم على عساكر محمد باشا فانهمزوا وانتصر البرديسى نصرة عظيمة واتخذت عساكر محمد باشا وخامر بعضهم مع البرديسى وأشاروا عليه بالزحف على دمياط فزحف وراسل بعض كبار عسكر الباشا فأطمعوه في الاستيلاء على المدينة بغير عناء فدبر عسكره وهجم على المدينة وقتلها حتى دخلها عنوة وقتل في عسكر الباشا بالقتل وتبعوا خواصه وأتباعه فقتلوه عن آخرهم وقتلوا من خرج معه من أصحاب الوظائف ونهبوا المدينة وأسروا النساء والاطفال واقتضوا الابكار واستأسروا من شأوا وفعلوا من القسوة ما تشيب لهوله الولدان ونهبوا الخانات والبيوت والوكائل وجميع أمتعة التجار التى كانت بها والتجأ محمد باشا الى بلدة القرية فأحاطوا به من كل جانب فطلب الامان فأمنوه فنزل من القرية وحضر الى البرديسى فقام عليه بعض الخند وخطفوا عمامته وهو فى الطريق وكادوا يفتكون به فلما رآه البرديسى ترجل عن جواده وتلقاه بالاعزاز والاكرام وألبسه عمامة وأنزله فى خيمة بجانب خيمته وسير الاخبار بما حصل الى ابراهيم بيك

ففرح بذلك وفرح أصحابه فلما كان يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الاول أحضروا محمد باشا الى القاهرة ومعه المحافظون من الارنؤد والعساكر المصرية وليس معه من أتباعه سوى ستة مماليك فقط وقد تفرق باقيهم عنه فقتل بساحل بولاق وكان ابراهيم بيك قد حضر في ذلك اليوم الى بولاق فلم يقابل محمد باشا وتشاغل عنه ثم حضر الى الباشا أحد الكشاف وأركبه وسار به الى بيت ابراهيم بيك بحجارة عابدين فلم يقابله في ذلك اليوم أيضا فأخذوه الى بيت البرديسي فبات ليلته وأصبح فركب ابراهيم بيك الى قصر العيني وطلب محمد باشا فسار اليه وقابله وقد حضر الالفي وبقية الامراء المصريين ثم ركب ورجع الى بيت البرديسي وبقي محجورا عليه أياما ١٠ فلما كان يوم السبت خامس عشر ربيع الاول طلب محمد باشا من سليم كاشف المرحجي المتولى حراسته أن يأذن له بالخروج الى الناصرية للرياضة فأرسل سليم كاشف الى ابراهيم بيك يسأله في ذلك فأذن له فأركبه سليم كاشف بماليكه وعدة أخرى من مماليك المرحجي فلما خرج الى خارج الناصرية أطلق جواده وتبعه مماليكه من خلفه فظن مماليك المرحجي أنهم يتسابقون فلما غابوا عن أبصارهم ساقوا خلفهم وما زالوا كذلك وقد استل محمد باشا سيفه الى أن وصلوا الى الازبكية فقصد بيت أحمد بيك الارنؤدي فلما اقترب منه أطلق أحد الجنود غدارته على جواده فسقط الجواد وسقط محمد باشا امام الباب ودخل مسرعا على أحمد بيك ومن كان معه فلما رآه أحمد بيك على هذا الحال وبخه وقبض عليه وقتلوه فوجدوا معه من المال ما قدره ألف وخمسمائة دينار وكذلك أخذ ما كان مع مماليكه وقد كانوا أعدوا هذا المال ليكون لهم عوناً على الهرب وجاء الخبر الى سليم كاشف المتولى حراسته فركب على مثل ذلك يباقي أتباعه واتصل الخبر بابراهيم بيك فأمر بجميع الكشاف بالرجوع وأصعد طائفة منهم قلعة الجبل وتحفظ على أطراف المدينة وجاء سليم كاشف بمحمد باشا الى ابراهيم بيك بقصر العيني ومعهم ما أخذ بيك فخلع ابراهيم بيك على أحمد بيك فروة سمور وقدم له حصانا مسرجا ووكل بمحمد باشا من يخفـره في معقله

### مطلب

منع تصرف ابراهيم بيك  
وولاية علي باشا الطرابلسي

وجاءت الاخبار بولاية علي باشا الطرابلسي ووصوله الى مدينة الاسكندرية فاستقر بها ولم يقدم الى القاهرة وأرسل الى ابراهيم بيك ومن معه يقبح ما فعلوه من رجوعهم الى القاهرة وتصرفهم في الامور بغير اذن السلطان لاسيما خروج الارنؤد وقتل طاهر باشا بخروج الانكشارية واخراج أحمد باشا وغير ذلك من الحوادث التي كانوا هم علة وقوعها فأرسلوا اليه يعتذرون ويظهرون الطاعة والولاء للسلطان وأن حضورهم لم يكن الا عن رضا الالهالي واستدعاء المشايخ والعلماء وتخوف ابراهيم بيك وأصحابه من علي باشا المذكور وتحذروا وأقاموا ينتظرون ماسيكون من حضوره الى القاهرة \* وكان البرديسي في غضون ذلك قد سار بعسكره من دمياط بعد أسر محمد باشا الى رشيد لقتال الحاج علي باشا قطبان ومن معه من العساكر العثمانية وكان الارنؤد لما قاموا وخرجوا على محمد باشا جاء علي



باشا قبطان المذكور في نفر من العثمانيين ونزلوا على رشيد من البحر وتحصنوا بها حتى صاروا في منعة زائدة وجعل على باشا مقره بيرج مغيزل يراقب الفرص ليزحف على القاهرة ويقفك بمن بها من أصحاب ابراهيم بيك وطوائف الارنؤد فوصل اليه البرديسي بعسكره وقاتله قتالا شديدا نيفا وعشرين يوما وما زال حتى انتصر عليه وفتح البرج عنوة وقبض على على باشا وعدة كبيرة من عسكره وأخر جوههم الى جهة الشرقية ليسيروا منها الى الشام ووردت الاخبار بذلك الى القاهرة فلما علم على باشا الطرابلسي وهو بالاسكندرية ما فعله البرديسي برشيد وكيف أخذ على باشا قبطان أسيرا خاف أن يعرج البرديسي وأصحابه الى الاسكندرية فيفعلوا بها ما فعلوه برشيد فأمر بسد أبي قير فكسره وجرى الماء الملح الى الاراضي التي كانت جفت عنها منذ عهد قريب في ذلك الحين وأغرقت القرى وأفسدت المسالك على الاسكندرية واشتد الحال على أهلها وضاق بهم الكسب فرحلوا عنها الى جزائر المحيط بجزيرت وقبرس ورودرس وغيرها ولم يبق فيها الا الفقراء والعجائز وقلت وكان هذا السد من أهم العمائر وأحكها وأكبرها شهرة ولذلك كانت تتفقد الدول على مر الايام وتتعهده بالعمارة واحكام الوضع وتحتشى من تهدمه فلما اختلفت الاحوال وكثر نوالى القلاقل والاحن واستولت الفوضى على البلاد وأهملت أسباب العمائر كافة انهار من هذا السد بعض بنيانه فسال منه الماء الملح على المزارع والقرى الواقعة بين رشيد والاسكندرية فلم يتدارك أولو الحل والعقد أمره لاستفحال الخلل فاستمر على هذا الحال وانحرق يتسع حتى كادت تنقطع الطرق بسبب الماء المتمر منه واستمر على ذلك الى دخول الجيوش الفرنسية الى مصر فلما جاءت خالفهم سفن الانجليز أراد أميرها تعويق الفرنسيين عن الوصول الى القاهرة بعد نزولهم بأبي قير فأطلق قنابل مدافعه على السد المذكور فكسره بعض بنيانه واتسع خرقة فأنهمر الماء على الاراضي حتى كاد يصل الى دمنهور واختلط بمخليج الاشرفية فغطى جميع وجه تلك الاراضي وأخرب القرى والبلاد وأتلف المزارع وانقطعت الطرق حول مدينة الاسكندرية وامتنع دخول ماء النيل الى أهلها فلم يصل اليهم الا ما يصلهم من جهة البحر في السفن والنقائر أو ما خزونه من مياه الامطار بالصهاريج وبعض العيون المستعذبة ثم جاء رجل من مهندسي دار السلطنة اسمه صالح أفندي ومعه بعض السفن تحمل الاخشاب العظيمة والآلات الضخمة برسم بناء السد المذكور فاستمر العمل في ذلك عاما ونصف عام حتى قارب التمام ففرح الناس بذلك واستبشروا أهل القرى والنواحي بما هو الا وقد وقعت هذه الحوادث واحتل على باشا قبطان نجر رشيد وسار البرديسي لقتاله وخاف على باشا الطرابلسي من حضور البرديسي وفعله بالاسكندرية ما فعله برشيد فأمر فكسروا السد فانحمر وجه تلك الاراضي بالماء الملح فترج أهل الاسكندرية وتبدل عمارها خرابا

ووصل الحاج على باشا الى القاهرة أسيرا فأكرموا نزله ورتبوا له المرتبات من ما كول

ومشروب وأرسل البرديسي يطاب المسدد فأمدوه فسار من رشيد الى دمهور بعد ما رتب  
أمورها وحسن قلاعها وأبراجها ونهب ما في بيوت الراحلين عنها واستقر بدمهور أياما يدبر  
أمر الهجوم على الاسكندرية وكيفية الوصول اليها وطالت أيام مكثه فداخل جنوده الممل  
واعترى أمورهم الفتن والفساد فطالبوا البرديسي بحمايتهم وعلوفاتهم ولم يكن عنده منها  
شيء نخشى العقاب ورجع الى القاهرة وقد مات منهم خلق كثير بسباب الجوع والحرب ودخل  
الجيزة في السادس من جادى الثانية فخرج الامراء والاعيان لملاقاته فلما أصبح يوم السبت  
سابعه عبر محمد على <sup>ب</sup>سر حشمة النيل الى الجيزة وعبر معه طوائف الارنؤد الى مصر وكذلك  
البرديسي فخرج عليهم الفقراء وبأيديهم المقاطف والغلقان وصاحوا بمحمد على والبرديسي  
واستغاثوا وبكوا من الجوع فلاطفهم البرديسي وأصبح وقد بعث بمحمد على وخازن داره  
الى بولاق ومصر القديمة وأخرجوا جميع ما فيها من الغلال الى السواحل فاجتمع العالم الكثير  
من الرجال والنساء فامتاروا بحسب الحاجة واطمأن الناس واشتري الخبازون وفتحوا المخازن  
وكثر الخير وشبع الفقراء فالت قلوب الرعية الى البرديسي وأحبوه \* وأخذ البرديسي في بناء  
الحصون والقلاع بجهة الناصرية وعند داره المعروفة بدار حسن كاشف شركس وأنشأ  
البوابات الكبيرة بجهة قنطرة السباع والمزار المعروف بكعب الاحبار فداخل الناس من ذلك  
الشكوك وخالجتهم الظنون فمدوا الى تعمیر الدور التي نخرتها الحوادث المتراكمة والخطوب  
المنتابحة وضيقتوا الشوارع عما كانت عليه من السعة والرحب وقد كانت الى ذلك الحين غاية  
في السعة والانتظام وتناسب البناء وحسن وضعه كما هي الآن باكب شوارع القاهرة  
ومصر وأحدوا فيها الدروب الكثيرة والدعائم البارزة والسيباطات وغير ذلك مما أذهب  
رونقها وجعل أغلبها ظلاما حتى في رابعة النهار وزاد الحال وقلد أهل الاخطاط فعال بعضهم  
واهتموا لذلك اهتماما عظيما ونقل البرديسي جميع المدافع التي كانت بالازبكية بيت الباشا  
الى تلك الحصون والابراج وعززها بالذخيرة الكثيرة والمهمات وآلات الحرب كل هذا وعلى  
باشا الطرابلسي العامل على مصر من قبل دار السلطنة لا يتحرك من الاسكندرية ولا يأتي  
الى القاهرة وكانت كتبه لاتنقطع عن ابراهيم بيك والبرديسي مشحونة بالوعيد والتهديد  
ان لم يتركوا القاهرة ويرحلوا عنها الى الصعيد الاعلى حتى تأتي رسل دار السلطنة ويأمر  
السلطان بما يراه فلم يسمع له كلمة ولا تبع له اشارة وجعلوا يتصرفون في البلاد تصرف المالك  
المطلق فلما كان يوم الاربعاء اول شعبان سنة ثمان عشرة قدم الى مصر كاتب ديوان على باشا  
الطرابلسي ومعه مرسوم السلطان بالعفو عن جميع الامراء المصريين اجابة لطلب صدر  
الدولة وعلى باشا الطرابلسي وأن يقيموا بمصر والقاهرة ولكل أمير منهم فايط خمسة عشر كيسا  
وحلوان المحلول ثمان سنوات وان الاوسية والمضاف والبراني يضم الى جانب الخزينة وأن  
لا يكون التصرف في جميع الامور والاحكام الا لعلى باشا والر وزناجي وأما الجمارك

والمقاطعات فالكامة فيها للدفتدار الذي يعين لذلك من قبل الدولة فلما قرئ هذا المرسوم  
 بحضرة المشايخ والعلماء والوجهاء أظهروا البشر والسرور وأطلق لذلك عدة مدافع وكتبوا  
 الى علي باشا يشكرونه ويطلبون منه الحضور الى القاهرة ليتولى أمور البلاد ويدبر أمر  
 خروج الحاج قبل فواته فسار علي باشا من الاسكندرية برا الى القاهرة وعبر الالفي  
 بعسكره وكذلك بعض الامراء المصريين النيسل الى انبابه وساروا منها الى مقربة من شلقان  
 ونزلوا بها فلما كان الباشا على مقربة منها أيضا نزل ببعض المزارع هو ومن معه من طوائف  
 الانكشارية وكانوا عدة كثيرة من خرج هاربا من مصر والقاهرة وكان يتبعه بالبحر نحو  
 ستين سفينة تحمل أنفاله ومتاعه وأتباعه وبعض العسكر فخرج اليه الالفي بعسكره ومحمد  
 علي سرچشمه وأحمد بيك وأتباعه ونصبوا خيامهم وأنزلوا أنفالهم على مقربة من  
 معسكر الباشا فتكدر الباشا من ذلك وأرسل الى الالفي يقول كيف تقدمون علي ان  
 تعسكروا بجندكم قبالة عسكرى وأنتم أتباع السلطان وأنا نائبه على هذه البلاد فأجابه  
 الالفي هذه منزلتنا ومحط عسكرنا ولم نفعل الا ما وجب فاشتد غيظ الباشا وتقهقر بعسكره  
 الى الورا فانقل محمد علي وأحمد بيك بعسكرهما الى ناحية النيل وعسكروا هناك وأظهر  
 الالفي سوء النية والجفاء للباشا حتى قتلوا بعض أتباعه بمشهد منه مما كاد يقتله فغما  
 قال بعض كتاب الاخبار وكان الحامل على ذلك أنه لما طال مكث علي باشا بمدينة  
 الاسكندرية وقد أعينته الخيل في رد جماع الامراء المصريين واكراههم على الجلاء عن مصر  
 الى الصعيد الاعلى ورأى ان لا بد من المسير الى القاهرة والالتقاء بهم ووقوع مالا تحمد  
 عواقبه كاتب محمد علي سرچشمه وكبار الارنؤد وغيرهم من قبائل العرب ومشايخ البلاد  
 يستميلهم ويعددهم وعينهم ان قاموا بذلك ويحذرهم من الانضمام الى أولئك الامراء فنقل  
 الارنؤد ذلك الى ابراهيم بيك والبرديسى وأطاعوهما على رسائل الباشا واتفقوا على ان  
 يردوا عليه من كبار الارنؤد بالطاعة والرضوخ لأمره والقيام لنصرته اذا حضر الى القاهرة  
 حتى اذا خرج الامراء للسلام عليه يكبسون عليهم هم وعسكره فيستأصلونهم والموعد  
 بشلقان وقد سهلوا له الامر وهونوا عليه الصعب فراجت عليه حيلتهم وسار من الاسكندرية  
 في عدة وافرة من العسكر وحضر الى الرحمانية وأعاد مخابرتهم واستوثق منهم فخصوه  
 على سرعة الحضور الى شلقان فسار اليها فرحا فلما صار على مقربة منها أمر فرتبوا المراكب  
 التي كانت تسير معه بالنيل ووضعوا عليها المدافع وألوا المتاريس وحصنوا موقعهم فخرج  
 اليه الالفي كما تقدم بن معه ونزل بخيامه أمام خيام الباشا وأرسل اليه بأن يتقهقر بعسكره  
 الى الورا حتى تستقر القاعدة بينهما علي أمر من الأمور فلم يجد الباشا بدا من ذلك  
 وطلب الارنؤد والعربان الذين عاهدتهم فلم يجد منهم أحدا فأكبر هذا الأمر وتأخر الى زفيمته  
 ونزل بها وبينما هو على هذا الحال من الحركة والانتقال اذ انحدر حسين بيك الفرنجي أحد  
 الامراء المصريين بعسكره في بعض السفن بانيل حتى صاروا خلف سفن الباشا وأحاطوا

بهم وأطلقوا عليهم القنابل والبنادق وساقوهم الى القاهرة واستأسروهم ثم ذهبوا بهم الى  
 الجيزة وقد أعملوا السيف فيمن كان بها من الجند وقبضوا على مقدمهم المدعو مصطفى  
 باشا وأخذوه أسيرا وأحاطوا بمعسكر على باشا بناحية زفيته ومنعوا عنهم الواصل وكانوا اذا  
 خرج أحد من عسكره يريد الذهاب الى جهة قبضوا عليه وقتلوه فاستد حزن الباشا  
 واضطرابه وأرسل الى الالقي من يكلمه في ذلك فأرسل اليه الالقي يقول لم نكن لنعلم بخبر  
 هذه الجيوش الخفية حولك وبسبب اجتماعها الا من أحب الناس اليك وأطوعهم  
 لكلمتك فلما رأينا من كثرة قوتك وأسلحتك ومهماتك وآلات حربك قابلنا عملك بمثله وما  
 عهدنا بالولادة اذا حضروا الينا الا أن يكون حضورهم في قلعة من الاتباع لا أن يأتوا في  
 جيش جرار وقد قيل لك ذلك لما صرت على نية المسير الينا فان شئت مسالمتنا فاصرف  
 عنك هذه الاقوام وأتساقى بطانتك لا غير على الرحب والسعة فقال لم يكن من أمر  
 هذه الجيوش سوى الخروج الى الاقطار الخجازية مددا لشريف مكة وعوناه على قتال  
 الوهابيين فاذا وصلنا بهم الى قلعة الجبل واستراحوا جهزناهم بما يلزم وسيرنا بهم الى  
 الشريف فقيل له لم يبق في القلعة من الابنية بعد تخريب الفرنسيين لها ما هو أهل لسكنائك  
 ولذلك فقد أعددنا قصر العيني مقر لك ولأتباعك وحاشيتك واصرف عنك العسكر فيسيرون  
 الى بركة الحاج ويلبثون هناك حتى تتم احتياجاتهم وسيرون الى الاقطار الخجازية وتترددت  
 الرسل بينه وبين الالقي أياما ثم حضر من قبل الباشا عابدي بيك مقدم الانكشارية واجتمع  
 بالالقي وكله فاستماله الالقي بخانهم ومناه بالاماني الطويلة وعاهده على الحدلان بالباشا  
 والانضمام اليهم عن معه من الجند وتحالفا على ذلك وتعاقدا فانصرف عابدي بيك ودبر  
 أمره مع أصحابه خلفوا له بين الطاعة وترك الباشا وشأنه فلما استوثق الالقي من عابدي بيك  
 وأصحابه أرسل يقول للباشا قد طال القال والقييل بيننا ولم نهدم الى أمر من الامور فاما أن  
 تأتي الينا في بطانتك وحاشيتك على الرحب والسعة واما أن تبرز لقتالنا وضربوا للجواب  
 موعدا فلما لم يأت الجواب زحف الالقي بعسكره وزحف بقية الأتراء بعساكرهم على  
 معسكر الباشا وأحذقوا به من كل جانب فطلب الباشا عسكره ونادى فيهم بالخروج فلم  
 يتحركوا وتناقلوا فلما تحقق خذلانهم له ركب في خاصته وذهب الى الالقي وترك خيامه  
 وأثقاله فعند ذلك استقبله جميع الأتراء بالاعزاز وأنزلوه في خيمة أعدوها له على مقربة من  
 خيمة البرديسي وحضر اليه جميع أرباب الديوان ونقلوا جميع متاعه وأثقاله الى قصر العيني  
 وسيروا من كان معه من الجنود الى شرقية ببلد ليس يسيروا منها الى الصالحية ثم انتقل جميع  
 الأتراء المصريين مع الباشا الى منية السيرج وبلوا بها ليلتهم فلما كان منتصف الليل والناس  
 جميعا نيام خرج من خيام الباشا فارس على فرس يعدو بسرعة فصهلت عند خروجه الخيل  
 واضطرب من في المعسكر فركب جماعة من العسكر وترا كضوا خلفه فلم يلحقوه فسألوا الباشا  
 عنه فأنكر معرفته وقال لعله لص فتخوفوا منه وأخذتهم الطيرة فأجلسوا حول مضربه في تلك

اليلة عدة من الممالك بالاسلحة وأصبحوا وقد قبضوا على رجل على ظهر هجين من ناحية  
 البسانين زعوا أنهم وجدوا معه كتابا من الباشا خطابا الى عثمان بيك حسن المقيم بجزيرة  
 يستقدمه الى القاهرة ليكون له عوناً على الامراء المصريين ويمينه بالأمان الواسعة ويعنده  
 بتولية ادارة البلاد فلما كان يوم الاربعاء ثاني عشر شوال من السنة أي سنة ثمان عشرة  
 بخيمة الباشا دخل على رضوان أغا كتحدا البرديسي ومعه آخرون وجلسوا عنده فسألهم عن سبب  
 حضورهم فقالوا آتينا لنسألك فيما اذا كنا على صلح تام مع الامير اليوم أم لا قال بلى فقال كتحدا  
 البرديسي هلا كتبت الى أحد قبل ذلك ككتابة قال لا فقال لعلك كتبت الى الصعيد شيئاً قبل  
 الآن قال لم يكن ذلك أبدا فأخرج له عند ذلك مكتوباً وناوله اياه فلما رآه قال نعم هذا  
 مما كتبتاه بالاسكندرية قبل الصلح فقالوا انا وجدناه بالامس مع رسولك وتاريخه يدل على  
 تحريره فتعجبوا وقالوا له قم فقال الى أين قالوا الى غزة حيث لأمان لنا معك بعد ذلك  
 ولم يهلوه لكلام بقوله أولعذر بيديه وقدموا له فرسا وأركبوه عليه فرأى حوله عدة من الامراء  
 على أهبة الذهاب معه فاضطرب جدا وقال ان صعبني هؤلاء فليكونوا على بعد مني في الحل  
 والترحال فأجابوه الى ذلك وركب أتباعه على دواب الحمل وساروا وهم في أسوأ حال وقد تجز  
 البرديسي جميع أثقاله ومتاعه وذخيرته وأصبح يوم الخميس ثالث عشره فدخل الامراء والجند  
 والعسكر من الارنؤد ومحمد على سر حشمه وجميع كبارهم وخلفهم الطبول والزمرور أما الأتقي  
 فانه ركب على زفيته فضرب أهلها وأحرق البلد وعرج على أجهور فضربها كذلك وشرد  
 من فيها وذهب الى نزلة عرب بلى بالجيزة فطرقهم فجأة وقتل منهم أناساً ونهب مواشيهم وخرب  
 منازلهم وفعل كذلك بعدة بلاد أخرى لتحالفهم مع علي باشا على قتال المصريين وتأهبهم لنصرته  
 وسار المعينون مع علي باشا فلم يصلوا على مقربة من القرين حتى مات حتف أنفه على ما قيل  
 وقيل بل خنقهوه قال بعض الكتاب وكان علي باشا المذكور سيئ الخلق طاغية عنيدا جبارا  
 نخورا مجببا بنفسه كثير المظالم مستبدا برأيه فعل بأهل الاسكندرية من الجور والظلم والمصادرة  
 مالا يكاد يدخل تحت الحصر وكان يقول لعسكره اني ان فتحت مصر ووطئت قدمي أرضها  
 أبحثها لكم ثلاثا تفعلون بها ماتحبون وعاد الاتقي الصغير من قتاله لعرب الجيزة ومعه كثير من  
 الغنائم ونزل بقصره الذي أنشأه بالجيزة وتفرقت عنه عساكره ولم يبق معه الا القليل مع أمير  
 المدافع ثم جاء الخبر من حاكم مدينة رشيد بوصول الاتقي الكبير الذي كان قد سافر الى لندن  
 عاصمة الانجليز كما سبقت الاشارة الى ذلك فلما علم ابراهيم بيك والبرديسي بخبر وصوله خافا منه  
 وأيقنا بخيبة الامل لئلا من الشهرة ونفوذ الكرامة فأضمر له السوء ودبروا أمورهما وكتماها  
 وكتب البرديسي الى مملوكه يحيى بيك حاكم رشيد يأمره بقتل الاتقي بكل ما وصلت اليه  
 حيلته وعبر هو النيل وعبر كذلك عدة من الامراء الى الجيزة وبنوا ليلتهم تلك بخيامهم  
 وأظهروا أنهم يتأهبون للسفر في آخر الليل مع الاتقي الصغير للقاء الاتقي الكبير وعبر أيضا  
 حسين بيك الوشاش الاتقي ونصب خيامه على مقربة من النيل فلما كان خامس ساعة

من تلك الليلة أرسلوا الى حسين بيك يطلبونه فخر مع مماليكه وكانوا قد رتبوا جماعة منهم  
تأتي بخميل ومصايح ومشاعل من طريق القصر الذي يسكنه الالفي الصغير فقالوا له أين  
خميلك فانا على أهبة الاسراء ليلا في هذا الوقت الى لقاء أخينا الالفي وها هو أخوك الالفي  
الصغير قد ركب وهو مقبل الينا فنظر فرأى المشاعل والخيل فلم يشك في صحة ذلك ولم يخطر  
بباله غدرهم له فأمر مماليكه أن يذهبوا ويأتوا بالخميل وبقي هو وحده ينتظر فرسه فخرج  
عليه نفر من الخباء وقتلوه بينهم وأرسلوا الى البرديسي بالخبر وكان محمد علي سرحشمه  
وأجد بيك وبقية كبار الارنوط قد عبروا الى الشاطي الثاني من النيل وترفعوا ليلا وكنوا  
ينتظرون الاشارة فلما علموا بالخبر زحفوا على قصر الالفي الصغير وأحاطوا به وقد ضموا اليهم  
مقدم أصحاب مدافع الالفي وأمير عسكره فعطل المدافع وأخذ محمد علي سرحشمه يدبر  
أمر احاطة القصر بطوائف الارنوط الى آخر الليل فشاء الى الالفي من أيقظه من نومه وأعلمه  
بخبر قتل حسين بيك واحاطتهم بالقصر فتأهب للقتال وطلب أمير مدافعه فلم يجده وأعلموه  
بما فعل بالمدافع فركب فرسه وخرج وخرجت معه أتباعه ببعض المتاع والأموال فركب  
محمد علي سرحشمه وأجد بيك ونفر من الارنوط خلفه فلم يدركوه وقد اشتغل ببقية  
العسكر بنهب القصر وأخذ جميع ما فيه من أثاث ومتاع وهجموا على بيت كاتبه المعلم غالي  
ونهبوه وكذلك نهبوا جميع دور أتباعه ومماليكه وأخذوا ما كان عند كاتبه المذكور من  
الاموال ثم نهبوا جميع دور الجيزة وفعولوا بها ما فعلوه بدمياط من سبي النساء وفض الابكار  
وأصبح الناس في القاهرة وهم لا يعرفون شيئا مما وقع الا ما علموه من صياح نساء وجواري  
حسين بيك في داره ۞ أما الالفي الكبير فإنه لما وصل الى رشيد قابله حاكمها بغاية الابهة  
والاحتمال ولم يكن معه الا خاصة مماليكه وجوخداره تمة ستة عشر ولم يقم برشيد سوى  
ليلة ضيفا عند أحد التجار وأنزل أمتعته في سفن أربعة صغيرة وانتقل في آخر الليل الى دار  
قنصل الانجليز وأصبح فأهدى اليه القنصل حراقة لطيفة فنزل بها وسار الى مصر فعانده الريح  
وكان لما جاء الخبر بوصوله الى مدينة رشيد سير الالفي الصغير لحضوره ذهابه فالتحدرت من  
بولاق الى رشيد فلاقوه عند بلدة نادر بعد نصف الليل فلما أصبح نزل بالذهابية وسار الى  
منوف العلاء فأقام بها يوما ثم سار والريح تعاكسه الى وقت الظهيرة فلاقاه عدة من الارنوط  
المرسلين لقتاله في أربع من السفن الصغيرة في مضيق الترع فسلم عليهم فردوا عليه السلام  
فسألهم بعض أتباعه الى أين ذاهبون قالوا نريد الالفي وقد تنابح الملاحون فعرف ملاحوا  
مركب الالفي ماجرى بهم فأخبروا الالفي بالخبر فكذبه وقال هذا شيء لا يكون أبدا وقد  
تعزبت وركبت الاخطار وقضيت سنة بين ظهرائي الانجليز أعمل على تعزيز جانبهم واعلاء  
كلمتهم رغما عن مكابد رجال السلطنة ويعاملونني بهذا القبيح فلعلها حادثة وقعت بينهم وبين  
طوائف العسكر ولم تعض الا ساعة أو نحوها حتى قيل له ان طائفة من الارنوط أدركوا  
الحراقة خلف ونهبوا ما بها من أثقال ومتاع فكاد يسقط في يده وتحقق الغدر وأنه مأخوذ

لا محالة فنزل باحدى السفن الصغيرة ونزل معه مماليكه كافة وأخذوا بالمجازيف وهو يستخفهم حتى خرجوا من تلك الترعَة الى ظهر النيل ولم يسر الا قليلا حتى لاقتهم طائفة أخرى في سفينتين ومعهم أحد أتباع البرديسي فلم ينظروا سفينة الالقي أو نظروها ولم يعرفوه فجعل يجد في السير حتى وصل الى شبرى الشهابية فنظر واذا بساع مقبل من مصر فطلبه وسأله فأعلمه أنه مرسل الى بيت سليمان كاشف البواب ليخبر بما جرى فعند ذلك تحقق الخبر ونزل الى البر وأمر بالسفينة فأغرقوها وسار في مماليكه على أقدامهم ولم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى ناحية قرانفيل ودخل الى نجع عرب الحويطات واتجأ الى امرأة منهم فأجارته وابت دعوته وأركبته فرسا وسيرت معه اثنين على الهجن الى ناحية الجبل فساروا الى الخانكاه ليلا ومماليكه خلفهم مشاة فلاقهم طائفة من العربان فأحاطوا بهم فاشتغل المماليك بقتالهم فتركهم الالقي وسار مع أصحاب الهجن ومضى وقد سمع الجند القرييون منهم وفيهم البرديسي أصوات البنادق فأسرعوا اليهم وسألهم عن أستاذهم فقالوا قد كان معنا ثم تركنا وسار الى الجبل فأمر البرديسي جميع من كان معه من الجنود بأن يتفرقوا ويضبطوا جميع المسالك والطرقات ومن أدركه منهم يقتله في الحال فذهبوا خلفه وتفرقوا في كل صوب وناحية فلم يعثر به أحد ولحق به جماعة العربان الذين قاتلوا مماليكه وأرادوا القبض عليه فنثر عليهم ما كان معه من الذهب والجواهر وألقى عنه فروته السمور فاشتغلوا عنه فتركهم وسار وغاب أمره فجعلوا يبحثون عليه وانتشرت طوائفهم في الجهات شرقا وغربا وتبعوا أثاره وأتباعه ففر من فر وقبض على من قبض عليه وأدرك جماعة الارنؤد سفينته التي كانت تحمل متاعه وأثقاله وكان شياً يجبل عن الوصف من أموال وطرائف الانجليز وجوخ وأسلحة وجواهر أهـداها له ملك الانجليز وأكبر دولته ومبلغا من المال لمشتري غلال لخدمة ملك الانجليز ثم أغرقوا تلك السفن في النيل ❀ أما الالقي الصغير فانه سار من فوره الى الصعيد وقرى على البلاد الفرد والكلف وطالبهم بها وشد في الطلب فكان كل من عصاه أو تواني في الدفع نهبه وأحرق داره وشرذ عياله فكاتب ابراهيم بيك والبرديسي لكافة الامراء والحكام بالاقليم بالاهتمام في القبض عليه وفي البحث والتفتيش على الالقي الكبير فأخذوا الناس بالشبهات وكثر الوشاة على أبوابهم فقتلوا بسبب الهارين خلقا كثيرا وأخرجوا جماعة كثيرة على ظهور الخيل والهجن يتبعون أثر الالقي الكبير وكلهم من أصحاب البرديسي وخواصه الذين عليهم معتمده وأصبح البرديسي ولم يبق حوله من أصحابه الا التزر اليسير

(مطلب)

(فتنة الارنؤد وظهور كلمة محمد علي سرخسمة)

ولم تكن هذه الحوادث المتراكة والاحن المتوالية لتشغل جماعة الارنؤد عن طلب جماكيمهم

المتأخرة وعولفاتهم الموقوفة ولم يحل عندهم محلها ما نهبوه من متاع وأموال وغيره في خلال تلك الحوادث فضلا عما كانوا يخطفونه في كل يوم من المارة وأبناء السبيل فاجتمعوا يوما وذهبوا الى بكارهم في طلب الجناح فوجهوا بهم الى الامراء المصريين وطالبوهم ففرضوا لهم مائتي ألف ريال على اقباط مصر منها خمسون ألفا على المعلم غالى كاتب الالقي وثلاثون ألفا على تركة المعلم بقطر المحاسب كاتب البرديسي والمائة والعشرون موزعة عليهم فلم يكتفوا بذلك وتحزبوا فرقا وطافوا في الشوارع والطرقات يخطفون ما بأيدي الناس ويعتصبون النساء بلا نحاس ولا خوف وقصدوا الصعود الى قلعة الجبل ليملكوها لكي يدمروا المدينة فلم يتمكنوا من ذلك واشتدت حركتهم وكثر تطوافهم فقتلوا ونهبوا وفعالوا مالاخبر فيه يوما ولبيلة وأصبحوا فركب محمد عليّ سرجشمه ونادى بالامان وجمع اليه بكار العسكر وأعلمهم بأن الامراء مهتمون بصرف الجناح بواسطة تقرير فردة على الاهالي فأسكنوا هياج العسكر وقام المحروق بجمع هذه الفردة وشرعوا في الاحصاء وفرضوها على العقار والاملاك أجرة سنة يقوم بدفع نصفها المستأجر والنصف الثاني يدفعه صاحب الملك وطاف لذلك الكتاب والمهندسون ومع كل طائفة منهم نفر من الجند فزل بالناس ما لا يوصف من الغم مع ما هم فيه من القحط والغلاء فضجوا واستغاثوا وذهب جماعة من أصحاب الجباية الى باب الشعرية ودخلوا درب مصطفي فخرج اليهم الفقراء وصاحوا في وجوههم وسبوا ورجوا بالايجار وخرج النساء جماعات بصرخن ويولولن وبأيديهن دقوف وطبول يضربن عليها وينسبن وينغنين ويقلن كلاما على الامراء مرتبا ويجاهرن بقولهن « ايش تأخذ من تفليسى يا برديسي » وصبغن أيديهن بالنيلة فاقتمدى بهن غيرهن وخرج الرجال ومعهم الطبول والبيارق وأغلقتوا الاسواق والوكائل وحضر الجمع الكثير الى الجامع الازهر فركب المشايخ معهم الى حيث الامراء وكلموهم في الامر ثم رجعوا وأمامهم المناداة بابطال تلك الفردة فسكن الحال وتهدت نار هذه الفتنة \* قال صاحب عجائب الآثار وكانت هذه الفعلة من جملة الدسائس الشيطانية فان محمد عليّ لما حرش العساكر على محمد باشا خسرو وأزال دولته وأوقع به ما وقع بمعونة طاهر باشا والارنؤوط ثم بالاتراك عليه حتى أوقع به أيضا وظهر أمر أحمد باشا وعرف أنه ان تم له الامر وقويت شوكة الاتراك لا يبقون عليه فعاجله وأزاله بمعونة الامراء المصريين واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتر دار والكتخدا ثم محاربة محمد باشا بدمياط حتى أخذوه أسيرا ثم التحيل على عليّ باشا الطرابلسي حتى أوقعه في نهبهم وأنزلوه وقتلوه ونهبوه كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصا للبرديسي فانه تأخى معه وجرح كل منهما نفسه ولحس من دم الآخر قال واغتر به البرديسي وراحت سوقه عليه وصدقه وتعضد به واصطفاه دون خشداشينه وتحصن بعساكره وأقامهم حوله في الابراج وفعل بمعونتهم ما فعله بالالقي واتباعه وشردهم وقص جناحه بيده وشرد البواقي وفرقهم في النواحي في طلبهم فعند ذلك استقلوهم في أعينهم وزالت هيبتهم من قلوبهم وعلوا



خيانتهم وسفوها رأيهم واستضعفوا جانبهم وشمخوا عليهم وفتحوا باب الشر يطلب العلوقة مع الاجام خوفا من قيام أهل البلد معهم ولعلمهم بميلهم الباطني اليهم فاضطروهم الى عمل هذه الفردة ونسب فعلها الى البرديسي فثارت العامة وحصل ما حصل وعند ذلك تبرأ محمد علي من ذلك وساعدوهم في دفعهم عنهم فالت قلوبهم اليهم ونسوا قبائحهم وابتهاوا الى الله في ازالة الامراء وكرهوهم وجهروا بالدعاء عليهم وتحقق العسكر منهم ذلك قال وانحرف الامراء على الرعية باطنا بل أظهر البرديسي الغيظ والانحراف من أهل مصر وخرج من يثمه مغضبا الى جهة مصر القديمة وهو يلعن أهل مصر ويقول لا بد من تفريرها عليهم ثلاث سنوات وأفعل بهم وأفعل حيث لم يمتثلوا لاوامرنا اه

ورأى البرديسي من خروج أهل البلد والتهاب نار الفتنة ما أذهله وأخافه ومن عبث الارنووط وتناول أيديهم الى النهب والسلب وخطف النساء والصبيان والمطالبة بالجناكي المتأخرة وعدم الوقوف عند حد مع الاستخفاف بأمره ما أذهب صبره وضاق معه صدره فاجتمع بالامراء واشتوروا ثم أخذوا يدبرون على العسكر فأرسلوا الى أصحابهم المتفرقين في الجهات القبيلية والبحرية يطلبونهم للحضور فأرسلوا الى حسين بيك الوالي ورستم بيك من الشرقية واهماعيل بيك ومحمد بيك المنفوخ لياتيا من شرق اطفيج وقد كانوا جميعا يرصدون الاقبي وينتظرونه واستقدموا حاكم الصعيد بمن حوله من الكشاف والامراء وحاكم رشيد وحاكم دمياط وأصعدوا محمد باشا المسجون الذي سبق الكلام عنه الى قلعة الجبل فأحس جماعة الارنووط بما وراء ذلك فبادروا واجتمعوا بالازبكية في يوم الاحد ثامن عشر ينه ثم ذهب جمع منهم الى ابراهيم بيك واحتاطوا ببيته بالادوية وكذلك بيت البرديسي بالناصرية وتفرقوا حول بيوت باقي الامراء والكشاف وغيرهم وكان ذلك وقت العصر فلما علم البرديسي باحاطة الارنووط لداره رتب أموره وأخذ معه أمواله وركب في خاصته على الهجن وذهب الى ناحية مصر القديمة وكان الارنووط قد نقبوا نقبا من حائط الجنيينة التي خلف داره ودخلوا منه الى الدار فوجدوا البرديسي قد خرج بمن معه من المماليك وبعض الجند والاتباع فقاتلوا من وجده ونهبوا ما في الدار من فرش ومتاع وخرجوا فعاثوا وأفسدوا وقتلوا وسبوا وتناولت أيديهم أيضا الى بيوت الناس على اختلاف طبقاتهم واشتدت الفتنة وكثر صياح النساء وبكاء الاطفال فتحصن الناس في البيوت ورموا بالاحجار من الشبايبك الى أن خيم ظلام الليل \* فلما كانت الساعة السابعة من الليل أرسل محمد علي سرجه طائفة من الارنووط الى قاضي القضاة ومعهم مرسوم السلطان بولاية أحمد خورشيد باشا حاكم الاسكندرية على ديار مصر ورسم للقاضي أن يجمع المشايخ والعلماء في الصباح ليتلى عليهم ذلك المرسوم فاستغرب القاضي ذلك وامتنع من جمع العلماء والمشايخ نظرا لاشتداد الفتنة وتطواف جماعة الارنووط بالشوارع والطرقات وقتلهم لكل من وقع في أيديهم وأصبحوا وقد اشتدت الحركة وكثر الرمي بالبنادق على بيوت الامراء فهرب الكثير منهم

وخرجوا على وجوههم وعلم ابراهيم بيك الكبير بخروج البرديسي في مماليكه وأتباعه فخرج  
 هو كذلك فيمن بقي من مماليكه وأتباعه ولم يزل سائرا حتى خرج الى الرميثة وقدهم في  
 طريقه أربعة متاريس وأصيب بعض مماليكه وخيله وأتباعه وأصيب كذلك كفتاده فمات  
 عند باب العزب \* وكان بعض الامراء المصريين قد تعرفوا بقلعة الجبل فتحصنوا بها  
 ووجهوا أفواه المدافع نحو مواقع وبيوت الارنؤوط وتابعوا الرمي بالقنابل عليها وعلى ناحية  
 الازبكية وظلوا على هذا الحال الى الضحوة الكبرى فغاءهم الخبر بفرار ابراهيم بيك والبرديسي  
 ومن أمكنه الفرار من بقية الامراء فركنوا هم كذلك الى الفرار وهموا بأخذ محمد باشا  
 وعلى قبطان باشا و ابراهيم باشا الذين كانوا في حبوس القلعة السابق الكلام عليهم فلم تمكنهم  
 العساكر المغاربة من ذلك فلما نزلوا من باب الجبل قام المغاربة ونهبوا ما في دار الضرب وعانوا  
 في القلعة فأخذوا ما في المخازن السلطانية وغيرها ثم صعد محمد على سر چشمه اليها في نفر  
 من الارنؤوط وتسلمها من غير ممانع ولبث بها برهة ثم نزل منها وقد أنزل معه محمد خسرو باشا  
 الذي كان معتقلا وأمامهم المناداة بالامان والاطمئنان وشاع خبر خروج محمد باشا خسرو  
 من معتقله ورجوعه الى مسند الولاية على مصر فخرج الاعيان والمشايخ للقائه وذهبوا الى بيت  
 محمد على سر چشمه ليهنؤه فقابلهم ولطفهم فكانت مدة حبسه ثمانية أشهر كاملة حيث جاء  
 الى مصر بعد أسره في دمياط في آخر ربيع الاول وكان خروجه على يدي محمد على سر چشمه  
 في آخريوم من ذى القعدة وظن محمد خسرو باشا أن قد أقيمت عليه السعادة بعد ادبارها فجعل  
 يتصرف في الامور ويعمل على تسكين خواطر الارنؤوط ويشير على محمد على بعمل ما يشاء  
 عمله وهو فرح مسرور \* فلما كانت ليلة الاربعاء ثاني المحرم افتتاح سنة تسع عشرة لم يشعر محمد  
 خسرو باشا الاوقد دخل عليه جماعة من الارنؤوط وقبضوا عليه وقبض جماعة أخرى على  
 ابراهيم باشا ونزلوا بهما الى بولاق القاهرة وأنزلوهما في احدى السفن وأحاطوهما بالسيفوف  
 والبنادق فانزعج خسرو باشا وقال الى أين يا قوم وقد صرت في ذمة محمد على وأمانه فقالوا الى  
 حيث يشاء الله فسقط في يده وكانت ولايته في هذه المرة أشبه بولاية أحمد باشا الذي تولى  
 بعد موت طاهر باشا يوما ونصف يوم \* قال بعض الكتاب وكان السبب في تبعيد خسرو  
 باشا على هذه الصورة بغض اخوة طاهر باشا اليه وحقدهم عليه نفسي محمد على عاقبة  
 بقائه وأسرع في تبعيده عن الديار المصرية فسكنت بتبعيده الفتنة وعادت الامور الى سابق  
 مجراها وصعد عابدي بيك أخو طاهر باشا الى قلعة الجبل واستقر بها في جمع كثير من  
 الارنؤوط ووردت الاخبار بمقدم أحمد خورشيد باشا وولايته على مصر فتأهب محمد على للقائه  
 وبلغ في ذلك حتى وصل الى القاهرة ودخل في الموكب المعتاد ونزل بالدار التي أعدت له  
 بالداودية فلم يقم بها سوى يومين وانتقل منها الى دار محمد على بالازبكية ولم يكذب يستقر به  
 المنصب حتى شاع الخبر بظهور الانبي الكبير وقد كان مخفيا بشرقية بليس برأس الوادي  
 عند شخص من العربان اسمه عشية فلم يزل عنده حتى زالت دولة البرديسي وتلاشت

مطلب

اخراج محمد خسرو باشا من  
 معتقله وتوليته الامارة على  
 مصر بمعونة محمد على  
 سر چشمه

مطلب

تبعيد محمد خسرو باشا  
 وولاية أحمد خورشيد باشا

كلمته وتفرق أصحابه وانجلى الطرق من العيون والارصاد التي كانت تتبع الاتي فركب في  
 عدة من الهجانة ومروا من خلف الجبل وسار الى شرق اطفح ونزل عند قبيلة المعازة فلما  
 علم محمد على بجنه خافه وتطير منه وسير خلفه طائفة من الارنوط وعلم جميع الامراء  
 الهاربين بظهور الاتي فخاوا اليه واجتمعوا عليه عند الجيزة واجتمع اليهم العدد الكثير من عربان  
 الهنادى والمماليك وقتلوا من خرج اليهم من الارنوط فهزموهم شرهزيمة وكاد يستفعل  
 أمرهم فركب عليهم محمد على في جماعة كثيرة وقتلهم وأجلاهم عن الجيزة وقتل من  
 العربان خلفا وشرد من بقي منهم وقد قتل وجرح كذلك من عسكر محمد على فترفع الامراء  
 الى الصعيد وعاد محمد على ظافرا فلم تكن الا أيام حتى عادوا الى الجيزة وعانوا فيها وأهلكوا  
 الحرث والنسل وانتشروا بها انتشار الجراد ونزلوا على انبابة وضربوا أهلها ونهبوا ما عندهم  
 فخرجوا هائمين على وجوههم وعبروا النيل الى مصر والقاهرة فأخذ محمد على في جمع  
 عساكره وعبروا النيل الى انبابة وعسكروا على مقربة منها وعملوا خندقا ومتاريس فزحف  
 عليهم الامراء والعربان وهجموا على المتاريس هجمات متتابعة ووقعت بين الفريقين  
 مقتلة عظيمة أبلى فيها الفريقان نحو نصف النهار ثم انجلى الحرب بينهم وترفع الامراء  
 والعربان ولم يبلغوا من العساكر وقد قتل من الامراء عدة كثيرة ولم تكن الا أيام قليلة  
 حتى عادوا ووصل فريق منهم الى قبة باب النصر والعدلية من خلف الجبل وجعلوا  
 يغدون ويروحون خلف باب النصر من خارج وباب الفتوح والشيخ قر والدمرداش  
 ونهبوا الوايلي وجميع ما جاوره ودخلوا الدور وأخذوا ما فيها فخرج أهل تلك الجهات على  
 وجوههم ودخلوا الى القاهرة فرسم الباشا الى محمد على بالخروج في عسكره فخرجوا  
 من باب النصر وعملوا المتاريس عند الباب المذكور فترقق العربان والأمرء في اقليم  
 الشرقية والقلوبية وسار منهم طائفة الى بليس فحاصروا بها كاشف الشرقية يومين ثم  
 دخلوها عنوة وقتلوا ونهبوا وقبضوا على الكاشف واثنين من بكار العسكر ثم حاصروا كاشف  
 القلوبية وأخذوا أجماله ومتاعه وتركوه بعد قتال فهرب بمن بقي معه الى القاهرة وطلبوا  
 مشايخ البلاد وألزموهم بالكلف وفردوا على القرى الفرد الشاقة وقيدوا بطلبها جماعة  
 العربان فكان كل من استعظم الأمر أوعصى حاربوا قريته ونهبوها وسبوا نساءها وقتلوا  
 أهلها وأحرقوا أجزائها فاشتد الكرب وعظم الخطب وسار محمد على بعسكره خلفهم فووقت  
 بينه وبينهم وقائع وحروب مات فيها خلق من الفريقين ونزل من بقاعة الجبل من الارنوط  
 للقتال فصعد اليها أحمد خورشيد باشا الوالى وسكن فيها بخدمة وأتباعه وأخذ يتصرف في الأمور  
 ويقرر الكلف والأموال على البلاد فضرب على أهل مصر والقاهرة خمسة آلاف كيس  
 نقرة منها على أعيان القبط وعظمائهم ألف وخمسمائة وجملة أخرى على الملتزمين وثمانمائة  
 كيس على بقية نساء الامراء المصر بين الأحياء منهم والاموات فضج الناس وطلبوا التخفيف  
 فلم ينالوه وطاف المعينون على بيوت نساء الأمراء يجمعون المقرر فكان اذا تأخرت احداهن  
 أو طلبت المهلة أياما لازموا بابها وطلبوها عما يأكلون وبما يشربون وما يفرشون لجلسهم

وفومهم فلا يسعها الا السعي والخلاص على أى حال كان ومع ما جمعه أحمد باشا من هذه الأموال الطائلة والمغارم الفادحة فإنه لم يلتفت لشكوى طوائف الأرئوط من تأخير صرف جما كيهم ولم يعطهم منها شيأ فذهب فريق منهم الى محمد على وأحد بيك وبكارهم وشكوا اليهم فيكلم محمد على أحمد باشا في أمرهم فلم يصغ لقوله وطال الحال عليهم وهم لا ينكفون عن الشكوى فلما كان أحد الايام جاء منهم جماعة الى القاهرة يطالبون بما لهم وتربص آخرون بنواحي بهتيم وبلقس ومسطرد بعد أن أخرجوا أهلها منها ونهبوا ما فيها من ماشية وغلال وغيرها وترسوا فيها ونصبوا خيامهم على أسطحة دورها وعملوا بعض المتاريس خارجها ونصبوا عليها ما كان معهم من المدافع وكان اذا مر أحد رموا عليه بالبنادق فلم يجسر أحد من العسكر على الدنو منهم وسعت بينهم وبين أحمد باشا رسل الصلح فوعدهم بصرف جميع ما تأخر لهم فقالوا لانفك عما نحن فيه حتى تأتونا بالمال هنا فأصبحوا وقد أرسل الباشا أوراقا الى أرباب الحرف والصنائع سموها تشابهه بطلب غرامة قدرها خمسمائة كيس وطاف المكلفون بجمعها في الاخطاط فضج الناس وتحزبوا وصاحوا في وجوه أصحاب الجباية واجتمع الجمع الكثير منهم وساروا الى الجامع الازهر فتمتعهم الغوغاء والصبيان وهم في ضجة عظيمة وأمامهم الطبول وشكوا أمرهم للمشايخ وقالوا قد بلغت الروح التراقي فلاطفهم المشايخ فلم ينكفوا عما هم عليه وصعد جماعة على منارات المساجد وصاروا يصرخون ويسبون وينادون بالويل والثبور على الباشا وأعوانه \* قال صاحب عجائب الآثار وتخلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويضرعون ويضجون «بيالطيف» وأغلقوا جميع الاسواق والخوانيت ووصل الخبر الى الباشا وسمع صياحهم وضجيجهم من قلعة الجبل فأرسل يقول الى السيد عمر النقيب قد رفعنا الفردة عن الفقراء فبلغهم ذلك فأرسل يقول ان الجميع فقراء أوما كفى ما هم فيه من القحط والغلاء والوباء وعدم الامن على الاعراض والارواح حتى تطالبوهم بجوامك عسكركم فأمر الباشا الأغا فنزل ومعه عدة من العسكر وجلس بالغرورية وهو يأمر الناس بفتح الخوانيت وبتوعد من يتخلف فلم يلتفتوا لقوله وكان كما شدت معهم في القول صاحوا في وجهه وضجوا وابتهاوا الى الله وما زالوا على هذا الحال حتى جاء رسول من عند الباشا ومعه مرسوم بانطال تلك الفردة وكف المعينين عن طلبها فسكنت عند ذلك الفتنة وتفرقت تلك الاحزاب وأصبحوا وقد فتحوا الخوانيت فعاد طوائف الأرئوط الى المطالبة بجما كيهم وأكثروا من العبث في المدينة وقطع من كان منهم مخبيا ببلقس الطرق على الميارة ومنعوا السفن فسيّر الباشا جماعة من العساكر المصرية لقتالهم فلم يبلغوا منهم مأربا وانحاز المصريون الى ناحية شدة بن معهم من الجرحى والموتى فكانوا كثيرين جدا وأخرج في هذه الرقعة عابدى بيك أخى طاهر باشا اه

وبينما كانت طوائف الأرئوط تطالب بالتأخر من جماعتها وعلافتها كان الأمراء المصريون ومن معهم يحاولون الدنو من مصر والقاهرة ويقبضون على من يصادفونه من الجند

والرعيمة ويسلبون المارة ووصلت بعض طلائعهم من عربان وممالك الى خارج باب النصر وظاهر الحسينية وناحية الزاوية الحمراء وجزيرة بدران جهة الحلي وعانوا في تلك النواحي وحالوا بين من خرج من عسكر الباشا لقتال الارنوط وبين معسكرهم وظفروا بهم ونالوا منهم وأخذوا جميع ما كان معهم من مؤنة وسلاح وذخيرة وجاء الخبر بذلك الى الباشا فنزل من قلعة الجبل ومعه الجمع الكثير من الجنود وسار الى بولاق ثم الى الزاوية الحمراء وأمر بأبواب المدينة فأغلقت وقاتل من وجده منهم فلم يظفر فرجع على غير طائل وقد ترفع المصريون الى مشتهر وبنها العسل ومعهم المنهوبات من متاع وماشية وغير ذلك وخرج خلفهم محمد علي سرحشمة وحسن بيك حتى وصلوا الى قليوب فلم يظفروا بهم ورجعوا على أعقابهم الى القاهرة وأرسل في هذا الحين الأتني الكبير الى الباشا يطلب منه الاجازة بحضوره الى مصر وأنه على مايعهده فيه من الاخلاص والولاء فأبى عليه ذلك وأرسل اليه يقول ان كنت على ما عهدناه فيك من الولاء فالزم مقررك بجزيرة التي قد أقطعناها اليك ولا تقدم الى القاهرة في هذا الحين حتى نستقدمك عند الحاجة فلم يذعن الأتني لقوله وزحف هو وعثمان بيك حسن ومن معهم من الممالك والاتباع وبعض الجنود والكشاف فوصل الاتني الى بني سويف ووصل عثمان بيك قبائله بالجانب الشرقي من النيل وأرسل الأتني عند وصوله خطابا الى المشايخ يقول قد حافظنا على ولائنا واستمسكنا بعروة الاخلاص الوثيق ولازمتنا ما أقطعنا اياه الباشا من البلاد ولم نتعدّها الى الآن أما وقد مس نساءنا الضر وأصبحت ذرارينا عرضة للتشريد بما ضرب عليهم من المغارم والكلف فلم نربدا من الانحدار الى القاهرة رغما عن كل ممانع حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا فلما وصل الخطاب الى المشايخ خافوا من كتمانهم وأطلعوا الباشا عليه وسألوه الاجازة للاتي فأبأها عليه وقال قد كان نساؤهم بين ظهرانينا كما كانوا بين ظهراي الفرنسيس وقد صادروهن وهم أعداء الدين واليوم هن معنا في قرار مكين لاخوف عليهن ولا تضيق فان عاد الأتني ومن معه الى مقرهم سعينا في اصلاح شأنهم وأرجعناهم الى عيالهم والاشردناهم وعملنا على قطع شأفتهم فانصرف المشايخ وأمر الباشا محمد علي سرحشمة نخرج بعسكره الى ناحية الامام الليث وحقروا هنالك خندقا وعملوا متاريس وبالغوا في احكامها وترتيبها وأكثروا من اخراج الاسلحة وآلات الحرب وكان العدو أمامهم وقد سد على مصر والقاهرة من الجانبين القبلي والبحري فكان أصحاب ابراهيم بيك والبرديسي وطوائف الارنوط يعيشون في البلاد من شلقان الى جوف الشرقية والغربية والمنوفية وجماعة الاتي يعيشون فيها من الصعيد الأعلى الى الجيزة وما جاورها فعمت الفوضى وارتفع الأمن وخيفت المسالك وكثر القتل والنهب في الليل والنهار وانضم الجمع الكثير من طوائف الارنوط الى الامراء المصريين فنقوت بهم عزائمهم رتطاولت أيديهم الى كل فساد وشرو ووصل ايضا الاتي الصغير بطوائفه الى انبابه وأراد الزحف على المدينة فأطلق عساكر محمد علي عليهم المدافع من بولاق القاهرة ومراكب البحر ومنعتهم من الدنو

من المدينة واشتدّت الأزمّة واستحكمت على من بمصر والقاهرة حلقاتها وكثر تطير الباشا وأخذته للناس بالشبهات فأكثر من الجس والقتل بأضعف الاسباب حتى كادت تزول هيئته وتضعف كلمته وانتقل محمد عليّ بعسكره الى بلدة طنط جهة براشيم التين وخلفه ببولاق حسن بيك وعسكره فوقع بين محمد عليّ والامراء المصريين مقتلة عظيمة انجلت عن هزيمة المصريين فترفعوا بعد الهزيمة عن براشيم التين فتبعهم بعساكره فترفعوا فعسكر تجاه البراشيم ولبث أياما ثم انحدر منها الى القرافة بمصر ونزل على مقام عقبة بن عامر الجهني وقاتل من كان بتلك الجهة من أصحاب الالني الكبير والصغير وأجلاهم عنها فساروا الى طرا وتحصنوا بها وكافوا قد أخذوا برجها وتمكنوا مما حوله فكاتبهم محمد عليّ وطلب صلحهم وخذعهم وأظهر لهم مجزه عن قتالهم فأغرتوا وأبوا الا القتال فأتى محمد عليّ ليلا الى الباشا وأخذ منه فدرا من المال ورجع الى أصحابه فأنفق عليهم فتمتوت عزيمتهم فلما كانت الساعة الخامسة من تلك الليلة ركب محمد عليّ في نحو أربعة آلاف ما بين فارس وراجل وساروا حتى اقتربوا من حرس العدو في آخر السادسة فترجلوا وقسموا أنفسهم الى ثلاث طوائف طائفة سارت نحو الدير وطائفة سارت نحو المتاريس والثالثة نحو الخيل وقد كان صالح بيك الالني الصغير ومن معه في سنة من النوم فلم يشعروا إلا وقد صدموهم صدمة شديدة فاستيقظ القوم وبادروا الى الهرب والنجاة فأخذ أصحاب محمد عليّ الدير وملكوا الابراج وكان بها العساكر العثمانية وقد أشرفوا على الاستمئان والتسليم وغنموا ما وجدوه من أسلحة وخيل وهجن ومتاع وكان شيا كثيرا وعاد محمد عليّ عند بزوغ الفجر بعساكره ومعه خمس رؤس وصعد الى قلعة الجبل بالرؤس فخلع عليه الباشا فروة سمور وعلقوا تلك الرؤس على سبيل الرميّة فلم تكن الأيام حتى عاد الالني يشن الغارة على طرا وأبراجها وكذلك عاد ابراهيم بيك والبرديسي وعسكرهما يشنون الغارة على قليموب وبناها وضواحي القاهرة جميعها ﴿ فلما كان يوم الاحد عاشر ربيع الثاني خرج محمد عليّ بعسكره وكذلك خرج عابدي بيك وحسن بيك الى شبرا وقاتلوا حسين بيك المعروف بالافرنجي قتالا عنيفا وثابروا على رعى القنابل الى ضحوة النهار ثم التحم الفريقان واشتدّ الجلال بينهما الى ما بعد نصف النهار وصبر الفريقان وقتل بينهما خلق كثير من الارنوط وطوائف المماليك وأكابر العسكر ثم انحاز كل الى معسكره وبعد هجعة من الليل اجتمع العسكر من طوائف الانكشارية والارنوط وغيرهم وزحفوا على متاريس حسين بيك الافرنجي وكبسوها وكان بها حسين بيك وعلي بيك أيوب وعدد كثير من الجند والمماليك ولم يمهلوهم حتى زحفوا على بقية المتاريس فملكوا منها متاريس شلقان وبسوس وانهمزم المصريون وارتحلوا الى الخانكاه وأبي زعبل ثم عادوا فجمعوا من تشرّد منهم وساروا من خلف المقطم الى الصعيد

وبعد أيام من وقوع هذه الحوادث سافر أخو طاهر باشا الى الديار الرومية وشاع الخبر بارتحال محمد عليّ سر جشمه كذلك فتطير الناس من ذلك وأعقب هذه الاشاعة عبث العسكر

بالاهالي وتطوانهم في الاسواق يخطفون مايشاؤون من السوقه وأصحاب الحوانيت فضلا عن النساء وغيرهم فلما كان ثاني يوم مرت محمد علي وخلفه عدة كبيرة من العسكر وهو ماش على أقدامه وأمامه المناداة بالأمان وعود الأمور الى سابق مجراها فلم تظمن قلوب الرعية بل زادوا في التحذر وكذلك تحذر طوائف الانكشارية لتعدى جماعة الارنوط عليهم وقتيل بعضهم البعض في الطرق والشوارع وفي وسط الاسواق جهارا ثم برز محمد علي بعد أيام بعسكره الى ناحية البساتين ولبت بها أياما والمناداة في كل يوم في جميع العسكر بالخروج والاستعداد لقتال الامراء المصريين \* فلما كان يوم السبت رابع عشر شعبان سار محمد علي بعسكره الى الصعيد وسار آخرون أيضا الى الاقاليم البحرية فالتقى محمد علي بالانفي الكبير ولمومه عند منية ابن خصيب فوق وقع بينهما القتال وانتشبت الحرب وطالت أيامها في البر والبحر وطلب محمد علي المدد من الباشا فأمدته وسير اليه كثيرا من الاسلحة ومعدات القتال والمؤنة وانتشرت عساكر الامراء المصريين حتى وصلت الى زاوية المصاوب وحاصروا من كأوا في بوش والفسن وبني سويف وكذلك من بالفيوم ووصلت مقدماتهم الى ناحية الجزيرة وطلبوا من أهالي تلك البلاد الكلف وضربوا عليهم المغارم كعادتهم وجبواها وأخذوا ما وجدوه فيها من غلال وغيره فعبر كتحدا الباشا النيل الى الجزيرة وحصن حدودها وعمل فيها المناريس والخنادق ورتب بها الجند المرابطين وبعد قتال عنيف بين الانفي ومحمد علي أياما كثيرة ارتحل الانفي عن منية ابن خصيب وترفع فدخلها محمد علي بعسكره فلم يجد فيها شيئا لامن الذخيرة ولا من المؤنة فاستقرت بها حتى يأتيه أمر الباشا وطال القتال وقوتت مصر والقاهرة من جميع الجهات واشتد الكرب وعم الهول وانخطب فشكا الباشا أمره الى الباب العالي وطلب منه المدد فأمدته بطائفة من الدلاة فدخلت الى القاهرة من العادلية في سابع عشر ذي الحجة ختام سنة تسع عشرة ومائتين وألف وهم في عدة وافرة ومعهم مقدم اسمه ابن كور عبيد الله فأنزلوهم ناحية الفسطاط والآثار وناحية البساتين واهتم الباشا بأمرهم فرتب لهم الجساكي الكثيرة والعلوفات الزائدة وبالغ في تنظيم أمورهم وأكثر لهم من الاسلحة والكراع وجعل يتظر لكل طائفة من الارنوط والانكشارية وغيرهم دونهم في الاهمية والاهتمام فلما علم محمد علي وحسن باشا وهما في منية ابن خصيب بخبر حضور أولئك الدلاة الى القاهرة واهتمام الباشا بأمرهم وركونه اليهم دون بقرمة الجند وتقرب كبيرهم منه ووثوقه به تطيرا من ذلك وأدركا ما خفي من نوايا الباشا وخشيا العاقبة فانسجبا بعسكرهما من منية ابن خصيب ورجعا الى القاهرة فأغضب الباشا رجوعهما وجمع اليه المشايخ والوجاقلية وأرباب الديوان وكلهم في أمر رجوع محمد علي وحسن باشا بغير اذن وتركهما القتال وقال انهما لم يرجعا الا لأمرين فعمله فاما أن يرجعا لقتال الاعداء وإما أن يرجعا الى بلادهما قال وقد أتاني كتاب بخط السلطان يفوض الي فيه أن أولى من أشاء وأعزل من أشاء وأعطى وأمنع من أشاء فالملحة في أن تبقوا عندي مع كبار الوجاقلية حتى نرى ما يكون من وراء ذلك ثم رسم

بمخروج العسكر الدلاة المذكورين فخرجوا الى طرا والجزيرة ومعهم بعض الانكشارية والارنوط ومعهم المدافع وآلات الحرب والذخرة والمؤنة فلم يكن بأسرع من أن نزل محمد عليّ وحسن باشا بعسكرهما الى طرا فلم يجسر الدلاة على ردهم ولبثوا بطرا أياما ثم صاروا يدخلون المدينة خفية حتى تكامل دخولهم ودخل كذلك محمد عليّ وحسن باشا ونزلا في بيوتهما فازعج دخولهما الباشا وأغضبه جدا ومنع المشايخ والوجاقلية من الذهاب الى محمد علي فقامت من هذا الحين الوحشة بين الباشا ومحمد علي وظهرت على كل منهما دلائل الانقباض وتحذركل من صاحبه فأخذ محمد علي في التدبير على أحمد باشا وخلعه من الولاية وكذلك بدأت الوحشة بين جماعة الارنوط والدلاة والانكشارية فكافوا على طرفي نقيض وكانت لاتمر ساعة من النهار الا ويقع التشاحن بين أفرادهم في الحوارى والطرقات وزاد بهم الحال الى حد القتل وتعدى فعلهم هذا الى المارة وأبناء السبيل وازدجت طرق مصر والقاهرة باخلاطهم وعاث الدلاة بمصر القديمة فأخرجوا أهلها من دورهم وسكنوها بما فيها من أثاث ومتاع فخرج أهل مصر رجالا ونساء وجاءوا الى الازهر وصاحوا على المشايخ واستغاثوا فكلم المشايخ الباشا في ذلك فرسم بمخروج الدلاة على الفور وكتب مرسوما بذلك فلم يسمعوا قوله ولا أعار ومجانب الاعتبار فخطب الباشا ثانيا فلم يأت شيأ فاجتمع العدد العديد من الصبيان الصغار وطافوا يصبحون في الاسواق ويأمرون الناس بغلق الحوانيت ويستصرخونهم فقام الناس على ساق وقدم ووصل الخبر بقيامهم الى الباشا فأرسل كتبه الى الجامع الازهر فلم يجد به أحدا من المشايخ فسار الى بيت الشيخ الشرفاوى فرأى من تراحم العامة وتطوافهم بالشوارع والطرقات ما أزعجه فرجع فرجه الصبيان بالاجار وسبوه ولعنوه وبقيت الحال كذلك الى يوم الجمعة عاشر صفر

### (مطلب)

(ولاية محمد علي على جدة وتوجيه رتبة الباشوية اليه وما جرى بسبب ذلك من الحوادث والحسن)

واتفق أن قدم في هذا الحين قاصد من دار السلطنة ومعه تقليد لمحمد عليّ بولاية جدة فاستدعى الى قلعة الجبل ليتسلم التقليد فأبى وتأخر فترددت الرسل بينه وبين الباشا ومحمد علي يشدد في الامتناع وكأنه كان يخشى صعوده الى قلعة الجبل أو هو يكره الولاية على جدة ولايرضاها وبعد أخذ ورد وقع الاتفاق على أن ينزل أحمد باشا من القلعة الى بيت سعيد أغا ويخضع على محمد عليّ خالعة التقليد هناك فكان نزوله في ذلك اليوم الذى قام فيه العامة فلما مر بين صفوف الغوغاء وزحام العامة صاحوا في وجهه وقالوا « مايجل لك يا باشا » فهاله أمرهم وأسرع بالدخول الى بيت سعيد أغا وحضر محمد عليّ وحسن باشا وعابدى بيك فقرأ عليهم فرمان التقليد وقد خطب فيه « محمد عليّ باشا » ثم قام أحمد



باشا وخلع عليه خلعة التقليد وهي فروة وقاووق فلبسهما وركب يريد الانصراف فثار عليه العساكر وطالبوه بالجماكي والعلوفة فأحالهـما على أحمد باشا وسار الى داره بالازبكية وخلفه بعض خواصه وجماعة من أتباعه فكان ينثر قطع الذهب ودراهم الفضة بطول الطريق ووقف العسكر لأحمد باشا ومنعوه من الركوب فلأطفهم حسن باشا ومناهم ولم يتمكن أحمد باشا من الصعود الى قلعة الجبل الا بعد منتصف الليل وظلت الحوانيت والاسواق مقفلة والصبيان لا يتكفون عن الصياح في الشوارع والطرق والامتغائة والنداء «يا لطيف» فلما كان يوم الأحد ثاني عشره ركب المشايخ الى بيت القاضي واجتمع به جماعة من المتعمين والعامّة والصبيان وجعلوا يصرخون ويصيحون «شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم» قال بعض كتاب الاخبار مع أنه لم يكن كاسلافه كثير الظلم والجور والعسف والاسفاكا للدماء ومع ذلك فقد كثرت الصياح وعلل الصيحيج فكان منهم من يقول يا لطيف ومنهم من يقول يارب يا متجلى أهلك طائفة العثماني ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل وغير ذلك وطلبوا من القاضي أن يرسم باحضار أصحاب الحل والعقد من بطانة أحمد باشا لمجلس الشرع فاستحضروا وجلسوا بالمجلس الشرعي ووقع الحدال فاتفقوا على تحرير ورقة بجميع طلبات الرعيّة ففعلوا ذلك وذكروا فيها تعدى طوائف العسكر والايذاء منهم للناس واخراجهم من مساكنهم والمظالم والفرد وقبض الخراج مجبلا وحق طرق المباشرين ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك وأخذوا هذه الورقة معهم وواعدوا القاضي بالجواب في غد فأرسل الباشا في تلك الليلة الى القاضي والمشايخ يستقدمهم اليه بقلعة الجبل فاشتوروا في أمر ذهابهم فعلم محمد علي باشا بذلك وخاف أن يكون بذهابهم الى الباشا نخود نار الفتنة وتغريق تلك الجوع \* قال أصحاب الاخبار وهذا لا يوافق مصلحته \* فأرسل الى القاضي والمشايخ من يعلمهم بأن الباشا يريد القتل بهم ان سعدوا الى قلعة الجبل فخافوا ولم يصعدوا اليه في تلك الليلة فلما كان يوم الاثنين اجتمعوا ببيت القاضي وكذلك اجتمع العدد العديد من الغوغاء والعامّة فمنعوهم من الدخول وأقفلوا الابواب وحضر بعض الامراء فركبوا جميعا وساروا الى محمد علي باشا بمقره وخلفهم العامة والصبيان في صياح وصيحيج فدخلوا عليه وقد كان على علم بما هم فاعلوه وقالوا له إنا لا نريد أن يكون أحمد باشا واليا علينا وقد اجتمعنا اليوم لخلعه فان أطاع نجا وان خالف عاملناه بما كسبت يده \* فقال ومن تريدون \* قالوا قد اخترناك بدلا منه بشروط \* قيل فامتنع فألحوا عليه وأكثروا من الالحاح فرفض فأحضروا فروة سمور وقفطانا وكان السيد عمر النقيب قد أعدهما فألبسه اياهما هو والشيخ الشرفاوي وذلك عند عصر يوم الاربعاء سادس صفر سنة عشرين ومائتين وألف هجرية ثم طاف المنادون ينادون بذلك تلك الليلة في جميع أرتفة وحارات وشوارع القاهرة ومصر وأصبحوا وقد سيروا الى أحمد باشا يخبرونه بذلك ويطلبون منه أن ينزل من قلعة الجبل فلم يمهه الامر ولم يكترث به وركب المشايخ في الصباح ومعهم الجهم الغفير من العامة وبأيديهم القرايين والعصى والمساق وساروا الى بركة

مطلب

مافعله العامّة والشيخ  
الشرفاوي والسيد عمر  
النقيب مع محمد علي باشا

الازبكية حيث بيت محمد على باشا وضجوا وصاحوا ونادوا بالويل على أحمد باشا وزادوا في  
 سبه ولعنه والسيد عمر النقيب يحرض الناس ويشجعهم على ما هم عليه من الجلبة فتحصن  
 الباشا بقلعة الجبل وشحنها بالذخيرة والمؤنة والاسلحة الكثيرة وانضم اليه عمر بيك الارنؤدى  
 وصالح أغا قوش بعساكرهما وأقاموا معه بقلعة الجبل فأرسل محمد على باشا الى عمر بيك  
 وصالح أغا جماعة يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل أحمد باشا وخلع طاعته  
 من أعناقهم ويحذرهما من فعل شئ ينجم عنه خروج الرعيصة وفعل ما لاخير فيه فأرسلا  
 يقولان أرونا سندنا شرعيا نرتكن عليه في التحلى عنه فاجتمع المشايخ وجميع العلماء في يوم  
 الخميس سادس عشر صفر ببيت القاضى ونظموا سوألا وكتب عليه المقتون بالعزل  
 وأرسلوه اليهما فلم يقبلوا واستمرا على الخلاف فلم يلبثا طويلا حتى انحل عن الباشا طوائف  
 الانكشارية وزاد هياج الرعيمة وأكثروا من التطواف ليلا ونهارا وهم ينادون بتنزيل أحمد  
 باشا من قلعة الجبل واستفحلت الفتنة وتطير شررها الى القرى والارياف فجاء الجمع الكثير  
 من أهلها ودخلوا الى القاهرة واختلطوا بالعامية وقيل استقدمهم الشيخ الشرقاوى والسيد  
 عمر النقيب لتعميم الفتنة وتعظيم أمرها ولازموا التطواف مع العامة والضياع والجلبة  
 وقدم في هذه الاثناء محمد بيك الالفي ومن معه من الامراء والعسكر والعربان وانتشروا جهة  
 الجيزة واستقر الالفي بالمنصورة على مقربة من الاهرام وانتشرت أتباعه جهة الجسر الاسود  
 وأرسل مكاتبة الى السيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوى ومحمد على باشا يطلب أن يقرروا  
 له جهة يتخذها مقر له هو وأتباعه فكتبوا له أن يختار من البلاد ما يشاء ويتأنى حتى تسكن  
 الفتنة القائمة بمصر وشددوا على أحمد باشا الطلب فلم يلتفت الى قولهم فجعل السيد عمر  
 يحض العامة على الاجتماع والتطواف وركب هو والمشايخ الى بيت محمد على باشا ومعهم  
 أرباب الاشارة ومشايخ الطرق والعامة والمتمتزمون وبأيديهم الاسلحة والعصى والمساق  
 والنبايت ولازموا التطواف ليلا في الشوارع والحدائق وأحزابا وطوائف ومعهم المشاعل وهم  
 في ضجيج هائل ثم رسم محمد على باشا بمحاصرة قلعة الجبل وفرق عساكره في جهات الرمييلة  
 والحطابة والطرق النافذة مثل باب القرافة والحصارية وطريق الصليبية وجلست طائفة منهم  
 بالمجودية والسلطان حسن وأنشأ المتاريس في تلك الجهات ومنعوا من يصعد أو ينزل من  
 قلعة الجبل فأغلق عند ذلك أهل القلعة الابواب ووقفوا على الاسوار يسب بعضهم بعضا  
 ويترامون بالبنادق وصعد جماعة من عسكر محمد على باشا على منارة جامع السلطان حسن  
 وصاروا يرمون منها الى القلعة رميا متتابعا ومازالوا على هذا الحال الى ثلثى عشرى صفر فركب  
 السيد عمر النقيب والمشايخ ومعهم الجمع الكثير وساروا الى الازبكية ودخل المشايخ بيت  
 محمد على باشا ووقف الجمع أمام البيت فلتحق بهم العامة والعصب وطوائف الجنود والمتمتزين  
 وعصب خارج المدينة وأهل الحسينية والعطوف والقرافة والرمييلة والحطابة والصليبية ومعهم  
 الطبول والبيارق فوقفوا ساعة ثم رجعوا الى الجامع الازهر ثم عادوا الى الازبكية وهم في

صياح وضحج والسيد عمر النقيب والشيخ الشرفاوي يحضنهم على الهياج والصياح ثم خرج المشايخ من بيت محمد على باشا وذهبوا الى بيت حسن باشا أخى طاهر باشا ثم رجعوا واستمر الحال على هذا الوصف الى ليلة الجمعة فلما كان بعد الغروب بقليل نزل جماعة من العسكر الذين بالقلعة من ناحية الرملة وهجموا على المتاريس فصدتهم أصحابها وتبعوا عليهم الرمي بالقنابل والبنادق وهكذا الى ما بعد العشاء الاخيرة وخرج الاهالى بما معهم من الاسلحة والعصى فقاتلوا مع أصحاب المتاريس حتى أجبلوا أصحاب القلعة عن المتاريس فلما كان يوم الجمعة رابع عشرى صفر المذكور صعد عابدى بيك الى قلعة الجبل وغاب ساعة ثم فتحت أبوابها ونزل منها عمر بيك وأمروا بالمتاريس فرفعت وتفرق من كان بها من المقاتلين وشاع خبر نزول أحمد باشا ولبنوا ثلاثا وهو لا ينزل وقد كانت خدعة منهم اذ كانوا قد أشرفوا على الاستئمان لفرار ما عندهم من الذخيرة ونفاد ما كان معهم من الزاد ففعلوا ما فعلوه بوساطة عابدى بيك حتى تمكنوا من نقل المؤن والذخيرة وغيرها فى بحر هذه الهدنة وأنزلوا عابدى بيك أو هو نزل بنفسه وعادوا الى الخلاف وامتنعوا من ترك القلعة وأغلقوا الابواب فزاد بالناس القلق والغم وعادوا الى التطواف وقيل بل أعادهم السيد عمر النقيب الى ما كانوا عليه من الهرج والصياح والاستغاثة واستقدم السيد عمر الجمع الكثير من قبائل عربان الشرق والغرب وأخذ محمد على باشا فى حصار القلعة من بعد عشاء ليلة الثلاثاء وكثر الاهتمام فى صحتها بذلك وجعوا الفعلة وأصعدوا جماعة من الجنود والعربان وغيرهم الى المقطم وأصعدوا بعض المدافع ورتبوا لهم عدة جمال لتقل الاحتياجات والخبز وروايا الماء وظنوا الظفر بأحمد باشا ومن معه وبيناهم على هذا الحال من الاهتمام فى أمر الحصار والتضييق على أصحاب القلعة اذ تحرك العسكر وطالبوا محمد على باشا بالعازفة والجأكى المتأخرة فطاولهم حتى ينزل أحمد باشا من القلعة فأبوا الا أخذ مالهم فنهاهم فتركوا المتاريس التى كانوا بها حوالى القلعة وتفرقوا فذهب جماعة من العامة وأهل العطوف فترسوا فى مواضعهم ورسم السيد عمر النقيب فانتحاز أهالى كل خطة الى خطتهم وعملوا المتاريس على رؤس المارات والشوارع ولازموا التطواف نهارا والقيام باخطاطهم لئلا فتقوى أصحاب قلعة الجبل وتراسلوا الرمي بالقنابل على المتاريس ففعلت بالمدينة والخطة القريبة منها فعلا رديا جدا ونزح أهلها الى الاطراف فرارا \* وكما كان جوف مصر والقاهرة يلهب بنار الفتنة ويزداد فى كل يوم ضراما كانت البلاد فى ضيق ما عليه من مزيد بسبب فعال الاتى الكبير ومن معه من لموم العربان فقد أحشوا فى القتل والنهب والتخريب بما لم يسمع له مثيل ولا وقع له نظير فترح الناس عن البلاد وهرعوا الى مصر والقاهرة وهم فى أسوأ حال فامتلات بهم الازقة فكانوا لا يجدون ما يأكلون ولا ما يشربون ومات منهم العدد العديد جوعا وعربا تحت أقدام الثائرين من العسكر والاهالى وكان المنظر فظيما والخطب عيما وخاف محمد على باشا من سوء العاقبة فأرسل الى كبار عسكر الدلاة المسكرين بقلوب يستقدمهم فحضروا اليه فكلهمهم فى أمر الانضمام اليه فوافقوه فخلع

عليهم الخلع السنية وأنفق عليهم وسيّرهم لقتال الاتي فارتحلوا الى قليوب خلف الاتي  
فصاروا كلما نزلوا ببلدة طابوا من أهلها الكلف والمغارم وساموهم الخسف وعلموا معهم ما لم  
تعمله لوم الاتي فكانوا أشد هولاً وأقوى نكالا وتقاوسوا فلم يلحقوا بالاتي  
واشتد الخطب على من بمصر والقاهرة وطالت أيام الفتنة وتمتع الباشا وأصحابه بقلعة  
الجبل وأبوا التسليم وأهل البلد في هياج وصياح وجلبة وكان بجهة القسطنطينية من مقدي  
عسكر الارنوط مقدم اسمه على باشا السلحدار قد خرج بعسكره عن مخالفة محمد علي باشا  
بأسباب الجناح والعلوفة فعمل على باشا المذكور على الوصول بأجد باشا الوالي بقلعة الجبل  
وما زال حتى تمكن من نقب سور القلعة من ناحية عرب اليسار وسعت بينه وبين أجد باشا  
الرسول وصار يمدد أجد باشا وأصحابه بالذخيرة والمؤنة من الميرة والاعناب وقرب الماء وكل  
ما يحتاجون اليه ولبث على هذا الحال أياماً ثم دبر هو وأجد باشا على الهجوم على المتاريس  
ليسلا من ناحية الصليبية وان أصحاب القلعة يوالون في وقت الهجوم اطلاق القنابل على  
المتاريس من ناحية الازبكية وجامع الازهر وجوف المدينة وقد تم الامر بينهما على ذلك  
فأصبحوا وقد أرسلوا الى السيد عمر النقيب يخادعونه ويطلبون السهمي في اطفاء نار الفتنة  
وعمل ما فيه المصلحة للاهالي والجند قيل وأرادوا بذلك تشييط همم أصحاب المتاريس وإشغالهم  
بأمر الصلح عن الدفاع فسبق من أعلمهم بسرهم وما عقدوا النية عليه فأرسل السيد عمر الى  
أصحاب المتاريس من الاهالي والجند وكذلك أصحاب الاربطة وحثهم واستنهض هممهم  
وحذرهم فاستعدوا وراقبوا فرأوا الجمل التي تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا الى القلعة  
ومعها بعض الخدم والاتباع ونفر من الجند فخرج عليهم بجناح الخضرى زعيم عصابة الرميلة  
بمن معه من سكان الرميلة فقاتلوهم وظفروا بهم وأخذوا منهم تلك الجمل وقتلوا اثنين وقبضوا  
على ثلاثة وحضروا بهم الى بيت السيد عمر النقيب فبعث بهم الى محمد علي باشا فأمر بهم  
فقطعوا رقابهم فلما علم من بقلعة الجبل ما حل بأصحابهم رموا في الحال بالقنابل على المدينة  
وبيت محمد علي باشا وبيت حسن باشا وناحية الازهر ووالوا الرمي ولم يزالوا على هذا الحال من  
أول النهار الى ما بعد الظهر ثم عادوا ورموا من العشاء الى سادس ساعة من الليل فلم يجبههم  
أحد من أصحاب المتاريس ولا المرابطين بالمقطم وأصبحوا يوم الاحد وهم يتابعون الرمي طول  
النهار وكذلك ليلة الاثنين ويوم الاثنين الى يوم الخميس بطل الرمي ثم عادوا اليه في يوم السبت  
وقد تهدم العدد العديد من الدور والرباع بخط الازهر وعلى مقربة من الازبكية فترج أهل  
خطة الازهر الى بولاق القاهرة والحسينية فرارا من النيران المتراصة على دورهم ۞ وانفق  
أن حضر من الاسكندرية في هذه الاثناء طائفة من عسكر الانجليز ونزلوا ضيوفا عند قنصل  
دولتهم فكانوا يجتمعون كثيرا بمحمد علي باشا ولبثوا على هذا الحال أياماً ثم طافوا يوماً مع  
عسكر محمد علي باشا بالمدينة والقسطنطينية وحول الاسوار وقلعة الجبل وكان بناحية قلعة  
الفرنسيس التي بقنطرة المليون مدفع كبير فرسم محمد علي باشا بنقله فنقلوه الى باب الوزير

حيث مجرى السيل وقيدوا به جماعة من أولئك الانجليز فرموا به على برج القلعة وكذلك  
 رعى الرباطون بالجبل وتتابع الرمي وتراست القنابل فخرت وأحرقت وأبادت وأهلكت  
 وفعلت بالناس والمباني ما لا يمكن وصفه واشتد الكرب بالناس وعم الويل والبلاء الرفيع  
 والوضع فترح الناس الى القرى والكفور وأكثر المشايخ والعلماء والوجهاء من الاجتماع  
 بمحمد على باشا والعامّة وقوف بأبواب المشايخ يضجون من قفل الاسواق وامتناع باعة الخبز  
 من فتح دكاكينهم والمشايخ يلاطفونهم والسيد عمر النقيب لا ينكف عن تحريضهم خوفا من  
 سكون الفتنة واتحاد نارها قبل بلوغ محمد على باشا ما يتمناه من الولاية على الديار المصرية  
 وكان لما اجتمع المشايخ والعلماء والوجهاء ونادوا بولاية محمد على باشا وأبسوه القاروق  
 والقبطان كتبوا بذلك محضرا وأرسلوه الى الباب العالي وتقدموا الى السلطان في تولية محمد  
 على باشا على ولاية مصر وألحوا في الطلب وبالغوا في الشكوى من فساد الامور وما تقاسمه  
 الرعية بأسباب مظالم الولاة وتصرفهم بالعسف والفجور وقبحوا مسالك أحمد باشا الوالي  
 وطلبوا خلعه

فلما كان يوم الاثنين رابع ربيع الآخر سنة عشرين ومائتين وألف هجرية قدم رسول  
 من دار السلطنة بفرمان الولاية الى محمد على باشا وشاع خبر وصوله الى بولاق فهرع المشايخ  
 والعلماء وأصحاب الوظائف للقائه وتسابق العامة وكثرت الفوغاء في الشوارع والطرقات  
 وبأيديهم السيوف والمساوق والعصى وهم في ضجيج هائل وصياح متتابع فركب رسول  
 السلطان وركب خلفه المشايخ وأرباب الوظائف وساروا فصار العامة أمامهم وهم يضرّبون  
 الطبول والزمر ويضجون بكلماتهم التي تعودوا على الضجيج بها وما زالوا حتى أتوا الازبكية  
 فنزل رسول السلطان ببيت محمد على باشا وأقام برهة لطيفة ثم أمر فانتظم المجلس وحضر  
 المشايخ والعلماء كافة والوجهاء وأرباب المناصب العالمية والوجاقلية وكثير الجمع فقرأ الفرمان  
 فكان يتضمن الامر بخلع أحمد باشا من منصب الولاية وتوجيهه الى محمد على باشا اعتبارا  
 من اليوم العشرين من ربيع الاول سنة عشرين ومائتين وألف هجرية اجابة لطلب المشايخ  
 والعلماء والاعيان وان أحمد باشا الوالي ينجلي عاجلا عن القاهرة الى مدينة الاسكندرية ويبقى  
 بها حتى يأتيه أمر السلطان فما أتم القارئ كلامه حتى ضج الناس بالدعاء للسلطان وعلت  
 أصواتهم واشتدت بينهم الجلبة ولبثوا على هذا الحال ساعة ثم انصرفوا وباتوا وأصبحوا ورمى  
 القنابل من قلعة الجبل متتابع وكذلك من الابراج والمعاقل والمتاريس ثم بطل الرمي بعد  
 ظهر اليوم وبقي المحاصرون لا ينفكون عن حصارها ومنع الواصل اليها وأرسلوا الى أحمد باشا  
 صورة ماورد من السلطان من أمر خلعه وتولية محمد على باشا وطلبوا منه أن ينزل من قلعة  
 الجبل ويرحل الى الاسكندرية فامتنع وطلب الاجتماع برسول السلطان فلم يرض الرسول  
 وأبى الاجتماع به فاجتمع المشايخ والعلماء والوجهاء وذهبوا الى محمد على باشا وقالوا له ما بالك  
 لاتدع عن الرعية حمل السلاح وقد توليت الامر فاعمل بتدبيرك على اخراج أحمد باشا من

مطلب خلع أحمد باشا وولاية محمد على باشا

القلعة واقبض على زمام الامور ففتح من اليوم رغبتك وقد تركنا لك الحبل والعقد فتصرف  
 واصبحوا وقد فتحوا ابواب الازهر بعد غلقها أياما وطاف الولى ومعه جماعة من التعمين  
 ينادون بالامان وإلقاء السلاح وعود العامة الى أشغالهم وملازمة أصحاب الحوانيت حوانيتهم  
 نخاف الناس من ذلك وتطيروا وظنوا فتك العسكر بهم ان هم ألقوا عنهم السلاح فاستغوا  
 وتترسوا فى الازقة والحارات ورجوا بعض أصحاب الولى بالاجار وصاحوا فى وجوههم فشد  
 الولى فى المناداة ورجوع الناس الى أشغالهم نهرا ومرافقة الحوادث ليلا وجاءت الاخبار فى  
 هذه الاثناء بقدوم الامراء المطرودين من الاقاليم القبلية الى جهة طرا والبساتين وأنهم  
 على أهبة القتال فركب محمد على باشا فى نفر من الجند ومعه حسن باشا وأخوه عابدى بيك  
 وساروا الى جهة البساتين والتقوا بالامراء المصريين وقاتلوهم فتقهقر الامراء وترفعوا ثانيا  
 الى الصعيد فوقف محمد على باشا بن معه من الجند أمامهم أياما ثم عاد الى القاهرة كل هذا  
 وأحمد باشا المعزول متترس بقلعة الجبل لا ينزل منها ولا يعترف بولاية محمد على باشا وكلما  
 سأله فى أن ينزل زاد فى التحذر وتقوى فى التترس فلما كان اليوم خامس عشر ربيع الثانى  
 من السنة أى سنة عشرين حضر رسول من دار السلطنة ومعه مرسوم الى أحمد باشا بترك  
 قلعة الجبل والخلاء الى مدينة الاسكندرية حتى يرد عليه أمر السلطان فأرسلوا الى أحمد  
 باشا ذلك المرسوم فأبى النزول وقال حتى يأتى الى رسول أمير المؤمنين ويشافهنى فى الامر  
 فصعد اليه الرسول وما زال الحال هكذا أياما والناس فى خوف من انتساب الحرب الى يوم  
 الثلاثاء ثالث جمادى الاولى نزل أحمد باشا من باب الجبل الى بيت مصطفى أغا الوكيل ونزل  
 من كان معه من الجند ثم خرج الى جهة باب النصر ومن خارجة الى جهة الخروبي  
 وذهب الى بولاق وأقام بمنزل السيد عمر النقيب وتسلم أصحاب محمد على باشا قلعة الجبل  
 وأقام أحمد باشا ببولاق أياما ثم رحل عنها الى الاسكندرية باتباعه ومناعه وعياله فكانت  
 مدة تصرفه سنة ونحوها من ثلاثة أشهر

الى هنا تم الجزء الثالث من تاريخنا الكافى ويليه ان شاء الله تعالى

الجزء الرابع وأوله ترجمة حال محمد على باشا ثم أخبار ولايته

وأخبار من تولاها بعده من ذريته الى وفاة

ساكن الجنان المرحوم

محمد توفيق باشا

الاول



## (اسـتـلـفـات)

قد وقع خطأ في نقل ترجمة حال ومدّة ولاية بعض بطارقة المتأصلين في هذا الجزء من أيام يوحنا سادس تسعيهم الى أيام هرقس السادس بعد المائة لتكرار أسمائهم وتشابهها وخطأ ترتيب الاوراق التي نقلنا عنها فـرأينا أن ننبه الى ذلك ونعيد هنا ترتيب أسماء وأيام هذا العدد منهم على الوجه الاصح اعتبارا من سلطنة السلطان سليمان الثاني تاركين ما جاء منها على ترتيبه الاول أى من سلطنة السلطان سليمان المشاور اليه الى سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى بدون مساس فانه لم يؤثر بشيء على ترتيب أيام وحوادث وأخبار الملوك والولاة والحكام الذين تجمعهم صحائف هذا الجزء ولا على ترتيب حوادث وأيام ما سبقه من الاجزاء والله المنة والحمد ﷻ وعلى كل حال فهو خطأ أرجو أولى الفضل والادب أن يسبلوا عليه ذيل المغفرة ويتنازلوا بقبول ما أبدية من المعذرة فقد كانت عودتي الى خدمة وطني العزيز وتولى أسفاري وعدم استقراري خصوصا في الوقت الذي تناوت فيه أيدي الطباعين ملازم هذا الجزء حائلا دون استعادة تلاوة بعض ملازمه التي قد اعتمورها هذا السهو فكانت عثرة في أسلوب ترتيب أسماء هؤلاء الناس الذي وفقناه على قاعدة ما مر بيانه الى أيام يوحنا هذا سادس تسعيهم والعصمة لله وحده

ومات في أيام السلطان سليمان خان الثاني غبريال بطرك المتأصلين بعد أن قام ثلاثا وأربعين سنة وقد عمر في أيامه دير انبا انطانيوس ودير انبا بولا بالجبل الشرقي من النيل باقليم نخي سويف والبهنسا واشتد عليه الولاة والعمال فانكس حينما وكان راهبا من دير السريان واسمه روفائيل فأقيم بعده يوحنا وهو سادس تسعيهم ووقع في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان  
سليمان خان الثاني

ومات في أيام السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام خمس عشرة سنة وكانت أيامه كلها شدائد ألزمه العمال وأصحاب جباية الاموال بجمع الجزية من الاقباط فجمعها كارها جزينا واشتدوا عليه بسببها فكانت محنة كبرى قاسى الناس في أنثائها من الجور والعسف اشكالا وبموته قام بعده غبريال وهو سابع تسعيهم واسمه شنوده من بلدة بسين وكان راهبا بدير انبا بشوى ووقع من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان  
مصطفى الثاني  
ابن محمد الرابع



ومات في سلطنة السلطان أحمد بن السلطان محمد غبريال بطرك المتأصلين بعد أن قام احدى عشرة سنة وكانت أيامه كلها هادئا وسكينة ولم يقع فيها من الحوادث شئ يذكر فأقيم بعده مرقس ثامن تسعين وأصله من بلدة البياضية وكان عالما ورعا تقيا محبا للخير صبورا على المكاره اشتد العمال في أيامه على القبط شدة عظيمة فكان يكثر من التطواف بين الناس ويحضهم على الصبر والسكون حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ومات بعد أن قام احدى عشرة سنة فأقيم بعده يوحنا تاسع تسعين وأصله من بلدة مالوى بصعيد مصر وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

—

ومات في سلطنة السلطان محمود خان الاول يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام عشر سنوات لم يقع فيها من الحوادث شئ يذكر فأقيم بعده متاوس اتمم المائة وأصله من بلدة طوخ فلبث خمس سنوات أو ستا لم يقع فيها شئ يذكر ومات فأقيم بعده مرقس الحادى بعد المائة وأصله من بلدة بهجورة بالاقليم الوسطى من صعيد مصر ووقع في أيامه من الحوادث ما سيذكر في محله

—

ومات في سلطنة السلطان عثمان الثالث ابن السلطان أحمد خان مرقس بطرك المتأصلين بعد أن أقام عشر سنوات وكان حازما شديد البأس صبورا على المكاره قوى الحجمة لم يقع في أيامه شئ يذكر فأقيم بعده متاوس وهو الثانى بعد المائة وأصله من بلدة مسير واسمه جرجس وكان راهبا بدير السبراموس وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

—

ومات في سلطنة السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان أحمد متاوس بطرك المتأصلين بعد أن أقام أربع عشرة سنة وفي أيامه نقل دار البطريركية من حارة زويلة الى حارة الروم بالقاهرة وسكن بها وكان تقيا ورعا عالما فأقيم بعده يوحنا الثالث بعد المائة واسمه ابراهيم من رهبان دير أنطونيوس وكان من الحوادث في أيامه ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان  
أحمد بن  
السلطان محمد

سلطنة السلطان  
محمود خان الاول

سلطنة السلطان  
عثمان الثالث  
ابن السلطان  
أحمد خان

سلطنة السلطان  
مصطفى الثالث  
ابن السلطان  
أحمد

سلطنة السلطان  
عبد الحميد ابن  
السلطان أحمد

ومات في سلطنة السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد  
يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام اثنتين وأربعين سنة وكان  
عالما فاضلا تقيا ورعا أعاد في أيامه عمارة دير انبا بولا ورمم مباني  
بعض الديارات الأخرى وكانت أكثر أيامه شدائد وخطوب امترا كمة  
بعضها فوق بعض كانت بسببها تتعطل شعائر الدين لولا لطف الله  
فأقيم بعد موته بطرس الرابع بعد المائة واسمه مرجان من  
رهبان دير انبا بولا فأقام سبع سنين ومات ولم يقع في أيامه من  
الحوادث شيء يذكر فأقيم بعده يوحنا الخامس بعد المائة واسمه  
عبد السيد من رهبان دير انبا بولا ووقع في أيامه من الحوادث  
ما سيذكر في محله

سلطنة السلطان  
سليم الثالث ابن  
السلطان مصطفى

ومات في سلطنة السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى  
يوحنا بطرك المتأصلين بعد أن أقام ثمان عشرة سنة واشتد في  
أيامه على بك بلاط على المسيحيين شدة بالغة وضيق عليهم جدا  
وصادر الكثير منهم ثم ضرب عليهم غرامة قدرها مائة ألف ريال  
فانبتت أعوانه لجمعها وقد عاثوا وأفسدوا وفعولوا مالا خيرا فيه  
وبيعت بسبب هذه الغرامة الجواهر والاحجار الكريمة بأبخس  
الاثمان وموته أقيم بعده مرقس السادس بعد المائة واسمه سمعان  
من دير انبا بولا وأصله من بلدة قلوصنه وكان من الحوادث في  
أيامه ما سيذكر في محله

الى هنا قد تم تصويب ما قد وجد ساقطا سهوا من  
أسماء وأخبار أيام أوائك البطارقة في هذا  
الجـزء والله سبحانه الهادي  
الى الصواب

تصويب  
الجزء الثالث

صواب	خطا	سطر	صفحة
اكتسحوا	اكتسحوا	٦	٣
على	..	٢٣	١٠
ميلادية	..	٢٥	١٥
تحت	بحت	١	١٧
وسقطوا	وسقط	٢٣	٢٠
والممالك	الممالك	١	٣٩
حظية	حظية	١٢	٥٢
..	من	٩	٥٩
للشائرين	للشائرين	٢٧	٦١
النساء	الفسا	٤	٦٥
حسنة	حسنة	٦	٧٤
لما	رلما	١٤	٩٤
تناقلوا	تناقلوا	١٢	٩٥
عنايته	غايته	١٣	٩٨
حتى	حق	١٤	٩٨
تم	بتم	١٩	٩٨
وهم	ولما	٣٠	٩٨
عموا	غموا	٦	١٠٠
وكان	كان	٦	١٠٢
باشا	..	٧	١٠٦
اتحاد	اتحاد	١٥	١٠٨
وكان	وكانت	٣٠	١١٠
جوريجي	جوريجي	٥	١١٤
طريق	طريق	٢٢	١١٤
اعلماه	اعلما	٦	١٢٠
وسرحه	وسرح له	١٨	١٢٠

تابع تصويب  
الجزء الثالث

صواب	خطأ	سطر	صفحة
يفحص	يفحصر	٣	١٢٢
فجهزوا	فجهروا	٩	١٢٧
باكبر	باكر	٢٢	١٢٧
..	عليه	٥	١٣١
تنوبها	تنوبها	٩	١٣٢
ثلاث	ثلاثاء	٢٧	١٣٧
يتصرف	يتصرف	١٢	١٣٩
جاء	جاء	١	١٤١
الداودية	الداوربه	٢٢	١٤٥
خذل	خنل	٢٢	١٥٤
وصعد	وقصد	١٥	١٥٥
متمم	معهم	٣١	١٥٥
شخج	والشيخ	٣١	١٧٤
وتخيل	وتخيل	٢٠	١٨٥
بمدينة	بمدينة	١٨	١٩١
عدة	عدة	٣١	١٩١
قنصل	قنصل	١٣	١٩٩
السنفال	النفال	١	٢١٢
غيرهما	غيرهم	٢٨	٢١٩
الثورة	الثور	٦	٢٢٨
لغزو	غزو	٥	٢٣٣
ولم	قلم	٦	٢٣٦
م٣٠	به	١٠	٢٣٨
بيدى	بيدى	١٣	٢٥٣
على	عليه	١٤	٢٥٣
انجاز	انجاز	٢٢	٢٥٣

تابع تصويب  
الجزء الثالث

صواب	خطأ	سطر	صفحة
غيرهما	غيرهم	١	٢٥٦
المنظر	النظر	١٠	٢٦٤
الديوان	الديون	١٤	٢٦٩
في	في	٢٤	٢٧٣
المصريين	المصريين	١٠	٢٧٦
يبيعون	يبيعون	٢٠	٢٨٠
والفمك	وقمك	٢٨	٢٩٠
دخل بخيمة الباشا	بخيمة الباشا دخل	٥	٢٩٨
..	اليوم	١٢	٣١٥

﴿ تم التصويب والخطأ ﴾









مركز الوثائق والبحوث



30018000012294

المكتبة



